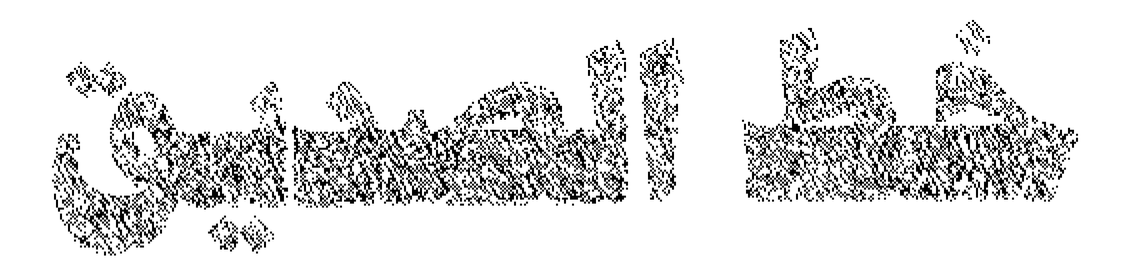
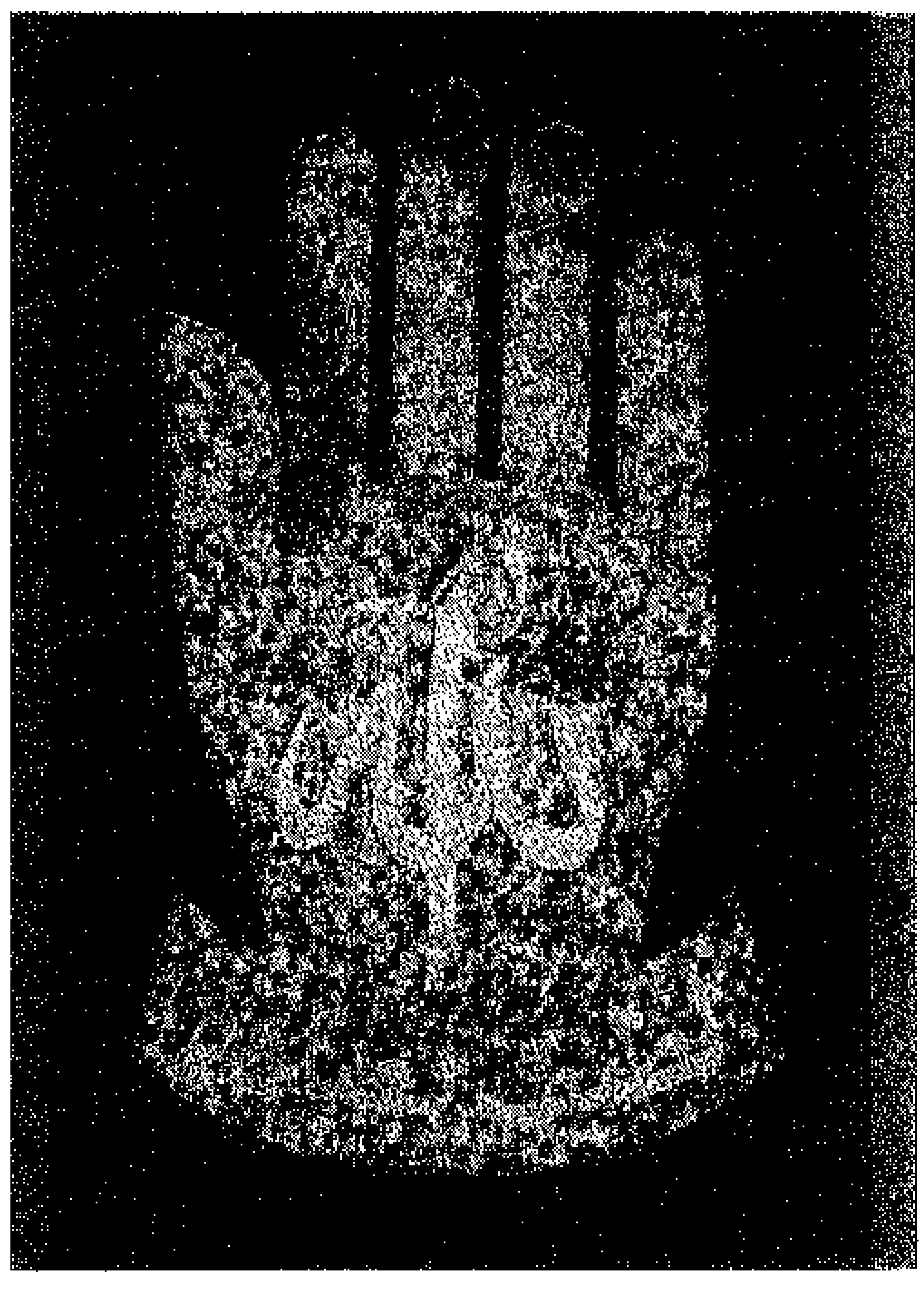
بربارا فريشموت





رواية

منشورات الجمل

بربارا فريشموت: خط الصديق، رواية

بربارا فريشموت

خط الصديق

رواية

ترجمة: اميرة فيصل

مراجعة: د. سالمة صالح

منشورات الجمل

ولدت باربرا فريشموت عام ١٩٤١ في مدينة ألتاوزي/ النمسا. درست الاستشراق وعاشت فترة طويلة في مدينة أرضروم التركية. من أهم أعمالها الروائية: مدرسة الدير (١٩٦٨)، حدود الحلم (١٩٨٣)، انحسار الظلال في الشمس (١٩٧٣) (ترجمت الى العربية وصدرت في مصر)، كما نشرت العديد من كتب الأطفال والتمثيليات الإذاعية حازت على العديد من الجوائز الأدبية وتعتبر اليوم من أهم كاتبات النمسا. عُرفت باهتمامها الواسع بالشرق، السبب الذي دعا الكاتبة الجزائرية آسيا جبار، حينما مُنحت لها جائزة السلام لعام ٢٠٠٠ المعروفة جداً، التي تمنحها رابطة المكتبات الألمانية سنوياً، أن تطلب من فريشموت القاء الكلمة الاحتفائية.

باربرا فريشموت: خط الصديق، رواية، الطبعة الأولى، كولونيا / المانيا

ترجمة: أميرة فيصل، مراجعة: د. سلامة صالح

Barbara Frischmuth: Die Schrift des Freundes, Roman

© 1998 Residenz Verlag, Salzburg und Wien

© Al-Kamel Verlag 2002

Postfach 210149

50527 Köln . Germany

Tel: 0221 736982

Fax: 0221 7326763

E-Mail: KAlmaaly@aol.com

الكومبيوتر هو الجواب،

لكن على أي سؤال؟

مجهول

لقد لقيت قمري على الأرض

إذاً، ما الذي أبحث عنه في السماء؟

يونس عمره

"كان يا ما كان..." هذا حلم لا يستطيع المرء ان يستفيق منه إلا بصعوبة بالغة. تحلم آنا مارغوتي أنها تشق طريقها عبر العديد من المخاطر، عزلاء ووحيدة.

ترى نفسها وهي تسير إلى المحطة على زاوية شارع مجهول، الخط رقم سبعة وقد تملكها حذر شديد. سيان إن كان ضبابا أو غشاوة على البصر، فالاتجاه مرسوم مسبقا. كذلك الركاب مصنوعين من ورق مكتوب من فوق إلى تحت. يحاول أحد الحروف الأبجدية أن يصطادها، يلتقطها بصنارته مخرجا إياها من داخلها ويتركها معلقة بين السماء والأرض، ولكنها لا تزال بحاجة إلى أرض ثابتة تحت قدميها.

"مع إنني كنت أريد الذهاب إلى دوناوشتات"، تهمس في داخلها، وهي تعرف بأنها لن تصل أبدا إلى هناك. تعرف من نظرة سائق مركبة الترام إليها أنّه درويش.

لا بد أنها مركبة قديمة بدفة للقيادة وعرى معلقة ليمسك بها الركاب، واحدة من القطع الراقدة في مرآب الترامات، لا تخرج منه إلا عند منتصف الليل.

النهار الطالع يضيء مشارف المدينة. الثلج الكثيف يملأ الفراغات، وقد رسمت آثار الطيور عليه أخاديد عميقة، قصة للتقاطعات. من كل المحطات ينبعث صدى وكأن القطار قد خلفها وراءه منذ أمد بعيد. أسماء كثيرة للائكة حارسة للأيدي والأقدام.

"المحطة الأخيرة" خشخشة وقرقعة في الأوراق، تنقلب الصفحات، يتثاءب الدرويش السواح بقوة ويترك معطفه ملقى في مكانه. "تعالي معي يا طفلتي، ومن أجلك سأقوم بنفخ الحياة في العالم بأنفاسي."

يذهبان للنزهة معا على الدانوب القديم وهما يشعران بالدفء يغمرهما لحد الذوبان في بعضهما، ومع ذلك تعلق كل شاة من قوائمها.

"آنا مارغوتي، يا طفلتي، الآن سأخطف قلبك."

يستمر الحلم طويلاً.

وفجأة يقوم جني المعنى الخفي بتقطيع لحم جسده بنفسه فتفتح أنا مارغوتي عينيها.

تركز أنا على عملها وهي نائمة ليلا. فبدون عمل لا توجد تفويضات. قلبها لا يزال يخفق قليلا. عندما تنظف أحذيتها تقوم بذلك من أجل رئيسها في العمل أيضا، الذي هو رئيسة. فبريق المؤسسة ينعكس على وجه الحذاء أيضا مثلما يجد كل شيء إنعكاسا له حتى العوالم التي تتحرك في فلكها الأشياء كلها من أجل الوصول إلى حقيقة حقيقية وليس بيانات، بيانات وبيانات فقط. الشيء الأساسي هو النظرة الشاملة، نظام الكمبيوتر الذي لا يزال مجهولا، المستقبل، الذي يحاول كل واحد منهم سرقته من الآخر، وكأنهم ضمنوا ملكيته مجسدا على شاشات الكمبيوتر التابعة لهم.

"أنا، أنت التي تجسدين تصوري عن هوليوود"، يكتب فرانتيشيك، الولد الذي يرسل هنا وهناك لإنجاز هذا وذاك من الأعمال، على الورق الملفوف به التوست بشرائح اللحم المملح والجبنة.

"ساقاك أطول من شارع الستسيت."

تحسب أنا النقود وهي تضعها على أصابع يده المتعرقة وقد غيبتها كلماته في عالم السينما. "بعد ثلاث سنوات من الآن سأخرج معك يا فرانتيشيك، إذا كنت لا تزال تريد ذلك." ستكون حتى ذلك الحين قد حصلت منذ وقت طويل على القامة التي تحلم بها أو ستكون ميتة، وسيكون فرانتيشيك واقعا في غرام فتاة في الرابعة عشرة من عمرها.

حركة الباليه لأظافر أنا المطلية باللون البنفسجي تشغل الآلة وتجعل الكريستال السائل خلف شاشة الكمبيوتر يضيء متوهجا.

"هل تعرفين كيف يُصنع آيس البنفسج؟" يبدو أن تيريزا زميلة أنا في الشعبة الأخرى فكرت بالامبراطورة قبل الأخيرة التي كانت تحب آيس البنفسج.

"لا أعرف، ولكن ما رأيك أن نذهب بعد انتهاء الدوام لأكل الآيس كريم؟"

"دعيني أعانقك يا أنا، بالطبع لا يزال الوقت باردا جدا، ولكن هذا يذكرني بأن

شيئا كالربيع أو ما أشبه كان من المفروض أن يحل الآن."

الحياة تتطلب عملا كثيرا وهي مقتنة على كسب العيش. مغلفة بدفء في شبكة الكومبيوتر التي تغطي العالم كله، لا تعرف آنا الرياح الباردة للكساد إلا من الإحصاءات التي تعد في وسائل الإعلام. وهي وإنْ كانت على معرفة بالأزمات الاقتصادية والعجز المتلاحق للمنشآت الكبيرة، فهي تتابعها يوميا عبر موزع البيانات، إلا أن جسدها المهني لم يشهد بعد انهيارات من هذا النوع. ولكن إذا حصل وأنْ تعرضت المؤسسة التي تعمل فيها للاهتزاز فستهتز كل أوربا معها. المنظر الذي تراه آنا يوميا هو منظور من أعلى. ماذا يعني هذا؟ الخطوط تبدو أكثر هندسية والخضرة أكثر سعة. وماذا لو توقف المصعد؟ تصور يعاودها ككابوس من حين لآخر. الهواء كذلك جاف جدا رغم الشجيرات الثلاث الممتصة للرطوبة. عدا ذلك فليس هناك من وجهة نظرها ما يستوجب الشكوى، وبشكل عام على أية حال؟ من يتمعن النظر بالبشرية كما هي، يود فورا لو يكف أن يكون إنسانا.

بعد بداية كل حرب تشتري آنا لنفسها حذاءً جديدا، فالعالم بحاجة شديدة إلى بهجتها. من أجل الجو العام على الأقل. ربما يكون ممكنا له أن يقتنص شيئاً من الذبذبات الإيجابية التي تلف الكرة الأرضية كتنشيط للذهن.

تقول لها رئيستها في العمل: "آنا، لايهمني أن تبتسمي حتى تفقدي عقلك، المهم أن تبتسمي."

بالطبع لا تستطيع أن تقوم بهذه المجاملة لرئيستها، فعقلها شيء مقدس بالنسبة لها، فأي شيء ينتظر أن تقدمه المرأة اليوم في عملها؟ لا يتوقف الأمر على الابتسام فقط.

"أنا أعاني من حساسية تجاه كل الأحوال الخاطئة غير القابلة للاصلاح." تيريزا جادة فيما تقول، حتى مع كونها لا تشارك في العمل المكلف به من قبل الحكومة، والذي يطلقون عليه – المبرمجون فيما بينهم – تورية اسم باسيبيوس "أنت لا تسخرين مني، أليس كذلك؟"

آنا لا تسخر من أحد ولا حتى من فيردي الذي يعمل في قسم البريد، والذي لا يتحدث عن شيء آخر عدا عن شعره المقصوص على طريقة الرهبان

الكاثوليك.

"فرانسيسكاني بشكل واضح، كيف يخطر لي ذلك؟

"كرشك، يا فيردي، كرشك هو الدليل الثاني. الأمر يحتاج لثلاث شهادات. الشهادة الثالثة هي إدارة الأملاك المتدرجة ارتفاعا." لا تزال تيريزا تعرف الكثير من أيام طفولتها الكاثوليكية شديدة الصرامة، لكي تقوم بتغذية ثبات فيردي على آرائه.

"الطاعة، يا فيردي، الفقر والفضيلة."

يخرج فيردي عن طوره غضبا.

"الفكرة وحدها."

"ستجعلك تشعر بالارتياح، ستجعلك تشعر بالارتياح."

ليس للرئيسة اعتراض على بعض المزاح، فمن الثابت أنه يحسن جو العمل. إنها فقط لا تستطيع تحمل القهقهة العالية التي تهز الهواء هزا. لهذا السبب تقدر ابتسامات آنا التي لا تتواصل في ذبذبات صوتية متلاحقة.

على ذكر الرئيسة، إنها طبعا رئيسة هنا فقط، وفي دائرة محلية ضيقة. أما المؤسسة نفسها فلها تشابكات ممتدة في كل أنحاء العالم. وهناك يملك المدراء الكبار الكلمة الفصل. ولكن الفرع المحلي هنا يسعى للحصول على تكليفات حكومية بالذات، الأمر الذي يقوي مركز المؤسسة ويضفي عليها هالة حامل الأسرار الكبيرة، بدون التصريح بذلك طبعا.

تعمل كل الفروع بعدد قليل من الموظفين. حصل التغيير في الوقت المناسب. شبكات كبيرة، مواقع فرعية كثيرة متصلة ببعضها وبرامج كومبيوتر متطورة جدا وحفنة من الخبراء من جنسيات مختلفة، بذلك لا تكون المؤسسة – فيما يتعلق بالعاملين فيها – تابعة لعقلية معينة و تبقى مرنة.

تملك آنا مخ برمجة صغير وشديد البرودة تحت خصل شعرها الكثيفة الحمراء.

الشيء الذي يقر به من حين لآخر حتى يوسف صاحب الآراء السباقة، والذي يشغل مكتبا بمفرده. وهي تستطيع أن تستدرج مقترحات من نوافذ

الحاسوب حتى حينما تنزلق أصابع يوسف، العبقري، على مفاتيح لوح الكتابة كله.

"هؤلاء الأولاد يحابونك. فهم يفضلون حمراوات الشعر"، يقول يوسف لآنا ثم يتابع كلامه بلهجة المخذول، "فكيف يمكنني أن أسجل أنا نقاطا لصالحي؟"

نظارة يوسف تتأثر بالضوء والظل. "عندما تبتسمين يا آنا، تصبح نظارتي شمسية، إذن تعالي والقي بأشعتك علي."

"هل أنا امرأة بوتفارس؟" آنا تعرف قصة نشوء العالم. ويوسف لبناني، واحد من المارقين. "لم يعد بإمكاني تحمل تعريض نفسي للذبح من أجل أرض صغيرة، في الوقت الذي أملك فيه إمكانية الانطلاق فوق كل الطرق السريعة."

"وماذا عن هويتك؟" ايفو لا يقدر على غير ذلك، لا يستطيع إلا شرب عرق السليبوفتز عندما يلتقي بأصدقائه الصرب مساء.

"اتركني بحالي. بجد يا إيفو، المسألة هي: هل تبقى تستدعي البيانات، أم تمد يدك أيضا؟ أنا أحب الأكل، أحب ممارسة الجنس، أحب الذهاب إلى السينما، فهل أستطيع القيام بكل هذا لأني لبناني فقط؟" يصمت إيفو منزعجا.

"بالعكس، فبسبب كوني لبنانيا لا أكاد أستطيع أن أمارس كل هذه الأشياء."

تيريزا تهز قبضة يدها الممسكة بفأرة الكمبيوتر "أليست لديك روح؟"

يضحك يوسف بخبث "ألم تكن هذه فكرة الروس؟" لن يكون ليوسف صلعة مطلقا وإنما كرش في أقصى الأحوال

إيفو هارب من الجندية وهو منذ وقت قصير في براين – تروست. تم استقدامه من معسكر اللاجئين مباشرة و تشغيله لأنه يحسن البرمجة على الكمبيوتر ويتقن اللغة الألمانية. خلاياه لا تزال طرية ولكن الوضع في بلاده يجعل ذهنه مشتتا.

لا تزال الرئيسة تجربه حتى الآن. إنه أقل شطارة من فرانتيشيك الذي امتطى سفينة العمل كشاب متعلم ذاتيا، أو كما يقال، كطفل نابغة. أما أنه يُرسل إلى الكافتيريا فله أسباب تربوية لا غير. فبهذه الوسيلة يستطيع على الأقل تعريض بثور وجهه للهواء الطلق.

إذن فأنا تحتل عموما موقعا جيدا في هذا العالم الذي تهزه حوادث الإفلاس.

وحجم ما تقوم به من عمل ليس أقل مما تملكه من موهبة. وهي وإنْ كانت لا غنى لها عن المرتب الذي تأخذه من المؤسسة، إلا أنها تستطيع كواحدة من العاملين فيها لم تتعرض بعد لمخاطر التدرج الوظيفي، أن تعقد آمالا لها ما يبررها في الارتقاء إلى درجات وظيفية أعلى.

"يالك من محظوظة." عرفت أمها جيجي ذلك منذ البداية. وحتى وإنْ كان لآنا تصورات أخرى عن الحظ، فإن هناك توافقاً في الرأي بينها وبين أفراد أسرتها بأنه كان يمكن أن تحصل على أقل مما حصلت عليه فعلا، سواء فيما يتعلق بالوظيفة أو بشكل عام. أما في حياتها الخاصة فيبدو أنها تواجه قدر النساء حمراوات الشعر بدون نمش: سريعة الاشتعال، لا تشعر بالدفء إلا نادرا، ولم تحترق حقيقة بالنار.

"ابنتي، احتفظي بطبعك هذا"، تقول لها جيجي مناشدة دائما.

لحد الآن لم يحصل أنْ تعرض قلب آنا لإرهاق شديد. شيء لم يهمها كثيرا، فهي في النهاية تجهل ما لم يحدث. في بعض الاحيان فقط يخامرها الحدس بأنها ستشهد مع فرانتيشيك أكثر مما ستشهده مع كل أولئك الذين يدعون فيردي، يوسف، إيفو وهاوجسدورف مجتمعين. هاوجسدورف هو الذي يدق له قلبها الآن، ولكن بدون أن يخرج عن الإيقاع.

"لا تجعليه يضيع من يديك." لم تستطع جيجي أن تغفر لنفسها تماما أن كلتا ابنتيها نشأتا بدون أب. "كوني على ثقة بأنني أستطيع أن أعمل خلال وقت قصير فقط دراسة نفسية عن كل إنسان."

"وماذا عن التطبيق المفيد؟"، تتساءل آنا ضجرة.

"كوني لم أستطع أن أستفيد أنا من ذلك لا يدل على شيء. فالجراحون أيضا لا يجرون عمليات لأنفسهم."

بشكل عام يتمتع هاوجسدورف بلياقة بدنية جيدة، موظف وزارة في أعلى الدرجات الوظيفية، شهد الكثير في حياته إلا الايدز (كما يقول هو)، وهو مجنون بجمع منمنمات القرن التاسع عشر، وذلك منذ سنوات كثيرة. وكما يقول هو

فهي وسيلته للنقاهة الذهنية. ترمل في وقت مبكر، كان ذلك زواجه الأول. أولاده في مرحلة الدراسة الجامعية، وهو رجل تنتقده سكرتيرته بسبب نوبات غضبه التي تسميها صبيانية.

يذهب مرتين في الأسبوع إلى النادي الرياضي، ليس للعب التنس ولكن للفروسية.

بعدها تفوح منه رائحة الخيل، وفي بعض الأمسيات تفوح منه رائحة الغليون أيضا.

"وعندما تسأليني، أيتها الباحثة عن اللذات سراً." يوسف يعرف الناس والعالم كله وتربطه بهاوجسدورف أسرار على مستوى الدولة.

"لو أنتِ"، تتصنع أنا الغضب، "ماذا تقصد بذلك؟"

"بأنك بحاجة إلى أن تحيطي حياتك الخاصة بالكتمان، من أجل الوظيفة على الأقل."

"قل هذا لنفسك." صوت تيريزا يمكنه أن يشطر تفاحة شطرين، وابتسامة يوسف تقطر الحدة نفسها.

"ولماذا، هل جعلتُ أحدا يستغفلني؟"

"لأنك كنت مغفلا دائما."

"ومن هنا يأتي اصراري على قول الحقيقة. إذن لا داعي للعاطفيات، أنا، فأنت تعرفينه منذ وقت طويل."

الأمر بالنسبة لأنا معقد جدا، فهي تستطيع في كل الأحوال أن تظهر أمام الناس برفقة هاوجسدورف، وهو لا يتشاجر معها ولا يطلب منها أن تكوي له قمصانه.

أما كونه يذهب قبل كل مرة ليغسل قضيبه، فهو أمر يقوم به مراعاة لها لا غير، فربما يجعله بهذه الوسيلة ينتصب.

"أنا أقوم بهذا عن قصد"، يقول هاوجسدورف، "كما أنني أحب أن تكون رائحتي طيبة."

أنا تدغدغه وهي تمرر أصابعها بين شعر صدره، "المهم ألا تنساني وأنت

تقوم بذلك." كل هذا لا يزعج آنا مطلقا، وإنْ كان الأمر يبدو لها طقوسيا أكثر من اللازم أحيانا.

آنا تعرف بأنه يمكنها أن تعتبر نفسها محظوظة بتعرفها على رجل مثل هاوجسدورف وهي تحبه أيضا، أحيانا كثيرا وقليلا في أحيان أخرى. وهو يأخذها معه لأناس مهمين، الأمر الذي ينمي مستواها الثقافي، وإنْ كانت تشعر بالملل بين هذا العدد الكبير من هواة جمع هذا أو ذاك من الأشياء.

أما هي فلا تجمع شيئا عدا الرسائل الغرامية، وبالذات لأن الأمر لم يعد معتادا هذه الأيام، احتفظت حتى بالرسائل من أيام المدرسة، مصنفة ومربوطة بالشرائط.

وأيضا قصاصات الورق المرفقة بطلبات الأكل لفرانتيشيك ترقد هي الأخرى في علبة من الصفيح حتى لا تنطبع آثار الزيت على الورق الذي لم يقصر لونه كمياويا حماية للبيئة، أو على البطانة المعمولة يدويا.

"آنا، لماذا لا تخلصيني من قيودي لكي أكون طوع رغباتك الحقيقية؟" يقول فرانتيشيك متنهدا.

إلا أن أكثر ما يشعر آنا بالراحة هو أن هاوجسدورف يمنحها الكثير من الحرية، على الأقل من ثلاث إلى أربع ليال في الاسبوع، فهو رجل يحمل مسؤولية كبيرة ويحتاج لكثير من النوم. كما انه يريد أن يرحمها من رؤيته وقد أمسك بعدسة كبيرة في يده منحنيا على منمنماته وهو يتضرع وقد تملكه نهم التملك لتلك التي لا يملكها بعد بأن تصبح طوع بنانه. أما بالدرجة الاولى فإنّ ما يريد أن يوفره عليها فعلا فهو معرفة كم تكلف هذه القطع، حتى وإنْ كان هو لا يستطيع أنْ يتجاوز حدوداً معينة: ستة أرقام تقريبا. ما وفره فيما مضى من حياته مستثمر لضمان مستقبل أبنائه، وهو يفصل فصلا شديدا بين النفقات العائلية والاستثمارات الشخصية.

في الأمسيات التي لا تلتقي فيها بهاوجسدورف تعود آنا إلى محيطها الأصلي فتذهب مع يوسف وفرانتيشيك إلى السينما أو تجلس بقميص النوم في المطبخ، تطعم قطة الجيران التي تأتي لزيارتها عبر السطح، تمص دبية الجيلاتين

المصنوعة من عسل الفواكه النقي وتترك مسجلها المحمول القديم يدوي عاليا. أحيانا تقرأ أو تزور أختها بوني في دوناوشتات والتي تعيش الحياة المألوفة في بيئتها، وليست الحياة المرفهة التي تتيحها مهنة مثل تلك التي لآنا.

"إنه أمر يبعث على الضحك حقا، لدي ثلاثة أولاد ورجل سكير. وأنا أزداد سمنة كل يوم. وفي منطقة سكننا يرمي الناس بأنفسهم من الشباك. مادة كافية لثلاثة مسلسلات تلفزيونية."

آنا تحب أختها بوني، وإنْ كانت من ناحية أخرى تشعر بالسعادة لأنه قد أصبح لبوني عائلة خاصة بها ولم تعد مضطرة لصب جل اهتمامها عليها. وصهرها لا يشرب أكثر من البيرة ويعمل في أوقات فراغه مع فرقة مسرحية تحاول إحياء التقاليد القديمة لمسرح فينا الارتجالي. ما تقدمه الفرقة ليس سيئا على الإطلاق. وفي العرض الافتتاحي الأخير لإحدى هذه المسرحيات المرتجلة – والتي يكون فيها الحدث المسرحي فقط هو المحدد مسبقا، أما النص فيرتجله الممثلون – جعلت المسرحية حتى هاوجسدورف يضحك مبتهجا.

الشيء الذي تحبه آنا كثيرا هو لعبة الداما. الخصم الوحيد الذي تحسب حسابه هو ابن أختها دونالد. وفي الوقت الذي يجلس فيه أخواه الآخران خلف ظهره وهما مشرئبان بعنقيهما، الأول بملامح متطفلة والآخر بملامح عابسة، يقوم هو بين حين وآخر بنقلة شديدة الذكاء تعجز حتى آنا عن مقابلتها بحركة مضادة. بوني تدعي بأنه يذكرها عبر كثير من الأشياء بآنا عندما كانت طفلة. وعلى فكرة فقد تعلم القراءة على لوحة حروف جهاز الكمبيوتر، قبل أنْ يدخل المدرسة طبعا.

عندما تستلقي آنا وحيدة في فراشها دون أنْ يراودها النوم يخامرها الإحساس بأنه لا بد وأنْ يكون هناك شيء على غير ما يرام عندما يبدو كل شيء على ما يرام .

"إستمتعي بحياتك يا آنا، ما دمت قادرة على ذلك"، جملة تقولها بوني عند كل وداع. ماذا يعني هذا؟ آنا تعرف بأنّ قلبها لا يؤتمن. ولكنها تمكنت لحد الآن من المحافظة عليه مغلقا بشكل جيد. في أحلامها فقط تشعر أحيانا بثقل الأمور

عليها. لذلك تفضل لو أنها لا تحلم مطلقا. ولكن الأمر ليس في يدها، لحسن الحظ. فالبقية الباقية من البلبلة الذهنية الغريبة التي تجعل قلبها يخفق بشدة حتى بعد أنْ تستيقظ من النوم تعد من الأشياء القليلة التي تعتبرها آنا – إذا أخذ المرء الأمر مأخذاً متشدداً – جزءا من حياتها الروحية.

تشغلها غالبا التلميحات إلى الأوضاع العميقة لأحاسيسها التي لم تعطها حقها أطول كثيرا مما يشغلها سؤال هاوجسدورف فيما إذا كانت تقدره كعشيق وأية وضعية تفضل أثناء النوم معه. أما في القضايا ذات الأهمية التقنية فإنها تتخذ القرار بشأنها بشكل تلقائي وحسب الحالة النفسية التي هي فيها.

الحال ليس كذلك حينما يكون الأمر متعلقا بمشاعرها، عيد ميلادها الثالث والعشرين مثلا . قدم لها هاوجسدورف عدة مقترحات، لم تر في أي واحد منها أنه مفصلٌ عليها شخصيا بشكل كاف. وهي تتمنى لو أنه يفكر بشيء لها ولها فقط، وهو ما لا تشعر به عبر مقترحاته عن مطاعم رفيعة المستوى. أمها جيجي وأختها بوني تتكلمان عما هو معتاد، أي ما يُسمى بالاحتفال العائلي. إلا أن هذا شيء يحدث كل سنة. فرانتيشيك وحده يستخرج لها شيئا من عبقريته ويقترح عليها القيام برحلة ليلية في أحد قوارب الإنقاذ عبر قناة الدانوب. ولكن عليهما أولا وضع اليد على أحد هذه القوارب. فالمتشردون معتادون على النوم فيها عندما تسمح لهم درجات الحرارة بذلك، وهو أمر غير مضمون في نهاية شهر شباط. كون العملية معاقب عليها وحده يجعل منها مغامرة مثيرة. وعبرها سيجد فرانتيشيك، كما يقول هو، فرصة لأن يبرهن على بطولته في الدخول في صراع إما مع بعض الأشرار أو مع فريق الإنقاذ النهري.

"فرانتيشيك، ربما سآخذ باقتراحك هذا، فالأنهار تشدني إليها بشكل غريب، عند ذلك سنقوم بدوري جني الماء وحورية الدانوب. وبينما أفكر أنا بميلادي ستقوم أنت بفتح زجاجة الشمبانيا."

"آه، يا آنا، لو أنّك تعترفين برغباتك الدفينة مرة واحدة فقط. طاوعيني في الخطوة القادمة لأفكارك وستتعرفين فيّ على أوبيرون."

"لا تقل بأنك أصبحت تذهب إلى المسرح، فرانتيشيك؟" نظرة فرانتيشيك

تساوي عرضا مسرحيا كاملا.

"أيتها المفسدة للعب، ولماذا لا يكون الأمر كذلك وأمي تعمل ملقنة في المسرح الأكاديمي."

تضحك أنا قليلا وهي تدس وجهها في الوسادة. ماذا سيحدث لو أنها انحدرت فعلا مع فرانتيشيك على قناة الدانوب؟ وكما تعرف هي من يوسف فإن عيد ميلادها يصادف هذا العام في ليلة القدر. الليلة التي يرى فيها بعض المسلمين رؤى روحانية، ويصومون صوما كاملا في اليوم الذي يليها .

لا، قالت أنا لنفسها، لا يمكن التفكير في قضاء الوقت في العراء في مثل هذا الفصل من السنة. ومغامرة مثل هذه ستنتهي بالتأكيد بالتهاب في المثانة.

إنْسَيْ الموضوع أنا، فعيد ميلادك لا يعني الطبيعة في شيء. هاوجسدورف سيوصلك عند منتصف الليل إلى البيت، لأن عليه كما تبين أن يسافر في اليوم التالي إلى الولايات المتحدة كعضو في وفد خاص يقوم هناك بتحريات واستطلاعات بوليسية. وهذا سيكون كل شيء.

لا يجب للشكوك التي تراود أنا أحيانا حول كثافة حياتها العاطفية أن تكون سببا للتعتيم على طموحها الوظيفي. وسيلتها لتحقيق ذلك دورات للتعليم المستمر وتدريب تخصصي على حساب المؤسسة والتعرف على أحدث أساليب البرمجة، ليس فقط لأنها تشعر بأنها ملزمة بأن تحقق تقدما شخصيا لها وإنما للمؤسسة أيضا. فخبرتها العملية تحتاج إلى التحسين كل ستة أشهر. مَنْ يريد أن ينطلق على كل الساحات على مدى العالم كله، بحاجة أيضا إلى أن يكون محيطا إحاطة تامة بكل ما يجري في العالم. يأتي التقدم العلمي بموديل جديد، وعدم الإحاطة به يكلف المؤسسة الريادة في الميدان.

لذلك تعمد أنا إلى الحصول على دورات تدريبية فتذهب إلى مراكز للتدريب – كانت في الأصل قصورا أو أديرة تاريخية – تقدم فيها أيضا دورات عن أساليب التأمل الروحاني في الشرق الأقصى والتغذية البيولوجية أو كل ما يمكن أنْ يكون مفيدا للروح والجسد.

"لاحظي كل الموجودين هناك ولا تتغازلي كثيرا، فهم على كل حال نفس

الأشخاص دائما"، يقول لها يوسف، الذي كون لنفسه شبكة خاصة به، قبل أن تذهب إلى إحدى هذه الدورات والتي تجري في نهاية الأسبوع، دون أن يكون على حق تماما أو على باطل تماما فيما يقول. وفي كل الأحوال فإنها تحب أولئك الذين تعرفهم، أما الذين لا تعرفهم فقد يتبين أنهم أشخاص جديرون بالاهتمام.

في واقع الأمر لا يوجد في حياة آنا شيء آخر عدا هاوجسدورف. رأسها ممتلئ بآخر الأساليب التقنية وآخر الفضائح في عالم الكمبيوتر في حين يحاول قلبها وهي تطفو في حمام السباحة صباحا أنْ يصطاد ما بقى من أحلام الليلة الفائتة التي ذابت بسرعة شديدة .

أما وجبات الطعام فتشكل الذروة الحقيقية. الصالات الكبيرة التي تقدم فيها وجبات الأكل تدعو بشكل ودي إلى تناول الطعام والشراب. لائحة الطعام يمكن قراءتها آليا، في حين تحمل كل وجبة طعام رمزا معينا. وحتى عندما يكون الفم مملوءا بالطعام فإنَ تيار المعلومات لا يتعرض للتوقف مطلقا، بل قد يحبس قليلا على اكثر الأحوال . وكما هو الحال دائما عندما يجتمع بضعة أشخاص من نفس الفرع المهني دون أن يكونوا مشغولين بعملهم، فإن الحديث يكون عن تعليقات ذاتية على كميات كبيرة من الرموز بتركيبات وتكوينات شفافة أكثر مما يكون عن "البروق التي تطلقها الآلهة." وبعد تلقي القدر الكافي من الفكر الالكتروني يتحول مديرو البرامج إلى قراصنة شباب يتباهون بما يقومون به من أعمال التقصي ورحلات قرصنة في البحور المعلوماتية، في حين يحاول كل واحد منهم أنْ يفتح غريزيا مغاليق الأنثى الجالسة قبالته عنوة، قبل ان ينقسم اجتماع الراغبين في التدريب بعد ذلك إلى أزواج أو أفراد.

تخرج آنا قبل أن تستغرق في النوم بنتيجة أنها سمعت هناك على الأقل مجموعة من النكات الجديدة. ومع أنها لا تملك رؤى روحانية، إلا أنها ترى أحلاما لا يستفيق المرء منها إلا بصعوبة. بذلك كثيرا ما تكون الليلة بالنسبة إليها هي ليلة تقرير المصير، أو (ليلة القدر)، كما يسميها يوسف.

في الحلم الأخير لم تكن كلمة السر "جني المعني الخفي" وإنما "قص الشعر"، والدرويش الجوال يدعى بشكل واضح جدا لولوس، مثل اسم مخترع أول آلة

منطقية، كان يريد بواسطتها التبشير بالمسيحية بين المسلمين. وبعد أنْ أوضح لهم مرة بعد أخرى أن دينهم مجرد خطأ يستطيع منطقه تصحيحه، قاموا برجمه بكمبيوتر الجيب الأصلي الخاص به.

في حلم أنا يعمل لولوس حلاقا يقوم بحساب عدد شعرات رأسها ثم يعمل منها باروكة مزدوجة، أحد قسميها باروكة فعلا والقسم الآخر ليس كذلك. يهبط ملاك في صالون الحلاقة ويساوم لولوس على أسماء الله التي يمكن ترميزها في الكمبيوتر، بينما تملأ رغوة صابون الحلاقة المكان كله.

عندما تعطي يوسف قائمة بأسماء المشاركين يسألها عن مدرس إحدى الدورات الدراسية يدعى جبرائيل، ولكنها لا تستطيع أنْ تتذكر شخصا بهذا الاسم، "لأني لم أحضر في هذه المرة دورة علم الأنظمة." تيريزا هي التي ستذهب إلى الدورة التدريبية القادمة وقد وعدت أن تضع جبرائيل هذا نصب عينيها، لا أن تضع عينها عليه، كما اتهمها يوسف بأنها تنوي فعله

"الإنسان هو حيوان معالج للمعلومات، إذن عليك أن تتصرف طبقا لذلك."

لابد أن إيفو حاول في عطلة نهاية الاسبوع أنْ يغرق نفسه بالشراب، وطبقا للرائحة التي تفوح منه صباح يوم الاثنين تم إنقاذه بجهد جهيد. ولكنه بعد أنْ شرب بيرة تأملية تغيرت حالته مرة واحدة وقبل أنْ يتمكن الآخرون من إبداء دهشتهم عاد ليصبح مقبولا مرة أخرى. عيناه فقط هما اللتان بقيتا تعكسان الوهج المعتم للمأساة القائمة .

"اعقل يا إيفو"، تقول أنا أثناء استراحة قصيرة من العمل وهي تضع يدها على رأسه، الشيء الذي يسمح به بكل رضا وهو يميل بنفسه عليها. "أنت لا تستطيع أنْ تكسب الحرب بزجاجة الخمر في يدك."

"هل علي إذن أنْ أحمل البندقية؟"

"لا، وإنما احتفظ بطاقتك لما بعد."

"سوف لن يكون هناك فيما بعد."

"لا تفسد النهار علينا وعليك يا إيفو، فبعد كل شيء سيكون هناك فيما بعد."

لتيريزا عينان متورمتان وروح واسعة. وقد قامت للمرة الثالثة بمشاهدة فلم

"الحرب والسلم" بالإخراج الروسي القديم.

بعد انتهاء الدوام تذهب انا لشراء ثوب لها، أجمل الثياب. ثوب يليق بعيد ميلادها، غلاف لروحها. حصل التوافق مع ذلك تدريجيا من سلم دوار إلى سلم دوار اخر. ترتفع إلى أعلى وهي واقفة على قدميها من طابق إلى اخر عبر الهواء المرتفع الحرارة عديم الرائحة لمركز التسوق حتى تصل إلى قسم الألبسة النسائية الذي يضم أيضا قسمي الملابس الداخلية وملبوسات الحياكة.

"هل تريدين أنْ تجربي شيئا؟"، تبتسم البائعة طبقا للتعلميات المهنية.

"أريد شيئا مناسبا لحمراوات الشعر"، تؤكد انا على ذاتها أكثر مما اعتادت عليه.

"أخضر ضارب إلى اللون الفيروزي؟"

"لا، لا، أريد شيئا أشعر فيه بالراحة."

"رماديا بلون أجنحة الحمام، أمْ ألوانا طينية؟"

"ما رأيك باللون الصدفي الميال للبنفسجي؟"

عبر سؤال وسؤال مضاد يتم تضييق ما هو مرغوب به على شيء محدد حتى يصبح بين لون الطحلب الإيسلندي وتدرجات أوراق العنب.

التصق الثوب على جسد انا وهي تجربه وكأنه يريد أن يصبح بشرة ثانية لها. البائعة نفسها تتمنى أن ترتدي ثوبا مثله، بالرغم من أن شعرها في واقع الأمر بني اللون مع ميل طفيف إلى لون الحناء.

"هنيئا لك به." لا يحدث كثيرا أنْ تشتري حمراوات الشعر ما هو مناسب لهن. ولكن فيما يتعلق بهذا الثوب فإن البائعة متأكدة من حسن الاختيار.

"لقاء هذا يستحق المرء شيئا أكثر من ذلك" تقول انا مبتسمة. كانت قد شعرت في صباح هذا اليوم بأنها ستنفق هذا النهار مبلغا كبيرا. فمن يدري إلى أين سيأخذها هاوجسدورف، وهي تريد أنْ تكون في الوضع المناسب من ناحية المنظر على الأقل.

تصبح انا في الثالثة والعشرين من عمرها فعلا. وكلما يزداد الموعد اقترابا كلما يزداد ذهنها انشغالا بالأمر، مع أنه لا يوجد حتى في كتاب "لغز العدد" شيء

عن ذلك.

يبدأ هاوجسدورف الذي يبلغ عمره أكثر من ضعف عمرها بتربيتها، يقول: مثل "فروج يخفق بأجنحته أول مرة."

"أريد أن أعيش في هذا اليوم شيئا بالغ الإثارة."

"أي قدر من الإثارة تريدين؟"

"أريد شيئا رائعا، شيئا يدهشني دهشة بالغة، يخرجني من ثيابي."

"من أية ثياب؟"

أنا توجه لكمة لهاوجسدورف ثم تقول له بأنه لا يمكنه فهمها مطلقا، فهي ليست حكيمة مثله وإنما لا يزال هناك الكثير لكي تتعلمه.

من الواضح أن هاوجسدورف يفكر بالأمر. "هل تريدين أنْ تذهبي إلى أفريقيا مثلا؟ إلى مكان تقضين فيه إجازة مليئة بالمغامرات؟ أنا لا اقصد الآن حالا، وإنما في وقت آخر من هذا العام."

تتردد أنا قليلا ثم تهز رأسها بقوة حتى ليكاد يبدو وكأن شررا يتطاير منه.

"لا تفهمني بشكل غير صحيح. أنت أقرب إلى الاستثناء. ولكن أغلب القادرين على القيام بمثل هذه الرحلات هم إما مجانين أو من الذين يعتبرون أنفسهم من الأكابر أو أدعياء."

"هل تقصدين أصحاب هوايات الجمع؟" أغلب أصدقاء هاوجسدورف المقربين من هواة جمع مختلف الأشياء، لذلك لم يكن غريبا أنْ يمتزج في صوته شيء من الشعور بالإهانة، وإنْ لم يدفعه ذلك إلى التوقف عن تدليك ثدييها.

لم يكن هاوجسدورف هو الرجل الذي فض بكارتها. ولكن لم يكن قبل ذلك شيء كثير. ليس أكثر من زميل لها في المدرسة، لم يكن هو الآخر يعرف عن الجنس أكثر مما عرفه عن طريق التلفزيون. وقد حملت أنا منه في المرة الثانية أو الثالثة.

كانت أنا تحاول دائما نسيان تلك الأسابيع من المشاعر المضطربة. وقد نجحت في ذلك، وإنْ لم تنسها بشكل نهائي. الخوف الذي سيطر عليها بين أن تتخذ قرارا بإجهاض الطفل أو أنْ تعيش حياة مشابهة لتلك التي عاشتها أمها

جيجي، جعلها تتوقف عن الأكل تماما. وعندما لم تدر جيجي، وقد غلبها اليأس، ماذا تفعل بها أكثر من أنْ تسحبها برفقة بوني إلى إحدى المستشفيات، لكي يقوموا هناك بتغذيتها صناعيا، سقط الجنين من نفسه. بعدها عادت آنا إلى الأكل وقررت ألا تجعل جيجي وبوني تعرفان عن الموضوع شيئا.

بعد ذلك مرت فترة لم يكن فيها شيء عدا الكمبيوتر، حتى تعرفت عبر المكتب على هاوجسدورف. علاقتها بهاوجسدورف تشعرها بالأمان، الأمان من اتخاذ قرارات كبيرة، ويعلم الله أنه عشيق يعاملها باحتراس، علّمها كل ما ينبغي لها أنْ تعرفه من أجل أنْ تشعر بالمتعة هي أيضا. وقد بقيت لفترة طويلة من الزمان مطيعة له إلى حد كبير.

سألها هاوجسدورف عندما كانا يلهوان مع بعضهما في إحدى الليالي، وهو يربت على ردفيها وكأنه يريد نفض الغبار عنهما، فيما إذا كانت قد عوقبت أثناء طفولتها عقابا شديدا. ولأنها لم تستطع أنْ تتذكر مرة ضربتها جيجي فيها، فقد قصت عليه ما سردته تيريزا لها عن حياتها في المدرسة الداخلية، وكيف كانت الفتيات الصغيرات المشاغبات يتلقين الفلقة كعقوبة لهن وهن محبوسات في أحد المخازن المعتمة خلف صالة النوم حتى أنهن كن يتبولن على أنفسهن من شدة الخوف.

كان تأثير هذه الحكاية على هاوجسدوف شديدا حتى أن آنا شعرت بالذعر في الوهلة الأولى.

وقد وصل ذروته بشكل لم تعهده آنا منه من قبل. ثم مرت عدة أيام قبل أن تدرك آنا بأن علاقتهما قد بدأت بالتغير. فمنذ ذلك الوقت أصبحت هي التي تعلمه أمورا لم يكن يبدو عليه حتى ذلك الحين أنه ملم بها إلا إلماما طفيفا .

كل هذا جعل خيال آنا يزداد نشاطاً فكانت تخترع قصصاً وتشعر بالمتعة حينما ترى كيف تلقى هذه القصص من هاوجسدورف إعجابا. وكان شكر هاوجسدورف يجد له تعبيرا عبر تكثيف غطاء الحماية الذي يسبغه عليها حتى أصبحت تشعر بأنه من غير الممكن أن يصيبها بعد الآن اي شيء.

كانت هذه قصص تلعب هي فيها دور طفلة تروي حكايات عن أطفال

يتعرضون لأقسى العقوبات. وكانت هي نفسها تقسو عليه عندما تقرر أي قدر من القسوة يمكنها أنْ تصبه في أذن هاوجسدورف كل مرة.

انطلاقا من موضوع الرحلة الأفريقية المقترحة تخترع إنا قصصا عن أطفال يعيشون في إرساليات تبشيرية وعن سياط مصنوعة من جلد أفراس البحر بقيت عالقة في ذاكرتها من كتاب لكارل ماي كانت قد قرأته وهي طفلة. وكان هاوجسدورف يختمها بهتاف "هاليلويا" وجبينه يتصبب عرقا، ثم يتوجه بعد ذلك إلى تلبية رغباتها بعناية شديدة.

يذهب بعدها ليأتي لنفسه بمشروب، "هل تريدين جرعة من نبيذ البوربون؟" تهز انا جسدها وهي تقول: "ماءً معدنيا رجاء، فأنت تعرف بأني لا أتحمل المشروبات الكحولية." عناق هاوجسدورف الذي يلي ذلك لا يزال رطبا، "أنت تجننيني بقصصك الصغيرة هذه، أنا."

"هل يجب علي ألا أسردها بعد الآن؟" تقول أنا وهي تلوي شفتيها وكأنها تريد أنْ تعبر عن استيائها .

"بالعكس، هذا بالذات ما عليك أنْ تفعليه"، يقول هاوجسدرف وهو يقبلها ممتصا طعم نبيذ البوربون الذي تركه على لسانها. ولكن هناك شيء آخر يشغل أنا.

"وماذا سنفعل حقيقة في عيد ميلادي؟"

يغضن هاوجسدورف جبهته، "إذا وعدتني بأنها ستكون مرة واحدة لا غير، وتحت إشرافي...."

انا تغضب، "لا أحب أنْ تجعل من نفسك وصيا علي دائما."

"....فإني سأجعلك تتعرفين على شيء يخرجك، كما تقولين أنت، من ثيابك فعلا."

"وأي شيء سيكون هذا؟ هل هو شيء كبير أمْ صغير، سميك أمْ رقيق؟ قل لي وسأقول لك عن الشيء الذي لا يخرجني من ثيابي."

"شيء صغير، صغير جدا، ولكن عليك قبل ذلك أن تعديني بألا تأخذيه إلا في حضوري أنا."

تتقلب انا لتضع ساعتها على الخزانة الصغيرة بجانب السرير، "هل هو كوكايين؟ لقد جربته من قبل."

صحيح أن انا كذبت فيما قالته، وهاوجسدورف يعرف ذلك أيضا، إلا أنها تستطيع أنْ تتصور ما يعدها به ولا تشعر بأنه سيحقق لها متعة ما.

"ليس بالشيء الممتع بالنسبة لي. عدا عن كون هذه المادة لا تؤخذ إلا من قبل صنف معين من الناس."

"لا ينبغي لأحد أن يعرف اي شيء عن الموضوع. أما الشيء الذي أعنيه فلم ينزل إلى السوق بعد، شيء فتاك بالسيدات الرقيقات، وليس من ذلك الذي يتناوله الأشداء من الرجال، مادة توسع المدارك وغير ضارة بالصحة مطلقا. مع ذلك فإني أغامر بالكثير عندما أجعلك أنت بالذات تجربين شيئا منه. ولكنها فعلا هدية عيد ميلاد فريدة من نوعها، وسترين."

"ما هو هذا الشيء؟" تسأل أنا وقد أصبحت فضولية قليلا.

"لا ذكر لأسماء، لا تسجيل لشيء على الورق، ولا إعادات، مفهوم؟ هذا شيء سيكون لعيد ميلادك فقط، وأقسم لك بأنه سيبقى عالقا في ذاكرتك طويلا."

"وليس واحدا من هذه المطاعم الكريهة التي يرتادها أناس بلعوا محافظ نقودهم؟"

"لا شيء من هذا القبيل، شيء خصوصي تماما، ومرة واحدة هي بالنسبة لكل إنسان دائما المرة الاولى، ولا تقولي بعد الآن بأني لم أفكر بشيء خاص بك أنت."

"لا يختلف هذا العمل الذي نقوم به حاليا في الواقع"، يقول يوسف الخبير بشؤون المهاجرين من منطقة الشرق الأدنى والأوسط، "اختلافا كبيرا عن الكرة الزجاجية لقارئي الطالع من ايام زمان. غير أن التمني وحده لم يعد كافيا، وإنما أصبح إلى جانب ذلك ضروريا أنْ يضغط المرء على ازرار ومفاتيح. وفي نهاية الأمر فإن ما يظهر للعيان ليس بأقل من المجموع كله. وعلى قدر تعدد زوايا النظر تتعدد النماذج أيضا. والبيانات التي يمتصها الكمبيوتر يتم تكريرها أولا ثم يعاد ضخها كمعلومات خالصة إلى المراتب العليا. ونحن مستعدون للبوح بأي

من الأسرار."

القرارات الصحيحة لا يمكن اتخاذها إلا بتوفر النظرة الشاملة، ولهذا السبب يجب توفر كل ما يمكن توفره من معلومات. أما أولئك الذين يعدون البرامج، أي نحن أنفسنا، فإن أهم ما عليهم امتلاكه هو المعرفة. وهو أمر ليس أمام الحكومة إلا أن تقبل به. فحصانة البيانات هو شيء للآخرين. لذلك فإنه يكاد يكون واجبا علينا أنْ يكون لنا دائما منافذ خلفية مفتوحة أمامنا باستمرار. لحسن الحظ لم يعد المبرمجون يقتلون في هذه الأيام كما كان يجري للمعماريين الذين صمموا مقابر الفراعنة لكي يقبر معهم ما يمتلكونه من علم.

مع ذلك فالحذر واجب. وأنا لا أقصد باسيديوس مباشرة، وإنْ كان قد غُدر بأشخاص لأسباب أوهى من ذلك بكثير . فقد قدمت لنا وزارة الداخلية كمية كبيرة من البيانات، كل العناوين المسجلة والمشتبه بها في العاصمة وضواحيها للمراكز الدينية للحشاشين مثلا. ليس عناوينهم فقط وإنما أيضا أين يعمل هؤلاء الناس نهارا. كما زودتنا بمعلومات عن الأتباع المسجلين والمشتبه بهم لشيخ الجبل وطائفته، عن الأشخاص الذين يتعرضون لابتزازهم، مع من ينامون وما يتهمون به من ممارسات جنسية غير مألوفة. ومهمتنا ثانية هي ربط كل هذه المعلومات مع بعضها بطريقة تصبح فيها التحالفات المحتملة والشبكات والارتباطات على طراز المافيا واضحة للعيان. باختصار معالجة المعلومات بحيث يصبح رصد ما يمكن أنْ يوجد من بؤر صديدية بين المهاجرين ممكنا."

هذه واحدة من المحاضرات التي اعتاد يوسف القاءها ولم تعد آنا تصغي إليها تقريبا عندما يقوم وهو رافع سبابته في الهواء بتقديم شرح أسطوري لمهنتهم الدنيوية.

بالمناسبة قام إيفو الذي تستيقظ فكاهته بين حين وآخر بتسمية باسيديوس، الذي لا يعمل هو نفسه فيه ولكنه مطلع عليه – بـ"موقع الجريمة" على اسم المسلسل التلفزيوني البوليسي الذي يُنتج منذ اكثر من عشرين عاما ولا يزال يعرض كل يوم أحد في التلفزيون، والذي يختار للجرائم التي يعرض فيها في

الغالب محيط الأقليات المهاجرة، المتهمة في الواقع أيضا بممارسة مختلف أنواع الجرائم، مما جعل بعض المراكز الدينية أو المحلات التي تظهر في سيناريوهات هذه السلسلة كمواقع للجريمة، مثل مقهى الموسيوم أو مطعم بوترفاسل في براتر باعتبارها مواقع حقيقية لتواجد مجرمين حقيقيين. فالإنسان بحاجة إلى المرح، وفي هذه الأماكن لابد وأنْ يلتقي أحد بأحد ما.

"ما نقوم به هنا يساعدنا على إدراك العالم بشكل افضل"، قالت الرئيسة لآنا عندما ألحقتها بالفريق العامل بباسيديوس، "ومعه لا نستطيع المحافظة على السلام في الداخل فقط وإنما قد نستطيع انقاذ حياة إنسانية أيضا."

عندما يكون الأمر متعلقاً بإنقاذ حياة إنسانية يصبح كل جدال حول جمال الوسيلة المستخدمة عديم الفائدة، ما كان مجديا أيضا لو أنها سألت الرئيسة عن المزيد من التفاصيل. وعلى كل حال فهاوجسدورف هو رجل الارتباط مع الوزارة، وبهذا المسؤول الذي يعطي التكليفات. وآنا تثق بهاوجسدورف، فيما يخص هذه الامور على الأقل.

"الإنسان النقي يرى نقاء داخل كل شيء"، يقول يوسف مع بداية كل يوم عمل، "إذن دعونا ندخل كل ما هو موضوع تحت تصرفنا من معلومات."

لا ينقص إلا هذا! على آنا أنْ تنقل أشياءها الخاصة من شقة أمها – لم يمض على آنا وقت طويل وهي تسكن وحدها في شقة خاصة بها – حاجيات من أيام الطفولة وأشياء أخرى تعود إليها منثورة هنا وهناك.

"كنت أتصور بأن كل شيء سيصبح في موضعه بعد أنْ وجدت هذه الشقة الصغيرة اللطيفة."

تتكون الشقة الصغيرة اللطيفة من غرفة ومطبخ، أي كما كانت آنا تسكن مع أمها. أما البلكون فقفص صغير جدا من الحديد، تتناول فيه آنا، وكأنها في عناد معه، الفطور أحيانا و العشاء في أحيان أخرى. ولكن مع ذلك فهي غرفتها الخاصة بها، مطبخها الخاص والبلكون الذي لا يستطيع احد غيرها أن ينافسها عليه.

"سارمي كل هذه الكراكيب لكي أبعدها عن طريقك. فإذا أخذتها معي إلى شقتي فستمتلئ بها هي الأخرى." كل هذه الامور لا تعجب آنا. لدى أمها الآن

صديق جديد ويريد أن يسكن معها أيضا.

"لا، ليس رميها بأية حال من الأحوال، انا لم اقصد هذا. الأفضل أنْ تنقليها إلى المخزن الخاص بنا في قبو البناية. لا، لا يمكن أن ترمي كل شيء. إنها كل طفولتك وصباك، سيكون ذلك عملا وحشيا، سيكون عملا بربريا فعلا، عدا ان أوسكار لن يرضى بذلك مطلقا." فوق كل شيء اسم هذا الإنسان أوسكار، انه أصغر من هاوجسدورف ويدعى اوسكار.

"ألا توجد نهاية لهذا لديك أبدا؟ فما كدنا أنا وبوني نعيش مشاكلنا الخاصة بهذا الشأن حتى تدحرجت أنت من جديد إلى المصيدة السابقة. يكاد الإنسان يقول الحمد لله على أنك لم تعودي قادرة على إنجاب الأطفال."

يرتسم تعبير الاستياء على وجه جيجي، "ربما يكون ذلك لا يزال ممكنا، ولكن أنا وأوسكار لا نفكر فيه طبعا."

"أنا وأوسكار، أنا وأوسكار"، تقول أنا ساخرة، "حاذري أنْ يسمعك احفادك."

ولكن جيجي تبقى مصرة على حقوقها. "لم تعد الأمور في هذه الأيام مثلما كانت من قبل، فالنساء اللاتي بدأن في وقت مبكر يبقين الآن وقتا أطول في الساحة. لقد حرمت نفسي من اجلكم من أشياء كثيرة ولفترة طويلة من الزمان."

"طبعا، طبعا!" أنا غاضبة، "وماذا عن خلوع قلبك المتواصلة؟"

"كلها مرت مرورا سريعا، وانتهت بدون الام وأوجاع."

"بدون الام وأوجاع؟ لا أحتاج فقط إلا لتذكر بيدرو دي سيلفيا أو إيريش كوفاتشيتش، أو حتى ذلك الذي يدعى هانس يورغ، والمكالمات التلفونية التي لا نهاية لها والدموع."

"لا تكوني سليطة اللسان يا أنا، على كل حال لم يسكن أحد معي حينما كنت انت وأختك معي في البيت."

"وهل كان ذلك ممكنا أصلا؟ إلا إذا نام الواحد منهم في الكوموبينو." تجلس أنا على طرف مائدة المطبخ وقد امتلأت غيظا.

"هل تعرف بوني بالموضوع؟"

تحتل بوني المرتبة العليا في التسلسل العائلي. كانت جيجي في السابعة عشرة من عمرها عندما ولدتها، حب تلاميذ المدارس. بينما كان والد آنا كما تدعي هي في إجازة قصيرة في المدينة واختفى دون أنْ يترك عنوانا، أي أنه لا يعرف حتى اليوم شيئا عن ابنته المبرمجة على الكمبيوتر.

"لا، لا، أرجوك، يجب علينا أنْ نترك لها الوقت حتى تعتاد على الموضوع."

بوني تدعى بوني لأن أمها حملت بها أثناء رحلة مدرسية وعندما كان تلاميذ الفصل يغنون:

"إسمعي يا جيجي، إنك ببساطة ساذجة. حسنا، يريد أوسكار هذا السكن هنا، وماذا بعد ذلك؟"

"إنه يحبني، الا تستطيعين فهم ذلك؟"

"بغض النظر عن ذلك، هل لديه عمل يكسب عيشه منه؟"

"سيحصل على عمل قريبا."

"وإذا كنت سيئة الحظ فإنك ستفقدين الشقة أيضا بعد عام من الآن؟"

"لا تكوني متشائمة هكذا."

جيجي مؤمنة بأنها ستكون سعيدة جدا هذه المرة رغم كل ما تقوله ابنتاها. ثم انها هي التي تعرفت على أوسكار وليس هاتان.

"لقد فضلني على نساء أخريات"، تقول وهي تبكي قليلا متأثرة بكلماتها نفسها.

"أرجوك، لا تبكي، وإلا سأبكي انا أيضا. أنت تعرفين باني لا أستطيع ان أرى أحدا يبكي، وأنت بالذات، الأمر الذي كان يصعب الأمور علي دائما، في الماضي والآن أيضا."

"ولكني لا أبكي"، تقول جيجي بعد أنْ مسحت زوايا عينها. "حسنا، سآخذ بعض الكتب معي، ولكن الباقي سيذهب إلى القبو، ليتفسخ هناك."

تنتبه آنا وهما تشربان شاي ثمر الزعرور بلونه الأحمر القاتم إلى أن أمها تبدو بالفعل أصغر من عمرها بعدة سنوات. مع ذلك لا تستطيع أنْ تفهم الأمر. مع كل التجارب التي مرت بها هذه المرأة كان ينتظر أنْ تسرع بالهرب بمجرد

أن يضع شخص مثل هذا ذراعه حول كتفيها. ولكن لا يحدث شيء كهذا، وإنما يتورد خداها وتصبح نظرتها مشعة حتى يكاد كحل الرموش أن يذوب سائلا من عينيها. بسنواتها السبع والاربعين! هاوجسدورف في أوائل الخمسينيّات من عمره. أنا لم تعد تعرف بأي منظار عليها أنْ ترى السنوات الماضية. إلا أن أمرا واحدا يبقى مؤكدا:

مستحيل أنْ يسكن مثل هذا الأوسكار في الشقة مع أمها. لاعب كرة محترف سابق، لم يكن ينقص إلا هذا!

"وماذا يشتغل أوسكار هذا الآن؟"

"لقد عُرض عليه العمل كمدير لأحد المحلات"، تقول جيجي وهي تكاد تنفجر فخرا.

أنا لا تريد سؤال أمها في أي مجال، وتفكر بالطريقة التي تخبر بها بوني بالموضوع دون أنْ تجعلها تهجم زاحفة مع العشيرة كلها لتقضي بضربة واحدة على سعادة أمها المتأخرة. ربما يغادر أوسكار الشقة بعد فترة قصيرة لأنه لا يتحمل عادات أمها في قضم شرائح الخبز بالزبدة دون إكمال اكلها، او تركها لأنابيب معجون الأسنان مفتوحة.

"الشبح الحارس لروزا ريدل"، "المكان الذي يعيش فيه الرجال المتوحشون"، "الجدة فوق شجرة التفاح" وطبعة الاطفال من "الف ليلة وليلة"، أما ما عدا ذلك من كتب فقد حملتها بوني منذ زمن طويل لفراخها. تتصفح أنا الكتب المستهلكة إلى حد ما قبل أنْ تبحث لها عن مكان تضعها فيه، في أول شقة لها. لم يكن الحصول عليها سهلا. وقد كان ترميمها ممكنا عبر ما يسمى بـ"قرض إصلاح الشقق القديمة" والذي عليها أنْ تسدد اقساطه لمدة عشرين سنة أخرى. الإيجار ليس مرتفعا. تعتبر أنا من القلة بين الشباب العاملين في عمرها التي تستطيع الإنفاق على أشياء أخرى إضافة إلى دفع الإيجار. ولأن بوادر موهبتها ظهرت في وقت مبكر – وقد كانت مدمنة على الكمبيوتر فترة من الوقت – ولأنه تم التعرف عليها في الوقت المناسب فقد تم أيضا تعضيدها بما يتناسب مع روح العصر.

طُليت جدران الشقة باللون الاحمر الفاقع أما إطارات الشبابيك فباللون الأبيض. لا يزال تأثيث الشقة غير مكتمل. وبدلا من شراء رف الكتب تم شراء شيء للجسد: ملابس. بهذا وُضعت الكتب مرة أخرى على الكوموبينو بينما بقيت الكتب المشتراة فيما بعد، أي تلك التي من مرحلة المراهقة، محفوظة في الصندوق الكارتوني.

فمن يريد اليوم أنْ يقرأ رواية "ضباب آفيلون" مرة أخرى.

تتساءل آنا ما إذا كان من الممكن أنْ يكون للدرويش السواح الذي تحلم به دائما علاقة بأبيها. وحسب مبالغات جيجي المخيفة فقد كان هذا طويل القامة متينها، وطيارا في السلاح الجوي الاميركي، وربما لا يزال كذلك؟

أما هي شخصيا فتفضل لو أنه كان ليونارد كوهين بصوته الذي يجعل العوالم تتشابك!

ينطلق الصوت من المسجل المحمول القديم.

كانت جيجي تصر دائما على أنها قصة حبها الكبيرة. وفيما مضى لم تكن آنا تشبع أبدا من سماع قصة نشوئها.

"كنا معا لمدة أسبوع كامل"، تقول جيجي بنظرات فضية حالمة.

"ولماذا لم تسأليه أبدا عن عنوانه؟"

"لأننا أنا وبروس كنا نمارس الحب دون انقطاع، حتى استدعي في إحدى الليالي فجأة للالتحاق بالخدمة، بالتلكس. كان غارقا في حالة من غياب الذهن! ثم اضطر للسفر في التو واللحظة، وهكذا نسي كلانا الأمر." لا تتقبل آنا هذا الجواب بسهولة،" ولكنه كان يعرف عنوانك، فلماذا لم يرسل لك أية رسالة؟"

"كنا مقيمين طيلة الوقت في أحد الفنادق تحت اسم بروس وجيجي لا غير."

عندما كانت طفلة كانت آنا تعتقد بصحة هذه الحكاية، تحاول أن تعتقد بصحتها.

أما فيما بعد فبدأت تعتبر في سرها جيجي هي الملومة، لأنها لم تكن جذابة للأب بروس بما فيه الكفاية. ليس لأنها قبيحة، أبدا. ولكن الطريقة التي كانت ولا تزال ترتدي بها ملابسها! في واقع الأمر لم تخرج جيجي مطلقا من الملابس المهلهلة الواسعة للهيبز من بداية السبعينيات وتلك الأحذية غير المعقولة.

وشعرها لا يزال حتى اليوم شيئا شبيها بغيمة مجعدة بلون بين الأسود والرمادي مع حملها لهذه أو تلك من حلي الشعوب البدائية.

لذلك لم يكن عجبا أن أنا وبوني بدأتا أول ما بدأتا بإنفاق الكثير من النقود على ملابسهما وأصبحتا ترتديان أحذية تجعل الدموع تنهمر من عيني جيجي.

"أنتما مجنونتان لكي تنفقا هذا القدر من النقود لإتلاف أقدامكما ليس إلا."

"ربما أرسلوا بروس إلى فيتنام." ما كانت هذه الفكرة لتخطر إلا لبوني وحدها.

تزعم جيجي أن بوني كانت طيلة الأسبوع الذي قضته هي مع بروس عند جدتها لأبيها.

أما بوني نفسها فلا تستطيع أنْ تتذكر بروس، رغم أنها تستطيع أن تستدعي من ذاكرتها السجل الكامل لكل الذين كان لجيجي علاقة معهم.

"كان هنا في إجازة، لمدة أسبوع واحد فقط. كان جداه قد هاجرا من هنا، وجاء هو للتعرف على موطن أسلافه. وكنا أيضا نخرج في بعض الأحيان، مرة إلى حفل غنائي لكورال الفتيان، بعد ذلك إلى قصر شونبرون، إلى الأوبرا ومرة إلى عرض الخيول البيضاء."

تنتفض بوني وأنا في نفس الوقت "وأنت ذهبت معه في كل مكان؟"

تهز جيجي كتفها: "كانت تلك أحسن فرصة لكي يتعرف الإنسان على المدينة التي يعيش فيها."

"وكل هذا بمظهرك الهيبي؟"

تضحك جيجي بشيء من الخجل. "الأميركان مختلفون. ولكني اشتريت ثوبا جديدا للأوبرا خصيصا، ثوبا فلسطينيا، أسود اللون، مطرزا بخيوط فضية ويصل طوله إلى الأرض طبعا."

"وهل سمحوا لك أنْ تدخلي به إلى الأوبرا فعلا؟"

"طبعا! لقد كان ثوبا أنيقا جدا، أجمل ثوب امتلكته حتى تلك الحين." بالمقارنة مع ما اعتادت جيجي ارتداءه فمن المؤكد أنه لم يكن شيئا ذا أهمية.

"ومن أين جاء لون شعري الأحمر؟"

سؤال أنا المفضل، وهو أيضا السؤال الذي يجعل جيجي تضطرب في كلامها دائما.

"كان لبروس شعر أشقر غامق، ما أدراني؟ لقد ذكر في إحدى المرات جدة له حمراء الشعر، تلك التي تنحدر من هنا، ولكنني لم أعد أتذكر ذلك بشكل دقيق، فقد كنا نمارس الحب دون انقطاع ما لم نكن نتناول الطعام أو نقوم بجولة سياحية."

والآن أوسكار هذا. أنا لا تستطيع أنْ تفهم ذلك أبدا. إنها تترك رجل الرجال، الذي هو أبوها بروس، يسافر دون أنْ تأخذ عنوانه لكي ترتبط في نهاية الأمر بشخص يدعى أوسكار. "أراهن على أن بروس سقط في فيتنام"، جملة كانت بوني ترددها باستمرار، "وإلا لكان قد اتصل. أنا أقصد بأنه يمكن للمرء أنْ يقول عن جيجي ما يشاء، أما أن يتركها رجل دون سبب يذكر، فهو أمر لا تستحقه مطلقا."

"ربما لأنه حصل عليها بسرعة؟"، لم يكن هناك سبب لم يخطر على بال أنا.

"كيف خطر لك ذلك؟" لا تندهش بوني من شيء إلا نادرا، ولكن هذه الفكرة تبدو لها بعيدة الاحتمال جدا.

"فكري بالأمر قليلا، عندما كان هو هنا لمدة أسبوع واحد فقط قضياه بممارسة الحب دون انقطاع وإضافة إلى ذلك في أحد الفنادق، فإن هذا دليل على أن العلاقة بينهما بدأت بسرعة شديدة."

بعد الاستفسارات المعقدة من جيجي ظهر بأنها كانت تعمل حينذاك في المطار، وأن بروس فقد حقيبة له، توجب البحث عنها أولا ثم إرسالها إليه بعد ذلك. ولابد أن الأمر حدث في هذه الفترة.

"عرفت أنه قدري، فأخذت فورا إجازة لمدة أسبوع." القصة كلها لا تبدو معقولة. فمن يدري من أي قدر من الخيوط المختلفة حيكت أسطورة بروس وجيجي. عندما كانت فتاة صغيرة كانت أنا تشعر بفخر شديد بقصة الحب بين هذين الانسانين التي استغرقت أسبوعا من الحب المتواصل، فعلى الأقل لم يحدث بينهما أي شجار، وهو أمر لا يمكن إلا لقلة من الأبناء أن يقولوه عن آبائهم.

دعا يوسف وفرانتيشيك أنا قبل يومين من الموعد الحقيقي لعيد ميلادها إلى

السينما ثم إلى أحد المطاعم.

"هل يعني أن كلاكما الآن؟" تقول آنا بلهجة أقل ما يمكن أن توصف به أنها لهجة استغراب .

"هذا لا يعني شيئا"، يقول يوسف بطريقة معسولة، "أكثر من أننا فيما يبدو الوحيدان اللذان يفكران بطريقة عملية، ولأنك ستكونين بلا شك مشغولة في يوم عيد ميلادك فقد قررنا... "

هنا يتدخل فرانتيشيك قائلا "... أن ندعوك إلى السينما اليوم. أنا أدفع ثمن بطاقات السينما ويوسف ثمن الأكل الذي سنذهب إليه بعد ذلك."

"وبأي شيء كنتما تريدان مفاجأتي؟"

"سيمبا"، يقول يوسف وهو يرفع شعرة ساقطة من على كتفه.

"أي سيمبا؟"

"سيمبا ملك الاسود، لقد فكرنا..."

آنا تتأوه سرورا، فهي معروفة بحبها لأفلام الرسوم المتحركة. في الظلام يضع فرانتيشيك يده المتعرقة على ركبتها. بعد فترة من الوقت تبدو يده وكأنها التصقت بها تماما، آنا تدس منديل يدها في كفه الآخر وهي تهمس له: "في حالة ما إذا كنت بحاجة لمسح جبينك." يفهم فرانتيشيك هذا دون أن يراوده الخوف حول خياراته للمستقبل.

للعطر الذي يضعه يوسف رائحة الفانيلا، تشمه آنا بوجه خاص عندما ينحني عليها لينبه فرانتيشيك إلى أفعال الأسد الشرير في الفيلم.

يذهبون بعد ذلك إلى مطعم إيراني، لأنه لا يوجد في المكان الذي هم فيه مطعم لبناني قريب. يطلب يوسف الأكل وكأنه أمير كبير فعلا: كل ما هو موجود من مقبلات بالخضر المقلية، وبعد ذلك طاس كباب ورز بالزعفران. يكسر فرانتيشيك كل الأرقام القياسية في الأكل نسبة لعمره دون أن يضيق بنطاله حتى ولو بعرض إصبع واحد .

"تصور لو أنك كنت ابني!" يستغرق يوسف في التفكير عما سيكلفه ذلك. مع ذلك يشعره الجو العائلي بالارتياح، على الأقل في هذا المساء ولأجل هذا المساء.

تسيطر على آنا التي لا تتحمل المشروبات الكحولية حالة من التأثر بعد الكأس الثانية من النبيذ الأحمر الجزائري.

"أشعر أني أصبحت مسنة جدا."

يربت يوسف على يدها اليمنى وفرانتيشيك على اليسرى.

"هل يستطيع أحدكما أن يقول لي ما هي الفائدة من وجودي في هذا العالم؟"

"لكي تقومي بتسريع حركة انتقال المعلومات عالميا. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يقف هنا مستشار وزارة حقيقي كأول واحد في طابور أولئك الذين يمنحهم مجرد وجودك شبابا ثانيا."

يدق فرانتيشيك على صدره بحركة متعاظمة "ولا تنسيني أنا المستعد لأن يتلقفك بكل سرور بعد كل وقعة يمكن أن تقعيها. أنت تعرفين بأنني متوجه إليك روحا وجسدا."

"اضحكا مني فقط، وهاوجسدورف....."

" أكبر منك بكثير، صدقيني يا آنا، في حين أستطيع أنا أن أقدم لك الشباب والفكاهة الفطرية."

يرمقها يوسف بنظرة متفحصة من خلال نظارته الملونة. "تحتاج المرأة إلى شخص مثل هاوجسدورف، فهاوجسدورف جيد وله رنين جيد أيضا إذا كنت راغبة في إنجاب الأطفال."

"ليس الآن يا يوسف، فأنا نفسي لا أعرف من أنا بعد. وأشعر حاليا بأني خاوية وبلا مستقبل."

يغرق فرانتيشيك في تفكير عميق. "إنني أتساءل ما إذا كانت ستصيبني أنا أيضا مثل هذه الحالة من الاكتئاب في مناسبة عيد ميلادي الثامن عشر؟"

يهز يوسف رأسه ببطء شديد. "إلى أي شيء تحنين يا آنا؟" تهز آنا كتفها.

"أووه، انظرا، الحلويات!" يسيل لعاب فرانتيشيك بصورة متسارعة وهو يتفحص بتمعن فيما إذا كانت كعكة الفاكهة المكونة من طبقات رقيقة من العجين مقطعة بالتساوي. تبادل آنا طبقها بطبقه دون أن تقول شيئا.

"إذا أردت فيمكنك أن تأخذ نصف قطعتي أيضا، أنا لا أريد أكثر من أن

أتذوق شيئا منها."

"ليس منك أنت." يأس فرانتيشيك يهدف إلى دفع يوسف لأن يتنازل له عن قطعته، "فاليوم عيد ميلادك، وعيد الميلاد بدون كعكة مثل السينما بدون ذرة مشوية."

إلا أن يوسف لم يفهم التلميح، ومن الواضح أنه لا يريد حتى أن يفهم التصريح ويبدأ بأكل قطعة الكعك أمامه بتركيز متعمد، ما كانت لتنفع معه أية ستراتيجية أخرى أيضا. يكبت فرانتيشيك يأسه في نهاية الأمر ويأكل ما تبقى من قطعة أنا أيضا، دون أنْ يشعر بالشبع ولو قليلا .

ربما كانت أنا بحاجة إلى هذه القضمة من الحلويات، مزاجها يتحسن على أية حال. وعندما يتحدث يوسف عن آخر مقالب فيردي، وهو إخفاء مواد بريدية لكي يوفر على نفسه الذهاب إلى مكتب البريد، وذلك بلهجة تمثيلية مبالغ فيها وبشيء من اللكنة العربية، تضحك أنا، ليس بدرجة مسموعة مقارنة بضحك فرانتيشيك ولكنه ضحك مرئي على كل حال.

"لقد قابلت أمس درويشا"، تقول أنا وقد عادت لنفسها بعض الشيء.

"هكذا ببساطة؟" يتساءل فرانتيشيك مندهشا.

"أمام البيت الذي أسكن فيه."

تصبح نظرة يوسف حادة.

"وكيف عرفت بأنه كان درويشا؟"

"لقد حملت كتبي القديمة من شقة أمي، وكان بينها كتاب "ألف ليلة وليلة" وقد قرأت في الكتاب قبل أن أنام، فتأكد لي بأنه كان درويشا."

فرانتيشيك يتكلم بلهجة العارف بكل شيء، "لا غرابة، فالمكان الذي تسكنين فيه أنقرة صغيرة، أليس كذلك؟"

يلح يوسف في أسئلته. "هل كان يضع عمامة على رأسه ويرتدي قفطانا؟ ما الذي جعلك تعرفين أنه كان درويشا؟"

لم تعد أنا نفسها تعرف: "لا، لم يكن يضع عمامة بالتأكيد، قفطانا؟ كيف يبدو؟ كان يرتدي قدر ما أتذكر معطفا، نعم، معطفا طويلا جدا."

يتصرف فرانتيشيك مثل شارلوك هولمز أثناء قيامه بتحرياته، "الأمر الذي يدل في هذا الوقت من العام على الفطنة."

"وكيف عرفت ذلك؟"

"لا أعرف." يبدو على انا أنها تفكر بشكل عميق، "كنت فجأة واثقة من ذلك. ربما من وجهه، من الطريقة التي كان ينظر بها إلي."

لم تعد انا إلى التفكير بالأمر إلا الآن وهي تتحدث عنه. تستطيع أن ترى وجه الرجل أمامها، أو على الأقل شكله العام.

يضحك يوسف ضحكة العارف بكل شيء، "يتعرف الأولياء على بعضهم."

"امين" يهتف فرانتيشيك ختاما. ولكن يوسف يريد أن يستعرض الآن كل حصافته الشرقية:

"ما هو تصورك عن الدرويش عدا أنْ يكون رجلا بأكمام عريضة، تستطيعين أنْ تختفي وراءها، و يستطيع أنْ يقوم امامك ببعض الألعاب السحرية؟"

"لا تسألني." تشعر انا أنها تُعامل كغبية، "لقد كانت الكلمة هنا مرة واحدة، وكانت مناسبة لوجه الرجل تماما."

يأخذ يوسف رشفة طويلة" أتمنى الا يكون الأمر جديا." يشعر فرانتيشيك بالحيرة، "ماذا تعني بذلك؟"

"من الممكن أنْ تكون قد أصيبت بالعدوى، أليس كذلك يا آنا؟ بنوع من فيروس الحنين، شيء يمكن أن يحدث."

يشعر فرانتيشيك أن يوسف يهزأ منه. "انت أيها الرجل الغبي، لا تتصور بأني ابن يومين لا يفهم شيئا من هذا العالم."

ابتسامة يوسف تشعر انا بالانقباض. "وكيف تتصور أنت الدرويش؟ لا بد أنك على معرفة تامة بذلك كما يبدو من تقطيبة وجهك؟"

يرفع يوسف حاجبيه فوق إطار نظارته. "أتصوره واحدا مثلي، إنسانا جاب انحاء واسعة من العالم ويملك نظرة عميقة...."

"هذا لا يمكن أنْ يكون كل شيء يا يوسف، قل الحقيقة؟"

"ويملك دوافع دينية..."

"ليس أنت، اروِ هذا لأولائك الصغار."

"هل تتحدث عني أم عن الدراويش؟"

"أريد أن أعرف بالضبط."

"إنهم رجال ورعون يتخيلون بأنهم يملكون اتصالا مباشرا به."

يستطيع فرانتيشيك أن يتابع الحديث حتى عندما يكون سياقه غير معروف له بشكل مباشر.

"هل تقصد بالرئيس الاعلى؟"

"سمه ما شئت."

تخطو آنا خطوة أخرى إلى الأمام، "هل هم رهبان متجولون؟"

"شيء مسيحي جدا، أنا اقصد أنهم غير ملزمين بعدم الزواج، كان بعضهم شعراء، وكان آخرون يمارسون السحر أو أنهم كانوا يحلقون رؤوسهم وحواجبهم، في الماضي على الأقل."

"هل كانوا يصنعون المعجزات؟"

يحك يوسف ذقنه، "بالطبع كان الشعب يحب حدوث المعجزات، إلا أن الدوائر العليا كانت تعتبرها من أعمال الشعوذة. معجزة هي أنْ يحيض الرجل، يذكر أن النبي قال هذا."

"ماذا؟" أصبح الأمر معقدا على فرانتيشيك الآن.

"هذا يعني أنّهم يقفون بينه وبين البشر، مثلما يفرق الحيض بين الرجل والمرأة."

"ياللغرابة!" تحرك آنا أصابعها على حافة كأسها حتى يصدر عنها صفير، "وماذا أيضا؟"

"كان البعض منهم يعتقد بأنه من الممكن أن يحل هو فيهم، مما جعلهم يتصرفون أثناء حياتهم وكأنهم جزء منه."

"وكانوا في ألف ليلة وليلة يَعِدون العواقر من الملكات بالبنين والبنات ثم يعطونهن رمانة لياكلنها."

يتقلص وجه يوسف بشكل واضح. "صورة جميلة، لا ينقصها الوضوح، فهذا هو ما يمكن أنْ ينطبق عليك أنت، إنه الشوق....."

"آه يوسف، أنت لا تفكر إلا بهذا الأمر."

"أخيرا أفهم الموضوع" يقول فرانتيشيك وهو يمضغ رغيف الخبز الذي كان متبقيا من المقبلات.

ينهض يوسف. "لا تقم بأي عمل غبي عندما أذهب أنا للقيام بهذا الأمر." من الواضح أن يوسف يدفع الحساب خلف الستارة بطريقة من له معرفة بصاحب المطعم.

"ألا تريدين أن تفكري بالأمر يا آنا؟ فالقارب الصغير محجوز لنا"، يقول فرانتيشيك وهو يشعر بالأسف على رغيف الخبز.

"الجو بارد جدا الآن، لنؤجل ذلك حتى عيد ميلادك أنت يا فرانتيشيك، في شهر مايس القادم."

"هذا إذا لم أمت من الجوع حتى ذلك الحين."

يعود يوسف وكأنه قد قام بإنجاز عمل مهم بما يسره.

"سأريكم واحدا حينما نخرج من هنا."

"أي واحد؟ "يسأل فرانتيشيك شارد الذهن.

"درويشا."

في مدخل المطعم علقت مجموعة من المنمنمات الفارسية. "هنا."

يشير يوسف إلى رجل مقرفص على الأرض يرتدي قفطانا بأكمام طويلة وعريضة ويعزف على آلة وترية.

"هل لدرويشك شبه بهذا الرجل هنا؟"

تهز آنا رأسها نفيا. "ولكن هذا يعجبني أيضا."

تقترب آنا ما أمكنها من الصورة الصغيرة المرسوم عليها درويش آخر أصغر من الأول.

"في الوجه في أحسن الأحوال، نعم أعتقد أن هناك بعض الشبه في وجهه."

يبتسم يوسف. "أولى درجات كشف الحجاب، انتبهي لأحلامك، ولا تلتقي بأي من العرافين."

اكتشفت تيريزا إيفو كحالة شخصية، حالة شخصية خاصة بها. كانت قد

منعته من شرب الزجاجة الليلية، وهي تكافح معه الآن على جبهة العواطف. لا يزال كلاهما يؤمن بالدافع النبيل. تبدو تيريزا وكأنها لم تنم إلا قليلا، أما إيفو فهو صاح تماما ولكنه يرتكب عددا كبيرا من الأخطاء. شمت الرئيسة الأمر فورا، فبدلا من رائحة المشروبات الكحولية لا تفوح الآن سوى رائحة القهوة بالحليب. وهي تريد أن تظهر تفهما لوضع إيفو، ولكن لحد أقصاه أسبوعا واحدا، لكي يصبح الموضوع مبتوتا فيه بعد ذلك .

"آنا، يظهر عليك وكأنك كبرت فجأة، هل هناك شيء ما؟" تمد الرئيسة يدها إلى شعرها المعقوص بمهارة، ومن هناك لم يكن بعيدا عليها أنْ تضرب على جبهتها.

"أووه، يا رب، غدا عيد ميلادك، كدت أنسى هذا فعلا!" تتمعن بآنا بعين من تبلغ ضعف عمرها. "ثلاثة وعشرون عاما كاملة! أليس كذلك؟ لا أستطيع أن أصدق ذلك!"، لأول مرة يمكن سماع الرئيسة وهي تقهقه ضاحكة.

تيريزا وإيفو يتبادلان نظرة تآمرية وفي استراحة شرب القهوة التالية تهمس تيريزا: "ستصيبك الدهشة، فأنت سوف لن تحزري أبدا ما الذي وجدناه لك أنا وإيفو."

عند منتصف النهار يبدأ إيفو فجأة بالصراخ بأنه أمر لا يمكن تحمله مطلقا، وأنّه ليس بحاجة إليهم جميعا ولا لإنسانيتهم، ولا لتيريزا بالذات. بعد ربع ساعة يتمكن من استعادة السيطرة على نفسه من جديد ويبكي قليلا شاكرا لهم أنهم لم يؤاخذوه على ما بدر منه.

تيريزا تنمو، وعندما لا ينظرها أحد تضحك مثل كاترينا فون سينا. كانت قد اكتشفت قوتها المعنوية قبل وقت قصير وحسب، لذلك لم يكن غريبا أنْ تشعر برغبة في توظيفها.

تتذكر آنا الحلم الذي رأته قبل أن تستيقظ بفترة قصيرة، عندما يتحرك يوسف بتراخ إلى ماكنة إعداد القهوة ثم يتمتم بشيء عن "الكوارث الليلية" فقط تتذكر آنا الوجه الموشوم مرة أخرى. أم هل كان ذلك حروفا مكتوبة؟ توجد أحلام لا يستطيع المرء أن يستخرج منها أي معنى.

"هل نمت جيدا؟" يقول يوسف وهو يبتسم ابتسامة شيطانية.

"وماذا ظننت؟" كان حلما قصيرا، على الأقل حسبما تبقى منه في الذاكرة. أما الكتابة فكانت غامضة لم تتمكن آنا من فك رموزها.

يرتدي فرانتيشيك "تي شيرت" عليه صورة صقر، من أين حصل عليه يا ترى؟

"مرة أخرى طير يريد العودة إلى مالكه"، يقول يوسف.

يحدق الجميع فيه. "اليوم هو يومي، أنا وحدي أتكلم اليوم ألغازا."

بمهارة يوازن فنجان القهوة على يده متوجها به إلى مكتبه الذي يشغله لوحده.

يقام عيد الميلاد العائلي، كما هي العادة دائما، في مساء اليوم الذي يسبق الموعد الفعلي. يقع الدور هذا العام على بوني، الأمر الذي يناسب جيجي جدا.

فقد نجحت حتى الآن في إخفاء أمر أوسكار عن بوني. تحضر بوني المقليات والمعجنات منذ فترة طويلة، "فبوجود سبعة أشخاص يستحق الأمر بذل الجهد اللازم." وهي تتلقى بنفس القدر لوما منافقا من آنا وجيجي، لأنها قامت مرة أخرى بإجهاد نفسها كثيرا.

عندما تذهب جيجي لمساعدة بوني يأخذ الأولاد آنا رهينة ويقدمون لها شرحا وافيا عن الهدايا الصغيرة التي قاموا بصنعها لها بأنفسهم. ولكن أصغرهم، تونو، يسقط بحفاظته على القلعة التي قاموا بتلصيقها بجهد كبير ويطبقها على بعضها.

صراخ الولدين الآخرين يدفع بير إلى أن يقودهما بيده الواحد بعد الآخر خارج الغرفة، الشيء الذي لا يجدي نفعا مطلقا، لأن أحدهما يرجع عائدا بينما يتصارع هو مع الآخر في غرفة الأطفال.

آنا تحب أولاد أختها، إلا أنها لا تتحمل أيضا الأصوات العالية. لذلك تصرخ بهم وهو ما يجعلهم يحبسون أنفاسهم دقيقة كاملة من الوقت وقد أصابتهم دهشة شديدة. بعد ذلك سيبدأ على كل حال تناول الطعام. ولأنها كانت الوجبة العائلية المفضلة، أي السمك، الذي اتفقوا عليه جميعا عدا دونالد الذي لا يأكل السمك مطلقا، فقد بدت العشيرة كلها مروضة وظلت تمضغ طالما كان هناك ما

يمكن مضغه.

ولكنهم لن يكونوا هم أنفسهم إذا أمكن فعلا تجنب الحديث في موضوع أوسكار.

فما أن صادفت التحلية وهي الكعكة المسماة "الزنجي في القميص الابيض" التي تخصصت بوني في إعدادها، الاستحسان المتوقع من الجميع حتى بدأت جيجي بإطلاق الكلام على عواهنه. آنا تتنهد ويرسل بير الذي يدعى في الواقع فريدولين الأطفال إلى فراشهم.

عرفت بوني الأمر بسرعة. تلميحات آنا وتلعثم جيجي جعلا كل شيء واضحا وضوح الشمس. تعرف بوني أيضا بأن الشجار أمر يمكن تجنبه، ولكن بعد جملتين فقط يحدث التصادم بينهم بالطريقة المرة المألوفة، مما يدفع آنا لأن تتضرع إليهم بألا يمزقوا بعضهم بعضا في عيد ميلادها على الأقل.

"لا جدوى من كل هذا"، تقول بوني بلهجة الاستسلام، "إذا لم يصبح المرء في عمرك أكثر تعقلا."

"ماذا يعني في عمرك؟ في الواقع كان ينبغي أن يشعرك تصور إمكانية أن تجدي أنت أيضا الحب عندما تصبحين في عمري أنا بالعزاء." تريد جيجي أنْ تبقى محافظة على إشراقها.

"يكفيني ما أملكه الآن تماما"، ترد بوني قائلة وجيجي تقلب عينيها وكأنها ترتاب في سعادة بوني.

"وإنن في صحتكم أيها الأحباء." تشعر آنا بالسعادة إذ تم تجاوز موضوع أوسكار، فهي تكره الزعل الذي يستمر طويلا، حتى وإنْ اتفقت مع بوني، في هذه المرة استثناء، في رأيها في كل ما يتعلق بأوسكار.

كان الليل قد تجاوز منتصفه عندما قام بير بتوصيل جيجي وآنا بالباص العائلي الصغير إلى البيت في الحي الثالث. "هل تريدان الصعود إلى فوق؟" صوت جيجي يوحي بأنها تعني ما تقول فعلا. "لنشرب نخب ليلة سعيدة؟"

يمكن رؤية النور مضاء في شقتها، مما يعني أن أوسكار في البيت الآن. بير وآنا يتبادلان نظرة مترددة ثم تبادر آنا بهز رأسها نفيا. فبعد الجدال الذي جرى

بسببه مساء هذا اليوم، ليس لديها الآن رغبة بأنْ تلتقي أيضا بالسيد المدير شخصيا. عدا ذلك فهي تريد النوم فعلا، فعيد الميلاد الحقيقي سيكون غدا.

"إنكما متشددتان معها كثيرا" يقول بير بلهجة حادة وهو يخترق الشوارع إلى آخر منطقة ايرنبيرج.

"لسنا متشددتين معها، وإنما نحن قلقتان عليها"، تقول أنا وهي تدور شفتيها وتمط الحروف بطريقة طفولية.

"لقد تمكنت حتى الآن من تسيير أمور حياتها بنفسها. إذن يجب أنْ تكونا فرحتين بأنها لا تزال تستمتع بها ولا تملأ أسماعكما بالشكوى حول كل ما فوتته في حياتها."

"نعم يا حضرة الرئيس." لا تريد أنا قطعا أنْ تقول شيئا آخر بهذا الخصوص.

"قل ذلك لبوني، فهي التي تريد دائما أنْ تجعل كلمتها نافذة."

"هل تريدين أنْ أوصلك إلى باب الشقة؟" يقول بير بعد أن أطفأ محرك السيارة. ولكن أنا تهز رأسها نفيا.

"فأنت إنسانة تعرف الكثير والوقت متأخر، ألست خائفة؟"

أنا تضحك. "مع كل نوافذ إدخال المعلومات إلى الكمبيوتر يجب أنْ يكون لديهم يوسف أيضا لكي يتمكنوا من كسر الشفرة."

"إذن استمتعي بيوم غد."

يستحق بير هذا الاسم، فرجل غيره كانت قد ملأته معاشرته لبوني بالجراح العميقة. أما هو فيتلقفها بين خفيه عندما تصرخ ويضغط عليها بثبات. وسيلة كثيرا ما أثبتت جدواها. وفي العادة تتكسر ضجة الأطفال على قامته الضخمة. وهم يذعنون له جميعا في الواقع، إلا دونالد الذي يتذمر أحيانا، مسألة العمر كما يبدو.

وهو أمر يشعر أنا، التي لم تعرف الأب مطلقا، بالأسى على نفسها أحيانا .

"بير هو أب خالص للصبيان، صدقيني"، قالت بوني ثم أضافت مدعية بأنه "لا يستطيع التصرف مع البنات." حتى وإنْ كان قد أصبح لبوني في هذه الأثناء

معرفة بالأمور العائلية، إلا إن تعليقاتها لا يعول عليها غالبا.

لا يزال الضوء مشتعلا في شقة البواب في براتر. ضحك وتراكم مقاطع غريب. لدى عائلة البواب التركي زوار. في كل مساء يحل موعد الإفطار مع حلول الظلام وتلك لمدة شهر قمري كامل. قبل فترة قصيرة حملت لها نعيمة هانم، زوجة البواب، صحنا فيه نوع من البودينج ظهرت فيه مختلف الأشياء الممكنة: كشمش، زبيب، لوز، جوز، فاصوليا بيضاء وفستق أخضر، كان طعمه لا بأس به. اووه يارب، يارب، عليها أن تعيد الصحن! هكذا فقط؟ أم عليها هي أيضا أنْ تهديها شيئا ما؟ ولكن ماذا؟

إنها لا تطبخ في البيت إلا نادرا. ربما تأخذ لها زهورا؟ أو أصيصا فيه ريحان؟ فقط عليها أن تتذكر الموضوع. وخلال النهار لا تفكر أنا بالموضوع مطلقا.

الشقة ليست دافئة كثيرا، ولكن بدلا من رفع درجة حرارة المدفأة تفضل أنا الذهاب إلى الفراش مباشرة. عليها في صباح الغد أن تغسل شعرها، فبعد نهاية الدوام لن يكون أمامها من الوقت أكثر مما يكفي لتغيير ملابسها قبل أن يأتي هاوجسدورف لأخذها. إنها تشعر بالفضول طبعا، رغم أنها لا تتوقع من القصة كلها الشيء الكثير.

في تلك الأيام كانت جيجي تبخل عليها حتى بالأسبرين عندما تكون مصابة بالحمى.

كانت هيبية المظهر فقط وتعتقد بأن شرب أكبر كمية ممكنة من الشاي هو العلاج الشافي، وكانت تدعي دائما بأن: "كل ما عدا ذلك ضار بالبشرة"، أو "أنه يضلل المخ، وهو أمر لا تستطيع الواحدة منا نحن النساء أن تعمله." ولهذا السبب لم تكن راضية أبدا عندما كانت أنا تقضي مع أول كمبيوتر لها لياليَ كاملة دون أن تنام إلا قليلا وهي تبحر في شبكة الانترنيت، لاعتقادها بأنها لا بد لها أن تفعل ذلك، وهي لا تكف عن شرب القهوة والكوكولا حتى أصيبت بالتهاب في المعدة

اهدتها بوني شالا وضعته أنا على كتفيها بعد أنْ انتهت من تنظيف أسنانها. لها ذوق جيد، ربة البيت الصغيرة بوني هذه. ترك إنجابها لثلاثة أولاد آثاره

عليها طبعا، إلا أنها ترتدي ثيابا بطريقة تخفي كل ما يمكن أن يشير الى هذا الأمر. كما تضع أحمر شفاه حتى عندما تقوم بكي الملابس "هذا ما أدين به لنفسي"، واحدة من الحكم التقليدية التي تتفوه بها بوني في بعض الأحيان وهي تؤكد عليها تأكيدا شديدا.

لم ترتب أنا فراشها في الصباح. وهي تنفض الآن الوسائد والغطاء بسرعة قبل أنْ تتسلل تحته. ثلاثة وعشرون عاما، شيء ليس بالكثير، ليس ربع المائة، ولا ضعف الإثني عشر، ولا ست مرات أربعة، شيء لا أهمية له مطلقا. عندما أنهت أنا الثانوية قبل خمس سنوات ذهبت هي وجيجي أول مرة، وأيضا آخر مرة، سوية في إجازة. إلى كيمير بالقرب من انتاليا في جنوب تركيا. اسبوعين كعرض رخيص جدا. كانت بوني وبير معهما ايضا، بقيتا ثلاثة أسابيع مع الأطفال.

حينذاك لم يكن تونيو قد ولد بعد.

شمس، بحر وشاطئ... وقد أعجبها الأكل. أما البلاد نفسها فلم يكن ممكنا رؤية الكثير منها، بضع نخلات، مسرح روماني، وليلة كاملة من الرقص الشعبي مع الطبل والمزمار، أما الجو فكان ساخنا جدا للقيام بأية رحلات قصيرة.

كانت هي وجيجي تسبحان في البحر أو في المسبح، وفي المساء كانتا تذهبان إلى الرقص. بعد ذلك تجلس هي وجيجي مع بير على البار وتضحكان من محاولات بعض الرجال التقرب منهما دون أن يستطيعوا أن يتخذوا قرارا. هل يجربوا حظهم مع جيجي او مع انا.

في ذلك الحين كانت جيجي تستسلم لضعفها أيضا. دق الطبيب التركي المسؤول عن المجمع السياحي على باب قلبها وجعله يستجيب له.

إلا أن بير ألقى بنفسه بينهما بحزم وقال لها وهو يلعب دور رب الأسرة الذي يرفض أن تصبح أم زوجته غنيمة لأي كان: "تذكري بأنك ستجلسين بعد بضعة أيام في الطائرة." وقد حظي موقفه هذا بتقدير صامت من قبل العاملين الأتراك في المجمع.

وفي نهاية المطاف كانت جيجي سعيدة بذلك على قدر ما كانت متأسفة في حينها على فوات الفرصة.

ما كانت آنا تدخل إلى عالم النصوص المكتوبة الكترونيا لكي تقوم ببرمجة معلومات جديدة لباسيديوس وهو برنامج ينضوي تحت عنوان "دراسة الصراعات وسبل تجنبها" – ويهدف إلى المحافظة على السلام في البلاد حيث يتضمن معلومات عن كل الأقليات العرقية والإجتماعية والعلاقات داخل كل مجموعة، والعلاقات التي تربط كل مجموعة بأخرى، ولكن أيضا تلك التي تربطها بالأكثرية من السكان – حتى قامت تيريزا وإيفو بالإعلان عن مفاجأة عيد الميلاد في حفل مرتجل أمده عشر دقائق ضمن استراحة الغداء.

يبدو ايفو مرهقا ومعرضا جدا للإصابة بنوبة ارتجاف إلا أنه يسيطر على نفسه، في حين تتلبس تيريزا بشكل مبكر على عمرها دور الأم القوية في عالم الحيوان، الأم الحامية والراعية لصغارها. أي قابليات يخفي كل إنسان في داخله! انكسار النفس الذي يسيطر على فيردي بسبب الطرود والرسائل التي ضاعت منه واضح للجميع، حتى أن أحدا لم يجرؤ على رواية حتى ولو نكتة واحدة. والآن يخف بنشاط غير مألوف، متنقلا من شعبة إلى أخرى لكي يسأل عن مواد بريدية يُراد إرسالها. فبالرغم من الاستعمال الكبير للكمبيوتر لا يزال طريق البريد العادي لا غنى عنه.

يقال بأنه يوجد أناس يرفضون حتى الجهاز الذي يعملون عليه. وبدون اسطوانة صلبة يكون الاستقبال صفرا.

وعندما تصاعدت في تمام الساعة الواحدة ظهرا الشمبانيا في الكؤوس، شمبانيا ممزوجة بعصير البرتقال لكي يبقى الرأس محتفظا بصفائه، ظهر بأن الرئيسة لم تنس المناسبة أيضا. هديتها المغلفة بغلاف شفاف تجعل الشحوب يعلو وجه تيريزا وإيفو، لم يعد هناك مجال للتراجع. كانت هديتهما مغلفة بغلاف غير شفاف. إلا أنه ليس هناك مجال للشك بأنها الشيء نفسه: سيسي، مصباح طاولة صغير من تصميم فيليب شتارك معروض حاليا بسعر مخفض في العديد من مجلات الموضة كسعر تشجيعي لبضاعة تنزل السوق أول مرة.

"لا يمكن للمرء ان يكتفي أبدا بعدد معين من المصابيح"، تقول آنا، وهي تقصد فعلا ما تقول، "وكزوج يبرزان أفضل من قطعة واحدة فقط"، أمر يناسب آنا

جدا، "خصوصا في مساء هذا اليوم الذي يتطلب إنارة احتفالية." وهي عازمة فعلا على أن تترك كلا المصباحين مضامين في الشقة بعد أن تذهب مع هاوجسدورف ليأخذها إلى عالم غير مسموح بدخوله في العادة إلا لطبقة معينة من الناس.

بعد ذلك تسحب الرئيسة طردا صغيرا، ما يسمى بهدية المؤسسة، والذي يهدف كما يبدو إلى دفعها لاستخدام مهارتها خارج المكتب أيضا: كومبيوتر صغير محمول، سهل الاستعمال بشكل لا مثيل له من قبل، جميل التصميم وصغير الحجم فعلا بحيث يمكنها أن تعلقه في حقيبة صغيرة على كتفها. حتى الآن وبعد أن سارت في المرحلة التي تلت كمبيوترها المدرسي الذي اصبح قديم الطراز تماما، على طريق جميع أنواع أجهزة الكمبيوتر ظلت آنا ترفض الخضوع لإغراء شراء جهاز خاص بها وذلك تحت شعار:

"يجب ألا تصبح المعلومات المبرمجة كل شيء في حياة الإنسان." ولكن الآن لم يعد أمامها إلا أن تعبّر عن الشكر الجزيل على هذه الهدية. فهي ليست مجبرة على استخدام حصان طروادة الصغير هذا، ليس ثمة من يستطيع إجبارها على ذلك.

"أتمنى لك أمسية سعيدة"، تبتسم الرئيسة ابتسامة المقدم للهدايا الكبيرة، فتهز آنا رأسها وهي تحمل مصباحي الطاولة كلاً في يد ثم ترفعهما إلى مستوى وجهها في حين يقوم فيردي بأخذ الصور التذكارية التي لابد منها لاحتفال المؤسسة بعيد ميلادها.

وضع فيردي أيضا علبة صغيرة لآنا، وإنْ كانت أصغر من العلب الأخرى بكثير، إلى جانب صحن صدر الدجاج. هو الآخر يريد إنارتها بشمعة مع شمعدان حديدي صغير.

"اشتريته أثناء الوقت الخاص بتوزيع البريد" يهمس في أذنها معترفا، بينما يثرثر فرانتيشيك في وقت غير مناسب، عن القيم المادية التي تسيطر على المجتمع، ينظر هو ويوسف إلى الأمر من منظور المشاعر والأحاسيس ويوسف يتثاءب بصوت الأسد الشرير.

"هل تشعرين بشيء؟" تبدو لها عينا هاوجسدورف وكأنهما مجسان يحاولان النفاذ إلى ما تحت أجفانها.

"بأي شيء علي أن أشعر؟" لا ترى آنا من المكان الذي فتح نفسه أمامها إلا السجادة وقد ملأته كله. من يجلس هنا؟ ترى كل شخص من أصحاب هوايات الجمع المتجمعين.

وإنْ كانت هي لا تعرف أصلا واحداً منهم. مع ذلك فإنهم أصحاب هوايات الجمع. هي تعرف أي شيء هم الهواة من هذا النوع، حتى عندما يختفون من أمامها فيما بعد.

هاوجسدورف يدلك كتفيها ثم ظهرها، تنفجر بالضحك لأنه أصبح فجأة صغير الحجم، حتى ليكاد المرء يحتاج إلى عدسة مكبرة لرؤيته، في حين تنمو هي حتى لتكاد تفيض على العمارة كلها.

"معذرة، بماذا يجب أن أشعر؟ هل تشعر أنت بشيء ما؟" تعرف آنا بأن هاوجسدورف لا يستطيع أنْ يشعر بأي شيء. ففي هاوجسدورف الذي تراه أمامها وهو ضئيل الحجم بهذا الشكل لا يمكن أنْ يوجد مكان لهذا الإحساس الهائل الذي تشعر به وهو ينبض من الداخل تجاه أسنانها. أنفها يصطدم بالكرات الزجاجية للإنارة الإحتفالية وجسدها يهتز من الضحك عندما تتذكر القصة القديمة عن رئيس خفراء الغابة هوجو، الذي يقفز من مصباح إلى آخر.

"حسنا، حسنا"، يؤكد لها هاوجسدورف بإيقاعات صوتية مختلفة وكأنها طفل صغير وقع على ركبتيه وجعلهما تنزفان دما. ولكنها لم تجرح ركبتها وهي أيضا ليست ثلاثة، فرأسها صاف صفاء شديداً وتريد أنْ تشرب كأسا هائل الحجم من التونيك غير المخلوط بشراب الجن حتى تستطيع أن تبتلع المشاعر التي تحتبس في بلعومها

هاوجسدورف يغير شكله مرة بعد أخرى في حين يصبح رأسه على شكل ميدالية.

"ماذا... قل لي فورا بماذا يجب علي أن أشعر؟"

هاوجسدورف يتسلق ذراعها حتى يكاد يصبح مرة أخرى مساويا لها

بالطول.

"اشش"، يقول لها، "كنت فقط أريد أن أعرف فيما إذا كان كل شيء على ما يرام."

"هل تعني أنه قد تم حفظه في الكمبيوتر؟"

بين حين وآخر يقع شخص يدعى هاوجسدورف مختفيا. شخص مصنوع من عجينة الورق المقواة بالصمغ، لا تصدر عنه حتى ولا خشخشة خفيفة. يسقط مختفيا ثم ينهض من جديد عند الجدار التالي تعرف من حركة فمه بأنه لا يزال يسألها فيما إذا كان كل شيء على ما يرام، ولكن أي شيء؟

"أنا لا توجد، لم توجد بعد"، كان مكتوبا على أحد الجدران مع التوقيع "الدرويش الجوال"، ولكنه ليس حلما وإنما واقع افتراضي.

"أشعر بشيء في بلعومي"، تقول آنا وهي تحاول النحنحة، "نزل الآن."

"وغير ذلك؟" هاوجسدورف يبلل شفتيه.

"لا شيء، لا شيء لم أدخله أنا بنفسي في البرنامج."

هاوجسدورف يمسك بيدها ويبدأ بلحسها، "هذه هي البداية فقط. أحيانا يستغرق الأمر فترة أطول."

إنها ليست متأكدة فيما إذا كانت قد تناولت شيئا أصلا، أم أن هذا الذي تراه ليس إلا إسقاطا خبيثا يجعله شخص من وراء ظهرها ينعكس في وعيها. في وقت ما سقطت منها قطعة سكر تحت الطاولة، تراه كان ذلك؟ "وأنت تشعر أنك ماذا؟"

يا إلهي، لماذا يدور بهذه السرعة الكبيرة حولها بدون انقطاع؟

"أنت تعرفين يا عزيزتي بأني لا أستطيع عمل الشيء نفسه، فطائرتي ستطير في الساعة السادسة."

"أية طائرة؟" هل يوجد مزيد من الطائرات فقط؟ هل هي الآن طائرة هاوجسدورف التي تظهر على كمبيوترها وتستنسخ نصوصها الخاصة؟ لا يجدي هنا سوى شيء واحد، أن تخرج من الشبكة، فالاسطوا نة الصلبة تعود لها وليس مسموحا لأحد أن ينفذ اليها، ولا حتى هاوجسدورف أيضا.

"هل فهمت؟" تصرخ آنا، "أنا لا اريد أن أشعر بشيء، ليس بهذا الشكل

المتحين، سأقوم بسحب توصيلة الكهرباء، وبهذا سوف لن تحصل الطائرة على عصير وبدون العصير لا توجد معلومات؟ معلوم؟"

"لقد قلت لك بأن طائرتي ستقلع في الساعة السادسة، كما تعرفين، إلى الولايات المتحدة."

هل غفلت عن رؤية شيء ما؟ لا، طبعا، فهو يعني بشكل واضح الجنس، ولكن ليس مع رجل مصنوع من عجينة الورق وشخص لا خبرة له والذي هو في الواقع طائرة.

أليس هذا منطقيا؟ تطلق آنا زفرة من شدة الحماس وتستغرب من أنها لم تنتبه لذلك من قبل، هاوجسدورف الطائرة من لحم ودم. أمر لا يمكن التسامح فيه، إهمالها هذا في مراقبة الوظائف الحياتية. طائرة تملك أمرا بأن تدخل فيها لكي تكتشفها من الداخل ولكي تسرق المعلومات المخزنة في الاسطوانة الصلبة التي تعود لها للقيام بتجارب أو ما أشبه، أو أن تقوم بملئها بمعلومات تعود لجهة أخرى، فأحداث واحد من كل فيلمين ينتجان هذه الأيام تدور عن أمور من هذا النوع. ولكن هذا لنْ يحدث لها، ليس لآنا مارغوتي. لقد غلفت قلبها بشكل جيد، وستقوم بسحب سلك الكهرباء وهي تضحك ببرود.

"هل انت بخير آنا؟" يدلك هاوجسدورف الآن ذراعيها وهي تريد أن تشرب كأس تونيك آخر.

"نعم، نعم، انا أتعرف على كل الترابطات، وهذا ما يمنحني النظارة العامة اللازمة."

"ارتاحي قليلا، فلا يزال لدينا الكثير من الوقت." هاوجسدورف يضع شالا على كتفيها.

أي شال هذا؟ أم أنه بطانية؟ هل هي بطانية هاوجسدورف وهل هو بيته؟

تنطلق آنا مرة أخرى راكضة على طرق الإنترنيت السريعة إلا أن الشاشة أصبحت الآن بسعة الجدار وبيت هاوجسدورف ينحرف مرة بعد أخرى مبتعدا عن بيت هاوجسدورف.

ينفتح الباب، تقام غرف، الباب التالي يؤدي إلى غرفة أخرى، سلالم، غرفة نوم،

شرفة، ثم بيت هاوجسدورف من جديد.

تبحث انا بكل ما تملكه من حيل عن فيشة الكهرباء، ولكن ما أن تجدها حتى يدخلها الباب إلى غرفة أخرى.

"ألا يوجد في بيتك قبو، يا هاوجسدورف؟" يجب أن تنزل آنا إلى القبو، فمركز توزيع الكهرباء يوجد في القبو عادة، وحين تجد القبو ستجد أيضا توصيلات الكهرباء وعندها يمكنها أخيرا أن تضع نهاية للأمر كله.

"إنك لا تشعرين بغثيان، يا آنا؟" ترى آنا هاوجسدورف وقد أصبح أكبر منها.

خدع شريرة لا انتهاء لها، ولكن آنا تنهض بحزم وهي تعرف ما عليها أن تفعله لكي تنتهي من الكابوس: الذهاب إلى القبو، يجب أن تذهب إلى القبو.

هاوجسدورف ينحني عليها بكل حجمه الهائل. "سآتيك ببطانية أخرى، حبيبتي."

هاوجسدورف هو البطانية التي ستأتي مرة أخرى. عليها أن تنتهز الفرصة. الآن. ولا تدع أحداً يوقفها. تحت البطانية لم يعد يحدث شيء. هيا قفي على قدميك...واجعلي الوصول إلى النصوص الخاصة متعذرا، ولا داعي لأماكن ربط أخرى. تنهض آنا ثانية وتسقط على الأرض دون أن تصدر عنها أية كلمة.

"سأرافقك حتى باب الشقة"، كان هاوجسدورف قد حل حزام الأمان وخرج من السيارة.

"ليس ضروريا، أنا لا أدري ما الذي يقلقك، فحالتي جيدة جدا."

يدور هاوجسدورف حول السيارة ويفتح لها الباب مثل فارس من الطراز القديم.

"مرة أخرى أعياد ميلاد كثيرة سعيدة، صغيرتي آنا. آمل أن مفاجأة عيد الميلاد كانت ناجحة، وأنك استمتعت بها."

"كانت ممتعة." تحاول آنا أن تقطع الخطوات القليلة إلى البيت بثبات قدر استطاعتها .

"لا تنسي، لا تتفوهي بكلمة لأحد." هاوجسدورف يوصلها إلى مدخل المبنى،

ومنه تستطيع آنا أن تميز ضوء المصباحين اللذين تركتهما مضاءين في غرفتها، ثم يقبلها.

"سأعود بعد أسبوع في أبعد الأحوال، وأنا أنتظر استقبالا حميما."

آنا تدفع الباب بجسدها، كان مفتوحا، تغلقه من الداخل وتبحث عن زر النور.

من السلالم الصخرية القديمة تفوح رائحة شديدة لغبار رطب وشيء من رائحة البول. هل تبول القطة هنا بين حين وآخر أيضا وليس على واجهة البيوت فقط؟ تشعر آنا بنفسها خفيفة وكأنها تحلق في الهواء وهي ترتقي السلالم إلى الطابق الثالث. تبدأ بالبحث عن المفتاح عندما تصبح في الممر المؤدي إلى شقتها. صخرة. تشعر بالدهشة وهي ترى صخرة كبيرة مسندة على الجدار بين شقتها وشقة الجيران. مَنْ جاء بها إلى هنا؟ ولأيِّ غرض؟ تقف أمام الصخرة وقد امتلأت دهشة. "صخرة، يا صخرة، اخرجي، اخرجي..." تقول آنا وهي تخشخش بحلقة المفاتيح.

ينفخ هذا في الصخرة روحا فتتمطى وتصبح أكثر طولا وأكثر ارتفاعا. تعرف آنا أنها ستصرخ الآن بصوت عال جدا. ضوء الممر ينطفئ اوتوماتيكيا بعد ثلاث دقائق. الآن. وفجأة تحط يد دافئة تفوح منها رائحة البرتقال على فمها ويهمس صوت في أذنها: "لا تصرخي رجاء، أنا قادم للزيارة فقط."

قلب آنا لا يؤتمن. شيء كانت تعرفه دائما. والآن يتعثر بإيقاعه الذاتي وينقلب على نفسه حتى أن رأسها لم يعد قادرا على المسايرة ويتوقف عاجزا وهو المرهق أصلا من الدوران في تلك الدوامة الذهنية العنيفة. في ليلة مثل هذه يصبح كل شيء ممكنا.

ضوء، تعتقد آنا أنها ترى نور مصباحيها الصغيرين. تتمدد راقدة في الفراش. شخص ما أعد لها كمادات باردة ولف رسغها بمنشفة يد مبللة وكأنه يضع قيدا حولهما.

"غيابك عن الوعي أرعبني جدا." حين تدير رأسها إلى مصدر الصوت تنزلق منشفة يد مبللة أخرى على عينيها. منذ متى تستطيع الصخور الكلام؟ أم أن الأمور هنا أصبحت في اضطراب شامل.

"سأذهب الآن."

تحاول آنا أنْ تحرر يديها ثم تنهض.

"ليس ضروريا أن تلوحي لي للوداع."

رغم انزلاق المنشفة الآن إلى كتفها، لا تزال آنا غير قادرة على رؤية الحجر المتكلم.

"عادت الحياة الدنيا والحياة الآخرة إلى جسدك مرة أخرى، أليس كذلك؟"، تجيب آنا بهزة من راسها وهي تحاول أن تديره.

"ربما عاد أصدقائي إلى البيت الآن."

تنجح آنا في الهبوط من الفراش.

"أمر الله"، ثم يُغلق الباب.

كلمة لم يقلها لها أحد من قبل، ولا حتى أية صخرة. تذهب آنا إلى الحمام وتعلق المنشفتين وتقول لنفسها إنه لا داعي للعجب، فهذه ليلة القدر التي تحدث يوسف عنها.

فجأة ترى آنا الصخرة من جديد، بالقرب من الكرسي ذي المسند العالي، وقد غدت أصغر بعض الشيء وأعرض قليلا، إلا أن لونها لا يزال نفسه. تقترب منها بحذر، لماذا الخوف؟ ما الذي سيحدث أكثر من الذي حدث؟ فالشيء الأكثر جنونا حدث فعلا. صخرة تتسع عرضا وترتفع طولا.

ولكنه معطف فقط، معطف طويل بين اللون الاسود والرمادي والذي يتمطى هو الآخر عندما ترفعه عن الأرض. هنا يخطر شيء على بالها فتركض إلى الباب، تفتحه بحركة سريعة وتهتف خلال الممر الذي أصبح معتما مرة أخرى:

"هي، أنت، معطفك، لقد نسيت معطفك!" شيء شبيه بالصدى يتصاعد بشكل لولبي خلال السلالم، ولكن لا جواب.

تغلق آنا الباب وتتثاءب. إنها متعبة، متعبة إلى حد أنها تترك ثوبها يسقط عنها وتندس عارية في الفراش، وعلى كل حال فذهنها المتعب لا يسمح برؤية أي حلم.

في وقت ما من الليل تنهض لكي تشرب الماء، الكثير من الماء. تكاد وهي عائدة تسقط متعثرة بالصخرة التي تركتها ملقاة على الأرض بالقرب من الفراش. ولكنها لا تتذكر شيئا من أمر هذه الصخرة، ولا حتى الشيء القليل. لا يزال

النوم يمسك بها بين قبضتيه. تنبهت إلى ملابسات الموضوع في صباح اليوم التالي فقط وهي تتجه إلى المطبخ. غريب، ما الذي كان هذا الرجل يريده هنا في البيت؟ زيارة أصدقاء؟ ونظرا لبرودة الجو في الخارج فلا بد أنها ستسمع شيئا عنه قريبا، إلا إذا كان يمتلك معطفا آخر.

بماذا تشعر أنا حقيقة؟ لم تكن حالتها سيئة خصوصا بعد الاستحمام. تشعر بالجوع، وتشرب أيضا إبريقا كاملا من الشاي. هل يمكنها أن تعلق المعطف على الباب في الخارج. ولكن ماذا لو أخذه شخص اخر؟ من هم أصدقاؤه في هذه العمارة؟

لا تستطيع طبعا أنْ تذهب من باب إلى باب وتسأل: "هل أنتم أصدقاء الصخرة ذات اللون ما بين الاسود والرمادي؟"

وعدا ذلك ليس لديها الوقت للقيام به الآن، فعليها الذهاب إلى العمل فورا.

انها لا تريد أنْ تعطي الآخرين سببا لأن يشعروا بالظفر عندما تصل متأخرة إلى العمل في هذا اليوم بالذات. فالكل يعرف أنها قضت الليلة الماضية محتفلة بعيد ميلادها مع أحد أصحاب التكليفات. وعدا هذا فإن اليوم هو يوم جمعة أصلا، أي ثلاثة أرباع يوم العمل الاعتيادي فقط.

دعتها جيجي لزيارتها في يوم الأحد. إنها تريد أنْ تريها أوسكارها هذا وتجد في جلسة لشرب الشاي فرصة مناسبة لذلك.

"هل ستأتي بوني أيضا؟"

"على الأكثر، بينما سيذهب بير مع الأولاد إلى مسرح الدمى."

يبدو على جيجي أنها لا تريد بعد مجابهة أحفادها بالسيد المدير.

"حسنا، سآتي، ولكن لا تجعلي من الموضوع حدثا رجاء."

"هذا ما قاله أوسكار أيضا، دون تشنج، لكني أريد أنْ تتعرفا على بعضكما."

"حسنا، وأنا على كل حال لا أسكن بعيدا عنك."

"هل يعني ذلك أن أحسب حسابي بأنك ستحضرين فعلا؟ إذن سأعمل في هذه الحالة كعكة بذور الخشخاش."

"بقشور البرتقال المسكرة."

"بقشور البرتقال المسكرة." لا بد أن جيجي مهتمة بالموضوع جدا، مادامت

تريد إغرامها بأن تعمل لها كعكة بنور الخشخاش. لا بد أن شيئا ما يختفي وراء ذلك، ولكن ما هو؟ تتصل أثناء استراحة الظهيرة ببوني تلفونيا "هل تعرفين ما وراء هذا كله، أقصد كعكة الخشخاش؟"

"الأمر واضح، إنها تريد طبعا الزواج من أوسكار هذا."

آنا تشهق. "دون مزاح، من أين عرفت ذلك؟"

"ليس من أحد، وإنما هو حدسي فقط."

"وما هو رأيك بالموضوع؟"

تزفر بوني بقوة تجعل آنا تبعد سماعة التلفون عن أذنها، "بأي شيء سيفيد عناء المحاولة؟ فهي سوف لن تقتنع أبدا بالعزوف عما تريد القيام به؟"

تدخل تيريزا خلال الباب وتريد أن تعرف ما الذي يزعج آنا.

"أمي"، تقول آنا وهي تزم شفتيها وتخفض ذقنها إلى رقبتها.

تيريزا تضحك. "مع كونك محظوظة بها، فهي إنسانة غير معقدة، مرحة ومثل صديقة لك، أتمنى لو أنك تعرفين أمي أنا."

"إنها تريد أن تتزوج مرة أخرى." صوت آنا يبدو وكأنه قادم من قبو عميق.

"شيء رائع." وجه تيريزا يصبح مضيئا وشفافا. "سيكون هذا أمرا جيدا لها، كما أنك لن تكوني بحاجة للاهتمام بها على الدوام." فجأة ترى آنا الأمر من هذا المنطلق أيضا. "فعلا."

بالمناسبة، تبدو تيريزا وكأنها في سبيلها لأن يصبح لها شيء شبيه بالهالة التي تحيط برأس القديسين، اذ يمكن رؤية ذلك عندما تقف بمواجهة الضوء. فتسامحها مع إيفو يتدفق غيوما من عبير القهوة بالحليب تتهادى بينهما وتمضي جيئة وذهابا على نحو متزايد وكأنها على صراط مستقيم مرسوم. ولكن إيفو أصبح متعنتا برأيه بطريقة قد يكون حرمانه من الشراب سببا فيها.

"وأنا أقول لكم بأن الكرواتيين لن يتركوا الصرب في كرايينا، كونوا متأكدين من ذلك."

"انتظر فقط، فمع الوقت ستحل هذه المشكلة نفسها أيضا"، يقول فريدي

بطريقته الفرانسسكانية الودودة.

"هذا ما تعتقده أنت، لأنك تجهل الأمور ولا تعرفها حتى معرفة طفيفة. أنا الذي أعرف التأرجح الأبدي بين هذا الجانب وذاك. أعرف الضغائن والأحقاد، وما يطالب به اولئك وهؤلاء. هذه أشياء لا يمكن إصلاحها، صدقني إنه شيء لا يمكن إصلاحه أبدا."

ينزل يوسف نظارته للحظة قصيرة عن عينيه ويمعن النظر في العالم مجردا من وضوح الرؤيا الذي تمنحها له.

"وكيف كنت تتصور الحرب الأهلية؟ مباراة لكرة القدم بعدد من الأهداف الاضافية وحكم يصفر ليعيد إلى اللاعبين رشدهم في النهاية؟"

"آه، أنت!" يصرخ إيفو غاضبا، "أنت لم تكن يوما في يوغسلافيا، ولا حتى عندما كانت يوغسلافيا لا تزال موجودة."

"صحيح." يكتفي يوسف بذلك القدر من مراقبة العالم بنظرة يشوبها الكدر، ويدفع النظارة على أنفه من جديد.

"ما يهمك أنت هو أن تظهر نفسك فقط وكأنك على معرفة بالأمور بشكل أفضل من غيرك"، يقول إيفو قبل أن يفرغ ما تبقى من القهوة بالحليب في بلعومه.

يضحك يوسف وكأنه الإله النهم بعل شخصيا.

"هل نسيت من أين أنا قادم؟"

تذهب أنا إلى البيت مشيا على الأقدام. الشوارع جافة. يلسع ساقيها البرد والحصى الذي تنفخه الريح على حافة الرصيف. إلا أنها تشعر بحاجة إلى الهواء الطلق لرأسها الذي لم يجعله جو العمل في المؤسسة أكثر صفاء. إنها سعيدة بأن يكون هاوجسدورف وراء المحيط الاطلسي، أن لا تكون مضطرة للحديث معه عن هديته لعيد ميلادها. لا تدري حتى الآن ما الذي يمكنها أن تقوله عنها. مهما كان الاسم الذي ستوزع فيه هذه المائة في الفترة القريبة القادمة كملبس في الحفلات، أو ما يسمى في حفلات الرقص بهدية السيدات، فإنها لا تريد أن تقوم بتلك الرحلة مرة أخرى، حتى لو أعطيت لها هدية. تستطيع تذكر كثير من الأشياء، ولكن لا تتذكر بأن ذلك الشيء اشعرها بأية متعة أو أنه امدها بمعرفة فريدة من

نوعها تجعلها تشعر برغبة في معاودته من جديد.

يا له من شعور بالعجز تلك الذي ألم بها! جسد آنا ينتفض وهي تتذكر هاوجسدورف الذي أصبح عملاقا. شيء مثير للاشمئزاز. وخوفها من أن يتمكن أحد ما من قراءة ما هو مخزن في كمبيوترها قد اختفى في الواقع إلا أنه مزعج حتى كذكرى. عليها أن تذهب للتسوق، فاليوم هو نهاية الأسبوع، نهاية الأسبوع بدون هاوجسدورف، هذا يعني بأنها ستأكل في البيت، تقضي الوقت متكاسلة، تسمع الموسيقى وقد تغسل ملابسها. نهاية أسبوع هادئة للعزاب، تستطيع فيها القيام بإنجاز ما تريد إنجازه منذ وقت طويل، وقد لا تقوم به أيضا.

في هذه المرة ذهبت تيريزا إلى الدورة التدريبية وأوكلت إلى يوسف وفرانتشيك القيام بدور الراعيين الروحيين لإيفو، لا يهمها أن يقوما بذلك سوية أو بالتناوب.

"لا ينبغي أن يعاود الشراب مهما كلف الأمر." كلام أصاب فرانتيشيك بالصدمة، فحسب الراتب الذي يتقاضاه لا ينبغي أن تكلفه الحالة الروحية لإيفو كثيرا لا يبدو يوسف أيضا سعيدا بهذا.

"يوم السبت سيكون لدي الوقت، أما يوم الأحد فمستحيل، فأنا لدي التزاماتي أيضا."

"يوسف، رجاء." لم يسبق لتيريزا أن أصرت على شيء مثل هذه المرة، "ويجب عليك ألا تجعله يلاحظ شيئا، فهو الآن في مرحلة العناد، وعندما يشعر بأن هناك من يريد منعه من عمل شيء ما فإنه سيصر على القيام به."

يضع يوسف ذراعه على كتفها: "سأفعل ذلك، ولكن عليه هو نفسه الاقلاع عن ادمان الشراب. أما كل ما أستطيع أنا عمله فهو محاولة إلهائه عنه قليلا."

كانت تيريزا قد انتهت من إعداد حقيبة سفرها. "شكرا لك يا يوسف، أما أنت يا فرانتيشيك فسأدفع لك ثمن البطاقات إذا نجحت في استدراج إيفو إلى السينما يوم الأحد."

وكما تعرف آنا فرانتيشيك فإنه سيتلفن لها لترافقهم، ولم لا؟ سيكون لها بذلك على الأقل عذر لكي تجعل جلسة الشاي مع السيد المدير محدودة الوقت.

لم يكن ما اشترته آنا كثيرا حقا، إلا انه يهبط بثقله إلى الارض، يجعل ذراعها

طويلا ويحز أصابعها. حين تكون في الممر أمام شقتها تتذكر كل شيء دفعة واحدة. الصخرة، يا إلهي! المعطف لا يزال عندها، والجو بارد جدا في الخارج.

ترى صحيفة خضراء ملصقة على باب شقتها، عندما تلمسها تلاحظ أنها من ورق ومحززة الأطراف بشكل جميل. كيف جاءت إلى هنا؟ تفصل الورقة بحذر من خشب الباب المصبوغ بالدهان. على الجهة الخلفية منها كتبت رباعية:

إنهم ينادون الجنة، الجنة ويقصدون بيتا وبضعة حوريات أعطهم إياها، أولئك الذين يكتفون بها أما أنا فإني أريدك أنت، أريدك أنت وحدك لا يزال المعطف معلقا على الكرسي العالي المسند. تحمل أنا مشترياتها وتضع ماء على الموقد لعمل الشاي، تشعل شمعة وتفتح الراديو. انتهت الحرب في البلقان من الناحية الرسمية منذ فترة طويلة، لكن ذلك لا يعني أن السلام يسود هناك الآن . لذلك ليس غريبا أن يلجأ إيفو إلى الشراب. لقد هرب من الجندية لأنه لم يكن قادرا على اطلاق النار على بشر مثله. مواطنوه يعتبرونه جبانا. أما البشر الذين يعتبرهم مثله فإنهم يرون فيه العدو.

أن تكون الرئيسة قد عثرت عليه صدفة، بالأحرى دُفع إليها دفعا، فإنه شيء يشبه أعمال السحر، وإن كانت أنا لا تعرف فقط أي نوع منها. وعلى كل حال فإن الأمر له علاقة بيوسف وبعلاقاته التي لا حصر لها. ولو كان إيفو لا يمتلك موهبة في الرياضيات لكان لا يزال قابعا في معسكر اللاجئين. ما كان أحد ليجهد نفسه بإثارة حفيظته عبر محاولة فرض الوصاية عليه. لحسن الحظ تأتي الموسيقى من الراديو مرة أخرى وتغطي على هذه الحرب التي لا تريد الانتهاء، بين حروب أخرى كثيرة لا تريد الانتهاء حتى تمام الساعة القادمة، الموعد التالي لنشرة الأخبار.

يبدو المعطف الآن وكأنه كلب أسود يقبع على الكرسي متكورا. قد يكون من الأفضل لو أنها وضعته على علاقة الملابس لكي ينفرد. تحمل أنا علاقة الملابس وتتوجه إلى الكلب. تمد إليه يدها بحذر وكأنها تتوقع أن ينهشها لكنه أليف. عند التمعن فيه ترى بأنه ممزق. معطف مخاط من عدد كبير من القطع المتوائمة مع بعضها من قماش صوفي سميك وطري. تتشمم المعطف. فيه شيء من رائحة

البرتقال، وما عدا ذلك فرائحة رجل، تمد يدها إلى الجيوب، قطع نقود معدنية، ومنديل مكوي غير مستعمل، تذكرة لقطار الأنفاق وحبة فستق. تعيد كل شيء إلى الجيب مرة أخرى عدا حبة الفستق. تضع المعطف على العلاقة وتعلقه على المشجب القديم المصنوع من خشب السفن. هدية من هاوجسدورف. والآن ترى المعطف أمامها مثلما تضع أصابعها على فنجان الشاي الدافئ وهي جالسة على الكرسي ذي المسند العالي، الذي اختاره لها هاوجسدورف أيضا، وقد استغرقت في تفكير عميق.

لووه، إنها لا تستطيع أن تتذكر أي وجه أو أي جسم وإنما فقط رائحة البرتقال والصوت الذي شابته لكنة أجنبية خفيفة ولكن بقواعد لغوية متقنة . عندما تضع بغتة فنجان الشاي على الصحن تخفق الشمعة وينتفض المعطف انتفاضة قوية. لا تستطيع صرف نظرها عنه. لا تكوني كالطفلة يا آنا، أنت تعرفين جيداً بأنك عندما تحدقين أمامك فترة طويلة ترين شيئا ما. مثل الطفل أثناء قداس شهر أيار والذي يعتقد وقد حبس الركوع الطويل دمه بأنه يرى مريم العذراء تبتسم وتومئ له.

"أنا مارغوتي انتبهي لقلبك". جني المعنى الخفي يبدأ بإثارة البلبلة من جديد.

"له عينان سوداوان، ذلك الذي يرتدي المعطف ووجه مكتوب عليه وأنت تعرفينه من أحلامك يا آنا وفي هذه الفستقة يوجد سر خفي."

أنا تشرب الشاي وتحاول فتح حبة الفستق بأظافرها. ماذا يعني السر؟ تقفز من الفستقة حبة بنية اللون، تقشرها آنا مرة أخرى حتى تصبح خضراء بلون الصحيفة الخضراء تقريبا سأدخل السر في جوفي حتى نصبح أنا وهو شيئا واحدا. تصر الفستقة الخضراء تحت أسنانها. حسنا، حسنا، رغم أني لا أعرف لغتك، إلا أنك أصبحت جزءاً مني الآن، وعندما ابتلعك تماما سأعرف ما يعني هذا كله. ماذا؟

تشعر آنا بدهشة شديدة، فقد جعل سعالها المعطف يتقلب في مكانه. ترمي قشر الفستق في نفاضة السجائر الموجودة هنا كشيء تكميلي لا غير، وهي قطعة تذكارية جاءت بها جيجي من إجازتها الأخيرة، هل تعرفت خلال هذه الإجازة

على السيد المدير؟

"إذا أراد هاوجسدورف أن يدخن عندك."

تصب انا لنفسها قدحا آخر من الشاي. تشعر بتعب شديد، من تأثيرات ليلة القدّر. تتوقع آنا مجيء الرجل قريبا لاستعادة معطفه. فكيف سيكون موقفها وهي تستقبله مترنحة وبرأس أثقله النوم، خصوصا وأنه رآها في المرة الأولى وهي غائبة عن الوعي. تشعر بالخجل من نفسها، فلا بد انه يفكر أنها سقطت من السكر.

تهب آنا فزعة. رنين التلفون يجعل عضلات بطنها تتقلص تقلصا شديدا. في البداية بدا صوته وكأنه صافرة سفينة، اما بعد ذلك، أي في المرة الثانية، فقد رن الرنين المألوف. "ألو؟...."

"هل أنت التي أرى طيفها أمام عيني؟"

"إذا كنت تبحث عن معطفك؟"

"لا بد أنني كنت مرتبكا قليلا في الليلة الماضية."

"كما كنت أنا أيضا"، ترى آنا السفينة التي حلمت أنها تحملها على ظهرها قبل قليل وهي تختفي في الافق .

"أنا الآن في مكان قريب جدا منك."

"تفضل، استعاد معطفك شكله القديم، لقد علقته."

تنهض آنا لتغلق الستائر فترى باب كابينة التلفون في الشارع وهو يرتد. تحاول مع نفسها أن تستبق ذهنيا رنين جرس الباب الحاد لكي تخفف من وقعه على أذنها عندما يرن فعلا، فسمعها لا يزال حساسا من أثر النوم. تقوم بتمشيط شعرها وتقضم قطعة من التفاحة. من المؤكد أنها لم تغف طويلا، فالشاي لا يزال دافئا.

لا يرن الجرس وإنما يطرق على الباب. شيء يريحها، تذهب إلى الباب وتفتحه. الرجل يقف في المكان الذي كان مقرفصا فيه عندما كان صخرة وهو مدير ظهره إليها. ظهره مغطى بكنزة صوفية دون معطف.

"نعم؟" ماذا يمكنها أن تقول غير هذا.

"مرحبا"، يقول ملتفتا إليها. هذا الوجه، عيناها تبحثان عن نظراته وتوشك أن تغرق فيها.

"تفضل، الهواء بارد هنا." يركز نظراته عليها ثم يتقدم ناحيتها فعلا.

"لا أدري أين كانت افكاري." يعبر العتبة دون أن يدوس عليها.

تمد أنا يدها إلى المعطف. "لقد أكلت فستقتك."

يضحك ثم يتناول المعطف. هذه النظرة. تضطر أنا لخفض أجفانها. تشعر لحظة قصيرة بالوضع وقد أصبح شديد السخونة. يرتدي الرجل المعطف بطريقة معقدة. أنا لا تعلق بشيء وتشعر بارتباك شديد. أنا، أيتها الجبانة! "شكرا لك." يتردد الرجل لحظة قصيرة ثم لا يكون أمامه إلا الخروج عبر الباب الذي تغلقه أنا دون أن تجد في نفسها القدرة على دعوته للدخول إلى داخل الشقة.

الآن اختفت رائحته أيضا. تشعر أنا بالذعر. لماذا لم تستوقفه؟ تفتح الباب بقوة وتركض إلى السلالم. "أنت، اسمع، ألا تريد أن تشرب معي كأسا من الشاي؟"

لا جواب. ينطفىء الضوء فتعود متلمسة طريقها إلى شقتها تاركة قيادها للفتحة المضيئة لباب شقتها المفتوح. لا فائدة. إنها ترتجف وكأن هذا الرجل أخذ كل الدفء معه. كيف أمكنها أن تكون غير لبقة بهذا الشكل فتترك الرجل يذهب آخذا معطفه معه. بينما تشعر الآن انها تفتقده. ولكن كيف تفتقده وهي لم تره جيدا؟

أم أنها رأته حقا؟ لو كانت تملك القدرة على عكس الأشياء بقوة بصرها، لكانت قد عكست بنظرتها صورته على الجدار الأبيض لغرفتها، صورة دقيقة تماما. فأحاسيسها قد سجلته بوضوح الصورة الفوتوغرافية. إنها تتوهم ذلك على أية حال. التقوس البسيط لحاجبيه، الظلال تحت أنفه الرفيع المعقوف، الفم غير المتناسق تماما، الشعر الأسود المجعد قليلا والمبعثر في كل الاتجاهات. إنه بالتأكيد الرجل نفسه الذي صادفها قبل فترة قصيرة، فليس المعطف وحده الذي يشعرها بأنها قد رأته من قبل.

تسحب أنا شعرها ثم ترفعه بالمشبك إلى فوق. لا تزال تجلس على كرسي

المطبخ وهي تتأرجح على اثنين من قوائمه إلى الأمام وإلى الخلف. إذا مالت به إلى الخلف أكثر قليلا فإنه سينقلب.

لماذا تطيل التفكير بهذا الرجل؟ برجل غريب لا تعرفه مطلقا. رجل نسي معطفه في شقتها بعد أن عمل لها كمادات باردة، هي التي كانت قد فقدت وعيها لفترة قصيرة من الوقت. يا لها من قصة يقشعر لها البدن! أفضل ما يمكنها عمله هو أن تحاول التصرف وكأنها تسرد هذه القصة لبوني، فربما سيوضح ذلك الموقف بعض الشيء.

"سوف لا تصدقين الأمر، يا بوني."

"ماذا؟"

"لقد تعرفت على رجل."

"ثم ماذا؟"

"لقد أربكتني نظرته."

"ما اسمه؟"

"لا أعرف."

"وبأي شيء يكسب عيشه؟"

"ومن أين لي أن أعرف؟"

"وكيف تعرفت عليه؟"

"كصخرة وجدتها أمام باب شقتي؟"

"وإلى أين تدحرجت الصخرة؟"

"لقد فقدت وعيي."

"هل كنت مريضة أم كنت مكيفة؟"

"يبدو انه هو الذي وضعني فوق سريري وعمل لي كمادات."

"يعرف هو على الأقل ما يجب عمله. وماذا أيضا؟"

"لقد تركته يذهب."

"لقد عدت فيما يبدو لوعيك مرة أخرى."

"عندما جاء لأخذ معطفه."

"أي معطف؟"

"كان قد نسيه عندي."

"متعمدا؟"

"لماذا متعمدا؟" ينقلب الكرسي فعلا. حين وقعت على الارض برقت الفكرة في ذهنها. لماذا بشكل غير متعمد؟ فربما ترك المعطف ملقيا في مكانه لكي يكون له سبب لأن يأتي لرؤيتها ثانية؟ أما هي فقد تركت الفرصة الثانية تفلت منها أيضا.

تنهض أنا واقفة وتضع حافة السكين على المنطقة التي تورمت من أثر السقطة.

تستحق ما جرى لها. ستتصرف في المرة الثالثة بشكل أفضل، هذا إذا كانت ثمة مرة ثالثة أصلا. اين كتب أنه يجب أنْ تكون هناك مرة ثالثة. ربما ستلتقي به مرة أخرى صدفة. ألم يقل لها بأن له أصدقاء هنا في العمارة؟ من يمكن أن يكون أصدقاؤه هؤلاء؟

لم تعتد أنا أن تبحث في الظلام، فعندما يضيع منها شيء ما فإنها تقوم بإدخال أية معلومة ممكنة في الكمبيوتر، حتى وإنْ كانت هامشية، إلى أن تجد نقطة ما يمكنها التمسك بها. بعد ذلك تحيط الموضوع الذي يثير فضولها من كل المستويات المتاحة، تخترق الشبكات التي تستطيع كسر شفرتها بطريقة مدهشة. وفي حالات نادرة فقط تبقى إحدى المعلومات مغلقة أمامها دائما. ولكن في هذا الموضوع لا توجد هناك مفاتيح حروف يمكنها أن تستخدمها، وإنها متروكة للصدفة، وهو ما يؤلمها بعض الشيء.

"ماذا تريدين حقيقة؟" تسمع صوت بوني في خيالها يسألها. سؤال جيد. ماذا تريد فعلا من هذا الرجل الغريب الذي نسي معطفه والذي غرقت في نظرته فترة قصيرة من الزمن؟

الخطوة الاولى، تختفي عزة نفسها مؤقتا وتعترف لنفسها: أن تراه مرة أخرى. تكاد تسمع بوني تبتلع ريقها بسبب تفاهة هذا الاعتراف.

"أن أشرب الشاي معه او أي شيء آخر. بعدها ربما سأعرف ما الذي أصابني."

"هبة الدرويش صحيفة خضراء!" ينحني يوسف فوق كتف آنا لكي يرى بنفسه ما اكتشفته قبل مدة قصيرة: دعاية متسترة في برنامج حماية الشاشة.

"الآن، بعد أنْ عرفت، أستطيع أنْ أراها أنا أيضا." عطر الفانيلا الذي يضعه يوسف يملأ أنف آنا برائحته.

"ماذا تقصد بذلك؟" وضعت آنا الصحيفة الخضراء المزخرفة على طاولتها إلى جانب اللوحة التي تحرك فوقها الفأرة.

"إنني أتعرف الآن فقط على الرسالة كرسالة. الحمد لله أنه لم يوضع برنامج حماية لشاشتي يتضمن دعاية للسجائر، وإلا لكان الضعف قد انتابني من جديد."

"أنا أقصد الدرويش، فكيف خطر لك الأمر الآخر؟"

يأخذ يوسف الورقة ثم يضعها باحتراس في مواجهة الضوء، ورقة محززة الأطراف بطريقة فنية جميلة ومكتوبة.

"هكذا يقول الناس عندنا."

"وماذا يعني ذلك؟" تلتفت آنا، ولكن عيني يوسف مختفيتان جيدا وراء زجاج نظارته الطيفية الألوان . ترتفع زاويتا فمه قليلا: "اكتشفي ذلك بنفسك."

"والقصيدة؟"

"يونس عمرة، إذا لم أكن مخطئا، شاعر تركي من القرن الثالث أو الرابع عشر، نوع من الدراويش السواحين، صوفي يحمل أفكارا ثورية، أو ثوري شعر بانجذاب إلى الصوفية، واحد من أعظم شعرائهم، أقصد الأتراك."

تتنهد آنا، "هذا هو بالضبط الرأي الذي أردت معرفته من واحد من ذوي الاختصاص."

"لا تنسي بأنني عليم بكل شيء." يقول يوسف وهو يضع يده على كتفها، يضغط عليه بود ثم يبتعد متراجعا إلى الوراء.

"بغض النظر عمن يختفي وراء ذلك، لا تجعلي رأسك يدور، حبيبتي، فنحن بحاجة إلى عقلك النير سريع التفكير." يشير يوسف إلى برنامج حماية الشاشة مواصلا حديثه، "فأنت وحدك تستطيعين حمايتنا من خباثة من هذا النوع.

المحصي رجاء جهاز إيفو أيضا، ربما تكون قد ركبت فوقه دعاية خفية للمشروب من ماركة بوشكين، وإلا سيذهب كل ما بذلناه من جهد في نهاية الأسبوع هباء. التفكير بالأمر وحده يجعلني أتصبب عرقا."

تدخل آنا الورقة بعناية في غلاف الكمبيوتر الصغير المحمول الذي لا تزال تحمله في حقيبتها أينما ذهبت.

الحمد لله أنهم نجحوا في جعل إيفو يتجاوز عطلة نهاية الأسبوع دون شراب.

تيريزا ممتنة لهم جدا. أما إيفو فقد بدأ يقضم أظافره في الفترة الأخيرة. يدعي فرانتيشيك أنه بعد السينما التي رافقتهم آنا إليها أيضا والذهاب إلى أحد المقاهي الذي أعقب ذلك أخذ إيفو إلى البيت وظل يغني له إلى أن استغرق في النوم. من يسمعه يتكلم يخيل له وكأن الشراب كان في هيئة كلب متوحش يخربش بصوت عال جدا على الباب.

وكان هناك أيضا السيد المدير الذي يشبه الممثل الأميركي كارل مالدين ولكنه أصغر منه سنا ومن عاداته أن يمرر دون انقطاع إصبعيه الوسطى والابهام على زاويتي فمه. عدا ذلك فليس هناك الكثير مما يعاب عليه، عدا كونه انتقل للسكن عند جيجي فعلا. لا بد أنه كان يسكن قبل ذلك في مكان ما، ولكن السؤال فقط كيف؟ فشقة جيجي لا تمثل مطلقا القمة في مستوى السكن. وبماذا علقت بوني؟ "لو كنت أنا مكانكما لما تسرعت على هذا النحو." "تسرعتا" حسن أنها لم تقل "تلهوجت"، ولكنها على كل حال نفس طريقتها التي لا رحمة فيها، كما هي دائما.

مع ذلك فقد أجاب السيد المدير بهدوء: "وماذا كان علينا أنْ ننتظر يا طفلتي؟"

لقد قال فعلا "طفلتي" وذلك لبوني. عندما استوعبت ما قاله وقف شعر رأسها دهشة وفزعا. ولكنهما، أنا وجيجي، ضحكتا من قلبيهما، بحيث أن بوني هدأت أيضا واعتبرت ما قاله نوعا من المزاح ستعود إلى الحديث عنه في أوقات أخرى.

إنه ليس ثقيل الظل، هذا السيد المدير. ويبدو أنهما يحبان بعضهما، هو وجيجي.

وحتى بوني نفسها لم تجد ما تقوله، عندما اتصلت بآنا مساء لتتبادل معها

خلاصة الرأي عنه أكثر من قولها بأن على المرء أنْ ينتظر لكي يرى كيف تتطور الأمور، فمن البديهي أن الرجل يعرض الآن نفسه من افضل جوانبها، وهي مقبولة عموما.

"هذا سيجعل من الأمر قضية تزداد حجما." تضع تيريزا أيضا يدها على كتف آنا.

"ستكون قضية نموذجية، على الأقل هنا. دليني على علامة ما، حتى أستطيع أنا أيضا أنْ أرى الدعاية الخفية هذه."

تشير آنا إلى بعض الأماكن في برنامج حماية الشاشة. "ركزي بصرك هنا."

"فعلا!" تقول تيريزا وهي تضع إبهامها في فمها متعجبة. "إنهم يحاولون حقيقة استخدام كل الوسائل فإذا كنت من المدخنين، أو من متناولي المشروبات الكحولية، فإنك ستعودين إليهما بكل تأكيد، أقصد بعد أنْ تكوني قد استوعبت ذلك في اللاشعور؟ فكيف اكتشفت أنت ذلك أيتها الشاطرة؟"

تحدق آنا بتيريزا وهي ترفع بحركة تمثيلية حاجبيها إلى أعلى ثم تنقر على صدغها. "هنا تيريزا، هذه قابليات تولد مع الإنسان." تضحكان، كلتاهما.

"أنت تعتبرين نفسك عبقرية، أليس كذلك؟"

"وهل يجب علي أنْ أنكر نفسي؟"

"متى سيعود مستشارك الوزاري إذن؟" تحاول تيريزا أنْ تنحرف بالحديث من عبقرية آنا إلى حياة آنا الخاصة. تنتفض آنا انتفاضة قوية. كيف أمكنها أنْ تنسى هاوجسدورف بهذا الشكل الكامل؟

"يوم الجمعة على الأكثر." تشعر آنا وكأن هاوجسدورف مسافر منذ أسابيع طويلة.

"هل تفتقدينه؟" من المؤكد أن تيريزا لم تلاحظ انتفاضة آنا.

إنها لم تفتقده لحد الآن على الإطلاق. آنا تجيب بـ"يعني" عابرة ولا تشعر برغبة في الحديث مع تيريزا حديثا موسعا عن هاوجسدورف كما كانت تفعل أحيانا.

إنها لا تريد ذلك الآن بالذات، حيث جعلت تيريزا من إيفو وظيفتها في الحياة.

ربما ستفتقد هاوجسدورف مساء هذا اليوم عندما تجلس في شقتها وحيدة وتترك مسجل الصوت يدوي عاليا، فقد مضت الآن سنتان على علاقتهما بقي هو فيهما على اهتمامه بها وكرمه معها.

"هل التقيت بكثير من الأشخاص في نهاية الأسبوع؟ أقصد من الذين أعرفهم أنا أيضا؟"

لم تتكلم تيريزا بعد عن افكارها البارعة المفاجئة والرحلة التدريبية، وأنا متلهفة لأنْ تعرف مَنْ كان هناك من اشخاص وما الذي جرى من أحداث "صحيح، كدت الآن أن أنسى الموضوع، طلب مني هذا الجبرائيل أنْ انقل تحياته إليك".

"ولكنني لا أعرف شخصا اسمه جبرائيل."

ولكن تيريزا تبقى مصرة على كلامها. "لقد سمع عنك الكثير ويريد أنْ يتعرف عليك، وإذا سألتني أنا، فإن ذلك يشبه عرضا."

"هل تعرفين من أية مؤسسة هو؟ "أنا تتظاهر بالبرود العميق.

"لم استطع أنْ أتوصل لمعرفة ذلك. وعلى كل حال فقد جذبت كما يبدو نظر بعض الناس اثناء دورة التدريب الأخيرة."

"أنا؟" تستمتع أنا بشهرتها دون أنْ تجعل تيريزا تلاحظ ذلك كثيرا.

"ما داموا قد أطلقوا المتعقبين في اثرك."

"ماذا؟" هذه تكهنات بعيدة جدا. "أنت ترين أشباحا يا تيريزا، كما أنني لست جيدة إلى هذا الحد."

وتقول تيريزا بلهجة لا تخلو من الحسد: "انتظري قليلا فقط، فنحن لا نزال في يوم الاثنين فقط."

"اووه، يا له من كلام، كل هذا لأنني أملك قدرة على الاستيعاب السريع."

تعرف أنا بالضبط ما تملكه المؤسسة من خلالها، إلا انها لا تميل ايضا إلى المبالغة بذلك. وهي لا تزال تصغي لتيريزا كانت أصابعها قد شرعت بالحركة السريعة على لوحة المفاتيح. إنها تعرف بالغريزة أن شيئا ما قد حدث وأن عليها أنْ تستدعيه.

يكاد يكون تعاملها مع الكمبيوتر الذي كان ولا يزال بالنسبة لها آلة وحسب، شبيها بعلاقة حدسية، إنها تكاد لا تخطىء في استقبال تلك الرسائل التي ليس من السهل التعرف عليها عبر الآلة. وهو ما يجعلها قادرة على استخدام الاسطوانة الصلبة الاستخدام الأمثل في اللحظة المناسبة.

"مرحبا." اووه، ليس مرة أخرى. آنا مارغوتي، قلبك يقفز من غلافه بسبب الفزع الذي تملكه ويخرج عن إيقاعه. ما أنْ تضع يدها على أكرة الباب حتى تشعر بمقاومة خفيفة، أثر من طاقة في الجهة الأخرى، وعندما يندفع باب العمارة ناحيتها يصبحان قريبين من بعضهما حتى ليكاد جسداهما أنْ يصطدم أحدهما بالآخر. عسى ألا تغيب عن وعيها مرة أخرى.

"مرحبا"، أحيانا تساعد كلمة يقولها الإنسان في الوقت المناسب على منع أحاسيسه من الهروب.

"يا لها من مفاجأة!"

"المفاجأة ليست كبيرة جدا، فأنا انتظر منذ ساعات وراء هذا الباب. فكرت، لابد وأنْ تعود في وقت ما إلى البيت."

تضحك آنا وحواسها لم يصبها أي شيء. "هل تبالغ هكذا دائما؟" في هذه المرة تريد أنْ تقوم بكل شيء بشكل صحيح. "من أنت؟"

"حسب الحال." ينغلق باب العمارة وهما لا يزالان واقفين قبالة بعضهما.

"أقصد هل عندك أيضا اسم تدعى به، أم أنك شبح يتحول أحيانا إلى صخرة."

"هذا أحد الأمور الممكنة. ولكن يبدو أنني صخرة تصبح إنسانا أحيانا. عندها يكون اسمي حكمت، حكمت ايفردي"، يقول ثم يحني رأسه فقط.

"ايفردي؟" ألم تقرأ هذا الاسم في مكان ما.

"حرفيا يعني ذلك: هو الذي أعطانا القمر."

"القمر، لماذا القمر بالذات؟"

"للقمر معان كثيرة، وهو يلعب دورا مهما لدينا."

"حقا؟"

"أما أنت فآنا مارغوتي، هذا مكتوب على باب شقتك على الأقل."

تومئ آنا برأسها. لا يزال الجو بارداً، أبرد مما يكون عادة في مثل هذا الوقت من السنة. عليها أن تتصرف في هذه المرة بشكل أكثر ذكاء..

"ألا تريد أنْ نشرب معاً فنجاناً من الشاي في مكان ما؟"

"على قدر ما تريدين من الفناجين."

يستدير حكمت أيفيردي ويشير إلى المحل المقابل بانحراف قليل. "ما رأيك بهذا؟"

تومئ آنا موافقة. "امنحني عشر دقائق لا غير، سأقوم فقط بحمل شيء ما إلى شقتي فوق." إنها لا تزال تحمل الكمبيوتر الصغير معها أينما تذهب، يا له من أمر غبي!

"إلى اللقاء بعد قليل."

يدور حكمت حولها لكي يفتح لها باب العمارة من جديد، هذه المرة من الخارج.

معطفه يكاد يصل إلى كعب قدميه. وعندما يستدير فجأة يتحرك شعر رأسه أيضاً حركة تشبه الدائرة.

ترتقي آنا السلم بسرعة فائقة، قلبها يخفق بشدة وفي الشقة ولا تستطيع أنْ تجد أحمر الشفاه في أي مكان. أحياناً يمكن للمرء الاعتماد على الصدفة أكثر من أية حسابات مهما كانت مفصلة. تمشط شعرها ثم تبحث عن محفظة نقودها، وعندما يرن جرس التلفون لا ترفع السماعة، لا أحد في البيت، لم يعد يوجد أحد فيه.

وهي على السلالم مرة أخرى يتبادر إلى ذهنها بأنه قد يكون هاوجسدورف الذي اتصل. الآن لم يعد من الممكن عمل شيء، سيتصل مرة أخرى. من يعرف كم هي الساعة الآن في واشنطن ربما هو الآن في استراحة الغداء. أما هي فعليها أنْ تركز على شيء آخر، فما يتركه المرء يفلت من يديه للمرة الثالثة يضيع نهائياً.

"حكمت، هل هذا هو اسم فقط، أم أن له معنى أيضاً؟" أبخرة كثيفة من

الدخان والأحاديث تحوم في فضاء المقهى، تتراكم فوق بعضها وتتجمع مثل غيمة مرئية مسموعة.

"نعم، قبل كل شيء الحكمة، ألا يراها المرء مرسومة على وجهي؟"

"ليس بالضرورة، وماذا أيضا؟"

"المعنى الخفي، ولكن أيضا القدر الإلهي."

"ألا يثقل عليك أنْ تتحرك في الأرض باعتبارك قضاء الله وحكمته؟"

"كما يمكن أنْ يعني شيئا آخر تماما."

"مثلما خطر على بالي أيضا."

"مثلا عندما تضع أمي إصبعها على أنفها وتقول حكمت! فإنها تعني يا للغرابة! أو يا له من أمر شديد الغرابة!"

"هذا يناسبك أكثر."

"ومن أين تعرفين تلك؟"

"الشيء الذي يميزنا نحن البشر عن الكومبيوتر هو القدرة على الحدس والتخمين."

"هذا يعني بأن هناك شيء ما يخطر على بالك بخصوصي."

لا تكف أنا عن تحريك شايها بالملعقة حتى ليبدو وكأن الفنجان يدور بأكمله. عندما انتقلت أنا للسكن في هذا الحي دخلت بضع مرات هذا المقهى المسمى كعكة الزبدة إلا أنها لم تعد إليه منذ فترة طويلة. هاوجسدورف معتاد على التردد على مقاه أخرى عرف فيها كزبون دائم. أما يوسف أو فرانتيشيك فتلتقي أنا بهما بالقرب من دور السينما في مركز المدينة، ومع تيريزا تذهب في الغالب إلى محلات الآيس كريم بالقرب من المؤسسة أو على قناة الدانوب.

"هذا المقهى يعود لرجل من بلدي." تمهد الكلمة لسؤال آخر.

"وأي بلد هو بلدك؟"

"سؤال جيد. أنا ولدت في تركيا، أما نشأتي فكانت بشكل عام هنا."

"يبدو أن الرجل من بلدك يمتلك روح الدعابة."

"هل بسبب كعكة الزبد؟ هذه إشارة خفية لعدة قرون من الحضور الحضاري

للأتراك هنا. لقد جئنا بهلالنا معنا، وقد أصبح هنا شيئا قابلا للأكل."

الآن فقط تنتبه أنا إلى السلال الصغيرة الموضوعة فوق كل الطاولات والتي تحوي على قطع من هذا الكعك على شكل هلال. يتناول حكمت واحدة منها ثم يقدمها لها، يقتسمانها وهما يضحكان ضحكة مرتبكة.

"وماذا كنت تفعل حقيقة في العمارة عندنا؟" الكعك طري أيضا، شئ عظيم.

"يوجد في الطابق الخامس رجل تركي عجوز لا يغادر البيت إلا نادرا، وهو يسكن مع ابنته التي تعيش هنا منذ فترة طويلة. بعد وفاة زوجته لم يبق من العائلة من يعتني به. لهذا السبب جاءت به ابنته إلى هنا. وهو يعيش الآن في غرفة مؤثثة على نسق غرفته في استانبول بالضبط. أبنته تطبخ له الطعام نفسه الذي كان معتادا عليه. في أحيان قليلة فقط يتذمر قليلا لأن الطماطم لا طعم لها أو لأن القهوة محمصة أكثر من اللازم."

"وهل هو صديقك؟" أنا تفكر بالعلاقة التي يمكن أنْ تجمع حكمت بهذا الرجل الكبير في السن.

"إنه أستاذي"، يأخذ حكمت رشفة من الشاي ويصدر صوتا عاليا بعض الشيء، "الذي يعلمني الكتابة."

ليس من المعقول أنْ يكون أميا، تفكر أنا مع نفسها. فكما تعرف من المعلومات المخزنة في باسيبيوس فإن نسبة الأميين مرتفعة بين المهاجرين الأتراك. ولكنه نشأ هنا!

"يعلمني الكتابة بالخط القديم. فاللغة التركية كانت تكتب فيما مضى بحروف عربية. وأنا أرغب كثيرا في أنْ أطلع على ما كُتب بهذا الخط. وإنْ كان هذا ليس هو السبب الوحيد الذي يجعلني أجيء لزيارة حمدي بك."

"ماذا يمكن للإنسان أنْ يأخذ من الكتابة أكثر من القدرة على فك رموزها؟"

تحول أنا، أو بالأحرى حاسوبها كل يوم كمية هائلة من الأرقام إلى كلمات مكتوبة.

"الأمر يتعلق بالفن."

"الفن؟ كيف؟" حتى وإنْ كانت أنا تصغي بانتباه، إلا أنها لا تستطيع أنْ تفهم

أية علاقة يمكن أن تكون للخط العربي بالفن.

"الكتابة بخط جميل هو نوع من أنواع الفنون. كان العثمانيون متخصصين بذلك، هذا يعني أنهم برعوا في هذا الفن بالذات أكثر من الفنون الأخرى. وهذا هو سبب اهتمامي به، وحمدي بك هو الأستاذ الوحيد الذي أعرفه."

"لم أكن أعرف أبدا أن أستاذا في فن الخط العثماني يسكن في عمارتنا، ماذا قلت؟"

تحاول أنا أنْ تتصور وجه الرجل العجوز متخيلة بأنها لا بد وأن تكون قد التقت به من قبل ما دام يسكن في نفس العمارة معها. فحتى وإنْ كان لا يخرج كثيرا، إلا أنه لابد لرجل عجوز أيضا أن يخرج مرة من البيت لزيارة طبيب أو جهة رسمية ما.

"كان اسم العثمانيين يطلق على الحكام، ولكن أيضا على سكان الإمبراطورية، وذلك في زمن لم يكن يشكل فيه فرقا كبيرا أن يكون المرء تركيا أو كرديا، يونانيا أو جركسيا، أرمنيا أو تركمانيا، ما دام الواحد منهم لا يعد من الكفار. ولكن هذه قصة أخرى هي جزء من تاريخ الإمبراطورية نفسه."

تكتشف أنا بالرغم من باسيبيوس ثغرات في معارفها لم يفلح يوسف أيضا أن يملأها حتى الآن. بدقة أكبر فإن يوسف هو مخبرها ومرشدها الوحيد في قضايا الشرق الأوسط.

"ثمة أشخاص قليلون فقط يعرفون أن الأستاذ يعيش هنا. وحتى بين الأتراك لا يعرفه إلا المطلعون، وتلامذته طبعا."

"وما الذي تأمل الحصول عليه من هذا كله؟" تتخيل أنا حكمت واقفا أمام حامل اللوحة وهو يرسم بريشته حروفا على قماش الرسم. "اقصد بأي شيء يمكن أنْ ينفعك أن تتعلم الكتابة بخط جميل؟"

يرفع حكمت كتفيه: "لقد قضيت أغلب مراحل تعليمي المدرسي هنا. ومع أننا في البيت نتكلم اللغة التركية فيما بيننا، إلا أنني لا أعرف إلا الشيء القليل عن الماضي، وهو ما يسبب لي شعورا بعدم الارتياح. وفي حالة إنسان مثلي يُذكر من قبل الآخرين بأصله باستمرار، فإن من اللازم عليه أنْ يعرف ما يعني هذا كله."

تبدو الطريقة التي يتكلم بها مثل علامات وقف، صنع صغير يزيد تأثير ما يقال.وفي هذه المسافة الزمنية القصيرة بالذات يظهر ثلاثة رجال يرتدون معاطف مطرية فاتحة اللون ولهم كلهم نفس الطراز من الشوارب، يتحركون داخل المحل وهم يديرون النظر فيما حولهم وكأنهم يريدون التأكد قبل التوغل إلى موقع ما – نعم لقد كان توغلا فعلا – من أنه لا يوجد أي خطر يتهددهم فيه. بعد ذلك يتقدمون إلى البار. بعد تبادل نظرات قصيرة مع الرجل الواقف خلف الصندوق يدخلون خلال الباب الذي كتب عليه "خصوصي."

يتراجع حكمت إلى الوراء وكأنه يريد أنْ يخفي نفسه وراء مشجب الملابس. وفي الوقت الذي لا تزال الدهشة تسيطر على آنا يطلب منها أنْ تجلس بطريقة لا تتيح للرجال الثلاثة رؤيته عند مغادرتهم المحل قدر الإمكان، مضيفا بأنهم سيغادرونه بعد فترة ليست طويلة بالتأكيد، وعندها سيكون بإمكانها أنْ تعود للجلوس بالطريقة التي تريحها. وبالفعل لا تكاد تمضي خمس دقائق حتى يخرج الرجال الثلاثة من الباب الذي كتب عليه "خصوصي" وبعد تبادل النظرات مع الرجل الشاب الجالس وراء الصندوق يغادرون المحل مباشرة. تتسع عينا آنا دهشة حتى ليكاد اللون الأخضر لبؤبؤ عينيها يبدو وكأنه يتوهج بوميض ساطع . "وماذا يعني هذا كله؟"

"في الواقع لا شيء؟ "يقول حكمت بفم شبه مغلق، وكأنه يريد أنْ يقلل من شأن الأمر كله" من الأفضل أحيانا الا يرى الإنسان شيئا وألا يجعل الآخرين يرونه أيضا."

تشعر آنا بالارتياح، لأنه كما يبدو لا يختفي وراء الموضوع شيء كثير، إلا أنها تتظاهر بأنها تعتقد بوجود شيء مثل هذا بالذات.

"مع الأسف فقد كنت آمل في قصة مثيرة."

ومن جديد تسقط عليها تلك النظرة وذلك الوهج البارد النابع من تحت جفنيه.

إلا أنها تتمكن في هذه المرة من المحافظة على ثباتها رغم شعورها بأن تلك النظرة تكاد تحبس انفاسها وتجعل شعورا بالدفء يتدفق متصاعدا من صدرها إلى رقبتها.

"وأنت؟" يسأل حكمت وهو يسحب نظراته عنها ببطء، "كيف تكونين حينما لا ينتابك الشك بأي شيء؟"

"الشك؟"

"اقصد عندما تكونين سليمة النية تماما."

يحدق حكمت فيها، وكأنه قادر بنظراته فقط على استنباط الحقيقة منها.

"يا له من سؤال؟" تقول أنا في حيرة.

"فأنا اعرف عنك كل شيء تقريبا. ليس فقط اسمك وأين تسكنين، أين تعملين وأين تشترين حاجاتك وإنما أيضا مع من تخرجين."

"هل تقصد هاوجسدورف؟" تشعر انا بصدى كلماتها في أذنها وكأنها تمارس خيانة ما. كيف يمكنها أنْ تكشف عن هاوجسدورف بهذه الطريقة !

"وأي أفلام ترين."

"أليس لديك شيء آخر تفعله أفضل من ذلك؟" تحاول أنا أنْ تبدو غير مكترثة قدر ما تستطيع، حتى وإنْ كان قلبها ينتفض في صدرها انتفاضا شديداً. من يكون هذا الحكمت؟

تعيد الابتسامة التي تتسع على وجهه شيئاً من الهدوء إلى نفسها. بعدها يضع إصبعه على فمه ثم يقول: "في الواقع لم يكن ينبغي علي أنْ أقول هذا كله." لا تزال انا مبلبلة الخاطر. أي مجرى ستتخذه المحادثة بينهما؟

"ومن أين تعرف هذا كله؟"

"لقد استخدمت القنوات التقليدية."

"التقليدية؟" لم تعد انا تفهم شيئاً، لا نفسها، ولا لماذا هي متوترة بهذا الشكل، ولا حكمت نفسه، وقبل كل شيء ما يقوله.

"أنت لا تعرفين كيف يحافظ الأتراك على نسائهم وبناتهم. فأي ظل من الشك يمكن أنْ يكون كافيا لجعل العشيرة كلها تتحرك لتقصي الآثار. وهنا لا تبقى حركة لا تُلاحظ ولا طريق خفي."

تشعر أنا باضطراب شديد. ماذا يعني هذا الآن؟

"لقد كنت أتابعك في كل خطوة تخطينها دون أنْ تشعري أنت بذلك. في إحدى المرات فقط كدت أنْ تنتبهي لي. كنت أريد أنْ أعرف عنك كل شيء، أنْ أراك

باستمرار، وإن كان ذلك من بعيد فقط. كنت أريد أنْ أعرف عاداتك، أنْ أعرف كيف تتصرفين عندما لا تشعرين بأن هناك من يراقبك وكنت أريد أنْ أعيش في نفس الوقت الذي تعيشين أنت فيه."

"أمر لا يعقل حقا، أقصد إننا لم نكن نعرف بعضنا."

"لهذا بالذات. وهكذا أصبحت أنا نفسي المخبر السري لرغباتي. وكنت مجبرا على أنْ أراك وأنت تلتقين بأصدقائك ولكن دون أنْ أثير انتباهك."

تشعر أنا فجأة أنها ملاحقة فعلا وتلقي بنظرة إلى المدخل.

"ومنذ متى يجري هذا كله؟"

"منذ أسبوعين بالضبط."

يقول حكمت مبتسما دون أنْ يبدو عليه التردد ولو ثانية واحدة.

"ولماذا لم تكلمني؟"

"هكذا في الشارع ببساطة، لم أجرؤ على ذلك. وما كنت لتستمعين إلي. وعندما خطر ببالي أنْ أقوم بشيء آخر، على كل حال فأنت نفسك تعرفين إلام أدى ذلك. فقد غبت عن الوعي من الخوف، وكاد يحدث لك الشيء نفسه اليوم أيضا."

تشعر أنا وهي تتذكر ما مر بها وكأن كل شعرة من شعر رأسها الأحمر الطويل تهسهس هسيس النار المتوهجة.

"هل ترغبان في شيء آخر؟" تسأل النادلة وهي تنحني على الأكواب الفارغة. في الواقع إنه من العبث طلب شاي آخر، لكنه الشيء الأكثر بساطة. فلماذا إطالة التفكير بما ليس له علاقة مباشرة بهما وبقصتهما؟

تعرف أنا أن هناك شيئا شبيها بخداع الحواس. إذن الأفضل ألا تتحرك كثيرا ما دام كل شيء في بداياته، وإلا فقد يعود كل شيء ليصبح لا شيء من جديد، لا يجوز أنْ تسمح بهذا. ومع ذلك فإنْ عليها أنْ تتحدى القدر. عندما يحرك كلاهما الشاي الساخن في الفنجان تتجرأ أنا على التقدم خطوة أخرى إلى الأمام.

"هذا الأستاذ العثماني، هل هو موجود فعلا في عمارتنا أم أنك اخترعته مثلما اخترعت قصة ملاحقتي والتجسس علي؟"

"هل تريدين أنْ تري ذلك؟"

يخرج حكمت من الجيب الداخلي العريض لمعطفه المعلق محفظة من الورق المقوى بصعوبة. تظهر بضعة أوراق بلون أصفر حائل، خطوط مضطربة، كما تبدو لأنا، باللون الأسود ولطخات تشبه الرماح التي لها عقفات صغيرة بدلا من الرؤوس المدببة.

"هذه حروف متفرقة"، يحرك حكمت إصبعه على خطوط وانحناءات مرسومة على الورقة "الحروف المتفرقة هي ما يتعلمه المرء في البداية، بعد ذلك تأتي حروف لا تسمح بوصلها إلا مع حروف معينة دون غيرها. هذه التنقلات صعبة جدا، وجد الأساتذة الكبار لها حلولا مدهشة."

تشعر أنا وكأن سحرا محسوسا ينبع من هذه الحروف، يذكرها بشيء ما لا تدري ما هو بالضبط. "هذه هنا شيء فريد." يقرب حكمت ورقة من وجهها مرسوم عليها الكثير من هذه الحروف المتصلة ببعضها، والتي تبدو وكأنها تتبع، بما فيها من خطوط وانحناءات ونقاط وتموجات، إيقاعا خاصا بها. "هذه الصحيفة عملها أستاذي ليحدد لي فيها ما يجب علي عمله. وإهداؤه الصحيفة لي فيما بعد يُعد تقديرا كبيرا منه. وتوجد صحائف مثل هذه للأساتذة الكبار. الجامعون يقتنون بالدرجة الأولى الصحائف التي تسمى (كارالاما) والعارفون الحقيقيون يفضلونها على فن الخط. والسبب في ذلك كما يقال يكمن في أن الأساتذة الكبار يعطون لأنفسهم فيها حرية ممارسة أسلوبهم الخاص دون التقيد بالقواعد التي هي صارمة جدا في الواقع."

يحمل حكمت صحيفة أستاذه بيده ويتأملها بتركيز شديد.

تغضن أنا جبهتها. "هل تجمع أنت أيضا مثل هذه الصحائف؟"

"أنا؟ لا مع الأسف، لأني لا أملك لذلك لا الصبر ولا المال الكافيين. أنا أحتفظ فقط بالصحائف التي يهديها لي حمدي بك وأحرص عليها حرصا شديدا. من الممكن أن يعتبر المرء عصمت، أحد أخوتي، من الجامعين. إلا أنه هو أيضا لا يجمع بشكل فعلي، وإنما يأتي معه بين حين وآخر بصحيفة ويعلقها داخل الشقة أو في المحل."

"ما اسم هذا الحرف؟" تمد أنا إصبعها وتشير بتهيب إلى أكثر الحروف على الصحيفة بروزا.

"إنه حرف اللام، شي مثل ل، ويمكن ربطه بحرف الياء، الذي يمكن أنْ يسمى إي أيضا."

"كيف يمكن أنْ يسمى؟ أليست النغمات الصوتية لهذه الحروف ثابتة؟"

يبدو الأمر لأنا محيرا، وكذلك أمر التوصيلات الممكنة والأخرى غير الممكنة.

"بلى، إنها مثبتة في إطار القواعد نفسها. فهذه العلامة يمكن أنْ تعبر عن الصوت أي والصوت يي، وإنْ كان الشكل يبقى هو نفسه دائما. في حين تُستخدم في اللغة الألمانية عدة حروف لذلك. على الضد من ذلك تعبر اللغة الألمانية عن كل شيء بحرف أ، في حين يمكن في اللغة العربية استخدام حرفي الألف والهاء لهذا الغرض."

"يبدو لي الأمر معقد جدا . لذلك فإني أكتفي بالباسك المعهود."

"ماذا؟"

تقوم أنا بإشارة من يدها. "الباسك هي واحدة من لغات الحاسوب، لغة بسيطة."

تتمنى أنا لو أنها تستطيع الجلوس هنا إلى ما لا نهاية. يسري الدفء في بدنها كله. لا تشعر برغبة لا في النهوض من مكانها ولا الذهاب إلى أي مكان آخر. ما تريده فقط هو البقاء هنا، النطق ببعض الجمل، الإجابة على بعض الأسئلة وإلقاء أسئلة غيرها، وأنْ تتعلم تحمل هذا الشعور الذي لا يسمح لها حتى بأنْ تعود بظهرها إلى الوراء.

يقترب وجه حكمت من وجهها، "أنا أستطيع أنْ أتصور في أية مؤسسة تعملين أنت."

"حاسبات الكترونية وبرامج معلوماتية لكل أنحاء العالم." يدهشها أنْ يحمل صوتها تلك النبرة الاعتيادية دون أنْ يصيبه العجز كما كانت تخشى ذلك، وإن كان الخطر في أنْ يحتبس صوتها لأنها تتكلم مع حكمت لا يزال قائما.

"هل تعملين كسكرتيرة؟"

تضحك أنا بمرح.

"للشيء الذي أقوم به علاقة قريبة بالرياضيات، ولكني أستطيع أيضا أنْ أكتب على لوح مفاتيح الحروف دون أنْ أنظر إليها، إذا كان ذلك ما تقصده."

يبدو واضحا بأن حكمت أيضا يستمتع بإلقاء المزيد من الأسئلة عليها. "هل تعدين إيصالات؟"

"أنا أخترع الكمبيوتر، وبالتحديد سوفت وير."

"حقا!" يضع حكمت إصبعه على أنفه، ربما مثلما تفعل أمه حينما تقول حكمت!

"هل يزعجك هذا؟"

يتناول حكمت يدها ويتلمس باطن كفها بشفتيه.

"سأحبك حتى لو كنت آينشتاين شخصيا."

عند منتصف الليل تتمكن أنا أخيرا من النهوض واقفة وهي تشعر بأنها إذا لم تذهب حالا فإنها ستظل جالسة هنا إلى الأبد. قفز قلبها قفزة كبيرة وخلفها وحيدة وراءه دون حماية وكأنها سقطت من نفسها ويجب عليها الآن أنْ تستعين بكل ما لديها من قوة لكي تتمكن من العودة إلى نفسها.

انقضى المساء بسرعة تبعث على الغضب. يدهشها أنْ تجد كل شيء فيها يعمل بانتظام: ردود أفعالها، حركة جسدها، قدرتها على الكلام، وتشعر بأنها تحتاج إلى بعض الوقت لتدرك ما حصل لها فعلا

تقضي أنا وقتا طويلا وهي واقفة تحت رشاش الماء في الحمام. الماء يهدىء بدنها المتعطش إلى يد تتلمسه. من وما هو حكمت هذا؟ هل هو صخرة ملقاة أمام باب شقتها، أم أنه خيال يضلل أحاسيسها. شاب تركي يريد أنْ يجيد الكتابة بالخط العربي؟ فرد من أفراد عائلة ما؟ شخص يتردد على المقاهي؟ شخص له أخ يدعى عصمت؟

وقد تكون له أخت أيضا؟ أو عدة أخوة وعدة أخوات؟ كان عليها أنْ تسأله عن ذلك.

شخص لا يريد رؤية الآخرين، وله مع ذلك نظرة متسلطة ورموش سوداء

طويلة تحرسها؟

"حكمت!" تضع آنا إصبعها على أنفها ثم تذهب للفراش. لا راديو، لا جريدة ولا شيء آخر يمكنه أنْ يصرفها عن التفكير به. تسترجع في خيالها شكل حاجبيه، فمه، أذنيه وتشعر بنمو شعر ذقنه وهي تتلمس بحركة بطيئة جداً منابت شعرها ثم تحرك يدها على عنقها من الخلف وإلى الأمام حتى تصل إلى منخفض الرقبة. آنا تعانق الوسادة وهي تعرف بأنها سترى حكمت، "قريباً" تتمتم لنفسها وهي تغفو.

اتصل هاوجسدورف بالتلفون وقال بأن المحادثات مع الزملاء الأمريكان تجري بشكل جيد ولكنها ستستغرق وقتاً أطول مما كان مقدراً لها. عدا ذلك قال بأنه يريد أنْ ينتهز فرصة وجوده هناك ويقوم بزيارة ولديه اللذين يدرس كلاهما في كلية سويرتمور بالقرب من فيلادلفيا، مما يعني بأن عودته ستتأخر وأن عليها تبعاً لذلك أنْ تقضي أياماً أخرى بدونه.

تجاهد آنا لإخفاء ارتياحها لهذا الخبر. يدهشها كيف أنها قضت الوقت بدونه بشكل جيد. مع ذلك فإنها تفتقده أيضاً بطريقة غريبة لم تكن تتوقعها، وكأنه هو البشرة التي تحمي جسدها وقد أصابها غيابه بجروح تسبب لها الألم. ولكن هاوجسدورف سيعود قريباً فماذا سيحدث؟ من المؤكد أنه سيكون راغباً في أنْ تكون في خدمته من جديد. هراء. ماذا يعني في خدمته؟ منذ متى أصبحت تفكر في نفسها وفي هاوجسدورف بهذه الطريقة؟ لم يحدث أنْ انفصلت عنه فعلياً حتى الآن، ليس أكثر من بضعة أيام. وفي كل مرة كانت تنتظر عودته بفرح. فقط هدية عيد الميلاد التي كان ينبغي أن تكون شيئاً شديد السخونة كانت على العكس مما كان هاوجسدورف يأمل، مخيبة.

يحل الربيع فجأة. تمسح الشمس طاولات المقاهي الحديد الموضوعة في الهواء الطلق وتجعلها ساخنة لأول مرة في هذا العام. تمشي آنا بخفة في شوارع المدينة وكأنها تسير على أطراف أصابعها كي لا تدوس على زهرات فواحة من البنفسج تنبت بين شقوق الإسفلت. كذلك تترك أزرار سترتها مفتوحة وتكشف عن عنقها لكي تعرض بشرتها لأشعة الشمس بعد أن كانت محرومة منها لفترة

طويلة.

اليوم هو السبت. تمر بها أفواج من المعتادين على الذهاب إلى سوق الحاجيات المستعملة والقديمة وهم يتدافعون باتجاه محطة قطار الأنفاق. الكل غارق بأفكاره، فإما أنه يفكر في شيء جديد قديم استطاع اختطافه من بين يدي مشتر آخر أو يشعر بالخيبة لأنه لم يعثر على ما كان يبحث عنه. في الخريف الماضي اعتقدت آنا أيضا بأنها عثرت على لقطة كبيرة: منمنمة من القرن التاسع عشر كانت قادرة على دفع ثمنها. إلا أن شعورها بالظفر لم يدم طويلا. فعلى الرغم من شبه تلك المنمنمة بالقطع التي في مجموعة هاوجسدورف، إلا أنه سرعان ما تبين لها بأنها كانت تقليدا فقط. أظهر هاوجسدورف تأثرا بما قامت به من أجله، إلا إنه ألقى عليها في الوقت نفسه محاضرة أكد فيها عليها ألا تعود مطلقا إلى عمليات شراء من هذا النوع، لأن ما ستدفعه ثمنا لها سيكون نقودا ضائعة.

"ولكن من الممكن أنْ تجد منمنمة أصلية طريقها صدفة إلى سوق الحاجيات القديمة"، قالت آنا في محاولة لعدم التسليم بسذاجتها. ابتسم هاوجسدورف ابتسامة صارمة:

"لا تنسي بأن دستة من تجار التحف القديمة أو وكلائهم قد سبقوك إلى تفتيش كل أكشاك البيع تفتيشا دقيقا بحثا عن صدفة من هذا النوع."

"هل هذا يعني بأنه لا أمل بذلك؟" قالت آنا وهي تلوي فمها قليلا، بعد أنْ كانت تشعر بفخر شديد بنفسها وبلقطتها الكبيرة.

"لا أمل بذلك، الجامعون لا يعرفون الرحمة."

في هذه اللحظة يمد أحد المارة يده إلى المكان الذي اعتاد أن يحمل فيه محفظة نقوده ويتملكه فزع شديد عندما يكتشف بأنه لم يعد هناك سوى جيب بنطلون مقطوع الزر. بينما يعمد شخص آخر إلى مده في الحال بالنصائح عن الجهة التي عليه أنْ يتوجه إليها وفي أي مكان يمكنه أنْ يبلغ عن السرقة. فحسب رأيه أن ما جرى سرقة بلا شك.

تريد آنا شراء شيء من الفاكهة والخضر وحسب وتمر بأكشاك الباعة في

سوق الأطعمة وهي مستغرقة في النظر إلى أهرام بنيت بشكل جميل من القرنبيط، الملفوف، البروكولي تزينها قطع لماعة من الفلفل الأصفر والأحمر والأخضر، تحتها ثمار الأفوكادو بلونها الأخضر المسود واللون الفاتح للفت في أول موسمه تحيطها قطع من الجزر البرتقالي اللون مع أوراقه المريشة الرقيقة الخضراء وقطع أخرى من الكرنب وفي المقدمة أرضي شوكي مصري، وقريبا من الجانب المخصص للفواكه توت أرضي اسباني، عنب من الكاب، وكريب فروت إسرائيلي.

تفكر انا، "ما أغرب أنْ أذهب إلى هذا الكشك بالذات وليس إلى الذي يليه أو إلى الآخر الذي على اليسار رغم أن كلاهما يعرض البضاعة نفسها؟ كيف يستطيع الإنسان أن يتخذ قرارا معينا بدون تردد؟"

"يستجيب الإنسان لصوت داخلي"، لابد أن هناك من يستطيع قراءة أفكارها ويخاطبها من وراء منصة البيع ثم يضيف قائلا: "ولاشك أنه أمر حسن أنْ يصغي المرء إليه."

ترفع انا بصرها في حيرة إلى وجه ما، وجه حكمت، رأسه وحاجباه فقط حليقان. كما أن الرجل أقصر من حكمت وأكبر منه قليلا وأكثر نحافة. ولكن ابتسامته تجعل الشبه بينهما شديدا.

"هل اذكرك بأحد ما؟"

شيء غير ممكن، أنْ يكون لهذا الرجل هذه القدرة على النفاذ إلى أفكارها! وجهه يبدو وكأنه يدعو الآخرين للنظر إليه بدون أنْ يسبب له ذلك إزعاجا، أو وكأنه يتعمد أنْ يبقيه مفتوحا، مفتوحا مثل باب يقود إلى عالم يلقى الإنسان فيه ترحيبا كاملا. تحدق انا بالرجل وهي لا تستطيع صرف بصرها عنه بنوع من الفضول الطفولي وكأنه سيتفوه توا بما هو حل لكل شيء. لأي كل شيء؟

يقابل الرجل نظرتها بنظرة منه دون أنْ يتوقف عن لف قطعة من الورق إلى قرطاس، ويسمح لها بأن تنظر إليه مثل شخص معتاد على أنْ يواجهه الناس بنظراتهم، وهو في حالة استعداد لتلبية طلباتها ولكن دون أنْ يحثها على ذلك ولو بقدر بسيط.

تتمنى أنا أنْ تقول شيئا، "نصف كيلو طماطم" مثلا، أو "هذه البطيخة المخططة"، ولكنها تشعر وكأنه لا انتهاء لهذه اللحظات من التحديق، وذلك بنوع من البديهية لا تستطيع أنْ تبدي تجاهها أي قدر من المقاومة. بل تشعر بالعكس بأنها كلما أطالت النظر إلى هذا الوجه الشبيه بوجه حكمت، كلما ازدادت إحساسا بأن ذاتها تنفتح وتخرج هي من جسدها ببطء ثم تصل عبر هذه النظرة إلى فضاء شديد الاتساع.

بعد فترة يجيء حكمت نفسه وهي تسمع أولا صوته وهو يخترق هذه النظرة، صوته الذي يقول لها مرة أخرى "مرحبا"، وبعد ذلك يظهر وجه حكمت إلى جانب الشكل الشبيه بحكمت ليعيدها من جديد إلى كل تلك الخضر والفواكه. ترى نفسها واقفة قبالة رجلين، يقول أحدهما "كنت أعرف بأنك تبحثين عنه"، في حين يقول الآخر: "هذا أخي عبدال."

"كنت أريد فقط شراء قليل من الفاكهة لنهاية الأسبوع"، تقول متلعثمة.

"جميل جدا أنْ أراك." ينتقل حكمت إلى جانبها ونظرته تعبر عن شيء من الحيرة.

يخلع مئزر البيع الأخضر. من المؤكد أنه لم يكن يتوقع أنْ يلتقي بها هنا. "أنا أساعد في المحل أحيانا، ففي أيام السبت يكون العمل كثيرا."

عند التمعن به يتأكد للمرء بأن الكشك من أكبر وأكثر الأكشاك في السوق امتلاء بالبضاعة. يسحبها حكمت إلى داخل المحل الواقع خلف كشك الفواكه والخضر.

"وهذان هما أخواي متين وعصمت." رجلان آخران يبتسمان لها.

"أنا، الفتاة التي تخترع الكمبيوتر."

يرد الأصغر فيهما والذي يدعى عصمت وقد ارتسم على وجهه تعبير الإعجاب "نحن سبعة اخوة." وكأن هذا شهادة على رجولته هو شخصيا.

"سبعة اخوة وهو أصغرنا"، يضيف قائلا وهو يمرر أصابعه بحركة مرتبكة على رأس حكمت. حركة تبدو، رغم كونها غير موفقة تماما، وكأنها محاولة لفرض نوع من الوصاية عليه. أو وكأنه يريد أنْ يقول: نحن سبعة اخوة، وكلنا

رجال حقيقيون، فلماذا يجب أنْ يكون هو بالذات الذي حظي بك؟

على العكس من ذلك يفسح حكمت المجال لها بحركة واسعة من ذراعه وكأنه يريد هو الآخر أنْ يقول بأن أمرها من شأنه هو وحده وليس من شأن أحد غيره.

"ألا يوجد المزيد من الشاي؟" يقول حكمت بلهجة لائمة وهو يهز السماور، وكأنه يحمل اخوته الذنب بأنه لا يستطيع أنْ يقدم لها، هي ضيفته، فنجانا من الشاي.

"متين؟" ولكن متين يتظاهر بعدم السماع وهو يركز نظراته على آنا، محاولا اختبار حظه لدى فتاة الكمبيوتر هذه والتي هي إضافة لذلك حمراء الشعر.

"عصمت؟"، ولكن هذا أيضا مشغول بنفسه، "اذهب إلى الباي فربما تجد عندهم شايا."

"عبدال؟" الأخ الذي يقف عند البرتقال حاملا قرطاس الورق في يديه يلتفت إلى حكمت.

"ألا تريد أنْ تأتي بفنجان من الشاي لآنا؟"

نظرة عبدال لا تزال تبدو وكأنها تعد بالعالم كله. يومئ عبدال برأسه.

يجد حكمت نفسه في موقف الدفاع مع متين وعصمت فقط، الدفاع عنها هي. آنا تفهم ذلك. تفهم أيضا لماذا يبدأ حكمت بمخاطبتها فجأة بصيغة المفرد. بهذا يحاول أنْ يضع حدا لاعتقاد الآخرين بأن لهم هم أيضا حق فيها. وأن يكون منذ البداية واضحا لهما، حتى وإن كانا غير قادرين على استيعاب ذلك، بأنه هو أصغرهم قد أصبح صديقا لفتاة مثل آنا، التي يشع شعر رأسها الأحمر في الشمس اشعاعا يكاد يعمي بصرهما.

"هل تريدين سكرا، آنا؟"

عندما يعود عبدال بالشاي تلاحظ آنا أنه يعرج. يرفع كوب الشاي من فوق الصينية الصغيرة ويضعه أمامها، يتأملها بهدوء وكأنما جاء الآن دوره ليمعن النظر فيها، ثم يمد يده ويمسك بشعرها. يمسك حكمت بذراعه ويبعده عنها ثم يقول له وكأنه يتكلم مع طفل صغير: "دع هذا."

"كنت أريد فقط أنْ أتأكد فيما إذا كان شعرها أكثر حرارة من الشعر

الاعتيادي."

لا تستطيع أنا أن تكتم ضحكتها. لم يرد أحد قبله أنْ يعرف هذا منها. تأخذ خصلة من شعرها وتقدمها لعبدال، "لا ادري، ولكني لا اعتقد أنه كذلك."

يمسك عبدال بخصلة الشعر ويضعها على شفته العليا متحسسا إياها مثل أم الطفل الرضيع التي تختبر فيما إذا كان الحليب في زجاجة الرضاعة قد وصل إلى درجة الحرارة المطلوبة، ثم يترك شعرها يسقط قائلا: "نوعا ما."

يشير شخص ما من خارج المحل إلى الخس. فيتبادل متين وعصمت النظر ثم ينهض عصمت لخدمة الزبائن وهو يزفر زفرة استسلام، المقصود منها إشعار حكمت بأن عليه أن يتنازل طواعية عن فرصته الشخصية بصورة مؤقتة ويمضي لخدمة الزبائن. على العكس من ذلك لا يكف متين عن المحاولة. "هل تعرفين استخدام الكمبيوتر؟"

"قليلا." تدرك أنا اللعبة التي تدور حولها.

"ألا تريدين أنْ تأتي للغداء معنا في البيت وإلقاء نظرة على كومبيوتري أيضا؟ ما رأيك بذلك أيها الأخ الصغير؟" ماهرة فعلا الطريقة التي يسأل فيها حكمت لكي يضمن تأييده دون أنْ يكون عليه أن يتنازل عن مطالبه الذاتية التي يتمتع بها كما يبدو كأخ أكبر سنا.

"ولم لا؟"

والآن أصبح من شأنها هي أنْ توافق أو لا توافق، هل هزت رأسها بالموافقة دون أنْ تشعر؟

"نحن ندعوك بكل سرور للغداء معنا، أما موضوع الكمبيوتر فإنه مجرد ذريعة، أليس كذلك يا متين؟ من المؤكد أنك لا تريد أنْ تكلفها بعمل وهي ضيفة عندك؟" يضحك متين "طبعا لا، هل ستأتين فعلا؟" تتردد أنا، تنقل النظر من متين إلى حكمت ومن حكمت إلى متين ثم إلى عبدال الواقف بينهم هكذا. ينتابها شعور بالفضول.

طبعا تشعر الآن بالفضول، إلا أنها تريد أيضا أنْ يحثوها أكثر على قبول الدعوة.

يخرج متين تلفونا محمولا من جيب قميصه. "تكرمي علينا بهذه الزيارة، سأتصل الآن بوالدتنا لكي تتهيأ لذلك." يدير الرقم دون أنْ ينتظر جوابا منها ثم يتكلم بلهجة سريعة وبصوت عال بلغة لا تعرفها. والدتهم؟ إذن هي لا يمكن أنْ تكون إلا تلك المرأة التي تضع إصبعها على أنفها عندما تقول "حكمت!" تشعر آنا أن الأمور تسير سيرا سريعا جدا! تنظر حولها طلبا للمساعدة ولكن حكمت يرفع كتفيه ضاحكا فقط.

"إنني لا أستطيع هكذا ببساطة..." إنها محاولتها الهادئة الأخيرة.

"أنك تستطيعين طبعا."

يحاول حكمت أنْ يفهم بأذن واحدة ما يطلب المتكلم في الطرف الآخر من الخط التلفوني القيام به. يغلق متين غطاء التلفون المحمول، "كما قلنا لك فإن أمنا تسعد بقدوم أي ضيف"، ثم يلتفت إلى حكمت ويقول له بنبرة آمرة: "عليك أنْ تأخذ معك كعكا للشاي وحلويات أيضا، أنت تعرف من أين."

"سأذهب حالا." يفتح حكمت درجا ويأخذ منه نقودا. ينظر إلى ساعته. "خلال نصف ساعة سينتهي العمل هنا، والسوق أصبح هادئا على كل حال."

"سآتي معك." يصبح صوت آنا حاسما كما هو حاله دائما. حكمت يمسك بيدها، إشارة واضحة لمتين. "وفي هذه الأثناء ستقومون أنتم بالاستعداد لإغلاق المحل." نبرة حكمت في الكلام تجعله يبدو وكأنه قد أصبح للحظة من الوقت هو رب العمل هنا، ومتين ينهي الموضوع بابتسامة متسامحة.

عندما يغادر حكمت وآنا المحل وهما يمسكان بأيدي بعضهما يهتف عبدال خلفهما "الهلال والنجمة، مثل الهلال والنجمة."

"إنه مجنون"، يهمس حكمت بالقرب من أذنها وهو يضغط على يدها. "مجنون وعاشق."

تفكر آنا بوجه عبدال الذي يبدو مثل باب مفتوح.

"عاشق لمن؟"

"أعتقد لله." يسحبها حكمت وراءه خلال زحام الناس المغادرين لسوق الحاجيات القديمة عبر سوق الأطعمة.

يخيل لآنا أنها لم تسمع جيداً. "لله؟"

"هذا ما يقوله هو." يبدو على حكمت أنه لا يفهم ما الذي يدهشها هكذا. يتوقف عند محل لبيع الحلويات. تسحب آنا يدها من يده "سأذهب لشراء باقة ورد." إنها تعرف محلاً قريباً من هنا.

"ورد! لماذا ورد؟"

"لوالدتك." بدأت هي أيضا تخاطب حكمت بصيغة المفرد، الأمر الذي يجعلها تشعر بدغدغة خفيفة في رئتيها.

"هل أنت متأكدة أن هذا ضروري؟"

توجهت انا فعلا إلى محل بيع الزهور. ترى من بعيد يوسف وصديقه الصيني الشاب واقفين امام كشك لبيع الدجاج وكلاهما يحمل العديد من الأكياس المتلئة بالخضر. سمعت بأن هذا الصيني طباخ ماهر جدا، هذا ما ادعاه إيفو على الأقل. اه يوسف، هل تستطيع أنْ تقول لي فيم وقعت أنا؟

"ما بك يا أنا؟" تضع بوني ذراعها حولها وتهزها قليلاً. إنه مرة أخرى العرض الافتتاحي في المسرح الارتجالي، موعد لابد من الالتزام به. لا يوجد في هذه المرة اي أثر لهاوجسدورف، لا هنا ولا في اي مكان آخر. لقد سافر مع أولاده لبضعة ايام إلى نيويورك. هل كان قد خطط لهذا الجزء من السفرة منذ البداية دون أنْ يقول لها شيئا عن ذلك، أم إنها إجازة عفوية فعلا؟ ولكنها لا تستطيع أن تتصور انه يستطيع أنْ يبعث فاكسا من الولايات المتحدة طالبا فيه بكل بساطة من الوزارة الموافقة على تمديد سفرته. إذن لابد أنْ يكون قد حضر لذلك من قبل.

ولكن لماذا لم يقل لها شيئا عن الموضوع؟ هل كان يخشى أنْ تطلب منه أخذها معه فيتعذر عليه أنْ يقضي بضعة الأيام هذه وحده مع أولاده؟ مهما يكن فالاضطراب الذي تعيشه الآن يكفي. وهذا اليوم يبدو أطول يوم في حياتها، وستحتاج إلى أيام كثيرة أخرى لكي تستطيع أنْ تتذكر تفاصيل كل ما جرى فيه. أم أن كل ما حدث جرى في حياة أخرى غير هذه؟

تستحضر أنا أمام عينيها أصابع قدمي المرأة العجوز، أظافرها النابتة في الجلد، البشرة المتقرنة، المناطق التي ترك عليها ضغط الحذاء آثارا وقد جعلها

ماء الصابون رخوة، العظام البارزة لطرف القدم الأعلى التي تكون مثلثا يمتد على طول القدم كلها. ترى بطن الساق الممتلئة منزوعة الشعر، الركب البيضاء المدورة وفوقها التنورة السوداء والقميص الأسود وقد ملأته الأثداء التي أرضعت سبعة من الأبناء. وجه جامد التعبير بحاجبين مستقيمين مشذبين بعناية وشال من الموسلين الأبيض الذي يغطي الجزء الأكبر من رأسها والذي تقوم بتثبيته وراء أذنها مرة بعد أخرى.

مخلوق من زمن آخر، جالس بعظمة على أريكة مغطاة ببساط ثمين، متكيء على مجموعة من الوسائد ويتكلم بالإشارات أكثر من الكلمات ويتمعن في المقابل بنظرة عميقة قاتمة متمكنة من قراءة الوجوه. حين تقدم لها انا الزهور تقول المرأة العجوز بصوت هامس "شكرا، شكرا" وتشعر آنا بيد صغيرة مدورة تستقر على جبينها، ثم فرقعة بالأصابع فتأتي فتاة صغيرة ترتدي صدرية عمل منزلي تصل إلى ما تحت ركبتيها لتناول باقة الزهور.

أغلب الأكلات موضوعة مسبقا على الطاولة تكون تناقضا لونيا بارزا مع مفرش المائدة الأبيض اللون: فلفل أخضر بالزيت، سلاطة من خليط من الزيتون والخيار والطماطم وجبن الغنم، باذنجان مقلي، سلال مملوءة بقطع من الخبز الأبيض والفواكه.

اللحم وحده يتم إعداده حالا، من قبل الأبناء. يدخل عصمت وهو يحمل طبقا عليه كمية كبيرة من كوتليت الخروف.

"ألا تأكل أمك معنا؟" لم ينتبه حكمت لسؤال انا، فيجيب متين بدلا عنه، "آه، لا، إنها مشغولة جدا بأنْ يكون كل شيء على ما يرام."

وفعلا ما أنْ يكاد يفرغ أحد الصحون حتى تصدر إشارة للفتاة، التي إما أنْ تكون غير قادرة على الكلام مطلقا، أو أنها على الأقل غير قادرة على التكلم بالألمانية، لتملأه من جديد.

رجل مسن، أحد الأعمام أو الأخوال، كان حاضرا للزيارة أيضا. اثنتان من أسنانه الأمامية مصنوعتان من الذهب، ويبدو أنه هو الآخر معجب بشعر انا وهو يضحك بوجهها بنفس تعبير المرح الذي يثيره شعرها عند بعض الناس.

وبالرغم من أن الرجل يقول شيئا باللغة التركية إلا انها تعرف بأنه يعلق بشيء ما بهذا الخصوص.

الشقة هي واحدة من تلك الشقق قديمة الطراز بغرف واسعة عالية الجدران متينة البناء. تبرز من سقف الصالون زخارف من الجبس تنتهي سلسلتها بدائرة علقت فيها شمعدانات من النحاس. ولكن بدلا من شموع حقيقية كان الضوء يصدر من مصابيح كهربائية لها شكل الشعلة.

يضحك الاخوة ويثرثرون كثيرا مع بعضهم ويدخنون سيجارة بين كل صنف وآخر من أصناف الطعام ويوضحون لآنا طريقة إعداد هذا أو ذاك من الأطباق، مؤكدين على أهمية أنْ تكون المكونات "ناضجة"، مختارة بعناية وأنْ يتم طبخها بتروٍ.

يجري يتناول الطعام ببطء ويستغرق فترة طويلة تسمع آنا خلالها الكثير من القصص، حدث بعضها أثناء طفولة "أصغرهم"، والذي لا يسميه أحد باسم حكمت وإنما بـ"الأصغر" فقط. بعد ذلك تبدي آنا استعدادها للمساعدة برفع الأطباق من المائدة، إلا أن المرأة العجوز تعبر عن رفضها الشديد بإشارة قاطعة من يدها. عدا ذلك فإن الفتاة خفيفة الحركة جدا، وتأتي بالقهوة بعد انتهاء الغداء مباشرة.

تدرك آنا تدريجيا بأن ما يقدم على خشبة المسرح هو معالجة حديثة لحكاية "اوغسطين الطيب." وهي تعرف أغلب الممثلين من عروض سابقة. ولأنهم يرتجلون النص، فإن الممثلين يميلون من أجل إبراز الشخصية إلى التركيز بشكل أقوى على شكل النص.

تتمكن آنا من توزيع مداركها في مجريين. ففي الوقت الذي تتابع فيه مثل الآخرين باستمتاع فيض الكلمات التي يلقيها أوغسطين، فإنها ترى في الوقت نفسه السطل أمام عينها وفوقه البخار الكثيف للماء المذاب فيه الصابون وعلى الكوموديتو صورة الرجل الضخم بشاربه الكث وحواجبه المتمردة وهو واقف أمام مايكرفون يلقي كلمة لا يرى المرء إلى من يوجهها، ولكن يمكن من ورائه تمييز علمين معلقين إلى جانب بعضهما، العلم النمسوي بلونين أحمر، أبيض،

احمر، وعلم أحمر اللون بهلال ونجمة بيضاء. حسن أيفيردي، تاجر خضر وفواكه، صاحب شركة استيراد صغيرة، بالدرجة الأولى للمكسرات وأيضاً الفواكه الطازجة وخصوصاً الفواكه من المناطق المدارية، والد حكمت، عصمت، متين وعبدال، أما أسماء الثلاثة الآخرين فلا تعرفها آنا إلا إذا كان حيدر واحداً منهم.

"بعد يومين من ذلك كان ميتاً"، يقول عصمت وهو يرفع الصورة لآنا من على الكوموبينو ثم يتأملها هو نفسه قليلاً قبل أنْ يعيدها إلى مكانها مرة أخرى. المرأة الجالسة على عرشها تمسح عينها ثم تتمتم بشيء يقع صداه في أذني آنا شبيهاً بعبارة "رحمه الله" باللغة التركية.

"هل كان مريضاً؟" تتساءل آنا مثلما يسأل المرء عادة، بصوت خافت محمل بالأسى، وتشعر بالفزع عندما يرد عصمت صارخاً: "أبداً، لقد قتل، قتله هؤلاء الكلاب."

تقول المرأة العجوز شيئاً وهي تكز على أسنانها بينما يحاول متين والعم تهدئته.

"لقد كان حادثاً" يقول متين لآنا، "التباس فظيع كانت نتيجته الموت." ثم يبدأ هو الآخر بالإلحاح على عصمت بأنْ يهدأ.

"بنغ، بنغ"، يقول عبدال وهو يضع يده على قلبه. توقعت آنا أنْ يقوم حكمت بتوضيح الأمر لها ولكنه يغطس فقط رأسه بين أكتافه وهو يتمتم بالكلمات الغامضة عن قصة طويلة معقدة سيقوم بتوضيحها لها في وقت آخر.

"حادث؟" يصرخ عصمت وهو يهب واقفاً "إن الحوادث كما يبدو أمراً عادياً عندنا، طبعاً يمكن للمرء أنْ يسمي كل شيء حادثاً، ومن ذلك ما جرى لحيدر في سيفاس."

وبهذا يتوغل بالحديث أكثر مما هو مستحب. يهجم عليه الجميع فجأة، وكلهم يتكلم باللغة التركية. إلا أنْ المشادة الكلامية تخمد فجأة مثلما اشتعلت ويعود عصمت للجلوس في مكانه قرب الكوموبينو ثم يبقى معتصماً بالصمت حتى النهاية. لكن آنا تشعر بأنهم لم يجبروا عصمت على السكوت بسببها هي فقط.

تسترق النظر فيما حولها.

إضافة إلى الكومودينو الموضوعة عليه صورة ايفيردي الأب وطاولة المائدة الضخمة يوجد أيضا البوفيه الذي حشرت فيه كمية كبيرة من الأطباق، ثم بعض الفوتيلات المغطاة مثل الأريكة الكبيرة ببساط من نفس النوع ومنضدة صغيرة مطعمة. على الجدران علقت أطباق ثمينة كما يبدو من البورسلان بينها صور مؤطرة ومغطاة بالزجاج الذي يعكس الضوء المسلط عليه بشدة، فيصعب على آنا تمييز ما تمثله الصورة.

عندما تنحني إلى الجانب الآخر فقط تعتقد أنها تميز رجلا يظهر حتى وسطه وقد وضع على رأسه قلنسوة بيضاء عالية، يمسك بإحدى يديه ظبيا وبالأخرى أسدا.

"هل تريدين قهوة أخرى؟" حين تهز انا رأسها نفيا يشير حكمت إلى الفتاة الصغيرة أنْ ترفع فنجانه أيضا. "لقد حدث ذلك قبل أربع سنوات"، يهمس حكمت وهو يلقي نظرة ناحية الكومودينو.

"هل تتقنين العمل على الكمبيوتر فعلا؟" العم أيضا يعرف الموضوع ويضحك لها وهو غير مصدق. أولا الشعر الأحمر ثم الكمبيوتر. يهز رأسه في سره، في حين يستعد الكل للنهوض من المائدة بتثاقل.

يبدو أن متين عاد لتذكر موضوعه. "ألا تريدين أنْ تلقي نظرة على جهازي؟ إنه مضرب عن العمل، ولابد لي أنْ أدخل فيه مدخول اليوم." تتبع آنا متين إلى غرفة جانبية جُعلت مكتبا.

على الطاولة وضع حاسوب جديد، أحدث ما هو موجود، وقادم لتوه من السوق، ومن أرقى الموبيلات طبعا. يرجوها متين أنْ تجلس إلى جانبه ولكن انا تفضل البقاء واقفة لكي تستطيع أنْ تشرف على الجهاز من فوق. "أنا، أعرف أنني الآن مثل من يطلب من جراح أنْ يخيط له زرا، ولكن مشكلتي هي الآن مع الأزرار."

"ومع أي منها؟"

يشرح متين لآنا مشيرا إلى هذا وذاك ويرتكب أخطاء يقع فيها المبتدئون

عادة، إلا أن آنا لا تستطيع مع ذلك التغلب على شعورها بأنه يتظاهر بالجهل أكثر مما هو عليه في الواقع. تتبادل هي ومتين الأماكن و تشير له بحركات لطيفة من أصابعها إلى ما يريد هو أنْ يعرفه منها. تملك آنا خبرة واسعة بنزوات الحاسوب وهي بذلك قادرة على التمييز بين مشكلة حقيقية أو مصطنعة. وقد خيل لها للحظات بأن لديها سببا للاعتقاد بأن قدراتها هي الموضوعة الآن تحت الاختبار وليس الحاسوب ونزواته. ولكن ها هي تضبط متين وهو يرتكب خطأ حقيقيا، إنه ليس خبيرا على كل حال، مع ذلك فلم يكن مستوى معرفته بالجهاز ضئيلا.

"الممارسة"، تقول آنا، "الممارسة هي أفضل وسيلة، خصوصا مع جهاز عالي الأداء مثل هذا." تنهض آنا ويجلس متين إلى الجهاز مرة أخرى.

"علينا أنْ نعيد الآن النقر على الأزرار واحدا بعد الآخر."

يمثل متين دور التلميذ المطيع ولكن آنا تعرف بأن ما يقوم به هو الآن لا يمكن للإنسان أن يتعلمه في وقت قصير. من الممكن أنْ يكون الجهاز نفسه حديثا، ولكن من الواضح أن أصابع متين معتادة على استخدام الأزرار وهو في بعضها شديد السرعة بحيث يعرقل تنفيذ بعض الأوامر المعطاة إلى الجهاز. تتدخل أصابع آنا لتقديم المساعدة.

"كل شيء يتم بالصبر والهدوء، فالحاسوب له أيضا شخصيته الخاصة به."

يحاول متين مرة أخرى ثم ينتهي إلى القول: "ها أنا لا أستطيع مرة أخرى"، السبب في ذلك هو قيامه بالكثير من النقر المزدوج وإعطاء الجهاز خليطا من الأوامر المختلفة.

"لا ينقص الجهاز أي شيء. ما يحتاجه هو التروي في استخدامه وحسب."

لا يريد متين أنْ يصدق ما تقوله آنا، لكنه عندما يقوم بإشرافها بإعادة كل الخطوات بهدوء، يدرك أخيرا بأن الخطأ خَطؤُه هو وليس خطأ الجهاز.

تعتدل آنا في وقفتها. "لا يحب الجهاز أن يطارد."

"ستكونين أنت أيضا قادرة على التعامل بشكل جيد مع الصديق يا آنا"، يقول عبدال الذي يقف إلى جانبها.

" فهو أيضا لا يحب أنْ يفقد الطرف الآخر صبره."

يأتي حكمت إليهم. "هل بالغت فيما قلته، أم أنها تستطيع ذلك فعلا؟"

يومئ متين برأسه. "احتراماتي! آمل بأني أستطيع أنْ أستعين بك في مرة أخرى أيضا."

لا تزال الأم جالسة على عرشها وهي منشغلة الآن بتقشير برتقالة، هذه المرة لها هي على غير المعتاد. لم ترفع المائدة بعد بشكل كامل فتحاول آنا تقديم المساعدة مرة أخرى. إنها تريد أنْ تجعل هذه المرأة تشعر بحضورها. من الواضح بأن المرأة هي التي جهزت الأكل حتى وإنْ بدا وكأن أرواحا خفية هي التي قامت بإعداده. تشعر آنا فجأة أن المرأة العجوز تعاني من ألم ما رغم أنها لا تشكو.

ثم يحدث الأمر فجأة. بحركة من يدها تدعوها أم حكمت للجلوس إلى جانبها ثم تحدق بوجهها طويلا. تمد المرأة يدها أيضا إلى شعر آنا، وعندما لا تبدي آنا رفضا لهذه الحركة وإنما بالعكس من ذلك تميل برأسها إليها، تمد المرأة العجوز يدها، تأخذ خصلة سميكة منه وتمررها، كما فعل عبدال من قبل، على شفتها العليا ثم تتلمس بظهر يدها الأخرى وجنة آنا. "أنت تعجبينني أيتها الفتاة، نعم، نعم، أنت تعجبينني." يبدو وكأن هناك طريقاً يفتح نفسه بين آنا والمرأة العجوز، طريق من التفاهم غير المشروط تتوغل فيه بشجاعة كبيرة.

"هل أنت بخير؟"

تمسك المرأة بيد آنا.

"نعم، نعم."

"ولكنك تتألمين من شيء ما."

لا تدري آنا نفسها لماذا يلح عليها الشعور بأنها تقرأ الألم مرسوما على وجه المرأة.

ترفع المرأة رأسها. "هل تعرفين...؟"

"أريد أنْ اعرف...."، ما الذي يؤلمك، أرادت آنا أنْ تقول ولكن المرأة سبقتها بالقول.

"هل تريدين أنْ تعرفي السبب فعلا؟"

"طبعا، فلهذا أسأل."

تمد المرأة العجوز ساقيها وهي تتأوه. "لديك يدان ماهرتان جدا، قصي لي أظافر قدمي."

ألم تخطيء السمع؟ شيء يشبه الأساطير حيث يطلب من البطلة تنفيذ واجب ما يكون فيه خلاصها أو خلاص شخص آخر غيرها.

"هل ستقومين بذلك من أجلي؟"

تنهض أنا واقفة وتبحث عن كرسي لكي تضعه أمام الأريكة. هنا تأتي الفتاة الصغيرة حاملة سطلا مملوءا بالماء الساخن. حرارة الماء والحمل الثقيل يجعلان وجه الفتاة الصغير محمرا. فيما تقوم أنا بتحريك رغوة الصابون، تخلع المرأة الجوارب السوداء من ساقيها وهي تلفهما لفا ثم تضع قدميها في الماء. تسمع انا أصوات الاخوة قادمة من المكتب وهم يتناقشون بحدة.

تفرش الفتاة الصغيرة منشفة على فخذي أنا وتعطيها مقصات، مبارد ومحكاك للجلد المتقرن وما عدا ذلك من أدوات ضرورية أخرى. في هذه اللحظة تشعر أنا بالخوف، فهي لم تقص في حياتها أظافر إنسان آخر. ماذا لو أنها جرحت المرأة؟

تحت رغوة الصابون ترى الأصابع وقد بدأت بشرتها تتشبع بالماء والقروح وقد أصبحت أكثر بروزا.

"عليك أنْ تنتبهي أيتها الفتاة، فإن قدمي حساسة جدا"، تقول لها أم حكمت مناشدة ثم تواصل وهي تضع قدميها في حجر آنا، "وسيخف الألم فقط عندما تقومين أنت بإزالة كل ما هو خبيث فيهما."

تحاول آنا أنْ تنشف القدم بحذر ثم تربت بخفة عليها. لم يكن شعور الاشمئزاز وإنما الخوف هو الذي يسيطر عليها، الخوف من أنْ تزيد الألم المطلوب منها أنْ تخفف منه.

"ابدئي"، تقول المرأة، "فكلما أطلت التفكير، كلما أصبح قصك سيئا. يجب عليك أنْ تري بيدك وليس بعينيك، اضغطي هنا وتحسسي كيف يؤلمني ذلك، هيا

قصيه."

وهي لا تعرف كيف، تمسك آنا بالمقص بين الإبهام والسبابة. وبعد أن قصت بحذر شديد الظفر عن اللحم الذي يحيطه تضع الفتاة الصغيرة شفرة حلاقة في يدها.

"بهذا يمكنك أن تقصي بشكل أفضل." تقول أم حكمت "هنا في هذا المكان اللئيم."

تحك آنا الجلد المتقرن الذي يسقط فتاتا صغيرة في الماء، بشرتها تتصبب عرقا. تركيزها الشديد على كل حركة يجعلها تطلق دون إرادة منها آهات قصيرة من آن لآخر.

"جيد جداً"، تسمع آنا المرأة تمدح عملها. "والآن يأتي دور هذا الألم الشرير هنا." ترفع المرأة العجوز ساقها وتشير إلى المسمار في باطن قدمها. تشعر آنا بلسانها وهو يلتصق بسقف حلقها. "إذا استطعت أنْ تخلصيني منه سيكون كل شيء على ما يرام، ولكن انتبهي فأنا أتدغدغ بسرعة."

تأخذ آنا القدم بيدها وتمعن النظر في المنطقة التي أشارت المرأة إليها. ولكن لمسة واحدة منها تجعل المرأة تتدغدغ وتحاول بجهد كبير أنْ تكتم رغبتها بالضحك. تقدم الفتاة الصغيرة منشفة أخرى لآنا، فتبللها ثم تلف القدم بها بحيث لا يرى منها إلا المنطقة المتقرنة الجلد. وفعلا تضع أم حكمت يدها على أنفها ثم تقول: "يا للغرابة، أنت تستطيعين أنْ تفكري أيضا!"

تقص آنا الجلد المتقرن بالشفرة بسرعة دون أنْ تدري كيف واتتها الشجاعة لذلك، كانت تشعر بمقاومة، تتردد للحظات ثم تباشر القص مرة بعد أخرى حتى لم يعد هناك شيء يمكن قطعه.

تسحب أم حكمت قدمها وتمعن النظر في الموضع غير مصدقة. "لم يعد هناك شيء، ثمة قليل من الدم يخرج من المكان ولكن لا بأس، ضعي عليه مرهما."

تبدأ يدا آنا بعد أنْ انجزت المهمة بالارتجاف خفية وهي تحدق بقطرة الدم وهي تسيل وحيدة وبشكل واضح على القدم التي تم تخليصها من المسمار. بعد أنْ تفرك المكان بالبودرة ينغلق الجرح الصغير ولا يبقى باديا للعيان إلا تلك

القطرة الوحيدة من الدم.

تنفض المنشفة فوق السطل بما فيها من جلد متقرن يحتوي كل منها على برنامج الجسم كله ثم تضع الأدوات كلها على الأريكة.

أثارت أنا إعجاب الفتاة الصغيرة التي ربتت على ظهرها دون كلمة وهي تهم الآن بحمل السطل الثقيل. تمد أنا يدها إلى إحدى العروات. وبالرغم من أن الفتاة الصغيرة تمانع في البداية، إلا أن أنا لا تستجيب لها هذه المرة، فتحملان السطل معا ثم تصبان ما فيه من ماء في المرحاض. تدخل أنا إلى المطبخ الواسع المليء بالقدور والأواني ومواد الطبخ، حتى ليخيل لها بأنه أمر شديد الخطورة أنْ يتنحنح الإنسان هنا حتى مجرد نحنحة، وأن من الممكن لدفقة هواء واحدة غير مقصودة أن تكون كافية لجعل كل شيء يتساقط وينهار مختلطا ببعضه. بحركة ماهرة جدا تحشر الفتاة الصغيرة السطل تحت الطاولة المثبت في أسفلها لوح عريض ثم تعدل قامتها من جديد.

"يبدو المكان وكأنه ساحة معركة، أليس كذلك؟"

"ولكنك تتكلمين الألمانية؟" تقول أنا مستغربة وهي تتطلع في الفوضى فيما حولها.

"طبعا، فأنا أذهب هنا إلى المدرسة."

"من أنت، اختهم؟"

"بشكل ما نعم"، تجيب الفتاة الصغيرة. "أصلي من نفس القرية التي تأتي العائلة منها. لقد جاءوا بي إلى هنا لكي أقوم بمساعدة فريدة خاتون. أنا أعمل عندهم وهم مسؤولون عني، ومن ضمن تلك مسؤوليتهم عن تزويجي عندما أكبر."

"ما هو اسمك؟"

"أليف، ومعناه الشعلة. في الواقع كان يجب أنْ يكون هذا اسمك أنت بشعرك الناري." تقول أليف وهي تضحك بشيء من الخجل.

"لماذا لم تنطقي بكلمة واحدة طول الوقت. لقد تصورت بأنك لا تستطيعين الكلام بالألمانية أو حتى بأنك لا تستطيعين الكلام على الإطلاق."

"احزري السبب." تُظهِر اليف في كل لحظة قدرا أكبر من الحذاقة. "هذه عائلة بعدد كبير من الأبناء، كلهم من الشباب، هل تفهمين؟ وكلنا نسكن في بيت واحد."

أنا تفهم ما ترمي إليه اليف.

"يجب علي الا الفت الأنظار قدر ما استطعت كي لا تخطر على بال أحد منهم اية أفكار غبية؟"

"وهل اثبت هذا الأسلوب فاعليته؟" تتفحص أنا الفتاة الصغيرة بدقة، إنها في الرابعة عشرة في أقصى الأحوال، وعدا بعض البثور على وجهها وشعرها الخامد فهي جميلة.

"طبعا، وحتى لو لم ينجح، ففريدة خاتون صارمة، وهي لا تغفل عن شيء أبدا."

اليف تطلق حسرة وهي تقول، "ولكن عدا عن ذلك فالعائلة تعيش هنا منذ فترة طويلة وقد أصبح الأخوة يفضلون الفتيات اللاتي من هنا."

"أيهم تحبين أكثر من الآخرين؟" يبدو السؤال لأنا نفسها بعيدا عن التحفظ.

"أنا؟" يحمر وجه اليف قليلا، وكأن أحدا لم يسألها مثل هذا السؤال أبدا.

"أنا أحب حكمت، أقصد عبدال أكثر من الآخرين، فهو مثل الحمل الصغير، لكني في الواقع افضل انا أيضا الأولاد في المدرسة."

"اليف." يصل صوت فريدة خاتون إلى المطبخ محملا بالحدة وبطابع من ألف إلقاء الأوامر.

تتوجه اليف لغسل الأواني. "أعتقد بأن عليك أنْ تذهبي إليها، فهي تقصدك أنت بهذا النداء وليس أنا."

تترك أنا اليف وسط الفوضى كلها ولا تريد أنْ تصدق عينها وهي ترى المرأة العجوز واقفة وسط الغرفة وهي تصفق بيدها فيأتي أولادها من المكتب الواحد وراء الآخر ثم يلتفون حولها في نصف دائرة. تغيرت فريدة خاتون بطريقة مدهشة. كانت في هذه الأثناء قد صبغت شفتيها ومشطت شعرها. غطاء الرأس من الموسلين مكور على الأريكة. كما أصبحت فجأة ترتدي حليا، أم أن أنا لم تر الحلي قبل ذلك بسبب الشال؟ اللون الأسود يجعلها تبدو أكثر نحافة مما هي

عليه. وشعرها الأبيض يشكل تناقضا مضينا لعينيها المحددتين باللون الأسود. ووجهها يعبر عن شيء من الانشراح وحين تدير رأسها تتبع أقراطها حركته برنين خفيض.

"أشعر الآن أني مرتاحة جدا"، قالت فريدة خاتون لأولادها المتجمعين حولها، "حتى انني قررت أنْ أخرج من البيت سأقوم بمخابرة صديقاتي غورسيل وأيتن، أما أنت يا متين فستقوم بحجز طاولة لنا في مطعم رفعت. قبل ذلك يجب أنْ أذهب إلى الحلاق ثم أذهب لشراء قميص جديد. أليس يوم السبت هذا هو اليوم الذي تبقى فيه المحلات مفتوحة حتى المساء؟" أومأ الأولاد برؤوسهم برضوخ. "عصمت، ستأخذني أنت بالسيارة، إلا إذا كان لديك عصر هذا اليوم ما تفعله."

يتطلع عصمت إلى اخوته واحدا بعد الآخر، ولكنهم يقفون جميعا منكسي الرؤوس. عبدال وحده يقول: "إذا كنت تريدين يا أمي، فإني سآخذك على دراجتي النارية إلى هناك."

ينفخ عصمت بقوة نفخة المستسلم لأمره. "حتى وإنْ كان لدي ما أعمله، ماذا أستطيع أن أفعل؟"

"ولكنك تعرف بأني لا أجبرك على فعل أي شيء مطلقا." تقول فريدة خاتون محتجة.

"أعرف ذلك." عصمت يلوي شفتيه بشكل خفيف، والعم يلتفت إلى آنا وهو يقلد تعبير وجه فريدة خاتون محاولا التلميح إلى أن الاعتراض لا فائدة منه في كل الأحوال.

"والفضل يعود كله لك أنت يا فتاتي." تتقدم فريدة خاتون من آنا "لقد أخذت الألم مني، وأنا أشكرك على ذلك." ثم تعانقها وتقبلها على وجنتيها. "كان يطيب لي أنْ آخذك معي هذا المساء، ولكني أخاف أنْ يصيبك في مطعم رفعت الضجر الشديد وأنت معنا نحن النساء العجائز."

تذكرت آنا في الوقت المناسب العرض الافتتاحي لمسرحية بير المرتجلة، وحضورها هو قضية شرف. بهذا لا يمكن لمطعم رفعت في كل الأحوال أن يصبح

موضوعا للنقاش.

أمر مدهش كيف تمكن بير والفرقة من حل مشكلة أوغسطين، فهو لم يقع وقد غلبه السكر في حفرة مليئة بجثث المصابين بالطاعون، وإنما وجد نفسه في صراع حياة أو موت مع الملابسات الكثيرة المعقدة لهذا الزمان. فمن السياسيين إلى زملائه في العمل، ومن التاجر إلى وكيل شركة التأمين، الكل يريد أنْ يخطف منه القليل الذي يملكه، ولا يستطيعون أنْ يفهموا كيف يتنازل لهم عن ذلك طوعا. وفي نهاية الأمر يكون هو الوحيد الذي ينجو من وباء التملك بنشوة كبيرة ويتطلع إلى وجود إنساني يتجاوز حدود الزمان.

تحاول بوني أنْ تخفي عصبيتها. أيام الافتتاح هي الأيام القليلة التي تستعين فيها بجليسة أطفال. فالأم جيجي تريد هي الأخرى أنْ تحضر الافتتاح، فهي أيضا تشعر أنها ملزمة بتقديم الدعم المعنوي، وتصفق في بعض المشاهد بحماس. في هذه المرة جاء السيد المدير معها والذي أبدى هو الآخر حماسا كبيرا.

تكاد أنا تعرف الجميع، ولذلك لا تشعر بنفسها ضائعة بدون هاوجسدورف الذي حضر معها العرضين الأخيرين. وبينما كانوا ينتظرون تقديم الطعام خلال الاحتفال الصغير بعد العرض في أحد المطاعم القريبة تتبادل أنا الحديث مع الفتاة التي تقوم بدور حبيبة أوغسطين والتي تشكو بلهجة فظة من أن شيئا من الطفح سيصيبها بسبب الانارة وتقول بأنها تشعر وكأن هناك شيء في ضوء المصابيح يشع على بشرتها، وإن ذلك يحدث دائما في أيام الافتتاح، أما في العروض التالية فتصبح الحال أفضل، ربما لأن بشرتها تتعود على ذلك.

"ولكن ليس هناك شيئاً ظاهراً على بشرتك"، تقول أنا مستغربة.

"حمدا لله"، تقول المرأة الشابة وهي تتلمس حنكها ورقبتها، "يكفي أن أشعر به أنا، تصوري أن يصبح هذا مرئيا أيضا، عندها لن أستطيع الظهور على خشبة المسرح أبدا، وسيعني ذلك انتهاء الحلم وأن كل شيء سيصبح منسيا ومنقضيا"، يبدو على المرأة الذعر من مجرد تخيل إمكانية حدوث مثل هذا الأمر الذي يسهل عليها الكلام عنه، مضيفة بعد ذلك بصوت خفيض وبتأثر شديد:

"مثل اوغسطين الأصلي بعد ليلته في حفرة الطاعون."

"أمر رهيب، رهيب جدا."

"هل عبدال مجنون فعلا؟"

"حسب ما يفهمه المرء تحت مفهوم الجنون."

"هل أخذتموه إلى طبيب ما؟"

"طبيب؟" حكمت يضحك، إنه في الواقع يسخر منها.

"عبدال ليس حالة تؤخذ إلى الطبيب."

"ولكنه يتكلم أحيانا بطريقة غريبة، ألم تقل أنت نفسك ذلك؟"

"أنْ يكون مجنونا نعم، ولكن المرء لا يذهب لهذا السبب إلى الطبيب."

"ربما يستطيع الطبيب أنْ يجعل منه إنسانا عاديا."

"ولماذا؟" لا يفهم حكمت ما الذي تعنيه. "لقد كان دائما هكذا، من أول يوم عرفته فيه. عندما ولدت أنا كان عمره أربع سنوات. وعلى قدر ما أستطيع أن أتذكر كان هو يتحدث بهذه الطريقة، وكأن الله صديقه وإنه لا يحتاج إلا أنْ يفرقع له بأصابعه لكي يجعله يصغي إلى ندائه."

"ربما كان وضعه أفضل لو لم يكن مجنونا."

يتطلع حكمت إليها باستغراب. "ولكنه يؤمن إيمانا قاطعا بهذا الشيء الذي يستحوذ عليه بين حين وآخر."

"هلوسات؟"

"ما أدراني، أحيانا يصاب بحالة من الاضطراب الشديد وعندها يصبح قادرا أنْ يشعر به قريبا منه، كما يقول هو، أحيانا يتحدث معه أيضا، ولكنه في الغالب يشتكي ويتذمر ويسب ويلعن لأنه لا يأتي لزيارته إلا نادرا."

"ولكنه يستطيع أنْ يعيش كما هو لأنكم، أقصد العائلة، تتولون حمايته ورعايته، لكنه سيفقد بدونكم هذا السند ويصبح لا حول له ولا قوة."

لا تعرف أنا لماذا تتحدث عن الموضوع بهذا الإلحاح، الذي يبدو لها نفسها غير صحيح. هل هي فقط الرغبة في المعارضة أم أنه الخوف من الاضطرار إلى الاعتراف بأن عبدال يشغلها جدا؟

"ربما، ولكننا موجودون، وكما تقول امنا، فإنه ليس بالأمر الجسيم إذا كان واحد من سبعة أولاد مجنونا." يقول حكمت وهو يحاول أنْ يقلد فريدة خاتون. "لندعه يكون الوسيط بيننا وبين ربنا، فربما يستطيع أنْ يشفع لنا عند ضيفه بكلمة حسنة."

"ضيفه؟ ما الذي يعنيه بذلك؟" لا تستطيع آنا أنْ تكتفي من سماع الكلام عن الموضوع من ناحية ومن ناحية أخرى يبدو لها كل ذلك شيئا غير معقول.

"هو يدعي بأن هذا الآخر، سميه أنت بأي اسم تشائين، يأتي لزيارته كضيف ثم يخرج معه إلى المجال الذي يصبح فيه فجأة متواجدا في كل مكان وعارفا بكل شيء."

"هذا يبدو مثل خيالات بعض المبرمجين، في الواقع مستخدمي الكمبيوتر، الذين يدخلون الشبكة بأمل أنْ يكونوا حاضرين في كل مكان، وبذلك عارفين بكل شيء، من أجل أنْ يتمكنوا بعد ذلك بالالتقاء بإلههم في زاوية ما من زوايا البرنامج، أو الأفضل من ذلك، أنْ يصبحوا هم انفسهم الآلهة الذين يخلقون لهم عالما خاصا بهم."

أنف آنا محمر، وهي تسعل باستمرار، شعرها يتعذر ربطه وهاوجسدورف سيعود قريبا، وهي لا تدري ما الذي عليها أنْ تقوله له، لا عن هديته غير الاعتيادية لعيد ميلادها ولا عن أي شيء آخر. تأتي يوما بعد آخر إلى مقهى كعكة الزبدة. فبدلا من أنْ تذهب كما كانت تفعل في الماضي إلى البيت أصبحت تأتي إلى هنا، تقرأ الجرائد، تشرب عدة أكواب من الشاي وعندما يظهر حكمت يخفق قلبها وتضطر إلى السعال سعلات خفيفة قبل أنْ تستطيع التفوه بأول جملة.

حكمت أيضا يأتي كل مساء. وهو يعرف بعض الشباب هنا ويتبادل الحديث معهم أحيانا ولكن نظراته مركزة عليها وحدها. وفي كل مرة يتلاشى انتظارها له مثل تلاشي توتر سبب لها آلاما شديدة فتنحني إلى الأمام تاركة يدها ترقد في يده وتحاول أنْ تقاوم نظرته. ما أنْ يلمسها بيده حتى تشعر بدمه الدافئ يطفر إلى دورتها الدموية مانحا إياها شعورا بالسعادة. سعادة لا تتحمل أية

ارتجاجات أخرى وإنما تريد أنْ تُعاش كما هي، بدون تصاعد، بدون تلامس شديد وبدون نهم، وإنما أشبه ما يكون بتعود تدريجي لكل منهما على درجة حرارة جسم الآخر، وكأنهما يريدان أن يتركا لنفسيهما أولا وقتا لالتقاط أنفاسهما قبل أنْ يضيعا في بعضهما إلى ما لا نهاية.

"هل تتحدثين عن أجهزة الحاسوب لديكم؟" صوت حكمت يشي بشيء يشبه الاحترام عندما يكون الحديث بينهما عن البرمجة.

"أدهشني الشبه." شيء من التقدير لمواهبها يُشعر أنا بالرضا في هذا اليوم المصاب هو الآخر بالبرد. هرب الربيع مرة أخرى حتى يتوقع سقوط الثلج. سنة غير اعتيادية مطلقا.

"كيف حال متين الآن؟ هل يستطيع السيطرة على حاسوبه؟"

يقلص حكمت وجهه ساخرا. "إنه يعتبرك ساحرة، يعني في الواقع قال سحارة، لأنك لا تحتاجين إلا أنْ تضعي يدك على الجهاز حتى يشتغل."

تبتسم أنا. "إنه يملك جهازا فخما بالنسبة للعمل الذي يريد القيام به، أعني حسابات محلكم، وكأنه اشترى سيارة لاندروفر لكي يسير بها فقط بين المنطقة الأولى والسابعة في فيينا."

"هذا هو متين، ستضحكين بالتأكيد لو أنني قلت لك بأنه يفكر فعلا في شراء سيارة من هذا النوع."

تقضي أنا وحكمت الوقت بكلمات يوضحانها لبعضهما، بالرغم من أنه لا يوجد ما يتطلب توضيحا. يركزان انتباههما على وضع خطوة أمام الأخرى، وعندما يرفعان من حين لآخر نظرتهما فليس من أجل أنْ يصيب أحدهما الآخر في قلبه وإنما لكي يتأكد بأن الآخر موجود فعلا. وفي وقت ما قبل منتصف الليل تسحب أنا يدها وتختفي مثل اختفاء سندريلا من حفلة الرقص مع الإحساس الأكيد بأنها تضع الحذاء المناسب في قدمها.

أنا لا تحلم وإنما ترقد يقظة في الفراش وتركب من كل أحاديثهما "حكمت" خاصا بها. ليس فقط حكمت الذي يكتب بالخط القديم وإنما أيضا حكمت الذي يعيد تصميم الحياة اليومية من جديد بأن يطيل التفكير فيما إذا كانت قواعدها

لا تزال سارية المفعول. دراسته للطب قطعها منذ زمن طويل. الأمنية أنْ يكون أحد أفراد العائلة طبيبا كانت بالدرجة الأولى أمنية أمه، التي أصبحت في هذه الأثناء تتقبل الذهاب لعيادة طبيب تربطها به قرابة بعيدة. أما هو، حكمت، فإنه موجود في هذا العالم لكي يفهم.

ماذا يفهم؟ كانت آنا تركز جهودها حتى الآن كي تفهم كيف يعمل الحاسوب وكيف يمكن للانسان أنْ يضاعف من قدراته الذاتية. ولكن لحكمت شرحه الخاص به "حول ما يجعل الحياة حياة فعلا، أقصد ضمن شروط معينة."

"أية شروط؟"

"مثلا، كما نعيش نحن حياتنا هنا، في بلدنا الذي هو مع ذلك ليس وطننا. نعيش بينكم أنتم ومع ذلك في جزيرة منعزلة وحدنا. وفي بعض الأحيان أشعر بأن على الإنسان أنْ يخترع كل شيء من جديد، حتى الاستيقاظ في الصباح."

لا تتعب آنا من استعادة الجمل التي يقولها حكمت، الجمل الذكية والأخرى الأقل ذكاء وتربطها ببعضها حتى تصبح قصة متكاملة، قصة حكمت.

هو يساعد أخوته في المحل، ويعمل في الشركة أيضا، ليس بشكل منتظم. "أسافر أحيانا بتكليف منهم"، ثم يقول بأنه ليس مهما أن يكون بين سبعة أبناء واحد يحاول أنْ يفهم.

فريدة خاتون أرسلت لها خبرا تدعوها فيه لزيارتها قريبا. خبر يسعدها من ناحية ويجعل بدنها يقشعر من ناحية أخرى، فلا زال سطل الماء بالصابون عالقا بذاكرتها.

ما الذي جرى لوالد حكمت فعلا؟ حكمت أيضا يقول، أطلق عليه الرصاص، ويعقب قائلا بأن الموضوع كله لم يكن إلا مصادفة مأساوية، أي حادثا، حتى وإنْ كان مبيتا من قبل الجهة الأخرى. أرادت آنا أنْ تعرف من هي هذه الجهة الأخرى، ولكن حكمت هرب إلى أشياء عمومية.

"يوجد العديد من الجهات الأخرى، فلكل جهة يملكها الإنسان توجد جهة أخرى."

لم تكن آنا تتصور أنها ستستخدم يوما جهاز الكمبيوتر المحمول، هدية

المؤسسة إليها. فقد أخذت بنصيحة مدرسها السابق: "إذا كنت لا تريدين أنْ تأخذ عيناك شكلا مريعا فعليك أنْ تحميهما في حياتك الخاصة من كل أنواع الشاشات."

كان مدرسها قد قال لها هذا الكلام بعد أنْ بدأت عيناها تتخذان هذا الشكل فعلا. والآن لا يوجد في شقتها حتى جهاز تلفزيون.

هذا الشيء الجديد يستطيع عمل الكثير. أدخلت فيه قبل فترة قصيرة بضعة برامج وأصبحت أحيانا تحرك أصابعها عليه قبل الذهاب إلى النوم. اللعبة التي تمارسها تحمل دائما اسم: "من أو ما هو حكمت؟"

هل هو مصلح، ثوري، فوضوي؟ أم خليط من كل الأصناف التي تعرفها من باسيديوس.

أم هو خطاط رسام كاريكاتير أو بطل ثقافي؟

شخص تركي، قُتل والده في حادث مؤسف برصاصة أطلقتها الجهة الأخرى؟ أية جهة أخرى؟ وما الذي جرى لحيدر في سيفاس؟ ألا تدعى هذه المنطقة أو المدينة هكذا؟ الأمر الذي أثار ذكره ثائرتهم كلهم. ما هي أسماء الأخوة الآخرين وأين هم الآن؟ أم أن السبعة هو رقم سحري فقط.

"هل افتقدتني ولو قليلا؟" يبدو على هاوجسدورف التعب. تدل الرائحة التي تفوح منه على أنه رش نفسه قبل فترة قصيرة من هبوطه الطائرة بالعطر الذي بقي عالقا في صالة الوصول مكيّفة الهواء.

تحاول أنا أنْ تبتسم. "هل استطعت أنْ تنام أثناء الطيران؟"

"قليلا." يعانقها هاوجسدورف ببديهية رجل يعود إلى حبيبته، أما هي فترد بطريقة آلية على ضغط ذراعه، أي كما كانت تقوم بذلك في السنتين الأخيرتين.

مع ذلك تشعر بأن الأمر يختلف هذه المرة. في اللحظة التي تدرك فيها ذلك تتراجع خطوة إلى الوراء وتكاد تسقط على عربة الحقائب.

الوقت هو المغرب. جاءت أنا من المكتب إلى المطار مباشرة . لن تستطيع اليوم الذهاب إلى المقهى، للمرة الأولى منذ عدة أيام. ربما كان عليها أنْ تترك خبرا لحكمت، ولكن لم يسبق لهما أنْ تواعدا على اللقاء. لم يتواعدا على اللقاء أبدا وكانا

يلتقيان رغم ذلك دائما. ولكن ماذا لو أصبح ذلك غير ممكن في إحدى المرات؟ كما هي الحال في هذا اليوم مثلا.

"لم أكن اعتقد بأني سأفتقدك إلى هذا الحد." هاوجسدورف يضمها مرة أخرى ضمة قصيرة ثم يصعدان بالمصعد إلى موقف السيارات حيث وضع هاوجسدورف سيارته.

"وأنا أيضا." لا يترك هاوجسدورف تعبيرها غير الدقيق يمر مرورا عابرا.

"وماذا أيضا؟"

"أنت تعرف ما أقصد."

"أريد أنْ أسمعك وأنت تقولينه بشكل كامل، لا تحرميني من هذه المتعة."

"أنا أيضا افتقدتك، هيا، احك لي عما رأيته هناك؟ كيف حال هيربيرت وإيزابيل؟"

إيزابيل أصغر منها بسنتين فقط وهيربيرت سيصبح عمره تسعة عشر عاما.

"لقد سافرنا من فيلادلفيا بالقطار إلى نيويورك. أصر الاثنان على الذهاب إلى معرض أقيم في متحف ميتروبولتان، كما أرادا التسوق طبعا." يسترسل هاوجسدورف في الحديث يتدفق منه الكلام تدفقا وهو يقود السيارة، "تصوري في نيويورك بالذات"، يقول لها بأنه قام بصفقة العمر. تمثال عجيب، صغير جدا لإمرأة بخصلات شعر مجعدة لفريدريش ليدر، والتي لها حتى شبه بها هي، أنا، ربما كانت المرأة جدتها؟ بسعر معقول. بالطبع لم يستطع أنْ يقاوم رغبته في اقتناء التمثال، وقد حاول أنْ يقنع نفسه بأن عملية شراء من هذا النوع تجري في فيينا وليس في نيويورك، ولكن تلك لم تكن إلا محاولة لصرف نفسه عنها. أما في حقيقة الأمر فلم يكن يريد شيئا آخر إلا الحصول على هذه القطعة الرائعة وحظه الجيد وحده، الذي تجسد في السعر المعقول للقطعة مقارنة بالاسعار المألوفة، أنقذه من أنْ يعرض نفسه للإفلاس.

يطرأ تغير واضح على هاوجسدورف وقد وصل إلى البيت، فيبدأ بالكلام بلهجة هامسة. "كنت مشتاقا لك جدا، خصوصا في الليل. مشتاقا لك

ولخيالاتك." تنقل هي وهاوجسدورف الأمتعة إلى البيت. "ألا تريدين أنْ تري ما الذي جئتك به؟" لا تزال آنا تقف عند الشباك الذي قامت بفتحه لكي تدع الهواء النقي يدخل إلى الغرفة المغلقة منذ أسبوعين. يعانقها هاوجسدورف من الخلف ويضع تحت ذقنها علبة صغيرة. وكما يتبين لها من غلافها فإن العلبة قادمة من كشك البيع في متحف المتروبوليتان. تفتح آنا العلبة بعناية في حين يمسكها هاوجسدورف من أكتافها ويديرها ناحيته لكي يستطيع أنْ يراها وهي تفتحها. القطعة هي تقليد دقيق لقلادة سومرية من اللازورد. لا تستطيع آنا أنْ تكتم انبهارها. "رائعة! أجمل هدية عيد ميلاد." هي نفسها لا تدري لماذا تقول ذلك الآن، هل لكي تمنع قيام جدل حول الرحلة الغريبة أم لكي تمنح الهدية شرعية ما وكأنها تستطيع أن تتقبلها بدون تحفظ كهدية عيد ميلادها رغم تغير مشاعرها تجاه هاوجسدورف؟ بينما كانت لا تزال تنظر بانبهار إلى اللون الأزرق العميق لأحجار الحلية يسحب هاوجسدورف قميصها من بنطلونها الجينز، يدفن وجهه بين ثدييها، ثم يرفعها بحركة واحدة إلى أعلى ويضع ساقيها حول وسطه. يجري كل شيء بسرعة، فلا تجد آنا حتى فرصة للمقاومة. كذلك لا يبدو على هاوجسدورف أنه مهتم بأن تمارس أياً من طقوسها الأخرى ولم يكن بحاجة إلى أية استثارة بالكلمات. وإنما يبدو أقرب إلى أن يكون تحت تأثير ضغط هائل يريد أنْ يتخلص منه وذلك بأنْ يسمح له بالتدفق دون مراعاة أو اهتمام بأنْ يتم ذلك بشكل لطيف، وإنما فقط أنْ يدخل قضيبه ثم يدفع به حتى تنفجر الحمولة.

عندما انتهى كل شيء رمى هاوجسدورف نفسه على آنا. "اعذريني على الطريقة المباشرة، ولكنني كنت مجنونا من الشوق إليك." يحاول أيضا أنْ يقبل ثدييها ولكنها تدفعه جانبا. عندما تدير رأسها ترى قلادة اللازورد إلى جانبها على الوسادة بعد أن انزلقت من العلبة التي كانت تحملها في يدها عندما رماها هاوجسدورف على الفراش. يرفع هاوجسدورف الذي تابع نظرتها القلادة ويضعها على رقبتها.

"هل تعرفين أنْ لك رقبة رائعة يا حبيبتي."

في الحمام تقف آنا أمام المرآة ولا شيء على جسدها إلا القلادة اللازورد.

لم تكن تتصور بأن اللازورد سيناسب شعرها إلى هذا الحد بالرغم من التضاد الحاد الذي لم يخفف منه إلا شحوب بشرتها.

هاوجسدورف متعب ولكنه جائع كما يقول . يذهبان إلى مطعم إيطالي في نفس الشارع كانا قد دخلاه مرات عديدة قبل ذلك. يحيي النادل هاوجسدورف باسمه.

"عندنا اليوم ريسوتو فطر رائع "ثم يتابع وهو يفتح عينيه على سعتهما" ومخفوق باليد."

تشعر انا بالإرهاق الشديد. وتصور حكمت ينتظرها في المقهى يجعل معدتها تنقلب. بعد أول جرعة من النبيذ الأحمر يمسك هاوجسدورف بيدها. "ما بك، إنك تبدين كئيبة؟"

تهز آنا رأسها. "لا شيء، وإنما فقط لأني عملت كثيرا اليوم."

"ألم أقل لك دائما بأن عليك أنْ تلتزمي بأوقات الدوام فقط؟ إنه أمر غير جيد أن تجلسي وقتا طويلا دون توقف أمام شاشة الكمبيوتر، وإنما يجب عليك أنْ تستريحي من حين لآخر، عديني بذلك."

لو أنها تعرف فقط ما تقوله له. لا يوجد ما يقال. الجملة الوحيدة التي يمكن أنْ تتضمن كل شيء لا تستطيع انا التفوه بها، ليس الآن. عليها أنْ تجعل هاوجسدورف يشعر بعودته تماما ينبغي أنْ يأكل ويشعر بأنه أصبح في الوطن من جديد.

"هذا الريسوتو لذيذ الطعم فعلا." هاوجسدورف يقرع كأسه بكأسها.

تومئ آنا برأسها وتمضغ اللقمة في فمها، إلا أنها تشعر بالريسوتو وكأنه يملأ فمها أكثر وأكثر، تماما مثلما كان يحدث لها عندما كانت طفلة وكانت جيجي تجبرها على أكل كل ما في الطبق أمامها.

"سآخذك معي في المرة القادمة. على الانسان أنْ يرى نيويورك ولو مرة واحدة. هذا جزء من الثقافة العامة لكل إنسان. وأنا واثق من أنك ستنسجمين مع إيزابيل، كذلك مع هيربيرت، فأنتما في نفس العمر تقريبا. اووه يجب الا تصابي لهذا بالذعر. فإيزابيل وهربيرت لا يشكلان اية مشكلة فعلا."

"أعرف ذلك." أخيرا تتمكن آنا من بلع لقمة الريسوتو. "لقد كنت دائما أشعر بمحبة لأولادك، من صورهما وكذلك من حديثك عنهما." تحاول تأدبا فقط أنْ تأخذ لقمة أخرى.

يدرك هاوجسدورف تدريجيا بأنّ هناك شيئا ما يريد الخروج، شيئا يريد أنْ يُعبِّر عنه، حتى وإن بدا عليه أنه لا يستطيع المرور عبر الرقبة .

"والآن قولي لي ما الذي جرى قبل أنْ تختنقي بهذا الريسوتو الغبي." صوته يحمل سمة من القلق وفي الوقت نفسه نوعا من اللامبالاة، وكأنه لا يمكن أنْ يحدث أي شيء يكون سببا لقلق حقيقي. "هيا، قولي."

"فقط..." تتنحنح آنا وتشعر كيف يختفي الدم من وجنتيها.

"فقط ماذا؟" يريد هاوجسدورف أنْ يحصل أخيرا على جواب على سؤاله.

"أعتقد أنه من الأفضل..." تجرض آنا بريقها مرة أخرى.

"لا تجعلي من الموضوع قصة بوليسية. لا يمكن أنْ يكون الأمر بهذا السوء. فأنا وأنت نجلس الآن مع بعضنا وكلانا على قيد الحياة."

"أنا أعتقد بأنه من الأفضل الا نلتقي لفترة من الوقت." آنا تمسك بفوطة الطعام بكلتا يديها وتسحبها وكأنها تريد تمزيقها قبل أن تواصل القول: "حتى أستطيع أنْ أتخذ موقفا واضحا تجاه بعض الأمور."

يتمالك هاوجسدورف نفسه، وقد بدا لآنا أنه تنفس الصعداء. يخيل لها بأنها لو كانت قد أخبرته عن شيء مثل اصابتها بمرض معدٍ، أو ارتكابها جريمة ما، أو أنها حامل، لكان أكثر اضطرابا.

"هل تعرفت على رجل آخر، أم أنني أصبحت فجأة لا اناسبك سنا؟"

تهز آنا راسها نفيا ثم تخفض بصرها إلى طبق الريسوتو. ماذا يمكنها أنْ تقول له أكثر مما قالته، إن لها حبيبا جديدا؟ وهو ما ليس لها. "ولا يناسبها سنا." ليست هي الكلمة الدقيقة لشرح مشاعرها الحالية تجاه هاوجسدورف.

"إنني أريد أنْ أبقى وحدي فترة من الوقت."

"هذا شيء لا فائدة له، بل بالعكس. فما ان غبت أسبوعين حتى جئتني فجأة بأفكار غريبة. ماذا يعني هذا كله؟ كان كل شيء بيننا حتى الآن على ما يرام، أم

أنه لم يكن كذلك؟" يرفع هاوجسدورف رأسه ثم حاجبيه وقد جعل من نفسه بشكل مبالغ علامة استفهام مجسدة.

"ألم نكن قد عقدنا اتفاقا صغيرا بيننا بشأن علاقتنا ببعضنا؟"

تعرف آنا أن عليها أنْ تقول شيئا ما، وأن عليها ألا تترك نفسها تنقاد إلى ما لا تريده. ولكن أي شيء؟ ولأنه لم يخطر لها شيء آخر، فإنها تستخرج ما هو جوهري في الأمر "لا أزال غير مستعدة لأن أعيش طبقا لأي اتفاق هذا شيء غير كاف بالنسبة لي. أتسمعني؟"

يضع هاوجسدورف يده على ذراعها ويرفع باليد الأخرى ذقنها وكأنها فتاة في الرابعة عشرة من عمرها.

"انظري إلي حبيبتي."

تخفض آنا بصرها وتشعر بنفسها وكأنها عادت لتصبح فعلا تلك الفتاة المراهقة.

"إنني أحتاج وقتا لي وحدي."

"هراء. ففي واقع الأمر ليس هناك أفضل من اتفاق قابل للتطبيق. فهو يضع حدودا ويلزم كل طرف بمراعاة الطرف الآخر. ومن ناحية أخرى يضمن المتعة المتبادلة. نعم، إنها أول الشروط بشكل عام. صدقيني، إنها الشكل الرشيد الوحيد لعلاقة ما، أم أنك في النهاية لا زلت طفلة فعلا؟"

"أنا؟ كيف؟" حجة الفرق في العمر أثبتت بأنها مثل السهم الذي يرتد إلى صاحبه. وآنا لا تريد الآن سوى الذهاب إلى البيت.

"لا أدري ما الذي أصابك في هذه الأربعة عشر يوما الماضية، ولكن صدقيني، إن الأمر ليس بذلك السوء. وإذا أردت تحديدا فإنها ليست سوى نزوة، وستزول قريبا، هذا ما أستطيع أن أؤكده لك."

توشك آنا أنْ تبكي من الغضب من نفسها، لأنها لا تجد كلمات تقولها ولأنها تشعر أنها تقف أمام طريق مسدود، خصوصا وهي تلاحظ أن هاوجسدورف يتألم بسببها.

"كل شيء لا يزال بخير"، يتمتم لها فجأة وهو يضغط على يدها، "وإذا كان ذلك

يهمك إلى هذا الحد، فسأتركك لبضعة أيام على راحتك. فأنا سأكون في الأسبوع القادم على أي حال مشغولا جدا لكي أستطيع أن أعوض عن الوقت الذي قضيته مع الأولاد، وسنرى في نهاية الأسبوع ما الذي يمكن عمله، هل أنت راضية الآن؟"

ما الذي بقي أمامها أكثر من أنْ تومئ برأسها موافقة. فهذا يعني أيضا بأنها تستطيع أنْ تكسب وقتا لبضعة أيام ليخطر لها توضيح تقدمه له. فهي لا تستطيع أنْ تتصور بأن علاقتها بهاوجسدورف ستستمر وكأن شيئا لم يحدث. ولكن ما الذي حدث فعلا؟ هل يستطيع أحد أنْ يقول لها ما الذي جرى؟

الجرعة الأخيرة من الماء المعدني. تمسح أنا فمها بالمنديل فيضطر هاوجسدورف لأن يطلق يدها.

"هل تريدين قهوة؟" يتصرف هاوجسدورف معها كما كان يفعل دائما، باهتمام وبطريقة مهذبة. تهز أنا رأسها نفيا.

"إذن سأوصلك بسرعة إلى البيت." يتثاءب هاوجسدورف خفية وهو ينهض.

"أفضل أنْ أذهب بقطار الأنفاق"، تقول أنا وهي تغلق أزرار معطفها. يشعر هاوجسدورف بالحيرة أول مرة.

"ماذا يعني هذا كله، هل أصبحت عضوة في حزب الخضر؟"

ترفع أنا رأسها. "ما هو السيء في الأمر عندما أريد أنْ أذهب إلى البيت بالقطار؟ كنت أنت ودائرتك دائما مؤيدين لوسائل النقل العامة."

هاوجسدورف يرد بشيء من التهور: "كفكرة طبعا، ولكن ليس للاستعمال الشخصي."

تلطف أنا من لهجتها: "لقد كنت طيلة النهار في المكتب، لذلك أريد أنْ أحرك قدمي قليلا وأتنفس شيئا من الهواء."

"أنت في السيارة في مأمن على الأقل من الغازات التي يطلقها الآخرون، ولكن كما تريدين." غريب الاضطراب الذي يبدو على هاوجسدورف.

"هل تسمحين بأن أرافقك إلى المحطة على الأقل؟"

"ولكنك متعب وهي ليست سوى بضع خطوات."

"سأرافقك لأنها بضع خطوات وحسب."

يسيران إلى جانب بعضهما ولا يتردد هاوجسدورف في وضع ذراعه حول كتفها. تسترق آنا النظر فيما حولها، تفكر لحظة بإمكانية وجود من يراقبها. عندما يدخل القطار المحطة يقبلها هاوجسدورف مرة أخرى. "إلى لقاء قريب"، ثم يهمس في أذنها، "لا تنسي أن ما اتفق عليه لا يمكن نقضه بسهولة."

رغم أن أيفو لم يصب بانتكاسة فيما يتعلق بالشرب، لم يصب بها بعد، كما يرى يوسف، إلا أنه أصبح يصاب بنوبات غضب شديدة، آخرها على شاشة الكومبيوتر.

صراخه يجعل فناجين القهوة تطقطق في مكانها. "أبصق على هذا العالم المقطع الذي يجري فيه كل شيء بحجم صفحة الفولسكاب. يعتقد الكل بأنه يمكنه السيطرة عليه بمجرد أنْ يضغط على مجموعة من الأزرار، إلا أنه في الواقع لا يملك السيطرة على أي شيء، لا على الصور، ولا على ذاته هو. دعيني أنظر إلى وجهك يا آنا."

تشعر آنا بالذعر وهي ترى إيفو يتقدم ناحيتها ويأخذ وجهها بين يديه، تفوح منه رائحة القهوة بالحليب مثلما كانت تفوح منه من قبل الرائحة النفاذة للسليبوفتز.

"وماذا أرى فيه؟ ماذا أرى في عينيك رماديتي الخضرة؟ أرى شاشتي كمبيوتر صغيرتين قائمتي الزوايا، فهل يمكن بعد الآن إنقاذنا جميعا؟ ما هو العالم؟ ما هم البشر؟ ما الذي يجري لنا؟ هذه كلها أشياء غير قابلة للقسمة على صفر أو واحد. لقد أصبحت حتى أحلامي بحجم شاشة الكمبيوتر، تبدأ وتنتهي بزري إفتح واغلق. هل تريدين أنّ تجعلي اللون الأحمر على شفتيك أكثر كثافة؟ إذن ما عليك سيدتي إلا أنْ تضغطي على أحد الأزرار، ونحن سنرافقك بعزف الموسيقى. يمكنكم الاتصال بنا في كل وقت. أنتم، يا ناس، هل بلغ الاضطراب بنا جميعا حدا أصبحنا معه نقيم عالما لا تجري فيه قطرة من الدم ونعتبره مع ذلك عالما حقيقيا حتى تقع الكرة الأرضية العجوز الطيبة في الشبكة وتبقى معلقة فيها؟ وحيث سيصبح لأحفادنا، هذا إذا لم يقتل بعضنا بعضا قبل ذلك، عيون بحجم فناجين الشاي وأجساد شفافة تتظاهر بالجلوس لأن

الإنسان هو واحد من أنواع المخلوقات التي لا تتطور في شكلها إلا قليلا."

تشعر أنا لحظة من الزمن وكأنها عادت إلى أسوأ أوقاتها في أيام السايبر سبيس، حينما كانت تبحر من مجموعة أخبار إلى مجموعة أخبار أخرى عبر عالم الانترنيت الذي ليس له وجود واقعي في حين يسبح الليل دائرا على الكرة الأرضية كلها حتى يفيض الصباح عليها مثل الماء المتدفق وهي تجلس بعينتين محمرتين ومعدة تحرقها الأحماض، تمر الحياة في الخارج بها مرورا عابرا دون أنْ تترك عليها أي أثر، في حين تعيش هي سنوات مراهقتها في الشبكة بالدرجة الأولى.

"اهدأ يا إيفو، أرجوك، هذا هو حالنا جميعا، فنحن الذين نجلس هنا مررنا بهذا عددا لا حصر له من المرات. انظر إلي أنا. لماذا تعتقد أنه لا يوجد لدي حتى تلفزيون في البيت؟ وضع نهاية للمسألة، هذا هو الحل الوحيد."

"لو أنه يسمع فقط ما يقال له"، تقول تيريزا وهي تجر خصلات الشعر على جبهتها، "ولكنه لا يستطيع النوم بسبب القهوة الكثيرة التي يشربها." تزفر، "إنه لا ينام ليلا، وبدأ في الفترة الأخيرة بالإبحار عبر الطرق السريعة في الانترنيت حتى طلوع الفجر، فليس غريبا أنْ يقترب الآن من الانهيار."

"إنه مرض من أمراض الطفولة." كلهم يعرفون بأنه مرض من أمراض الطفولة، هم الذين يحترفون العمل مع الكمبيوتر، ولكن هذا لا يعني بأن الإنسان لا يصاب بها مرة أخرى. وكلما تقدم المرء في العمر كلما كانت الإصابة أشد وطأة. وحتى فرانتيشيك فإنه يحافظ على نفسه. "يقال بأن الإفراط في شرب القهوة مضر ببشرة الوجه." البثور على وجه فرانتيشيك توشك أنْ تجف. نظرة إيفو تبعث على الخوف.

يقدم له فيردي كأسا من الحليب. "اهدأ يا رجل، هيا اشرب هذا." وفعلا يشرب إيفو الحليب جرعة واحدة وهو يحدق بنظرة خالية من التعبير في الرغوة البيضاء.

"إنها قادرة على ذلك فعلا وتصيب الإنسان إضافة إلى ذلك بالإدمان." يتمتم فيردي وهو يستعيد الكوب الفارغ. ولأن عقوبة الدقة المفرطة هي إعادة العمل

نفسه فإنه يأتي لإيفو بكأس أخرى مملوءة بالحليب، واضعا فكرته عن واجب الإتقان الروحي للآخرين موضع التنفيذ.

لا تستطيع أناڤي ضوء انتكاسات من هذا النوع في محيط العمل أنْ تسامح نفسها إلا بصعوبة لأنها قامت بتخزين بعض الأشياء على الكمبيوتر الصغير، بالرغم من أن شعارها يقول بأن على الإنسان أنْ يترك كل شيء وراء ظهره حالما يرفع مؤخرته من الكرسي متهيئا لمغادرة المكتب، وإلا فسيصيبه ما أصاب الطبيب الذي بدأ باستخدام خزين المورفين من دولاب الأدوية في عيادته. لتيريزا دوائر سوداء حول عينيها ويمكن للمرء أنْ يلاحظ بأنها مهمومة. حكمت مختفٍ، ماذا يعني مختفٍ؟ إنه لم يأت إلى المقهى لليوم الثاني. إنه ببساطة ليس هنا. تنتظر أنا طويلا، أطول مما حددته مع نفسها للبقاء. ولكنه لا يظهر. تبقى الشاشة فارغة. تشعر بالذعر يسيطر عليها. لا تدري من الذي يمكن ان تسأله عنه. هنا طبعا هذا أو ذاك من الذين رآته يتكلم معهم. ولكن لا أحد يقول شيئا. لا يقول شيئا لها هي. يبدو وكأنه لم يكن له وجود يوما، هو حكمت.

هل كان كل ذلك حلما؟ لا توجد أيضا أية إشارة على بابها، لا رسالة، ولا أي توضيح تستطيع أنْ تستخلصه بجهد في مكان ما، وكأنه شيء مسح خطأً أو إغلق. يمكنها الذهاب إلى المحل في سوق الأطعمة. ولكنها تشعر بأن هذا سيكون مبالغة منها.

ومن يدري، فربما لم يعد المحل أيضا موجودا. الأخوان متين وعصمت غير معروفين هنا. سيكون عبدال وحده واقفا في مكان ما وقادرا على قراءة أفكارها. ولكن لماذا عبدال بالذات؟ ثم انها تجلس أثناء النهار في المكتب. أما في المساء فتكون المحلات في سوق الأطعمة مغلقة. وهي تخشى فوق ذلك هذا النوع من الاستطلاعات، خصوصا وأنه لا يوجد في كل ما يحيط بها ما يدل على أن لحكمت وجودا فعلا، أو أنه كان موجودا. تبحث منذ عدة أيام عن الصحيفة الخضراء. لابد أنها وضعتها في مكان ما. أما الفستقة الخضراء فقد أكلتها وهضمتها منذ فترة طويلة.

أعطاها هاوجسدورف مهلة عدة أيام. ولكن ماذا ستفعل لو أنه اتصل بها أو

انه فكر بأن يفاجئها بالطرق على بابها؟ ولأنها خائفة من أن يقوم بهذا فعلا أصبحت تتجنب العودة المبكرة إلى البيت. شربت أثناء ما كانت جالسة في المقهى كمية كبيرة من الشاي حتى أنها لم تعد قادرة على النوم. تحملها أقدامها عبر مدخل العمارة . لو كانت تعرف على الأقل اسم عائلة ذلك الخطاط.

لا تعرف آنا لماذا تبقى واقفة أمام المرقص . لم تعد تذهب إلى هناك منذ أنْ أصبحت لها علاقة بهاوجسدورف. عند النظرة الثانية تكتشفه واقفا: فرانتيشيك، وهو ينقل جسده من قدم إلى أخرى منتظرا أنْ يسمح له بالدخول. تتسلل آنا إلى جانبه.

أيتها الأخت الكبيرة، يهتف فرانتيشيك عندما يرفع بصره ويراها، "من يأتي لمقابلتي شخصيا؟ مانيتو! ماذا تفعلين هنا؟"

"لا تسأل يا فرانتيشيك، ولتكن مؤمنا بالروح الكبيرة"، تقول آنا ثم ينغمران في خضم زحام عطلة نهاية الأسبوع الذي يمنحهما من المساحة ما يكفي لالتقاط أنفاسهما فقط.

تشعر آنا وكأنها تعيش يوما من أيام حياتها الماضية. كانت تحب الرقص دوما، لكن هاوجسدورف لم يرد أنْ يأتي إلى مقصف من هذا النوع. "أنا لا أريد يا حبيبتي أنْ أجعل نفسي أضحوكة للناس، وإذن اعفني من هذا النوع من ممارسات أيام المراهقة المجنونة."

ترفع آنا بشكل آلي تنورتها إلى أعلى وتترك شعرها ينسدل إلى أسفل، فهي تعرف بأن ما ترتديه مناسب لهذا المكان. وفرانتيشيك يحرك أعضاءه وقد تملكته حالة من التجلي، ويرقص معها منتشيا بها كرفيقة له في الرقص كما هي تماما، فهو يعرفها على أي حال.

يتحرك الضوء فوق السقف بأمواج ملونة ويرتعش أحيانا حسب إيقاع الموسيقى العالية ثم ينحدر على أجزاء متعرقة لأجساد تكون جسدا واحدا يمتد فوق مساحة الرقص، ويكشف بين حين وآخر عن احد الوجوه المتشنجة إلى حد يجعل التعرف عليها متعذرا.

تشعر آنا أن كل شيء استعاد وجوده مرة أخرى، الروائح أيضا. فبالرغم

من الدخان وكل أنواع السبري، تنبعث من المكان الرائحة المألوفة في قاعات الجمناستيك مخلوطة برائحة شعر دهني ورائحة بشرة لم تتعرض للهواء. ورغم الحالة الشبيهة بالغيبوبة التي تلبستها بعدوى من الآخرين إلا أن أنا لا تستطيع أنْ تغفل عن هذه الروائح، فعلى العكس من العينين لا يمكن إغلاق الأنف.

فجأة تصبح أنا يقظة جدا. هذا الوجه! لقد رأته يومض للحظة واحدة فقط. الشعر مرفوع إلى أعلى بخصل كثيفة وتحته عينان واسعتان مكحلتان بكحل أسود كثيف. ذراعان عاريان أما الرقبة فمغطاة. يتحرك الذراعان مثل مكابس. ذراعان رفيعان مثل ذراعي طفل وموشومان على الجانبين – ربما يكون ذلك ليس وشما وإنما صورة ملصقة فقط – يرتفعان إلى أعلى بحركات سريعة.

ما هو اسم هذه الفتاة؟ لابد أنها تلك الفتاة التي كانت ترتدي صدرية المطبخ بالرغم من أنها الآن ليس لها شبه بذاتها حينذاك أبدا.

تقفز أنا ناحيتها "اليف." تنادي بأعلى صوتها الذي لا يعني شيئا وسط الضجة الكبيرة. ولكن أنا تعرف هدفها وفرانتيشيك يقفز خلفها وكأنه لا يخشى شيئا أكثر من أنْ يفقدها في الزحام. يبدو أن صدى صوت أنا وصل إلى الفتاة.

"اليف انتظري، أريد أنْ أسألك شيئا."

تتابع عينا الفتاة الصدى حتى تصلا إلى الصوت نفسه، وفي هذه اللحظة تستدير مستعدة للهرب.

"أنا أريد فقط أنْ أسألك عن شيء ما." تحاول أنا تجاوز عقبة بعد أخرى، تظهر جانبا وتشق طريقها بجهد كبير ولكن الفتاة تهرب، لقد عرفتها وهربت منها.

"اليف، اليف، انتظريني رجاء." وفجأة لا شيء. سترة من الجلد تنسدل على الرأس ولا تعود ترى شيئا آخر.

تقف أنا وفرانتيشيك أمام المدخل من جديد وهما يلهثان قليلا.

"ماذا تريدين منها؟" يقول فرانتيشيك متضايقا.

"إنها اليف، لقد أردت أنْ أسألها عن شيء ما."

"منذ متى تعرفين أشخاصا من الصنف التركي؟"

"الصنف التركي؟"

"تبدو كذلك؟"

"ولكن لماذا هربت؟" تشعر آنا بخيبة لا حدود لها. لا بد أن أليف تعرف ما الذي حدث لحكمت، وقد قيل لها ذلك أيضا.

"من المؤكد أنها تفكر بأنك ستشين بها."

"أشي بها؟ عن أي شيء؟"

"إنها لا تبلغ حتى الرابعة عشرة من العمر."

مطر خفيف يبدأ بالسقوط وشعر آنا يبدأ بالتجعد أثناء المشي.

"هل تريد أنْ تأتي معي إلى البيت، أم أنك تريد الذهاب إلى النوم؟" يتحركان باتجاه شقة آنا.

"إنك لا تريدين إغوائي، أليس كذلك يا آنا؟" يجد فرانتيشيك فجأة صعوبة في أن يبقى مسترخيا، فحسبما يبدو لم يكن يتوقع شيئا مثل هذا.

"كن مطمئنا" تربت آنا على كتفه، "فكما سمعت فإنك عبقرية في الأجهزة أيضا."

يزفر فرانتيشك متنفسا الصعداء خفية. "ما هي المشكلة، أنا تحت تصرفك."

"لقد اشتريت مودوم، هل تستطيع أنْ توصله بالجهاز الراقي هدية الرئيسة لي."

"آه كلا، ليس أنت أيضا، يا آنا، ألا يكفي وجود لاعب مريض في فريقنا."

"لا تخف يا فرانتيشيك فأنا أصبحت أمتلك مناعة ضد ذلك منذ زمن بعيد. ما أريده فقط هو تجربة الجهاز. أنت تعرف أنه ليس هناك شيء في الحياة دون جدوى وخصوصا هدية المؤسسة."

"هل يريدون هم منك تجربته؟"

تومئ آنا برأسها، "وأنا أوجه لك الدعوة لحضور ذلك."

يزيد فرانتيشيك من سرعة خطواته، فهو الطفل النابغة الذي تجعل لعبة جديدة عينيه تبرقان ابتهاجا. "إذن دعينا نرى ما الذي يستطيع عمله هذا الشيء

الصغير. فلا يجب أن أكون سببا في فشل المؤسسة في التوصل إلى النتيجة التي تريدها. هل لديك قليلا من الكوكاكولا في الثلاجة، أنت تعرفين"، يقول فرانتيشيك وهو يغضن جبهته، "بأنني لا أحب القهوة والليل يكاد ينتصف."

يراود أنا لحظة من الزمن أمل برؤية إشارة ما، خبر، أو أي شيء يمكن تلمسه، ولكن ليس هناك صخرة ترقد أمام بابها.

"لا بد أن يكون هاوجسدورف قد عاد منذ وقت طويل؟" بوني تملك إحساسا أكثر من اللازم بالأمور حينما تصبح معقدة. تصمت أنا مع أنها تعرف بأنها حتى بهذا الامتناع عن الكلام لا تملك أية فرصة تجاه بوني.

"لا ترهقي أعصابي، قولي لي ماذا هناك."

تتمنى أنا لو أنها تستطيع أنْ تقذف بسماعة التلفون بعيدا. إنها مرهقة جدا لكي تقوم الآن بالنقاش مع بوني حول هاوجسدورف.

"إنه مشغول كثيرا"، بوني سوف لن تقتنع بأقوال مثل هذه، "وأنا أيضا."

"وماذا عن نهاية الأسبوع؟"

"ماذا تعنين بنهاية الأسبوع؟" تشعر أنا وهي تتكلم وكأنها تمشي حافية القدمين فوق صخور ذات نتوءات حادة ولا تريد الآن بالذات أن تقدم أية تبريرات.

"أريد أنْ أرتب لكما شيئا. وبما أن هاوجسدورف لم يأت للعرض الافتتاحي، فإنه يمكن أنْ تأتيا كلاكما لعرض الاختتام، فأنا أريد أنْ أرى رد فعل هاوجسدورف تجاه أوسكار."

"كل شيء إلا هذا." تكاد أنا ترى الدنيا تسود أمام عينها. "بوني، اتركيني من هذا الموضوع رجاء."

"هل هناك مشكلة بينكما؟"

"هل أنت طبيب أسنان أو أي شيء آخر؟"

"لا تقومي بأي عمل غير صحيح يا أنا."

"قلت لك أن تتركيني وحالي"، تهم أنا بوضع سماعة التلفون، إلا أنها تسمع صوت بوني تقول: "إذن ستأتيان كلاكما يوم السبت القادم."

يصبح الكابوس مجسدا دون أنْ تتمكن من منعه. كيف يمكن الهرب منه؟ لماذا يكون الحلم بحياة آمنة مقلوبا بهذه الطريقة. أنجز فرانتيشيك عملا جيدا. تشغل آنا الجهاز الصغير قبل الذهاب إلى النوم لكي تنصرف عن أفكارها قليلا. ولكن هل عليها أن تدخل إلى مجموعات الأخبار القديمة لسنوات ماضية؟ ولكن لم يعد لهذه وجود الآن. كما أنها نسيت كلمة السر منذ مدة طويلة. لكن آنا كانت جيدة دائما في فك الشفرات. المهم رؤية ما هو موجود الآن، بالمحاولة والخطأ.

تشعر آنا في الواقع بنعاس شديد ولا تريد أنْ تلتقي بأحد آخر أو أنْ تتحدث مع أحد أو أن تناقش أية مشكلة مع أي إنسان في العالم، حتى ولو كان في نيوزلاندة البعيدة عنها بعدا شاسعا.

الجواب هو أن كل شخص موجود هنا في الداخل قابل للاستدعاء أيضا. ولكن أي سؤال يمكنها أن تسأله؟ هل يوجد حكمت؟ وإذا كان موجودا فعلا، فهل هو موجود في مكان ما في الخارج أم موجود بشكل ما هنا في الداخل؟ كيف يمكن الاتصال به؟ من هو حكمت؟

تكاد أصابعها تجد الطريق من تلقاء ذاتها، أما في الواقع فقد غفا ذهنها بأسرع مما كانت تتوقعه. هذا هو الشيء الذي أرادت أن تشغل نفسها به. فقد أصبحت الليلة الماضية الآن صباح هذا اليوم. يتملك آنا وفرانتيشيك الشغف بمواصلة التجربة. لا تزال معتادة على هاوجسدورف باعتباره عامل استقرار في حياتها.

وهاوجسدورف يدعي بأن الشخص الذي ينام نوما عميقا هو الذي يمكنه أيضا أنْ يمارس عمله بشكل جيد.

أنا أعبد هذه الصخرة المسالمة
في ملامحها رأيت وجهي
وفيه رأيت أشعاري الضائعة،
كتب بحروف كبيرة على الغلاف الكبير لإحدى المجلات الأدبية.

"وما هو اسم صخرتك؟"

تشعر آنا بالاضطراب بسبب انهيار الصور.

"قصيدة لأدونيس، واحد من أكبر الشعراء العرب الأحياء. عاش لفترة من الوقت في بيروت، وهنا تعرفت عليه. كان يزور عائلتي باستمرار."

استدعاها يوسف إلى مكتبه. "اصغي إلي، يا عزيزتي. شخص ما قام بالعبث في برنامجنا المغلق، أملي الأخير هو أن تكوني أنت من فعل ذلك."

تفكر آنا في الصخرة التي كانت موضوعة أمام باب شقتها.

"في باسيديوس؟"، سألت لكي تقول أي شيء دون أنْ تضطر للتفكير.

"فيه، وهو أمر لا يبعث على الضحك."

تعود آنا ببطء من أحلامها الصخرية.

"ماذا يعني عبث."

"لقد ظهرت فيه أسماء جديدة."

"أية أسماء؟"

"اسم جديد، أمل أن تستطيعي أنْ توضحي لي ماذا يعني ذلك."

"مثلا."

"حكمت ايفيردي."

"ايفيردي يعني في الواقع: لقد أعطانا القمر."

رد فعل انعكاسي لا غير ولكنه جعل آنا يقظة. "هل تريد أنْ تقول لي بأنه موجود في البرنامج؟"

"فقط أنا وأنت نستطيع الدخول إلى البرنامج، وطبعا أولئك من الوزارة."

"أنا الغبية!" فجأة تصبح آنا صلدة مثل ثلاث صخرات.

"ماذا بك؟ إنك لم تقومي بالدخول إلى الحاسوب لأول مرة. قولي لي أني أحلم."

"إنك لا تحلم، والموضوع كله أغبى من أنْ أستطيع توضيحه لك. هذا الشيء الصغير، انت تعرف ما اقصد، هدية المؤسسة، هو أحسن بكثير مما كنت أعتقد، اكتشفنا هذا أثناء تجربة الجهاز."

"من أنتم؟" يجلس يوسف وكأنه ضابط من القيادة العليا. ينعكس على نظارته الشمسية القدر الكبير من الذهول الذي يعتمل داخل آنا.

"فرانتيشيك وأنا، لقد قام بتوصيل هذا الجهاز بشبكة الانترنيت، فأنا لا أعرف التعامل مع الموديوم."

"أنت لا تريدين أنْ تقولي بأنه أصبح ثمة اتصال الآن بين جهازنا والشبكة."

"ليس بشكل حقيقي، لقد أردنا أنْ نلعب قليلا فقط، لكي نرى إلى أي حد يمكن للمرء أنْ يذهب. لا بد أن الأمر حدث أثناء ذلك."

تسترخي عضلات وجه يوسف. "هل دخل شخص آخر معكما؟"

"يا إلهي، ماذا تقول؟ لا، طبعا."

"فكري بسرعة، فإذا تواجدت أقل إمكانية لذلك، فإنه يجب علينا أنْ نغير كل الرموز. يبدو أنك نسيت بأن البرنامج المذكور يخضع لسرية تامة."

"لا، لم أنس." يبدو صوت آنا ضعيفا وكأنها استعادت لتوها وعيها بعد إحدى اغماءاتها.

"أعتقد بأنك لا زلت لا تعرفين ماذا يعني ذلك. افيقي أخيرا وفكري بالشيء الذي نعمله نحن هنا. لقد اعتمدت على ذكائك."

"حسنا، حسنا، لقد فهمت، هل توجد فرصة لمسح الاسم؟"

"ربما إذا لم يستدعه أحد بعد. كيف تعرفت على هذه العائلة أصلا؟ هل قمت فعلا بالضغط على الازرار فقط، أم أنك تعرفين فعلا أحدا بهذا الاسم؟"

"هذا ما كنت أعتقده على الأقل، حتى ذاب في اللاشيء؟"

"تكلمي بوضوح أكثر، عزيزتي."

"أنك لن تصدقني يا يوسف، أو أنك ستضحك مني إذا حدثتك عن الأمر."

"عليك أنْ تفعلي ذلك." لم تر آنا يوسف بهذه الجدية أبدا. ثم أوصل فيردي محادثة تلفونية لها، تعرف آنا فورا أنه هاوجسدورف.

"طبعا أنا وحدي"، يقول يوسف وهو يشير لها بأنْ تغادر مكتبه بهدوء شديد. تطيع آنا وهي تترك ما ارتكبته وقد تملكها الاضطراب والذعر. يلتقي بها فرانتيشيك في الطريق. "هل يمكن أنْ تكون هناك ليلة تجارب أخرى رجاء؟" إنه

أحد الأيام التي تعود فيها بثور وجهه للظهور. "عليك أنّ تعرفي بأنني لا أعمل في أي مكان بنفس السرور الذي أعمل فيه معك، يا أنا." تدير أنا عينيها. "لقد كنت رائعا يا فرانتيشيك، رائعا فعلا، ولكني وقعت في الحفرة التي حفرتها بنفسي."

"هل تستطيع أنّ تقول لي أين حكمت؟" الرجل التركي الشاب على الصندوق وراء البار يظهر بأنه يراها تماما، يرى ما تشعر به.

"حكمت؟" يسأل بشكل ممطوط وبنظرة تبدو وكأنها قادرة على النفاذ تحت ملابسها وقراءة تعليمات الغسيل المعلقة على حمالة صدرها.

"الرجل، الذي كنت أجلس معه هنا. لقد تكلم معك وكذلك مع الآخرين." تقوم أنا بحركة واسعة بيدها تشمل الشبان الأتراك الجالسين حول منضدة خاصة بهم بالقرب منها.

"حكمت، هل تقولين حكمت؟" يتفحصها الشاب وكأنها قدمت له عرضا غير شريف. تركز أنا نظراتها في وجهه بحيث يضطر لخفض بصره لحظة من الوقت. "لقد رجاني بأنّ أستفسر له عن عمل، وقد قمت بذلك."

"إذا كنت تعنين ذلك الشخص الذي جلس معك هنا عدة مرات"، فيما يبدو يستطيع هو أنّ يتذكر حكمت، "فهذا ليس حكمت"، يقطب جبهته قليلا ويبدو عليه التردد.

أنا مندهشة، كيف لا يكون حكمت؟ "مهما يكن الأمر، فأنت تعرف من أقصد."

"نعم، ولكن هذا الرجل لا يدعى حكمت؟"

"ربما لم أستطع أن أحفظ الأسم بشكل جيد ولكني أعرفه باسم حكمت فقط، وبأي اسم تعرفه أنت؟"

يقظة الذهن هي كل شيء، التركيز، فقط عدم التظاهر بالدهشة.

ينظر الرجل حوله وكأنه يبحث عن شيء ما ثم يقول بلهجة متكبرة "إنه في الواقع ليس واحدا منا. ولكن إذا كنت تسأليني فإنه كان ميسوط، وربما يكون له أكثر من اسم." ثم يقطب وجهه مرة أخرى "واحد لأهل البلد والآخر للأجانب."

"وأين سأجده، ميسوط هذا؟" تسأل أنا بسرعة لكي لا تترك له وقتا لوقاحات

أخرى.

ينظر الشاب مرة أخرى فيما حوله ثم يقول شيئا باللغة التركية للرجال الشبان الجالسين على المنضدة الخاصة. ولكن هؤلاء لا يبدون أقل اهتمام به. وعندما يتهيأ للسؤال من جديد فقط يتفضل أحدهم بالنطق ببضع كلمات. تفهم آنا كلمة ميسوط، وكما تعتقد كلمة استانبول أيضا، ولكن دون أنْ تتوضح لها العلاقة بين الكلمتين.

"يقولون إنهم أيضا لا يعرفون أين ميسوط. إنه لا يأتي إلى هنا بشكل منتظم وإنما فقط عندما يكون على موعد مع أحد ما."

يضع الرجل الشاب فنجانين تحت حنفيات جهاز ماكنة الاسبريسو ويتظاهر وكأن آنا لم تعد موجودة.

ولكن آنا تبقى مصرة. "هل سافر إلى تركيا؟" تعتقد آنا أن هذا قد يكون التفسير لذكر كلمة استانبول.

"آه، كلا." ابتسامة متفكرة تغطي وجه الشاب خلف البار الذي يطلق وهو يقوم بخفق الحليب صوتا أشبه بالفحيح. "بالتأكيد لا."

تدرك آنا مع كل سؤال بأنها تزداد جهلا، وهذا ما لا تريده بالضبط .

"إذن اعطني شايا بالحليب والسكر." دون أنْ تخلع حتى معطفها تمد يدها لحامل الجرائد وتأخذ جريدة منه ثم تجلس إلى الطاولة التي جلست إليها مع حكمت للمرة الاولى. حكمت أو ميسوط؟ يبدو لها كل شيء مختلطا ببعضه، الأسماء، الأشخاص وما بقي منهم من آثار. تقرأ دون أن تقرأ فعلا. حتى العناوين العريضة لا تحرك أي رد فعل فيها، طالما لا تستطيع أنْ تربطها بالشيء الذي تريد معرفته. تقرأ عن حرب في سوق المخابز. المهاجرون يبيعون خبزهم بسعر بخس ويبقون بذلك تحت السعر الرسمي المحدد لأسعار الخبز. لو كان الخبر عن استيراد الفواكه من المناطق الحارة لكان سيهمها أكثر.

عندما يأتي الشاي وتمد يدها إلى الابريق تلاحظ آنا أنْ يدها ترتجف قليلا. هل تلاحق شبحا؟ شبحا اسمه حكمت ويحمل أيضا اسم ميسوط. آنا مارغوتي، قلبك! لقد خرج عن الإيقاع وأنت تتخبطين في قصة هي ليست قصتك

بالتأكيد. ما الذي حدث؟ شخص ما اسمه حكمت ظهر لها فجأة قال أنه يحبها حتى لو كانت أينشتاين شخصيا ثم اختفى من جديد، تحول إلى صخرة أو إلى أي شيء آخر، فما هي الغرابة في هذا الامر في عالم مليء بالصور؟ هل يدور الأمر حول هذا الموضوع فعلا؟

على أنا أنْ تحذر حكمت هذا أو كيفما دعي. ولكن إذا لم يكن اسمه حكمت ولا حتى أيفيردي فبماذا سيفيده تحذيرها له؟ ومع ذلك أن تبين له بأنه هو، أو على الأقل الشخص الذي يحمل اسم حكمت أيفيردي قد أدخل عبر خطأ لا يغتفر من قبلها في أحد البرامج الذي وضع، كما أكد لها، لحماية الجميع، ولكن أيضا لم تعد تعتقد ذلك حقا منذ أنْ رأت التعبير المرسوم على وجه يوسف. وهاوجسدورف؟ ما دور هاوجسدورف في الموضوع؟ فحتى لو أنها عثرت فعلا على حكمت – سيبقى بالنسبة لها هو دائما حكمت – فكيف سيكون بإمكانها أنْ توضح له هذا البرنامج؟ والعواقب التي يمكن أنْ تواجهه، أيا كانت شخصيته الحقيقية.

وإذا لم يكن هو نفسه الشخص الذي أدخلت اسمه خطأ في البرنامج، فهل سيجعل هذا خطأها وكأنه لم يكن، أم أنه سيصيب شخصا آخر أكثر جهلا منه بالسبب الذي يجعله يصبح فجأة مسجلا فيه؟

ولكن ماذا لو أن حكمت كان يعرف منذ البداية بأنها واحدة من الأعضاء العاملين في الفريق مع يوسف وتعمد إلى التعرف عليها؟ إنها لا تجرؤ على مواصلة التفكير في هذه النقطة حتى النهاية. ميسوط مثلا يمكنه أنْ يقوم بشيء مثل هذا، أما حكمت فلا لا، ليس حكمت الذي كانت نظرة منه تجعلها تذوب فيه ذوبانا وأمه هي تلك المرأة التي تضع إصبعها على أنفها حينما تناديه باسمه.

عندما تقلب أنا الصفحة تجد قصاصة ورق تحت الجريدة. هل يوجد هنا شخص قادر على السحر؟ ترفع بصرها دون أنْ تعثر على نظرة تريد الالتقاء بنظرتها.

"ميسوط في استانبول، إذا كنت تريدين فسآخذك إلى هناك. سأنتظرك أمام الباب في الخارج خلال عشر دقائق من الآن." تنظر أنا بحركة آلية إلى ساعتها،

تأخذ رشفة أخرى من الشاي وتتصفح الجريدة من أولها إلى آخرها. تحسب قطع الورق الصغيرة لكيس السكر الصغير بعد أنْ قامت بتقطيعه وهي تفكر مع نفسها: إذا كان العدد زوجيا سأذهب معه، وإذا كان فرديا فسأبقى جالسة هنا لنصف الساعة القادمة وأشرب ثلاثة أكواب أخرى من الشاي.

عندما تمر النادلة بمائدتها تومئ لها آنا بإشارة من يريد دفع الحساب.

تشعر آنا برأسها وكأنه يحتوي على مطرقة زجاجية تطرق دون انقطاع على سندان صغير من زجاج. تريد أنْ تعرف فيما إذا كان ميسوط هو حكمت ولماذا يلعب هذه اللعبة معها.

عندما تتجاهل النادلة اشارتها تضع آنا النقود على الطاولة ثم تنهض واقفة دون أنْ تجعل أحدا يلاحظ بأنها في عجلة من أمرها. تضع الجريدة على حامل الصحف ثم تومئ للرجل وراء الصندوق مودعة.

بحذر تتطلع آنا فيما حولها. لا أحد هناك. يا لها من نكتة غبية. يبدو لها العالم كله كنكتة غبية، نكتة موجهة ضدها هي. الآن ستذهب إلى البيت، تسحب الغطاء على رأسها وتنتظر، مثل مصاب بالشلل،أنْ يراودها النوم حتى تحلم، تحلم بحكمت.

أم أنها ستجد هاوجسدورف يقف خلافا لوعده أمام باب شقتها؟

"هل وجدت فعلا عملا لميسوط؟" رجل يحاذيها بخطواته، شعره أشقر داكن قليلا، في نهاية العشرينيّات من عمره كما يبدو عليه، وبشارب نابت بشكل سيء على الشرم في شفته العليا. وعلى العكس عما حدث مع حكمت عندما فعل الشيء نفسه، تشعر آنا بوقع غريب عليها عندما يخاطبها الرجل بصيغة المفرد فورا.

"لقد استفسرت له عن أمر ما وأريد الآن أنْ أقول له ما توصلت إلى معرفته."

تحاول آنا أنْ تبدو طبيعية قدر الإمكان.

"ولكن ميسوط لا يحتاج لأي عمل، صديقتي، على العكس مني أنا، فأنا بحاجة ماسة إلى العمل، أعتقد انك تفهمين ذلك."

تبطئ آنا مشيتها قليلا". أنا لست من مكتب العمل، والمعلومة التي عندي تخص ميسوط وحده. "يتوقف الرجل عن المشي وكأنه يريد أنْ يقطع الطريق

عليها". ألم تذكري في البداية شخصا اسمه حكمت؟ لذلك فكرت إذا لم يكن حكمت ولا ميسوط فريما انا." تهز آنا رأسها وتريد أنْ تواصل طريقها ولكن الرجل يتحرك أمامها بحركات خفيفة.

"أنت جميلة جدا، فهل لديك أيضا اسما تدعين به؟"

"بوني"، تقول آنا مشددة من لهجتها وهي تفكر فيما إذا كان عليها هي أيضا أنْ تخاطبه بصيغة المفرد كذلك. ولم لا؟

"وأنت؟ من أنت؟" إنه أمر سهل مع الأسماء، فالانسان لا يحتاج إلا أنْ يقول أول اسم يخطر على باله حتى يصبح فجأة شخصا آخر.

"أنا أورهان." يفتح الرجل الطريق أمامها ويعود إلى المشي إلى جانبها. تحاول انا أنْ تتصرف كما يمكن أنْ تتصرف بوني في موقف مثل هذا. بوني ستظهر بالتأكيد بمظهر حازم.

"في أية منطقة تقع استانبول هذه؟"

وكأنهما قد عزما على ذلك نهائيا يقفان فجأة أمام السلم المؤدي إلى محطة قطار الأنفاق.

"في المنطقة الأولى، ثلاث محطات من هنا فقط." يبدآن الركض من منتصف السلم هابطين إلى تحت كي يلحقا القطار الذي دخل المحطة لتوه.

"هل تعرفين ميسوط منذ مدة طويلة؟" أورهان هذا يمتلك مواصفات رجل المباحث، أو على الأدق يمتلك شيئا من أساليب محاكم التفتيش.

"تعرفت عليه قبل فترة قصيرة فقط." تنظر انا بتركيز باتجاه حافة وجه أورهان وكأنها تتبادل النظر مع شخص وراءه، وفعلا كان مفعول الحركة جيدا، يدير أورهان رأسه للتأكد من الأمر.

"وأين؟" لا تريد انا أنْ تسمح لأحد باستجوابها وخصوصا من قبل شخص مثل أورهان الذي يريد أنْ يجعل من نفسه شيئا مهما لا غير. تواصل بهدوء جملتها التي قالتها من قبل: "وأثناء الحديث طلب مني أنْ أحصل له على بعض المعلومات."

"هل تعرفين شيئا أكثر عن جبرائيل هذا؟ لأية جهة يعمل وفي أية مدينة،

بالاحرى في أي بلد؟" لا تربط أنا بشكل جيد بين السؤال وبين الدورة الدراسية التي حضرتها تيريزا في نهاية الأسبوع الأخير.

تعتدل تيريزا، "القاعدة رقم واحد تقول: حاولي أنْ تستفيدي مما يقال لك. ولا تأخذي أي متعقب بنظر الاعتبار قبل أنْ يتوجه هو إليك، وإلا فإنك ستفسدين أسعار السوق لا غير."

يبدو وجه تيريزا وكأنه مضاء إضاءة خفيفة نابعة من شعور خفي بالظفر. كما يبدو عليها أنها تدرك بأنه كان لكلامها تأثير معين على أنا، إذ يتجهم وجهها بعد فترة.

"لا تقولي بأنك تفكرين جديا بالتخلي عنا؟"

تقوم أنا بإشارة نفي واسعة بيدها.

"الذي يدهشني فقط هو عدم حدوث شيء لحد الآن لقد تحدثت عدة مرات عن جبرائيل هذا. لذلك بدا الآن شعوري بالافتخار بنفسي يتضاءل بعض الشيء."

تيريزا لا تنخدع.

"ماذا بك؟ يبدو عليك وكأنك لم تنمي الليلة الماضية جيدا."

"ليس بالأمر المهم، تيريزا."

"هناك شيء ما يشغل بالك، أنا أرى ذلك وعيني مغمضة، هيا تحدثي."

"لا شيء، لا شيء أبدا، ما الذي يمكنه أنْ يشغلني." أنا مترددة فيما إذا كان عليها أنْ تسأل تيريزا، فمنذ فترة طويلة لم تقوما بشيء مشترك معا. ومن جهة أخرى ما المانع من أنْ تتوجه لها بالسؤال، فهما تعرفان بعضهما بشكل جيد، وهذه ليست المرة الأولى. سيكون لذلك بالتأكيد مفعول جيد عليهما كليهما.

"ماذا ستفعلين في نهاية الأسبوع؟" تيريزا تملك سيارة أهداها لها أبوها بمناسبة عيد ميلادها الواحد والعشرين ولا تزال تسير لحد الآن.

"في نهاية الأسبوع؟" تبدو تيريزا مندهشة بعض الشيء. "ماذا تعنين بنهاية الأسبوع؟"

"ما رأيك بالقيام برحلة قصيرة كما كنا نفعل في الماضي، إلى المناطق الخضراء على ضفاف الدانوب، أو إلى حمام السباحة المعدني. هل تتذكرين معلم

السباحة الذي كان يرتدي بنطلون سباحة صغيراً جدا ويقول دائما (أو، أو أنك خائفة؟) الوقت يصبح ربيعا بالتدريج، ألا تشعرين بذلك؟ أشعر فجأة برغبة جامحة في الخروج من المدينة."

تنظر تيريزا إليها بدهشة. "هل تريدين أنْ تقولي إنك تشاجرت مع مستشارك الوزاري؟"

"أنا لا أريد أنْ أقول أي شيء." تشعر آنا بالندم لأنها فتحت الحديث عن الموضوع.

"لا شيء. هل تفهمين؟ أنا في الثالثة والعشرين من عمري، غير متزوجة ولي عمل أعيش منه وأريد أن أقوم بين حين وآخر بعمل ما اشتهي القيام به في نهاية الأسبوع."

"أووه؟" تيريزا تشيح ببصرها وكأنها تريد أنْ تقول بأن كلام آنا يغني عن أي شرح آخر.

"عليك فقط أنْ تحرصي على ألا يكلف تغير مزاجك هذا المؤسسة المهمة الموكولة إليها."

"أنت مجنونة حقا!" آنا غاضبة حقا، "فبدلا من أنْ تعطيني جوابا وديا على سؤال ودي تبدئين بالحديث عن المؤسسة. ربما يكون من الأفضل فعلا أن أبحث لي عن عمل آخر، والا فسأكون انا المذنبة إذا تعرض المشروع الذي تحيطينه بإهتمامك الكامل إلى الالغاء لأي سبب من الاسباب، بسبب رداءة التكليفات مثلا."

تعرف آنا أنها فعلا حقارة منها أنْ تقول هذا الكلام، وأن تيريزا ستكون محقة لو أنها غضبت منها.

"سامحيني." تنهض آنا وتطوق تيريزا بذراعيها. "أنا لم اقصد الإساءة الشديدة، وإنما قليلا فقط، فأنا لا أعرف ماذا أفعل بشأن أمر معين، هل تفهمينني؟"

تمسك تيريزا بذراعي آنا بقوة. "ربما سيكون من الأفضل لنا كلينا لو أننا خرجنا بالسيارة إلى مكان ما نستطيع فيه أنْ ننسى لمدة يوم أو يومين كل شيء."

إيفو يجلس خارج نطاق السمع. ليس في مكان بعيد عنهما، وإنما لأن طنين أجهزة الحاسوب يكون شيئا شبيها بالجدار العازل للصوت. كما أنه يجلس معطيا ظهره لهما ولا يستطيع لذلك أنْ يعرف شيئا عن المؤامرة التي تدبر بداياتها من وراء ظهره.

"اخبريني إذا فكرت جديا بالقيام بذلك." تعود انا للجلوس في مكانها وهي تعرف بأن إيفو هو الذي سيكون الاثقل في كفة الميزان، خصوصا في نهاية الأسبوع

فكيف تستطيع تيريزا أنْ تغامر بأنْ تجعله يعاود الشراب في عطلة نهاية الأسبوع هذه بالذات

مثل هجوم كاسح تحل أول موجة حر على المدينة دون تمهيد هذا العام مسببة شعورا مضنيا بالإرهاق. وعند أقل هبة ريح تتطاير في الهواء أوراق الشجر من الخريف الماضي والتي لم تجف إلا منذ وقت قريب متصاعدة من بين الفتحات الضيقة للشبكات الحديدية المثبتة على الأرض حول جذوع الأشجار في الشارع الدائري.

اشترت انا نظارة شمسية، اكبر ما يمكن أنْ يناسب وجهها وأدخلت شعرها بعد أنْ رفعته إلى أعلى تحت قبعة عريضة من القش، لأن بشرتها حساسة من أشعة الشمس القوية.

وهي لا تريد أيضا أنْ يتعرف عليها أحد من بعيد. سلة مشترياتها لا تزال فارغة وهي تخطط الآن فقط بدقة أكبر لجولة يوم السبت الصباحية. ولأنها لا تريد أنْ تمر من أمام محل الخضر والفواكه لعائلة ايفيردي مباشرة فإنها تنعطف في الزقاق المجاور وتشرئب بعنقها من هناك متطلعة إلى المحل. يتولى متين وعصمت بيع البضاعة دون تغيير. ما الذي سيحصل لو أنها تحركت باتجاههما؟ هل سيتعرفان عليها أم أنهما سيتصرفان وكأنه لم يسبق لهما أنْ رأياها من قبل؟ أم أنهما سيوجهان التحية لها ولكن دون التطرق لذكر حكمت كما لو لم يكن له وجود يوما؟ وإذا حدث ذلك فعلا فإنها ستبدأ بالشك بصحة حواسها. أمر لا طاقة لها به الآن وهي بحاجة للاحتفاظ بكل قواها لنهاية

الأسبوع.

هناك شخص آخر أيضا يقوم بخدمة الزبائن. هل هو أخ آخر لهم؟ أم أنه واحد من الأقرباء؟ أم هو أجير فقط؟ تتقدم آنا بخطوات قصيرة دون أنْ تتخلى عن تسترها.

فجأة تعتقد بأنها تعرفت في الرجل على أورهان، ذلك الشاب الأشرم الشفة الذي أخذها إلى المحل الذي اسمه استانبول زاعما بأن شخصا اسمه ميسوط يتردد عليه.

ولكن لم يكن لمسيوط هذا أي شبه ولو ضئيل بحكمت، كان عليها أنْ تعرف هذا. كان الموقف محرجا لها إحراجا شديدا وكان عليها أن تعترف أنها لا تعرف ميسوط هذا ولا يمكنها لهذا السبب تبليغه بأي شيء.

"وماذا عن العمل الآن؟" قال أورهان بمزيد من الإلحاح، "ألا يمكن أنْ يكون مناسبا لي أنا؟ فأنا بحاجة الآن إلى عمل من أي نوع."

شعرت آنا أنها وضعت نفسها في مواجهة مشكلة كبيرة. كانت نفسها تصدق أنها تحمل لحكمت خبرا من هذا النوع. ولكي تتخلص منه سألت أورهان فيما إذا كان يملك رخصة عمل أصلا. نظر أورهان إليها مندهشا ثم قال لها وهو يبتسم ابتسامة تملق بأنه يعرف ما تقصد ولكن ما عليها إلا أنْ تترك الأمر له، فهو يستطيع أنْ يقوم بكل ما يُعطى له. تنصلت آنا من الموقف بالادعاء بأن عليها أنْ تستفسر أولا فيما إذا كان يمكنها أنْ تعطي التبليغ الذي تحمله لشخص آخر غير ميسوط.

"أين يمكنني أنْ اترك لك خبرا؟" قالت وهي تحاول أنْ تتكلم بلهجة موضوعية وكأنها ستبلغه فعلا إن وجدت له عملا.

"أنا موجود في المساء أما هنا أو في (كعكة الزبدة.) ويمكنك في كلتا الحالتين أنْ تتركي لي خبرا في البار." بعد أن غادرت آنا المحل بسرعة توجهت إلى الشقة القديمة تحسبا من أنْ يلحقها أورهان خفية حتى يعرف مكان سكنها. فتحت جيجي عينها دهشة وهي تراها واقفة أمام الباب دون تبليغ مسبق.

"تعالي، ادخلي"، قالت جيجي وهي تفتح الباب على سعته، "أنا وأوسكار نتناول

العشاء الآن. آمل أن لديك شهية كافية، إذ يوجد عندنا اليوم (عش الغراب)."

لا تتذكر آنا متى أكلت عش الغراب آخر مرة. بالتأكيد ليس بعد أنْ غادرت جيجي لتسكن في شقة خاصة بها.

"جئت لأنني كنت قريبة من هنا"، قالت آنا وهي تخلع معطفها وقد بدا لها أن جيجي وأوسكار فرحين بزيارتها المفاجئة فعلاً.

كان أورهان يحتاج إلى عمل حقيقة. يبدو ذلك من اهتمامه الواضح بالزبائن، إذ كان يشير لهم بحركات متواصلة إلى هذه أو تلك من الفواكه والخضر وكأنه يريد ترغيبهم بها بكثرة الكلام أو على الأقل بأنْ يجعل اللعاب يسيل في فمهم. بالعكس منه يقف عبدال كالتائه وهو يصغي إلى صوت بعيد وكأنه يتوقع حدوث شيء ما، ولكن دون أنْ يستطيع تحديد مكان وقوعه.

يبدو عبدال الآن أكثر شبهاً بحكمت من المرة السابقة. وآنا تشعر بقلبها يتقلص ثم ينتفض انتفاضة قوية. فجأة يتحرك وجه عبدال إلى الاتجاه الذي تقف فيه وكأن هناك شخصاً يقف وراءه ويدير رأسه بشكل غير منظور. تتمكن آنا من الاختفاء في اللحظة المناسبة وراء الأكشاك قبل أنْ تقع عليها نظرة عبدال. على الأقل يوجد الآن عبدال الذي يذكر بحكمت. لم يعد قلب آنا يدق دقاته العنيفة كما قبل حين. وجه عبدال حفظ لها الذكرى. تلتفت آنا وتمضي وهي مشتتة الفكر في طريقها دون أنْ تتطلع إلى اليمين أو اليسار كما لو كانت وحدها في هذا العالم. تصطدم أحياناً بأحد المارة وتعتذر منه بلهجة مرتبكة، وعندما ينتهي الزقاق بين الأكشاك تستدير عائدة ثم تترك نفسها تنساق إلى زقاق آخر في السوق وهي مضطربة الأفكار، مترددة ومنقبضة النفس.

وهي في هذه الحالة تكاد تصطدم بيوسف الذي تراه فجأة أمامها وقد فتح ذراعيه على سعتهما. "قفي، من الأفضل لك أنْ تنتبهي لي، فلعلك لا تزالين بحاجة إلي."

"يوسف!" تعانقه آنا بطريقة وكأنه أنقذها من الغرق في نهر فيناً شديد البرودة. من كيس مشتريات يوسف تبرز أرغفة من الخبز الشرقي وكيس نايلون فيه حبات كبيرة من الزيتون الأسود.

"أأنت وحدك؟" تشعر آنا بالفرح إذ يمسك يوسف بذراعها.

"لم هذا السؤال؟"

"لأني عندما رأيتك تتبضع هنا آخر مرة كان صديقك الجديد معك." يشحب وجه آنا وهي تتذكر كيف سارت يدا بيد مع حكمت عبر سوق الأطعمة.

"هل تعرفين شي تشين؟"

يتوقف يوسف عن المشي ويحدق بها مندهشا.

"من النظر فقط، يقال أنه طباخ رائع."

يعاود يوسف المشي وهو يهز رأسه "هل يتوجب عليه ذلك؟ ربما أتيت مرة لزيارتنا وتناول الطعام معنا حتى تكتشفي بنفسك أنْ كان ذلك صحيحا أم لا."

ترفع آنا رأسها "ما رأيك بمساء اليوم؟"

يهز يوسف رأسه "مساء اليوم غير ممكن، فنحن أنفسنا مدعوون." تشير آنا غير مصدقة إلى كيس مشترياته.

"هذه أشياء نقوم بتجميدها، يجب أن تكفي للاسبوع كله. ولكن إذا أحببت فيمكنك أنْ تأتي إلينا في نهاية الأسبوع القادم."

تهز آنا رأسها. "نهاية الأسبوع القادم لا تفيدني بشيء، أنا أحتاج شيئا لنهاية هذا الأسبوع."

يتوقف يوسف عن المشي مرة أخرى "ماذا هناك، يا عزيزتي؟"

"لا شيء." لا تحتمل آنا أنْ يوجه إليها هذا السؤال مرة بعد أخرى، "تعال نكمل مشترياتنا."

يسيران هي ويوسف جنبا إلى جنب في الأزقة التي تزداد امتلاء بالناس. أرادت آنا أيضا شراء شيء ما، ولكنها لم تعد تتذكر ما هو، فقط عندما يقف يوسف هنا وهناك وهو يشير إلى هذه أو تلك من الفواكه أو الخضر تشتري هي أيضا شيئا منها وتدخله في شبكة مشترياتها. ولكنها تفعل ذلك وهي شاردة الذهن حتى أن يوسف لا يستطيع أنْ يحتمل ذلك.

"هل تستطيعين أن ترى فعلا شيئا خلال هذه النظارة القبيحة؟"

ترفع آنا النظارة عن عينيها لحظة. وعندما يراها يوسف يرتسم على وجهه

الفزع: "كما أرى فإنك الآن بأشد حاجة لشرب فنجان من القهوة، قبل أن تسقطي على الأرض في وضح النهار."

تعاني أنا عموما من انخفاض ضغط الدم وقد سقطت على الأرض دون إنذار أكثر من مرة. يمسك يوسف بها من المرفق محاولا جذبها في اتجاه معين، إلا أنها تلاحظ في اللحظة المناسبة أنه الزقاق الذي فيه محل الآيفيردي.

"لا، ليس من هنا." تهمس بصوت منكسر وتتراجع إلى الزقاق الذي يسبقه. يرفع يوسف بصره إليها ويبدو أنه فهم الأمر "يا إلهي والآن تعودين أيضا إلى موقع الفعلة الشريرة."

تغادر هي ويوسف السوق ويدخلان مقهى على زاوية الشارع التالي، وضعت مناضده في الهواء الطلق. يحاول يوسف وضع أكياس مشترياته على أحد الكراسي الفارغة ثم يقول بلهجة ساخرة عندما تسقط ثمرة من الكريب فروت وتتدحرج إلى الأرض مبتعدة.

"لو أنك تعرفين كم تزعجني أحيانا مهمة القيام بدور ربة البيت هذا."

يركض النادل الشاب وراء ثمرة الكريب فروت، يرفعها عن الأرض ثم يقذف بها باتجاه يوسف. ولكن لا يلتقطها هو وإنما أنا. فقد كانت في المدرسة لاعبة كرة سلة جيدة حتى جاء الوقت الذي ابتدأت فيه بالإبحار في شبكة الإنترنت ولم يعد لديها وقت لأي شيء آخر عداه.

"أحسنت!" يعكس يوسف عليها بريق زجاج نظارته الذي يصبح معتما في الشمس.

"ما تعلمه الإنسان يوما لا يمكن أنْ ينساه،" تقول أنا وإن لم تعد متأكدة من ذلك تمام التأكد. "من الأفضل أنْ تقول لي ما الذي علي أنْ افعله." يأتي النادل الشاب بالقهوة. يبدأ كلاهما بتحريكها وهما يرسمان أشكالا في رغوتها التي تتفكك عن بعضها شيئا فشيئا.

"كوني شاطرة، واسعة الصدر وكتومة" يقول يوسف وهو يشرب قهوته بصوت مسموع.

تغضن أنا جبهتها.

"هذا مثل عربي، يمكن تطبيقه على كل شيء."

"على وضعي أنا أيضا؟" ترفع أنا قبعة القش من على رأسها فينهمر شعرها إلى اسفل.

"ما أدراني، وعلى كل حال فأنا أيضا طرف في الموضوع."

"ولماذا أنت أيضا؟" فجأة تدب الحياة في وجه أنا.

"أصبحت سمعتي كخبير على كف عفريت."

"وضح كلامك أكثر"، تضع أنا قطعة من السكر بين أسنانها.

"أنا كما تعرفين خبير بما يسمى (شؤون الشرق) أي بشؤون المهاجرين من منطقة الشرق الأوسط والأدنى. وقد حصلت أنا كلبناني على هذه الوظيفة لأنه لا يوجد خبير ألماني أو نمسوي مختص بهذا الموضوع قادر في الوقت نفسه على البرمجة على الكمبيوتر."

"طيب، ولكن ما علاقة هذا كله بالموضوع؟"

"هاوجسدورف، هاوجسدورفك أنت"، يمتزج في صوت يوسف شيء من اللوم، "أصبح يرتاب بشيء ما. وحسبما يبدو فإنهم يتتبعون الآن موضوعا معينا، وهنا جاء في الوقت المناسب لهم الاسم الذي أدخلته أنت بطيش ومن وراء ظهري في البرنامج." واضح أن يوسف لم يغفر لها فعلتها.

"هل تم استدعاؤه فعلا."

"لقد حاولت مسحه ولكن كان ذلك متأخرا."

"وماذا تستنتج أنت من ذلك؟" تحرق أنا لسانها بالقهوة الساخنة.

"لا شيء. الذي اكتشفته فقط هو أنه لم يعد هناك وجود لشخص يدعى حكمت أيفيردي."

"ألم أقل لك بأنه اختفى وكأن الأرض انشقت وابتلعته، إلى حد إنه لم يعد هناك من يستطيع تذكره."

يأخذ يوسف وجه أنا بين يديه ويقول هامسا: "إنك لم تفهمي ما أردت أن أقوله لك بعد: إنه لم يعد موجودا لأنه ميت."

تنتفض أنا وكأن يوسف قد وجه لها ضربة.

"منذ ما يقرب من أربع سنوات. إذن حكمت هذا لا يمكن أنْ يكون هو نفس ذلك الشخص الذي جعلك لا تعرفين رأسك من رجليك. لكن ظهور هذا الاسم مرة أخرى بث الريبة في نفوسهم. يبدو أنهم يعتقدون أنه تنبيه سري صدر عني. ولهذا السبب سيقومون بفتح القضية مرة أخرى ومراقبة العائلة بشكل دقيق."

"ولكن لماذا؟" لا تستطيع أنا أنْ تفهم، لا يوسف ولا العالم كله.

يهز يوسف كتفيه. "سأعرف السبب عندما أوجه اهتمامي له بشكل جدي. لابد إن القضية تعود إلى فترة أسبق بكثير من الآن، وحتى أسبق من البرنامج نفسه، إذ لا تكاد توجد أية بيانات حولها. لذلك علي أنْ أبحث عن مصادر أخرى."

"أية مصادر؟" تحدث حكمت أيضا عن بعض القنوات، "فهل كان يقصد الشيء نفسه؟"

"ليس تلك المصادر التي لها علاقة بالجنة"، الطريقة التي يضحك بها يوسف تعني بأن المقصود هو مكان آخر تماما.

"وماذا علينا أنْ نفعل الآن؟"

"لا شيء. هل تسمعين؟ لا شيء. على قدر المعلومات التي لدي فانه لا يوجد في الوقت الحاضر شيء ضد العائلة، أو على الأقل لا يوجد شيء غير اعتيادي. أسوأ ما يمكن أنْ يحدث هو مراقبة أفرادها سرا. أما أقصى ما يمكن أنْ يحدث فهو تفتيش منزلهم في غيابهم."

"أمر لا يمكن القبول به مطلقا، سأقوم بتحذيرهم."

"إياك أنْ تفعلي ذلك. عديني بأنك لن تفعلي هذا مطلقا، إذ أنه سيكون أغبى ما يمكنك القيام به في حياتك كلها. كل إنسان يعرف بأنه مراقب يفضح نفسه وليس العكس. وإذا أردت أصلا القيام بأي شيء، فحاولي أنْ تشغلي هاوجسدورفك قليلا حتى ينصرف إلى أشياء أخرى، مثلا أن تهبيه نهاية أسبوع لا ينساها حتى آخر حياته."

تكاد أنا تنفجر بالبكاء. "مستحيل، شيء لا أقدر عليه، وبالذات معه هو، هذه هي المسألة كلها."

يرفع يوسف النظارة ويحدق في عينيها بنظرة تكاد تكون صارمة. "بل أنك

تقدرين على ذلك، يا عزيزتي. فكري بأي شيء، فكما قلت لك عليك أنْ تكوني شاطرة، واسعة الصدر وكتومة، واستخدمي أيضا مخك الذي لابد أنه لا يزال موجودا تحت خصلة الشعر الحمراء هذه."

"أي عمل نقوم به نحن في الواقع؟ فإذا كانت لكتابة اسم في البرنامج خطأ مثل هذه العواقب الوخيمة، فماذا سيحدث للأسماء التي ندخلها نحن في البرنامج لأنه فتح لها لسبب من الأسباب ملفاً في الدوائر الأمنية؟"

يعود يوسف بظهره إلى الوراء والتقطيبة على وجهه هي بلا ريب تقطيبة الأسد الشرير.

"هل أنت جادة في تساؤلك؟ ولكن لا يهمك، اسألي فقط، أستطيع أنْ أقول لك إننا أعوان صغار، عديمو الضمير يعملون في خدمة النظام كي يكون قادرا على مد مخالبه بشكل جيد، هل أنت راضية الآن؟"

"أنت تجعلني اشعر بالخوف يا يوسف."

يقترب يوسف برأسه من إذن آنا ويهمس لها بصوت كأنه الفحيح بشكل لم تألفه منه من قبل: "وهذه هي فرصتنا الوحيدة. منزلق صغير في البرنامج، خطأ صغير تستطيعين أنت وحدك إصلاحه. بهذا لا يعود الاستغناء عنا ممكنا. انهم يعتقدون أنهم قادرون على السيطرة على كل شيء بما يملكون من تقنية. ولكنهم عملوا الحساب بدون التقنيين. المهم هو ألا تقعي أنت نفسك في أي خطأ كما فعلت، يا عزيزتي. إذن، لا ترتكبي أي غلطة لم تحسبي حسابها . لقد كنت واثقا بأنك ستدركين ذلك أسرع من تيريزا، ناهيك عن إيفو، إنه ليس مؤهلا بعد، وفرانتيشيك لا يزال صغير السن. إذن لا تخيبي أملي فيك مرة أخرى."

غيمة واحدة تمر على الشمس وتجعلها تبدو وكأن لها شاربا. باطن كف آنا يصبح رطبا وعلى شفتها العليا تعلق قطرات صغيرة من عرق الصيف المبكر، وهي تدرك جسامة الوضع، ثم هناك هاوجسدورف، لا يزال هناك هاوجسدورف.

"في الواقع أردت أنا أنْ أسألك فيما إذا كان يمكنني أنْ أختفي عندكم في نهاية الأسبوع. أنا أريد أنْ أهرب من العائلة، هل تعرف. أريد أنْ أجرب مرة بنفسي

كيف يكون الحال عندما يختفي الإنسان من الصورة." يتظاهر يوسف بحركات تمثيلية بأنه يريد انتزاع شعر رأسه. "لا تفعلي ذلك أبدا، وبالذات ليس عندنا نحن، فمن يدري ماذا سيخطر ببالي حينذاك، ناهيك عن شي تشين، كوني على حذر منا فخيالاتنا لا حدود لها."

ترى أنا حلزونا صغيرا جدا وهو يشق طريقه على الخس الذي يحمله يوسف ثم يتسلق ببطء على بطيخة في الكيس ويترك عليها خطا دبقا فضي اللون.

"وأنا التي وعدت نفسها بالكثير."

تعطس أنا بقوة ويكاد عطاسها يبدو حقيقيا. يدس يوسف المنديل في يدها.

"إذا قمت بقضاء عطلة نهاية الأسبوع هذه بما يرضيني فإنني أعدك بأن أكشف لك عن الجملة الأولى في السر الكبير."

"أي سر كبير؟" تسأل أنا باهتمام فاتر، وكأنما تفعل ذلك تأدبا فقط. يرفع يوسف نظارته مرة أخرى ويرمش لها بعينيه العاريتين.

"اعترفي بأنك أنت أيضا تعتقدين بوجود السر الكبير."

"الأفضل من ذلك أنْ تقول لي شيئا عن العائلة وما تعرفه عنها."

"هكذا إذن." يعود يوسف بظهره إلى الوراء وتعبير الرضا مرتسم على وجهه، "ولكن بعد أنْ تقومي أنت بما طلبته منك. فأنا أريد أنْ أرى أفعالا، هل تسمعين؟ أي شيء مكتوب في كتابكم المقدس؟ في البدء كان الفعل."

"الكلمة"، تقول أنا مصححة، "الكلمة."

"دون اعتراضات. لا زلت أسبقك بسنوات كثيرة فيما يتعلق بالقدرة على النفاذ إلى بواطن الأمور."

تنهض أنا واقفة وتفك شبكة مشترياتها من أكياس يوسف الممتلئة.

"سأقوم بما أستطيع القيام به، ولكنني سأكرهك من أجل ذلك وسأكره نفسي أيضا."

كانت بوني هي الفائزة على طول الخط. يأتي هاوجسدورف الذي قضى في يوم السبت أيضا عدة ساعات في العمل، من أجل أن يلتقي بموظف كبير من وزارة داخلية إحدى الدول الصديقة الذي كان قادما من المجر ليسافر عبر النمسا إلى

بلد آخر، لأخذها ولا يتفوه بشيء تقريبا طوال الطريق إلى المدينة الواقعة على الدانوب. صحيح أنه متعب، إلا ان ذلك لا يمكن أنْ يكون السبب الوحيد. وهو أيضا يبدو عليه الاضطراب وعندما يبدأ صمتهما المشترك بالوصول إلى وضع حرج يسألها فيما إذا كانت قد هدأت الآن وهل يستطيع الإنسان أنْ يتكلم معها بتعقل. تجيب آنا بأنها لم تكن مستثارة أبدا وأن الإنسان يمكنه أنْ يتكلم معها بشكل متعقل دائما.

"إذن كل شيء الآن على أحسن ما يكون." يوقف هاوجسدورف السيارة قريبا من المسرح الصغير الذي تعرض فيه قصة أوغسطين الطيب للمرة الأخيرة. كان قد قبلها عندما التقى بها، أما الآن فإنه ترك يدها بسرعة بعد أنْ ساعدها على النزول من السيارة.

يبدو أنْ ما حاولت آنا انْ تقوله له قد أصابه في موقع حساس، رغم أنها لا تعرف في أي موقع بالضبط. عليها أنْ تكون حذرة الآن حتى لا تعود الأمور للسير في نفس مسارها السابق، وهو ما لا تريده مطلقا. آه يا يوسف لو أنك تعرف ما الذي تطلبه مني، تقول آنا في سرها وهي تستحضر كلام المشرف على البرنامج.

في الوقت نفسه تسخر من نفسها، فالفضل في الوضع الذي هي فيه الآن يعود أولا وأخيرا إلى تسرعها هي.

بوني هي التي توجه الأحداث الآن. تلاحظ آنا المتعة التي يشيعها في نفسها قيامها بتعريف هاوجسدورف وأوسكار إلى بعضهما. وفيما يبدو فقد أخطأوا جميعا في تقديرهم لأوسكار. فأوسكار يتصرف بلباقة مدير سابق وليس كمدير مقبل ويتحدث مع هاوجسدورف وكأنهما يعرفان بعضهما منذ سنوات عديدة. أما أكثرهم استمتاعا بالوضع فهي جيجي. وكلما يبدي أوسكار مزيدا من اللباقة كلما تزداد ابتسامتها اتساعا.

تقوم بوني بدور الراعية التي لا تكل ولا تمل من أجل المحافظة على تماسك العائلة. في هذه المرة كان دونالد أيضا حاضرا. وهو وبوني يحيطان الحشد كله وكأنهما اثنان من كلاب الرعاة التي تعرف ما يجب عليها أن تعمله كلما

حرنت الخراف واقفة في مكانها، أو تجمعت بشكل يؤدي إلى احتباس التدفق المنتظم للجمهور الذي يتزاحم للدخول إلى الصالة.

يتفق أن يجلس هاوجسدورف بين بوني وأوسكار – مقاعد الجلوس ليست مرقمة – حيث يحظى بالتأكيد بالرعاية الكاملة، بينما لا تبقى لآنا سوى الفرصة الأخيرة لتصلي من أجل ما يسميه يوسف خاطرة إبداعية، أي أنْ تنجح في إشغال هاوجسدورف فتمنحه عطلة نهاية أسبوع رائعة دون أنْ تذهب معه إلى الفراش.

من ناحية أخرى فهي أيضا ليست مجردة من المشاعر. فهي عشيقة هاوجسدورف منذ سنتين دون أنْ تشعرها هذه العلاقة خلال تلك المدة كلها بأي نوع من الحرج.

وعزوفها عنه الآن لا يعني أنها أصبحت تشعر بالاشمئزاز منه، وإنما هي لا تريد فقط أنْ تنام معه بعد الآن، رغم أن أو ربما لأن حكمت، الذي ربما كان اسمه ميسوط، قد اختفى. لا تستطيع آنا أنْ تكف عن التفكير بأن كل شيء كان قد اتخذ مسارا آخر لو كانت قد تركت لحكمت خبرا في المقهى. فحتى ذلك الحين كانت لقاءاتهما تتم بانتظام دون أن يكون هناك اتفاق مسبق بينهما على الالتقاء في موعد محدد، حتى قطعت هي السلسلة بينهما.

هل تستطيع أنْ ترى حكمت مرة أخرى؟ تصور ما ستقوله له وحده يجعلها تشعر بالحرارة تتصاعد في داخلها. لقد جعلت نفسها تحترق به وقد جعل اختفاؤه جسدها خائر القوى. كذلك لم تنم في الأسبوع الأخير إلا قليلا وعندما تغمض عينيها ترى دوائر حمراء تتراقص في الظلام.

يجلس دونالد إلى جانب آنا ويستند بكلا مرفقيه على ركبتها حتى يتمكن من الرؤية بشكل أفضل من خلال الفجوة بين الجالسين في الدور الذي أمامهما. يبدو عليه بأنه متأثر جدا وعلى وعي تام أيضا بالمنزلة التي منحت له باعتباره أكبر الأبناء عبر السماح له بالتفرج على والده وهو يؤدي دور أوغسطين، وهي منزلة لا يزال أمام أخويه الأصغر منه سنوات عديدة قبل أن يصلا إليها.

يشعر هاوجسدورف بالمتعة إلى حد ما كما يبدو عليه، رغم أن أوسكار، الذي

يرى المسرحية للمرة الثانية، يثقل عليه بتعليقاته.

كذلك بوني، تقدم له بين حين وآخر واحدا من توضيحاتها، في حين يسقط رأس جيجي التي تجلس إلى جانبها على صدرها وهي تغفو إغفاءات قصيرة وخفية لا تلاحظها حتى آنا إلا عبر انتفاضات اليقظة التي تلم بها في فترات زمنية منتظمة. مقابل ذلك تصفق جيجي في نهاية العرض بحماس شديد. وفي الطريق المشترك إلى المطعم الذي توجهوا إليه جميعا بعد العرض ترمي بنفسها على بير معانقة إياه عناقا حارا.

دعاء آنا الجديد، أنت الضليع بذلك أيا كنت، اجعل فكرة متقدة تخطر على بالي، وفي وقت قريب جدا.

طلبت بوني دمج عدة موائد مع بعضها لكي يستطيع كل الممثلين الجلوس معا وأولهم بير الذي يجلس هاوجسدورف هذه المرة إلى جانبه. برافو، تفكر آنا. فكلهم يتصرفون وكأنهم مطلعون جميعا على ما طرأ علي من تحولات عاطفية ويحاولون الآن أن يجعلوا بكل ما لديهم من قوة من هاوجسدورف حجرا في بناء العائلة.

وفيما يبدو فإن هاوجسدورف راض بذلك، مما يجعل آنا أيضا تقبل به خصوصا وإن الفكرة المتقدة لم تخطر على بالها حتى الآن.

وعلى العكس من آنا تملك بوني كل الأسباب لأن تشعر بنفسها في الذروة. فقد عرضت المسرحية لمدة أسبوعين وكان الإقبال عليها جيدا. وقد ظهر نقد جيد لها في إحدى الصحف المحلية، في الواقع في الصحيفة الخاصة بالحي وأيضا في جريدة المستهلكين. وقد وجهت هذه مديحا كبيرا للعمل نسبت فيه إلى بير وفرقته قدرات حرفية عالية في المسرح الارتجالي وحسن الإلقاء أكثر من بعض الفرق المسرحية في المدينة.

عندما جاء دور آنا اكتفت بطلب سلاطة فقط قائلة بأنها لا تشعر بالجوع مطلقا، بل بالعكس فهي حينما تفكر بالأكل تزداد حالتها سوءا. ما يهمها هو ألا يلاحظ أحد الحالة التي هي فيها. بوني وجيجي يمكن أنْ تكونا فيما يتعلق بالأكل فظيعتان فعلا. فحتى عندما كانت طفلة، كانت آنا تعاني كثيرا من الشهية

المنتظمة لامها ولأختها. وقد كانتا كلاهما تحاولان إجبارها على التعود على مواعيد ثابتة للاكل، اما هي فقد كانت حتى وهي في سن الرضاعة ترفض الرضوخ لهذا الإجبار. دونالد يجلس إلى جانبها من جديد، أما على الجانب الآخر فيجلس أوسكار الذي يهنئها في تلك اللحظة على علاقتها بهاوجسدورف مؤكدا لها بأنهما يصلحان لبعضهما تماما.

"علاقاتنا هي المجال الوحيد الذي نملك فيه حرية الاختيار فعلا"، يقول مدعيا ثم يواصل القول: "على الأقل في هذا المجال علينا الا نقبل بأي حلول وسط."

من أين له كل هذه الأفكار؟ وحسب الطريقة التي يتصرف بها يتصور المرء أنه يعيش مع جيجي منذ عشرات السنين. صنف غريب من البشر فعلا.

تشعر أنا بحرارة تتصاعد في داخلها. هل أصبحت فعلا لا تفكر إلا في حكمت؟ عليها أنْ تخرج وترطب وجهها، وإلا فإن حالتها ستفضحها. "العفو"، تقول هامسة لأوسكار ودونالد، "سأعود بعد قليل." عندما تقف تشعر وكأنها تدوس على قطن ناعم وفي الخطوة الثانية ترى أرضية المطعم وهي تتقدم ناحيتها، وآخر ما تسمعه هو القرقعة المتواصلة للكراسي وهي تُبعد إلى الوراء وبعد ذلك تشعر وكأن شيئا يتدفق عليها وكأنه المحيط بأجمعه.

إنها الآن تسبح فعلا وتستطيع أنْ ترى نفسها وقد أصبحت سمكة فضية ترتفع في حركات لولبية إلى أعلى. ترى فوقها السطح المائي والشمس تشرق عليه وتحتها كميات هائلة من المياه السوداء التي تزداد سوادا من لحظة لأخرى. الصورة نفسها في كل مرة: رغم كل ما يحيطها من أخطار لا تكف عن محاولة الصعود إلى أعلى ويبدو غريبا لها بأنها لا تزال قادرة على التنفس. ثم تعتقد بأنها تسمع صوت ارتطام المياه بالشاطئ . موجه عالية من الأصوات البشرية ترتطم بأذنها ببطء وهدير لأمواج صوتية منخفضة وأخرى مرتفعة.

عندما تعود لنفسها تعرف بأنها مستلقية على أريكة، رأسها مستقر في حضن أوسكار وهاوجسدورف يحاول أنْ يجس نبضها، تقول بوني بأنها أخبرت الطبيب بينما تضع جيجي منديلا مغموسا بماء معدني على رأسها.

"هل وجدت حلا لها؟" تعمل تيريزا في هذه اللحظة في برنامج له علاقة بحسابات وإصدار استمارات الغرامات – بتكليف من القسم البلدي المختص بهذه الشؤون. وتحاول من جديد أنْ تستخرج استمارة الغرامة الخاصة بها، الأمر الذي يحتاج إلى مزيد من الوقت، ولكنها في نهاية الأمر تنجح في ذلك دائما دون أنْ تترك ولو أثرا بسيطا.

"ماذا؟" أنا تفكر في يوسف الذي لا يزال معتصما داخل مكتبه الذي يشغله وحده.

"عطلة نهاية الأسبوع؟" صوت تيريزا يحمل شيئا من الاعتذار.

"طبعا، طبعا وبشكل جيد جدا." لم تتكلم آنا طيلة الوقت إلا قليلا.

"كان ينبغي علينا فعلا الخروج خارج المدينة أنا وأنت، كان الجو جميلا جدا وكان الهواء سينعش بشرتنا."

"وأنت؟" تسحب آنا أصابعها حتى تجعلها تفرقع.

"كما ترين، لا أزال على قيد الحياة. مر إيفو مرة أخرى بواحدة من أزماته الشديدة. ولم يكن لدي في البيت ما يكفي من الحليب. ولكنه والحمد لله هدأ ثانية. ذهبنا ظهر يوم الأحد لزيارة واحد من مواطنيه. وقد ظلوا يتحدثون العصر كله في السياسة، أقصد الرجال، في حين قمت أنا بغسل الصحون مع المرأة في المطبخ ومسح المخاط السائل من أنف الأطفال. تصوري، إن العائلة كلها تسكن في شقة مكونة من غرفة واحدة ومطبخ إضافة إلى عدد لا يحصى من الزوار وكلهم مدخنون. كان علي أنْ أضيق عيني لكي أستطيع أنْ أميز إيفو بينهم. إلا أنه استطاع الصمود ولم يشرب الكحول ولا حتى كأس الوداع التقليدي. وعندما كنا نريد الذهاب تشبث أحد الأطفال الذين لعبت معهم قليلا، قتلا للوقت فقط – أنا لا أعرف لحد الآن اللغة الصرب-كرواتية – بساقي وهو يصرخ "لا تذهبي، لا تذهبي، أبدا." نظرة تيريزا تغرق في بحر المشاعر التي تملكتها حتى أن آنا لا تتحمل رؤيتها وهي في هذه الحال.

"صحيح!" تتوهم آنا أنها تدرك ما يعتمل في داخل تيريزا. "ومنذ ذلك الحين تلاحقك عيون أطفال صغار وتشعرين بدغدغة غريبة في حلمتيك وبطنك وهو

يتكور رغما عنك."

"من أين تعرفين هذا؟" يعبر وجه تيريزا عن دهشة شديدة.

"بالله عليك يا تيريزا لا تقولي بأنك تفكرين جديا بإنجاب طفل؟" تنحني آنا إلى الأمام لكي تتأكد من أن إيفو لا يرتاب في شيء، إلا أنه كان قد خرج من المكتب لتوه. "ومن إيفو طبعا؟ هل فقدت رشدك؟"

يتملك تيريزا غضب شديد لأن انا تواجهها بهذا كله.

"بالطبع سيكون ذلك من إيفو، وإلا فمن مَن؟"

انا مطبوعة بتجاربها الخاصة وبتجربة جيجي.

"هل فكرت بأن ذلك سيتطلب منك أنْ تبقي في البيت لفترة من الوقت؟"

"وماذا في ذلك؟" تقول تيريزا وهي تلوي شفتيها، "المؤسسة ليست هي الشيء الوحيد في العالم. سنتدبر امورنا بطريقة ما."

"قولي لي كيف. إذا كنت لا تزالين تفكرين بشكل متعقل."

تزفر تيريزا بقوة. لأي شيء عندي عائلة إذن؟ امي وابي سيفرحان بالتأكيد."

"ألا زلت تتذكرين ما قلته لي عن والديك؟ بغض النظر عن كونهما يعيشان في جنوب التيرول؟"

تبدو تيريزا وكأن احدا صب عليها سطلا من الماء المثلج.

"انا لم أقل بأنني اريد طفلا الآن، ومن يعرف فيما إذا كان بإمكاني أنْ أحمل بطفل أصلا. كل ما في الأمر هو أنني أتمنى أن يكون لي طفل في وقت ما، نعم أنا أتمنى أنْ يكون لي طفل."

"وماذا سيقول أهلك عن إيفو فيما تعتقدين. هل تكلمت مع والديك عن الموضوع؟"

الفكرة وحدها تجعل تيريزا تشعر بقشعريرة شديدة. "طبعا لا، يجب أولا أنْ يقلع إيفو عن الشراب."

تستمتع انا بالحديث عن الموضوع، "قد يزعجهم شيٌ آخر فيه، كونه لاجئ مثلا، وقد لا يحبان لكنته الأجنبية."

تغلق تيريزا أذنيها بيدها. "كفي يا آنا، أرجوك، كفي عن ذلك." تمتلئ عيناها

بالدموع وآنا نفسها لا تعرف لماذا تكلمت معها بتلك الحدة. هل لأنها لا تريد أنْ تفقد تيريزا كزميلة لها؟ تنهض آنا واقفة وتطوق تيريزا بذراعها.

"أنت تعرفين ما أريد أن أقوله لك. عليك الا تكوني عاطفية. لا نستطيع كلانا أن نسمح لأنفسنا بذلك، تمهلي قليلا، عديني بذلك."

يعود إيفو إلى مكانه حاملا فنجان القهوة بالحليب الذي أصبح لا يمكنه الاستغناء عنه. وعندما يرى تيريزا وآنا متعانقتين بقوة يهز رأسه. "ماذا هناك، هل وقعتما في غرام بعضكما." صوته محمل بشكل واضح بحق الملكية.

"لا تثر ثائرتك يا إيفو"، تقول آنا ثم تعود لجهازها، "وعليك أنْ تدرك بأنه لابد لك أنْ تقتسم تيريزا معي."

تبرق عينا إيفو. "هل تقصدين بأننا نحن الثلاثة؟"

"أعني إذا قمت أنت بغسل الصحون."

ينفخ إيفو نفخا قويا في القهوة بالحليب ثم يرتشف منها جرعة كبيرة. يبدو أن وضعه قد تحسن في الفترة الأخيرة كثيرا. "أصبحت الفتيات سليطات اللسان فعلا."

يقول إيفو لفيردي الذي يجمع البريد. "والآن جاء الوقت لكي نبين لهن من هو الرجل هنا."

يشير فرانتيشيك بإصبعه إلى آنا وتيريزا اللتين ترتديان بالصدفة بنطلون جينز أبيض اللون. وحتى الرئيسة التي تمر في تلك اللحظة من خلال الباب ترتدي بنطلونا عريضا.

"لا أمل بذلك، منذ أن أصبحت المرأة ترتدي البنطلون أيضا."

بعد أنْ أعطاها الطبيب حقنة كالسيوم مؤكدا أنها لا تعاني من شيء سوى الانخفاض العادي في ضغط الدم، أصر هاوجسدورف على أخذ آنا معه إلى البيت قائلا إنه سيتولى رعايتها، إذ لا ينقصها إلا القدر الكافي من النوم مع شيء من الاسترخاء يمكنها أنْ تعوض عنهما يوم غد الأحد. لاحظت آنا كيف تبادلت جيجي ويوني نظرة تآمرية وهما تذعنان لإلحاح هاوجسدورف بعد أنْ كانتا في البداية قد أبدتا كلتاهما الاستعداد للعناية بها.

كانت آنا تشعر وكأنها مجوفة من الداخل. إلا أن عضلاتها المتشنجة بدأت بالارتخاء بعد أنْ بدأ الكالسيوم يعطي مفعوله. دون أنْ يكون لديها أية قوة على الاعتراض تركت آنا نفسها تُقاد إلى سيارة هاوجسدورف. ألقت جيجي معطفها عليها ولفتها فيه من الأمام. سلمتها بوني حقيبة يدها من نافذة السيارة، أما أوسكار فقد أبدع بإبداء الملاحظة بأن سبب ما حصل كان بالتأكيد إجهادها لنفسها في العمل وإن عليها أنْ تدرك أنه لا توجد في العالم كله مؤسسة تستطيع أنْ تدمر لها صحتها، إلا إذا سمحت هي نفسها بذلك.

عاملها هاوجسدورف باحتراس شديد. وكان الإعياء الذي ألم بها شاهداً صادقا على حالتها. لهذا لم يثقل عليها بشيء. كانت لا تزال يقظة عندما استلقى إلى جانبها ثم ضغط على يدها قبل أنْ يستدير للجهة الأخرى.

عندما استيقظت بعد أكثر من عشر ساعات بدا لها أنها لم تتحرك طيلة الليل حركة واحدة. إلى هذا الحد كان نومها عميقا. كان هاوجسدورف قد نهض قبلها من الفراش. تسمعه وهو يصفر صفيرا مرحا، مما يشير إلى طيبة مزاجه. تذهب إلى الحمام وتضع عليها واحدا من معاطفه وفجأة تشعر بالقشعريرة تخترق جسدها من جديد.

تشكر في سرها هاوجسدورف الذي جاء بالفطور إلى الفراش. كان قد أعد أيضا إبريقا كبيرا من الشاي الثقيل ووضع فوق صينية فطائر طرية، شرائح رقيقة من اللحم المملح ولبنا رائبا. يقول لها إنه يفضل، لأنه يحب تناول الفطور، أن يستيقظ في الصباح نصف ساعة مبكرا على أنْ يكون في عجلة من أمره. وحتى البيض كان مسلوقا بشكل جيد، مسلوقا نصف سلق، قال عنه بأنه بيض طازج جدا يعرف من أي من الأكشاك يستطيع الحصول عليه في سوق الأطعمة.

ترتعد آنا لا إراديا عندما يأتي هاوجسدورف على ذكر السوق . لم تلتق به هناك لحسن الحظ مرة من المرات. كما أنها لا تعرف شيئا عن عاداته في التسوق.

وعموما تكتشف فيه جوانب أخرى لم تكن تهتم بها من قبل، فهي نادرا ما كانت تقضي الليل معه حتى الصباح. في الغالب كان هاوجسدورف يوصلها إلى

البيت. ويشكل ما خالف مبيتها عنده هذه المرة اتفاقهما. يا للهول! فهي أيضا أصبحت تستخدم هذا التعبير في أفكارها. كانت هي علاقته الغرامية. ولم تكن فكرة جيدة أن تكون قد عرفته بعائلتها. ولكن الأمر حدث. كذلك كانت بوني وجيجي شديدتي الفضول دائما.

فما كانت لتستطيع الاحتفاظ بموضوع علاقتها مع هاوجسدورف سرا.

حين ينتهيان من الأكل تبدأ يد هاوجسدورف بتلمس جسدها من تحت الغطاء. تتظاهر أنا أنها لم تلاحظ شيئا وتبدأ بسرد قصة تعرف أي تأثير سيكون لها عليه وتنجح من الجمل الأولى بشد انتباهه إليها حتى أنه يتخلى عن أية محاولة أخرى للتقرب منها. ويشكل ما يبدو سردها لهذه القصة وكأنه محاولة لإنقاذ نفسها. وفيما هي تختار كلماتها بكثير من التروي تستطيع أنْ ترى كيف ينتصب قضيب هاوجسدورف تحت الغطاء.

تتجنب أنا النظر إليه وهي تواصل سرد حكايتها، إلا أنها تستطيع أنْ تستعيد بشكل جيد تعابير وجهه من مواقف سابقة مشابهة حينما يبدأ أولا بتركيز بصره عليها ثم تضيق نظراته حتى تكاد عينه تنغلق تماما ولا يبقى ظاهرا منها إلا البياض تحت الجفن وهو يرمش رمشات متلاحقة، بينما تتسارع أنفاسه و يبدأ بإطلاق التأوهات وكأنها إيقاع لحني خفيض لا يريد له أنْ يطغي على كلماتها. ينحي هاوجسدورف الغطاء عنه لكي يريها تأثير كلماتها عليه. وعندما تبدأ أنا الكلام بجمل سريعة دون أنْ تبدي أية إشارة إلى أنها تريد أنْ تتلمسه يدفع غلفته بيده إلى الوراء ويشد خصيتيه حتى يقذف مرة واحدة، ليس كثيرا من ذلك السائل المصفر، وإنما بشكل يترك أثرا منظورا على شرشف الفراش الذي ينقلب عليه في محاولة قوية لتطويقها بين ذراعيه فتحاول تهدئته بأن تدلك له ظهره.

لا يزال هناك فنجان شاي لكل منهما، يشربانه وهما يجلسان بحميمية جنب بعضهما على الفراش.

"لا بد أن يصبح واضحا لك تدريجيا لماذا لا أستطيع أنْ أتخلى عنك." يقبل هاوجسدورف أنا قبلات رطبة على عنقها. "فليس هناك من يستطيع إثارتي

مثلك."

تبتسم آنا، تضطجع ثانية وتغلق عينيها.

"استريحي"، يقول هاوجسدورف وهو يبعد عنه الأغطية ويخرج من الفراش. "في الواقع كنت أريد الذهاب إلى نادي الخيل، ولكني أنا أيضا متعب جدا."

يحمل الصينية ويخرج فتستطيع آنا أنْ تسمعه فترة قصيرة وهو يتكلم في التلفون. وعندما يستلقي إلى جانبها مرة أخرى تتظاهر بالنوم، تسمعه يتثاءب بصوت عال ثم تشعر بذراعيه على ظهرها. لم تعد ستائر الغرفة مسدلة بشكل كامل. تتسلل الشمس من خلال الشق بين الستائر وتلقي بأشعتها على وجه آنا. تبحث آنا متلمسة عن ساعتها. أصبح الوقت ما بعد الظهر. لابد أن يكون هاوجسدورف قد استيقظ منذ وقت طويل، إذ تراه عندما تذهب إلى غرفة الجلوس، وقد غير ملابسه وحلق ذقنه منحنيا على أعمال شفيند، فوجر ودافنغر، وبالذات على دافنغر، الأعمال التي تشكل أصغر قطع المجموعة حجما وأغلاها ثمنا. كان قد اشترى هذه القطعة التي تحمل اسم (بورتريت رجل مجهول) قبل فترة قصيرة من سفره إلى أمريكا. وهي وإنْ كانت لا تحمل توقيعا، إلا أنّ نسبها إليه واضح. قطعة مرسومة بالزيت على قاعدة من العاج وذلك بسعر لم يتجاوز مائتي ألف شلن. والآن نشر قطعه كلها على أرضية الغرفة بلونها الرمادي المائل للأزرق والذي يجعلها تظهر بارزة للعيان بشكل خاص.

"هل نمت جيدا؟" يسألها هاوجسدورف ببراءة طفل يتطلع من وراء صندوق الرمل الذي يلهو به الأطفال في الحدائق العامة، فتومئ آنا برأسها إيجابا وتجلس إلى جانبه. يدس العدسة المكبرة في يدها وقد تملكه شعور الانبهار بقطعتيه اللتين اقتناهما أخيرا. "انظري أي عمل دقيق هو هذا، وكأنه رسم بفرشاة من شعر القطط."

لا تزال آنا واقعة تحت تأثير النوم، "شعر القطط؟" تقول وهي تتثاءب.

"قال لي أحد المقتنين من وزارة الخارجية الذي عمل فترة طويلة دبلوماسيا في تركيا مرة بأن الخطاطين العثمانيين كانوا يربون أنواعا معينة من القطط، ينتزعون منها شعرا رقيقا جدا ينبت تحت ذقنها ليعملوا منه فرشا دقيقة حتى

انه لم يكن ممكنا الكتابة بها إلا باستخدام عدسة مكبرة."

بغتة تصبح حواس آنا متيقظة. "هل تعرف شيئا عن الخط؟"

"ليس فعلا، كنت أفضل المنمنمات دائما، وإنْ لم تكن المنمنمات الشرقية، وإنما البورتريت." كان هذا كل ما عند هاوجسدورف ليقوله. تنهض آنا بتكاسل من الأرض وتتوجه بخطوات ثقيلة إلى الحمام.

يريد هاوجسدورف الذهاب إلى أحد المطاعم لتناول شيء من الطعام والتنزه بعدها في الهواء الطلق. حصانه أخذه اليوم شخص آخر. مع ذلك فإن التنزه في براتر أو في منطقة فيشاميند على ضفة الدانوب هو الآن شيء مناسب جدا. بهذا يمكنهما إما الذهاب إلى مطعم بوتر فاسل لأكل شرائح اللحم المحمرة أو إلى مطعم روستيجن أنكر لأكل السمك وبعد ذلك التمشي ساعة من الزمن. آنا تفضل التمشي على ضفة الدانوب. براتر بالنسبة لها مكان قريب جدا، كما أنه يذكرها بما قاله حكمت لها من أنه قبل أنْ يكلما بعضهما أول مرة كثيرا ما كان يمشي وراءها خلال المدينة كلها. هل من الممكن انه قام باختراع هذه القصة كلها لكي يعبر لها بهذه الطريقة المضخمة عن اهتمامه به؟

يسيطر عليها شعور بالانقباض عندما يتمشيان، هي وهاوجسدورف، على ضفة الدانوب شبعين ومرتاحين. ولأن الوقت كان متأخرا فلم يضطرا للانتظار فترة طويلة حتى قدوم الطعام. منظرهما وهما يمشيان جنب بعضهما يوحي بتلك الصورة النموذجية الدارجة للأزواج المتقدمين في السن، وهو ما لم يكوناه مطلقا – لأن آنا كانت تهتم كثيرا بأن تحافظ على موقعها كعشيقة – وهما يتحدثان بهدوء عن أشياء لا أهمية لها، مثلا عن أكواخ الصيادين الصغيرة على ضفة النهر وعن زهور الربيع، التي تفتحت كلها فوق المروج وهو أمر يثير الدهشة، حتى يبدأ هاوجسدورف بالحديث مرة ثانية بأن عليها أنْ تهتم بنفسها لأن لشاشة الكمبيوتر أضرارا كبيرة، وبأنه يمكن أنْ يكون لها على الشباب بالذات أضرار وخيمة لا يعود إصلاحها ممكنا إذا لم يعتدل المرء في التعامل معها منذ البداية، وأن حادث الأمس لم يكن إلا عارضا مرضيا أطلقه جسدها كإنذار عليها ألا تتجاهله مطلقا .

تؤكد آنا بضعف أنها أدركت ذلك أيضا، إلا أنه في ذلك اليوم كان هناك جهاز في المؤسسة جرت تجربته مما تطلب منها أنْ تقضي في العمل وقتا إضافيا. "الدافع للتفوق في العمل يضع الإنسان تحت ضغط كبير. الفرع المحلي لا يحقق أرباحا عالية مقارنة بالفرع الجديد في وارشو حيث الرواتب أقل بكثير. لذلك يجب علينا أن نقدم أداء عالي المستوى، وهو أمر ليس سرا عليك، فأنت في الآخر واحد من الذين يكلفوننا بالأعمال التي نقوم بها."

"ليس أنا وإنما الوزارة." بالرغم من ذلك يؤكد هاوجسدورف على كلمة أنا ثم يقول وكأنه يفكر بصوت مسموع فقط، "ربما ينبغي علي أنْ أعطي الأمر بسحبك من العمل في برنامجنا، بذلك يصبح ضغط العمل عليك أقل بكثير مما هو الآن."

تتوقف آنا فجأة عن المشي وتسد بحركة قوية الطريق على هاوجسدورف.

"لماذا تريد ذلك؟" تدرك آنا فورا أن لهجتها كانت عنيفة جدا.

"ولم لا؟" ترتسم على وجه هاوجسدورف ابتسامة ضئيلة تجعله يبدو وكأنه لا يدري ما يقول، "أم أنّ لديك اهتماما شخصيا بهذا البرنامج؟"

تشعر آنا وكأنها تقف على سطح من الجليد وتسمع دوي جرس إنذار خفي. تبتسم هي أيضا وإن كانت ابتسامتها أقرب إلى التحدي. "ليس اهتماما شخصيا ولكني كما تعرف من أفضل المؤهلين لهذا العمل. ومن أجل ذلك تم اختياري لهذا البرنامج. وإذا طلبت سحبي منه فإن الرئيسة ستفهم بأنك غير راض عن أدائي. وستكون الخطوة التالية فقداني لعملي لأقل هفوة تبدر مني، هل تريد ذلك؟"

يبدو غضب آنا حقيقيا وهي أيضا ليست مخطئة فيما تتنبأ به، وحتى هاوجسدورف يبدو مقتنعا بكلامها.

"أنا لم أقصد ذلك طبعا"، يقول هاوجسدورف محاولا تهدئتها، "أنا أريد فقط أنْ أخفف ضغط العمل عليك."

مدفوعة بالغضب الذي تملكها تنتقل آنا إلى الهجوم المضاد.

"إذا كنا قد فتحنا الموضوع فإني أريد أنْ أعرف لأي شيء تخطط أنت حقيقة؟ هناك شيء ما على غير ما يرام. الذي أريد قوله هو: هل تقول هذا لأنك قلق فعلا

على حالتي الصحية، أم أنك تريد إغضابي فقط؟ هذه النزعة في التكتم والسرية هي شيء مضحك فعلا. ماذا تعتقدان أنت ووزارتك أنكما قادران على عمله؟ هل تريدون إعادة كل الناس الذين رمى بهم التيار هنا إلى بلادهم البائسة؟ هل هذا هو الموضوع؟ فإذا كان هذا هو الموضوع فإنه لا يستحق كل هذا الجهد. وإلا فما هي حقيقة الأمر؟ قل لي." يقطع هاوجسدورف المحادثة بطريقة من تعلم عدم قبول أي اعتراض وهو يشبك إصبعه في إصبعها ضاغطا عليه بعنف، حتى أنها تشعر بأنه لم يبق أمامها حتى مجال صغير للتحرك. "يبدو أن ضميرك بدأ يؤنبك فجأة؟ هذا شيء غير معهود منك."

تتزايد خطواتهما الآن سرعة، وهاوجسدورف هو الذي يحدد السرعة والاتجاه ساحبا إياها معه.

"ولكنك لست بحاجة لأي تأنيب ضمير، فالشيء الذي نقوم به – وفيما يتعلق بذلك فأنت تنتمين إلينا أيضا – هو لخدمة بلدنا ليس إلا. نحن نصنع الاستقرار إنْ أردت. وسنتواصل في المستقبل القريب شبكيا مع صانعي الاستقرار من أمثالنا في الدول الأخرى. لذلك فأنت لست بحاجة لأن تشعري بالقلق على وضع مؤسستك فيما يتعلق بالمهمات التي تكلف بها. بالعكس من ذلك سيلتحق بالعمل أشخاص آخرون لأننا واقعون تحت ضغط الرأي العام الذي يريد أنْ يرى نتائج ملموسة، سيتضاعف الضغط في الفترة القادمة على كل الأطراف. إذن فكري فيما إذا كنت أنت أيضا لا تريدين وضعا أكثر استقرارا. وما تسمينه أنت دون حق تسترا كان ولا يزال أحد الشروط التي لابد منها، وهو التكتم التام تجاه كل الذين لا ينتمون إلينا، ولكن هذا شيء تعرفينه أنت جيدا. الأمر يتعلق بالأمانة وبالالتزام بالاتفاقات المبرمة. فبهذه الطريقة فقط يمكن الحفاظ على أمن الدولة." يضغط هاوجسدورف على يدها بشدة حتى تشعر بالألم.

"وماذا يحدث لكل تلك الأسماء والبيانات التي نقدمها لكم على أساس التحريات التي تقومون أنتم بها؟"

مثل أغلب المبرمجين لم تهتم أنا أيضا اهتماما شخصيا بما يحدث للبرامج التي تشارك هي في إعدادها ولا بالغرض من استخدامها. ما كان يهمها فقط هو

الجزء الذي يتوافق أو لا يتوافق مع قدراتها الشخصية. ولكن منذ أنْ حدث ما حدث مع اسم حكمت أصبحت تتساءل عن عواقب ما تقوم به من عمل. ولابد أن هاوجسدورف بدأ يرتاب بها بشكل ما.

هاوجسدورف لا يزال يلف إصبعه على إصبعها. "قومي بأداء عملك فقط واتركي كل ما عدا ذلك لنا، فنحن الذين علينا أنْ نحافظ على النظام في البلاد."

لا تقول أنا شيئا آخر، وماذا بإمكانها أنْ تقول غير ذلك؟ فقد تجاوزت على كل حال المجال المخصص لها، كما سيقوله لها يوسف لاتما، لو أنه استمع لهذه المحادثة بينها وبين هاوجسدورف. غريبة الطريقة التي تتغير بها نظرتها إلى الأمور. أصبحت ترى في هاوجسدورف فجأة الرجل المتسلط، المطلع على الكثير من المعلومات والذي يستطيع أيضا أنْ يحصل على المزيد منها كما يحلو له. ماذا سيكون جواب هاوجسدورف لو أنها سألته عن حكمت أيفيردي؟ ربما سيحدق فيها ثم يسألها فيما إذا كان هذا مؤلف قصص بوليسية جديد أو عازف قيثارة في إحدى الفرق الموسيقية الشعبية. لا يمكنها أنْ تغامر أبدا بأن تلقي عليه مثل هذا السؤال. لقد أفزعتها حقيقة فكرته بشأن سحبها من العمل في باسيديوس. هل حدث ذلك عفو الخاطر أم انه يعرف شيئا، وإذا كان يعرف شيئا فما هو؟ "لن تؤدي مواصلة النقاش حول الموضوع إلى شيء"، يقول هاوجسدورف مخففا لهجته، "فالعمل الذي نقوم به شيء وأنا وأنت شيء آخر، مع ذلك فإن التداخل جائز. هل تفهمين ما أقصد؟ أنا لا أريد بالطبع أنْ أضر بك وظيفيا. ولكنه أمر غير جائز أنْ يمس ذلك حياتنا الخاصة بسوء، فأنا أفضل في هذه الحالة ان لا تعملي في هذا البرنامج."

"الطريق هو شيء واحد أما أنواع السير فعديدة." يبتسم يوسف ابتسامة غامضة حين تريه أنا الدعوة.

أوصل هاوجسدورف أنا بعد نزهتهما على ضفة الدانوب إلى البيت ثم أصر على مرافقتها حتى باب الشقة "كما هو الواجب"، وقد عاد ليصبح مرة أخرى ذلك السيد المهذب. رأت أنا نفسها مضطرة إلى أن تسأله فيما إذا كان يرغب بشرب شيء ما عندها. ولكنه رفض قائلا إن عليه أنْ يذهب ليرى ما حل

بحصانه وأن يتأكد على الأقل من أن الحصان لا ينقصه شيء، مضيفا أنه ربما سيقوم بالخروج به مساء ليتنسم معه شيئا من هواء براتر، فما دام المرء يسمح لنفسه بترف امتلاك حصان، وهو ترف فعلا، فإن عليه أنْ يخصص له القدر الكافي من الاهتمام أيضا.

"مؤسف أنك لا تحبين هذه الحيوانات." تخاف آنا هذه البهائم الهائلة الحجم كما تعترف هي بذلك صراحة. بهذا تبقى وفية لما عهدته في البيئة الشعبية لأيام طفولتها وصباها، والتي لم توجد فيه الخيول إلا كألعاب في براتر، وهذه كانت مصنوعة من الخشب.

"وبالمقابل فإنك لا تحب الذهاب إلى السينما"، كان جواب آنا دائما. بهذا كانا يكفان عن النقاش باعتبار أن هناك توازنا في الرغبات.

كان هاوجسدورف بالطبع هو الذي رفع الورقة التي كانت قد دفعت إلى شقة آنا من تحت الباب وقرأها بسرعة "والآن أصبحوا يرسلون لك الدعوات أيضا." يقول وهو يضيق نظرته لحظة ثم ينظر إلى نقطة بعيدة أمامه وكأنه يفكر بعلاقة محتملة لهذا الشيء بأمر آخر.

"من تقصد؟" تقول آنا وهي تتطلع إلى الورقة ببراءة، كانت بريئة فعلا ولم تدر من المقصود بـ"هم". "أعطني إياها." تأخذ الورقة المطبوع عليها صورة لرجل يجلس على الحافة العليا من اليسار وكأنه هو المرسل بساقين متقاطعتين وقد وضع على رأسه قلنسوة مخروطية مقطوعة الطرف يتأبط تحت إحدى ذراعيه أيلا وتحت الذراع الآخر أسدا. تشعر آنا أنها تعرف الرجل بطريقة ما. وعلى قدر ما استطاعت أنْ تفهمه من الورقة فإنها مدعوة لحضور احتفال للعلويين سيقام يوم السبت في صالة مصحة اوبرلا، "والدعوة للاحتفال معنا موجهة إلى جميع أصدقائنا النمسويين أيضا."

لا تعرف آنا ما تقول حول الموضوع "العلويون من إقليم الأناضول، ماذا يعني ذلك؟" "شيء من قبيل طائفة شيعية تعد في تركيا من الأقليات الدينية. أما من الناحية السياسية فإنها تعد من اليسار. وفي الفترة الأخيرة يوجد هناك توتر بينها وبين الأكثرية السنية. كما أن هناك أكرادا يتبعون هذا المذهب."

يخطر على بال آنا شيء ما. "أنت طبعا لا تفكرين بالذهاب إلى هناك؟" شيء من الاستهانة في لهجة هاوجسدورف تدفعها إلى الاعتراض.

"ولم لا؟ فربما تقدم في هذا الحفل وجبات وطنية غريبة علي."

ينظر هاوجسدورف إليها باستغراب وكأنه لم يتوقع أنْ شيئا مثل هذا سيخطر على بالها.

"وما يدريني، فالأمر يتعلق بحالة الطقس أيضا."

يمسكها هاوجسدورف من يدها. "لا تنسي أنني لا أزال موجودا."

تتجنب آنا النظر إليه مباشرة ولا تجيب بشيء وإنما تشم لا إراديا ورقة الدعوة لترى أنْ كانت مضمخة برائحة البرتقال، وهو ما زاد الجو بينها وبين هاوجسدورف توترا.

"هل لك علاقة بهؤلاء الناس؟" يتمعن هاوجسدورف النظر فيها. تضع آنا الدعوة على المنضدة. "بما أنك أكثر دهاء مني، فهل يمكنك أنْ تقول لي من أين استنتجت ذلك؟" تقول آنا وهي تعلق معطفها على الكرسي ذي المسند العالي.

يتنحنح هاوجسدورف قبل أنْ يقول: "هيا حبيبتي لا تختلقي شجارا بيننا لتفسدي علي فرحتي بنهاية الأسبوع القادمة."

"أنا لا أختلق أي شيء"، تضع آنا ماء لتعد شايا لنفسها. "إنني لا أحب فقط أنْ أراك تتصرف وكأن من واجبك مراقبة كل ما أقوم به. والآن اذهب وإلا فإن حصانك سيرفع صوته بالصهيل حتى تسمعه أنت هنا في ايربيرج شتراسه." تقول وهي تقبله على وجنتيه، في هذه المرة كانت هي الفائزة بالتأكيد. عرف هاوجسدورف ذلك وانسحب دون أنْ يبدي أي اعتراض. ولكن قبل أنْ تتمكن آنا من إغلاق الباب وراءه جدد هاوجسدورف مطالبه مرة أخرى. "لا تنسي أن عطلة نهاية الأسبوع القادمة ستكون محجوزة لي أنا."

"في الواقع يعد هؤلاء من الناس الجيدين، المنفتحين، الراغبين في الاندماج في المجتمع وليس من أولئك المنظمين الدائمين للمظاهرات." يقول يوسف بعد أن ألقى نظرة على الورقة .

"ما معنى الجيدين؟" تقول آنا وهي تأخذ الورقة منه ثانية.

"الجيدون على العكس من الريئين المتعصبين الذين لا يسمحون لزوجاتهم وبناتهم بالخروج من البيت دون معطف وغطاء للرأس والذين يريدون إقامة دولة خاصة بهم ويهربون الهيروئين من أجل تمويل مجموعات رجالهم وجيوشهم الخاصة."

"ولماذا وجهوا الدعوة لي أنا؟"

يرفع يوسف كتفيه". ربما كان واحدا من عائلة الآيفيردي."

"هل تعتقد أن العائلة تنتمي لهذه الطائفة؟"

"ربما قام أحد ما بإعطاء اسمك لهم."

"اسمي، على أي أساس؟"

ينبش يوسف مرة أخرى في كنز الحكم الشرقية.

"ما قلته مرة يصبح ملكا للمدينة كلها. ما لم تقوليه فقط يبقى ملكك أنت."

"إذن هم ليسوا من هذا النوع، والآن قل لي من هم أو ما هم."

"ما أعرفه هو أنهم لم يكونوا من المتشددين أبدا. وكانوا طيلة قرون عديدة يمارسون عقيدتهم في الخفاء. وهم منتشرون في أنحاء عديدة وسمعتهم ليست جيدة دائما. يبدو أنهم يقومون الآن بإعادة تشكيل أنفسهم. عام ١٩٩٣ لقي ستة وثلاثون منهم مصرعهم في سيفاس في الأناضول نتيجة لحريق شب في أحد الفنادق. كان بينهم كتاب، مغنون، موسيقيون، رسامون ومثقفون. لم يتمكن أولئك الذين ماتوا من الهرب لأن عددا كبيرا من الناس المتعطشين لدمائهم كانوا قد تجمعوا أمام الفندق وسدوا عليهم طريق النجاة وهم يقذفونهم بالحجارة التي كانت قد جمعت لهذا الغرض قبل بضعة أيام في سيارة حمل ركنت أمام الفندق. ويقال إن الحريق كان موجها ضد أحد الكتاب الساخرين الذي جاء لحضور اجتماعهم هذا الذي كان قد نظم تكريما لأحد شعرائهم الكبار من القرن السادس عشر. وعلى فكرة، لقد نجا هذا الفكاهي من الحادث وتوفي بعد سنتين من ذلك بسبب عجز في القلب وقد قارب الثمانين من العمر. وقبل سنتين حدثت في استانبول اضطرابات شارك فيها بعض العلويين. أما هنا فإنهم يرفضون إرسال أطفالهم إلى درس الدين السني في المدارس العامة والذي تموله

الحكومة التركية."

"هل هم مسجلون في الملفات؟"

ينظر يوسف إليها ضاحكا. "ألا تتذكرين؟ لقد قمت أنت بإدخال البيانات الخاصة بالعلويين قبل بضعة أسابيع."

"هل أنت متأكد من ذلك؟" تتساءل أنا وقد ارتسمت الحيرة على وجهها. بالطبع لا تستطيع هي أنْ تحتفظ في ذاكرتها بكل الأسماء التي تقتصر صلتها بها على كونها تكتبها على لوح الحروف، ولا يربطها بها عدا ذلك شيء آخر.

"متأكد تماما. وقد كنت أنا نفسي مندهشا من ظهورهم في البرنامج، الأمر الذي يعني أنهم أصبحوا يعدون ضمن التكتلات الخطرة."

"كيف يعدون من التكتلات الخطرة إذا كانوا كما تقول أنت، ينتمون إلى الجيدين؟"

"ربما خاف المرء أنْ تحدث مصادمات بينهم وبين الأصوليين على غرار تلك التي جرت في استانبول. فهم وإن كانوا يعدون من المسالمين، إلا أنهم أصبحوا يزدادون وبشكل متزايد حرصا على أن يحظوا بالاعتراف بخصوصيتهم وحسبما يقال، فإن البداية تكون هكذا دائما."

"ولكن لم يبدأ حتى الآن شيء، أليس كذلك؟" تعرف أنا الآن أين يمكنها أنْ تحصل على المعلومات.

"ثمة أكراد ينتمون إليهم أيضا. وهذا وحده سبب كاف لأن تضعهم وزارتنا تحت المراقبة."

لهذا السبب إذن لا يريدها هاوجسدورف أنْ تذهب إلى الاحتفال. في مرات سابقة كانت كلمة أكراد وحدها كافية لأن تجعله يخرج عن تحفظه، رغم أنهما نادرا ما تحدثا عن مثل هذه المواضيع.

"السؤال، متى تبدأ، أو متى ستبدأ يعتمد فقط على إمكانية أنْ تكون هناك بداية. وهذا هو ما يهم أولئك الذين يحمون دولتنا. وهم يطلقون على ذلك مصطلح —احتمالات نشوء الصراعات – يحرك يوسف أصابعه بخفة على أزرار جهازه. "بغض النظر عن كون مجموعة ما تحمل أو لا تحمل روحية التسامح، فإنها ما

انْ تبدأ بالبروز كمجموعة حتى تأخذ كيانا منفصلا عن المجموعات الأخرى. فهؤلاء الأكراد المسلحون لا يرضون أبدا أن يشعر أكراد آخرون أقل منهم تسلحا بأنهم علويون بالدرجة الأولى. وكلما أظهر تنظيم مجموعة ما متانة أكبر كلما واجه قدرا أكبر من المنافسة. وقد كان التطور العفوي للمجتمعات التي تحمل آراءً مغايرة يبعث القلق دائما ومنذ آلاف السنين في نفوس المجتمعات المحافظة الأخرى."

تنظر آنا إلى يوسف من فوق كتفها باهتمام.

"هل ستذهبين يوم السبت إلى الاحتفال؟"

لا تزال آنا تفكر بالأمر. "وأنت؟"

"ربما." يحرك يوسف أصابعه على لوح مفاتيح الحروف بدون توقف.

"هل تريد انْ نذهب سوية؟ أقصد إذا لم يكن لتشين اعتراض على ذلك. فلو ذهبت وحدي فسيكون ذلك محرجا لي وسيجعلني أشعر بكثير من عدم الارتياح."

"وهاوجسدورف؟" يسأل يوسف وكأنه يعرف شيئا عن تحفظ هاوجسدورف.

"أنا إنسانة حرة"، يمس شعر آنا أذن يوسف، "وأستطيع أنْ أذهب إلى أي مكان أريده."

"هل تريدين أنْ تقولي إنه لا توجد كمثرى في سمرقند فقط؟" يبدو أن يوسف قد وجد ما يبحث عنه، إذ يصبح جديا فجأة. "كما يبدو لم يجر حتى الآن رصد لعائلة الأيفيردي، كذلك لم يعد يوجد أي شيء عن كلا الشخصين اللذين يدعيان حكمت."

تنحني آنا عليه أكثر. "وماذا يعني ذلك بالضبط حسب رأيك؟"

يضع يوسف إصبعه على زاوية فمه "سأسرد عليك قصة. جاء رجل إلى بيت الصوفي الكرخي فقال له أحد مريديه بأن هذا بيت الأستاذ الكرخي. قال الرجل الذي كان عما للكرخي: هذا أمر غير ممكن، فأنا أعرفه منذ أنْ كان طفلا ولا أستطيع أنْ أتصور بأنه قادر على تعليمكم أي شيء، هو الذي لم يكن قادرا يوما

على تعلم أي شيء. بقي الرجل مقيما في بيت الكرخي إلا أنه لم يحضر أبدا اجتماعاته الروحية. وحتى بعد وفاة الكرخي كان هناك العديد من الأشخاص، بينهم أشخاص استضافهم الكرخي في بيته أو تجار عقد معهم صفقات تجارية، لم يؤمنوا بأن الكرخي كان قديسا."

وقد قال أحد الفقهاء: لقد عرفت الكرخي ثلاثين عاما دون أنْ أسمعه يتكلم معي مرة عن أمور عالية المستوى. وكنت أعتبر تصرفه هذا شيئا غير معقول، فهو لم يحاول أبدا أنْ يوضح لي أفكاره ولم يسع إلى جعلي واحدا من تلاميذه. سمعت فقط أحد القصابين مرة يقول إنه صوفي. فهل تفهمين الآن ما أريد أنْ أقوله بذلك؟"

تهز آنا رأسها وهي تحدق في شاشة يوسف. يقوم يوسف عادة بتشفير ما تقوم آنا بإدخاله من بيانات في الحاسوب. بهذه الطريقة يعملان سوية في باسيديوس.

تفكر آنا فيما إذا كان من الأفضل أنْ تسأل يوسف أو أنْ تحاول كسر الشفرة بنفسها، وهو شيء استطاعت أن تفعله دائما. كما أنه من الممكن أنْ يفضح يوسف نفسه بنفسه. وهي ظاهرة لاحظتها كثيرا، حيث يذكر واضع الشفرة الكلمة في حديثه في نصف الساعة الأولى وكأنه أمر يحدث صدفة.

ترى آنا على السلالم للمرة الأولى امرأة يمكن أنْ تكون ابنة أستاذ الخط الذي يسكن في الطابق الخامس. هي أيضا تضع على رأسها شيئا شبيها بغطاء الرأس.

ولكن الشال الحريري بلونه الأزرق الرمادي وبالطريقة التي يغطي بها شعر المرأة يمكن أنْ يكون أيضا إكسسوارا عاديا. يضفي المعطف بلونه الأزرق الغامق وقصته الأنيقة رغم طوله، إضافة إلى الجوارب القاتمة اللون والحذاء ذي الكعب العريض، على المرأة طولا ورشاقة.

تحيي آنا المرأة بتحفظ كما يحيي المرء شخصا يعتقد أنه يسكن معه في نفس البناية. يبدو أن المرأة لم تنتبه مباشرة إلى التحية، إذ أنها تلتفت ناحيتها وتقول لها "مساء النور" بعد أنْ تكون قد تجاوزتها.

إنه الآن وقت تناول الطعام، لذلك يبدو لآنا غريبا أنْ تغادر المرأة البيت في هذا الوقت. قال لها حكمت إنها تعتني بوالدها وتقوم بتحضير الطعام له مثلما كان معتادا عليه في وطنه، مما يفهم منه أن هذا يكلفها جهدا ليس بالقليل.

ربما لا تكون هذه المرأة ابنة أستاذ الخط أصلا وإنما شخص آخر تماما. قد تكون مثلا شخصا زار شخصا آخر في بيته. ولكن آنا لا تستطيع أنْ تتخلص من الشعور بأنها سبق لها أنْ التقت بهذه المرأة عدة مرات وفي العمارة نفسها، ولكن دون أنْ تلاحظ وجهها تماما.

فجأة تجد آنا نفسها وهي تتوجه إلى فوق. تستطيع من بعيد أنْ ترى باب شقتها هي، ولم تكن هناك لا صحيفة خضراء ملصقة عليه ولا شيء آخر. رغم أنها تقول في داخلها إنها فكرة مجنونة وحتى طفولية. إلا أن آنا لا تستطيع أنْ تمنع نفسها من الاستمرار في ارتقاء السلالم. تفكر أنه يمكنها، ما دامت تريد القيام بمحاولة مثل هذه، أن تستفسر أولا لدى البوابة التي لا بد أن تعرف رقم الشقة التي يسكن فيها أستاذ الخط. ولكن الأوان فات الآن.

لم يسبق لآنا أنْ تجاوزت الطابق الثالث الذي تسكن هي فيه. ويخيل لها الآن وكأن هواء آخر يهب في الطوابق العليا من العمارة.

العمارة قديمة، ذات سلالم حجرية وممرات يدخلها الضوء عبر نوافذ ذات قضبان حديدية. الوضع على العكس من ذلك في الطوابق السفلى. هنا سويت النوافذ بالجدران بعد أنْ أصبحت زائدة إثر ضم حجرات المر الصغيرة إلى المطابخ التي لها نوافذ تطل على فناء البيت. ولأنه لا يوجد في العمارة مصعد بعد فإن شققها لا تزال معتدلة الأسعار. كما أنْ العمارة تعود لامرأة تقوم بحساب الإيجارات بنفسها وتقوم كل ثلاثة أشهر بدس فواتير الإيجار في شق الأبواب.

إنطفأ ضوء الممر. وأصبح الممر معتما رغم بقية من ضوء النهار تتسرب من خلال نوافذ السلالم. حين تتطلع آنا إلى فناء البيت خلال واحدة من هذه النوافذ تستطيع أنْ ترى القطة التي تأتي لزيارتها أحيانا، توازن نفسها بحركات بهلوانية على حواف النوافذ ثم تتهيأ للقفز إلى شرفة شقتها التي تترك آنا فيها غالبا طبقا صغيرا فيه شيء من فضلات الطعام.

من تحت أبواب الشقق تتسلل خطوط رفيعة من الضوء وكذلك الأصوات الاعتيادية التي تكتم الجدران السميكة لبنايات ما قبل الحرب ارتفاعها. لا يوجد بعد الطابق الخامس إلا العلية تحت سقف العمارة والتي يمكن الدخول إليها، كما أوضحت لها صاحبة العمارة ذلك مرة، من خلال باب حديدي. ولأنه لم يعد يوجد في قبو العمارة غسالات الملابس المخصصة للساكنين كلهم، لم يعد ثمة من يستخدم العلية لنشر الملابس. في إحدى المرات لمحت صاحبة العمارة بشكل عابر إلى أنها ستحول في وقت ما هذه العلية إلى طابق للسكن، وعندها سيكون وجود مصعد أمرا لابد منه.

ثم أضافت، إن الصعوبة في عمليات توسيع مثل هذه لا تكمن دائما في الشروع بها وإنما في الانتهاء منها. وبما أن ذلك يستوجب توزيع النفقات على المستأجرين أيضا، فإنها تخشى الإقدام على هذه الخطوة. وكما يبدو فإن المستأجرين الحاليين يشكرون لها ترددها هذا.

الممر أكثر عتمة من بئر السلالم، فلم تجد أنا بدا من إشعال الضوء لكي تستطيع أن تقرأ الأسماء على اللوحات المعلقة على الأبواب. تبدأ بدراسة الأسماء وهي تعتقد واثقة بأنها قادرة على أنْ تعرف أي من بينها هو اسم تركي. شيء اكتسبته من خلال عملها، وهو النطق التقريبي للأسماء الدارجة لدى كل مجموعة لغوية.

هناك طبعا حالات خاصة، إلا أنها تستطيع أنْ تتعرف عليها بشكل عام.

تدرك أنا تدريجيا ما الذي تنوي القيام به: أنْ تدق الجرس ثم تقف منتظرة أنْ يفتح لها الشيخ العجوز الباب. فما دامت ابنته قد خرجت من البيت فإنه أمر اعتيادي أنْ يقوم هو بفتحه. أنا لا تعرف إذا كان الرجل يستطيع التكلم بالألمانية أصلا. بشكل متكسر على الأقل. ستذكر على كل حال اسم حكمت ثم تقرأ من تعبير وجهه إذا كان الاسم يعني له شيئا. وسيكون حتى البريق البسيط الذي ستعكسه عيناه أو ذلك التعبير الذي يلوح في نظرته، كما يحدث عند ذكر اسم يعرفه المرء، دليلا كافيا على أنها لا تركض وراء شبح، على أن حكمت هذا الذي تعتقد بأنها تعرفه موجود حقيقة، أو على الأقل كان له وجود فعلا، مهما يكن ما

حدث له بعد ذلك.

غراوينشتاينر، لوفاتشيك، بروساتي، هنتربيرجير، هذه أسماء يمكنها أنْ تسقطها من البداية، ثم هناك شخص يدعى أردال. تتردد انا. يبدو لها الباب الآخر أكثر ضمانا، حيث تقرأ اسم يلماز وتحته كُتب بخط يدوي جميل: جلال الدين. لابد ان يكون هو. عندما تضغط انا على الجرس تلاحظ على إطار الباب العلوي ميدالية زجاجية بلون بين الأبيض والأزرق تهتز بتأثير دق الجرس هزات خفيفة. لا شيء يتحرك داخل البيت. تشعر انا بتوتر شديد حتى أنها لا تلاحظ اي شيء آخر. ماذا لو أن الرجل العجوز ثقيل السمع؟ أو أنْ يكون موجودا في إحدى الغرف الخلفية؟ تدق انا الجرس مرة أخرى وتستطيع أنْ تسمع بوضوح صدى رنينه داخل الشقة. ولكن حتى لو كان الأستاذ يريد أنْ يرتدي سترته أولا ثم يدس قدميه في الحذاء المنزلي قبل أنْ يتوجه إلى فتح الباب أخيرا، فإنها كانت ستسمع خطواته وهي تتقدم الآن ناحية الباب. تفترض انا أن خطوات الرجل لا بد أن تكون ثقيلة فيكون عليه أن يسحب رجليه على الأرض سحبا. وتتصور وهي تنتظر ظهوره عند الباب بأنها تسمع فعلا خطوات تتحرك داخل الشقة وهي تسحب نفسها على الأرض. تصغي بتركيز شديد حتى أنها لا تسمع كل ما عدا ذلك من خطوات ثابتة. ولا ترد في الحال حين يخاطبها صوت نسائي خلفها:

"هل أنت قادمة إلينا؟"

تدرك الآن فقط أنها بوغتت. وقد تملكتها فكرة البحث عن أثر لحكمت لم تنتبه حتى لخطوات المرأة التي رأتها قبل قليل وهي تقترب. يبدو أن المرأة ذهبت لشراء شيء من الخبز الطازج الذي تنتشر رائحته الآن حولها. يرتفع الدم إلى وجه انا ثم تتلجلج قائلة:

"عفوا، الا يسكن هنا أستاذ للخط، إنني أود أنْ أتكلم معه؟"

ترفع المرأة حاجبيها ثم تغضن وجهها بتعبير الألم. "مع الأسف، هذا الأمر غير ممكن. ولكن مع هذا تفضلي ادخلي."

لا تدري انا إذا كان يجب عليها أنْ تستجيب للدعوة أم لا. ولكن قبل أنْ تستطيع اتخاذ قرارها تدفعها المرأة خلال الباب بالضغط ضغطا خفيفا على

مرفقها ثم تشعل الضوء. في المدخل ترفع المرأة الشال الحريري الذي بلون ريش الحمام فيظهر شعرها البني الكثيف والمجعد قليلا. للمرأة عينان نفاذتان لونهما بين الرمادي والأخضر مع حاجبين دقيقين محفوفين إلى خطين رقيقين وتبدو في أوائل الثلاثين من عمرها. تحت المعطف الذي تخلعه وكأنها تشقه شقا ترتدي تنورة ضيقة فوقها بلوفر فيروزي اللون.

"أنا لا أريد إزعاجك" تقول أنا مستديرة باتجاه المرأة، "وإنما أردت فقط أنْ أستفسر عن شيء ما، ولكن إذا كنت تقولين بأن ذلك غير ممكن فإنني سأذهب فورا وآتي في مرة أخرى عندما يكون الأمر مناسبا أكثر بالنسبة لك."

تتبع أنا المرأة إلى غرفة واسعة يبدو أنها غرفة للجلوس.

"لا يمكن للأسف أنْ توجد مرة أخرى أيضا، أستطيع أنْ ألبي لك رغبتك فيها."

تدعوها المرأة بحركة من يدها للجلوس "لأن والدي توفي قبل عشرة أيام، ودفناه في تركيا. أنا عائدة اليوم من استانبول. لذلك ذهبت لشراء الخبز." تبتسم قليلا وكأنها تريد أنْ تعتذر لأنا لأنها فاجأتها تتنصت وراء الباب.

"البقاء في حياتك." تهمس أنا، "لو كنت أعرف ذلك لما كنت أتيت اليوم بالتأكيد، فأنا أسكن في العمارة نفسها."

تهز المرأة رأسها. "أعرفه فقد رأيتك كثيرا." تشعر أنا بالاضطراب وتفكر كيف تستطيع أنْ تعبر للمرأة بشكل مقنع عن مؤاساتها.

"إذا كنت تريدين أنْ تبقي وحدك فسأذهب فورا، لابد أنك متعبة جدا من السفر ومن كل ما عدا ذلك."

تجلس المرأة إلى جانب أنا. "أنت على حق، فأنا متعبة فعلا. ولكني أشد تعبا من أن أكون قادرة على النوم، ولا أريد أنْ أبقى وحدي أيضا. ابقي قليلا معي رجاء، إذا كان ذلك لا يزعجك، وكلي معي شيئا قليلا، فقد جئت معي بجبن أبيض طازج وفطائر محشوة باللحم أعدت صباح اليوم فقط، وسأقوم أيضا بإعداد الشاي."

"ولكني لا أستطيع ببساطة هكذا...."

تشعر أنا بالخجل لأنها تتطفل على حياة إنسان آخر ولا تعرف ما الذي عليها أنْ تفعله، هل تذهب أم تبقى، وهل تكون هذه المرأة جادة في دعوتها، أم أنها تعرض ذلك عليها تأدبا فقط؟

"يسعدني حقيقة أنك بقيت معي. وجودك يساعدني قليلا. فأنا اشعر بخوف كبير من الساعات الأولى وأنا وحيدة في الشقة بعد أنْ كان أبي يسكن معي مدة خمس سنوات. أنا أعني ما أقول فعلا. ابقي هنا قليلا رجاء." تقول المرأة وهي تنهض واقفة وتختفي في المطبخ دون أنْ تستطيع أنا الإجابة بشيء آخر غير الإيماء برأسها.

وهي تسمع من خلال نافذة المطبخ المفتوحة المرأة وهي تعمل، تنهض آنا واقفة لتمعن النظر عن قرب في بعض اللوحات الخطية المعلقة على الجدران. صور تجريدية مكونة من خطوط وحروف. هذا إذن ما عناه حكمت حينما حدثها عن ذلك، وعمل مثل هذه الصور هو ما أراد أنْ يتعلمه.

آه، حكمت! مجرد التفكير فيه يجعلها تشعر بتيار يخترق جسمها ويجعل قلبها يتوثب قافزا إلى فوق وجسدها ينتفض انتفاضات حادة يتبعها ألم في صدرها يرتفع من ثم إلى رقبتها ويجعلها تشعر بالاختناق. تحاول أنا أنْ تمنع بجهد كبير تساقط الدموع التي تجمعت في زوايا عينها.

منذ أنْ دخلت الشقة عاد حكمت الذي تعرفه ليصبح من جديد شيئا له وجود فعلي. تشعر بأن حكمت كان هنا قبل وقت ليس بالطويل وربما يكون أيضا قد تبادل الحديث مع هذه المرأة.

"إسمي سميحة." تعود المرأة وهي تحمل صينية ممتلئة. تعرف أنا بنفسها أيضا وهي تزيح جانبا منفضة السجائر ومزهرية صغيرة من النحاس لتفسح لسميحة مكانا تضع الصينية فوقه.

"هذا شاي تركي"، تصب سميحة الشاي، "آمل أن يعجبك، إنه ليس ثقيلا كالشاي الهندي." تضع المرأة صحنا أمام أنا ثم تملؤه بقطع من الفطائر والزيتون الأسود

والجبن الأبيض. "تفضلي، تفضلي كلي"، تقول المرأة لأنا مرة بعد أخرى.

وإرضاء للمرأة فقط تبدأ أنا بالأكل. كل ما كانت قد أكلته في هذا اليوم هو سندويج بشرائح اللحم عند الظهر ولا شيء آخر عدا ذلك. كما أنها لم تشعر بأية رغبة في شراء أو طبخ أي شيء. انعدام شهيتها يتزايد من يوم لآخر. ومن المحتمل أنها ما كانت ستعد لنفسها أكثر من شريحة خبز بالزبدة وأن تأخذ قبل الذهاب إلى الفراش قطعة واحدة من الشوكولاتة. ولكن يبدو أن أعصاب الذوق عندها بدأت الآن بالاستيقاظ تدريجيا بحيث أنها تأكل ما أمامها وهي تمضغ وتدير اللقمات في فمها حتى ينتشر طعمها في داخله. كذلك لا تمانع عندما تملأ سميحة لها صحنها للمرة الثانية.

سميحة نفسها لا تأكل إلا بضع لقمات وكأنها تقوم بذلك حتى لا تترك آنا تأكل وحدها، وإنْ بدا شعور الارتياح عليها واضحا وهي ترى آنا تأكل مما قدمته لها.

"إنني لم آكل بهذا الشكل منذ فترة طويلة." لا تشعر آنا بخجل حتى عندما تقوم المرأة بملء الصحن لها للمرة الثالثة. "في الواقع لا أستطيع أكل المزيد، ولكن حينما يبدأ الإنسان بالأكل..." تقول بارتباك وهي تواصل مضغها.

تبتسم سميحة "يجب أنْ تجربي أيضا شيئا من الحلو، فقد جئت معي ببعض الحلويات."

تذهب سميحة إلى المطبخ ثم تعود بطبق فيه نوع من الكعك تضعه أمام آنا. تتناول آنا منه.

"أما أنك ستعتبرينني شرهة أو تعتبرينني عديمة التربية"، تقول آنا وهي تمسح فمها ثم تكمل شرب شايها. وللمرة الثانية تصب سميحة الشاي في الفناجين الشبيهة بزهور الزنبق والتي تضيق في الثلث الأعلى منها ثم تتسع عند الحافة مرة أخرى

"هذه الكؤوس تسمى عندنا بالكؤوس ذات الخصر الرفيع" تقول سميحة وهي تتابع نظرات آنا الممتلئة عجبا.

"أعتقد بأنه لم يعد لي الآن أي خصر رفيع وإنما بطن مرتفع فقط." تشعر آنا بالشبع وبارتياح غريب، ولولا الصور المعلقة على الجدران لكانت قد نسيت لماذا

جاءت إلى هنا. الآن عليها أنْ تقدم لسميحة توضيحا عن سبب قدومها.

تقدم سميحة لآنا سيجارة من صندوق خشبي صغير مطعم، وعندما تعتذر آنا عن أخذها تسألها سميحة فيما إذا كان سيزعجها لو أنها دخنت هي نفسها واحدة منها.

تهز آنا رأسها نفيا. إنها لا تزال تبحث عن كلمات مقنعة لسبب قدومها. "مع الأسف لا يستطيع والدي أنْ يساعدك في شيء" تقول سميحة وكأنها تحزر ما تفكر آنا به. "ولكن ربما أستطيع أنا ذلك."

تهبط آنا بنظرها إلى قدميها. "يتعلق الموضوع بأحد تلاميذه، حكمت أيفيردي."

تفكر آنا لحظة من الوقت في سرد القصة التي اخترعتها عن العمل الذي استفسرت له عنه، ولكنها تعزف عن ذلك وهي غير راغبة في الكذب على هذه المرأة التي استقبلتها بكل تلك المودة والكرم. كما أن المرأة ما كانت لتصدقها أيضا، "هل تعرفين أين ذهب؟"

تنظر سميحة إليها نظرات غريبة وكأنها تريد أنْ تختبرها، ثم تردد الاسم عدة مرات وكأنها بحاجة لأن تسمعه أكثر من مرة لكي يتبادر لها شيء بخصوصه.

"يجب أنْ تعرفي أنني أذهب للعمل نهارا ولا أعود إلى البيت إلا في المساء. أما التلاميذ فكانوا يأتون في النهار غالبا، وبعضهم لم أتعرف عليه أصلا. ومن المألوف أنْ يستعمل بعض متعلمي الخط أحيانا أسماء أخرى، أي تلك الأسماء التي يريدون أنْ يوقعوا بها أعمالهم في المستقبل. حكمت أيفيردي. ..لا أعتقد أنني سمعت هذا الاسم من قبل، وإن....." يبدو التردد على سميحة وكأنها تريد التفكير قليلا ثم تواصل كلامها. "وإن كان اسم الآيفيردي معروفا لدي بالطبع."

يبدأ قلب آنا بالخفقان. تنحني بجسمها إلى الأمام وهي على استعداد للقبول حتى بالضئيل من المعلومات.

"عائلة الآيفيردي التي أعنيها هي من الذين يحملون لقب حراس الكنز." تذهب سميحة إلى الغرفة الجانبية ثم تعود حاملة كتابا مصفرا بسيط الشكل،

احيط غلافه الخارجي بإطار اسود وكتب عليه بلون برتقالي بعض الحروف العربية.

"انه كتاب عن الخط التركي ألفه أحد أساتذة الخط من معهد الدراسات العالية في استانبول خصيصا للمتعلمين. مقدمة الكتاب كتبها شخص اسمه أكرم حقي أيفيردي وهو رئيس مجلس الأوقاف. يملك هو وزوجته إلهان أهم مجموعات الخط الخاصة. كان والدي على معرفة بهما كليهما. فهل تعتقدين أن حكمت أيفيردي الذي تعرفينه أنت هو واحد من أقرباء عائلة الأيفيردي هذه في استانبول؟"

تهز انا كتفيها. من أين لها أنْ تعرف ذلك؟ وماذا تعرف هي أصلا؟ شخص ما ذكر لها اسما، فتصورت انها تعرف الشخص الذي حمل هذا الاسم. ولكن يبدو الآن وكأن هذا الشخص لم يكن له وجود ابدا، أو على الأقل أنه لم يعد له وجود وقد اختفت كل اثاره.

"أعرف فقط بأن لاخوته محلاً لبيع الفواكه والخضر في سوق الأطعمة"، وأن اسم أمه فريدة خاتون، أرادت انا أنْ تضيف، إلا أنْ شيئا ما منعها من قول ذلك.

"أنت تعرفين أشياء لا بأس بها عنه. فلماذا لا تذهبين إليهم وتسأليهم عنه بكل بساطة؟ أنت لست تركية، ويمكنك لذلك أنْ تقومي بهذا دون أي إشكال."

ولكن ربما تكون سميحة قد عبرت عن تحفظها بدون أنْ تشعر. فأنا ليست تركية، أمر يمكن التثبت منه فورا عندما تقوم بعمل ما لا يفعله المرء عادة. الغريب في الأمر أن آنا نفسها تحمل نفس التحفظ على الموضوع بالرغم من أنها ليست تركية. أم أن تحفظها هذا ناشئ لهذا السبب بالذات.

"هل تسمحين لي برؤية الكتاب قليلا؟" تأمل انا أنْ تستخلص منه شيئا يمكنه مساعدتها.

"خذيه، انظري فيه، ولكنني أخشى أنك لن تستفيدي منه كثيرا. صور الكتاب مطبوعة اقتصادا في التكاليف باللون الأبيض والأسود، أما نصوصه فباللغة التركية."

تتصفح آنا الكتاب. يتكون قسم منه من حروف فقط، أو كما يبدو من سطور

من الخطوط المختلفة كنماذج للمتعلمين. أما الجزء الآخر فأغلبه مكتوب باللغة التركية مع صور لأدوات يستخدمها الخطاطون، منها محابر، مقصات، مساطر، ريش، رؤوس أقلام مختلفة ومقلمات.

"ومن هذا؟" تشير آنا إلى صورة رجل متقدم في السن.

"هذا هو الأستاذ نجم الدين أوكياي. وقد وضعت صورته هنا لكي يستطيع المرء دراسة وضعية الجلوس التي يتخذها أثناء الكتابة."

الرجل شيخ طاعن في السن، أبيض الشعر واللحية ويرتدي شيئا شبيها بقميص نوم رجالي مقلم وبدون ياقة.

"إنه يجلس على ساقه اليسرى، ويجعل ساقه اليمنى قائمة حتى يتمكن من وضع المسند عليها وهو يكتب عليه بخط التعليق المعروف أيضا بالخط الفارسي. ويتميز التعليق بأنه خط سلس وأنيق. ويقال إنه متأثر بالخطوط التي كانت مستخدمة في عهد البهلويين قبل الإسلام."

تحاول آنا أنْ تتصور حكمت جالسا الجلسة نفسها وهو يكتب باليد اليمنى خطوطا ونقاطا ويمسك بيده اليسرى المسند الذي وضعه على ركبته، أم بالعكس؟ لم تعد آنا تعرف فجأة فيما إذا كان حكمت يكتب باليد اليمنى أو اليسرى. وكلما زادت تفكيرا كلما ازداد حكمت اختفاء أمام عينها الداخلية فلا تعود تتذكر ملامحه إلا بالكاد.

" هل تعرفين متى كان حكمت ايفيردي هذا يأتي لزيارة والدي؟" تبدو سميحة وكأنها تريد أنْ تعود إلى سؤالها الأصلي.

تهز آنا رأسها نفيا وتشعر بالحرج لاضطرارها أن تعترف مرة بعد أخرى أنها لا تعرف عن حكمت إلا القليل جدا. ولم يكن الخط أيضا الأداة المناسبة لتقصي الأثر كما ظنت.

"كم من الوقت يحتاج الإنسان لكي يصبح متمكنا من هذه الكتابة نوعا ما؟ علي أن أعترف بأني لا أكاد أعرف عن هذا الفن شيئا. أنا أعرف فقط بعض التمارين التي كتبها حكمت وعرضها علي."

تطلق سميحة حسرة قصيرة، "يحتاج الإنسان خمس سنوات على الأقل لكي

يتعلم شيئا. وحتى بعد ذلك يحتاج المتعلم إلى شهادة من أحد الأساتذة المعترف بهم، والذي يقرر ما إذا كان التلميذ قد تعلم فعلا خلال هذه السنوات."

لا تستطيع أنا التي لم تكن الكتابة بالنسبة لها سوى معلومات أو أداة للتعبير عن مضامين معينة أنْ تخفي تعجبها. "خمس سنوات هي وقت طويل. هل يتضمن ذلك دراسة اللغة العربية أيضا؟ فالذي أعرفه من حكمت هو أن الحروف المستخدمة في الخط هي حروف الأبجدية العربية وأن أغلب ما يُكتب بالخط الجميل يحمل مضامين دينية ولابد أن يكون في هذه الحالة باللغة العربية أيضا."

"لا، إنها ليست شرطا لذلك." تفتح سميحة صفحة من الكتاب تحتوي على خطوط جميلة بشكل خاص. "يجب على المرء بالطبع تعلم كل الحروف العربية وكذلك أهم النصوص من القرآن والحديث. مع ذلك فإن الأمر المهم ليس معرفة ماذا تعني كل مجموعة من الحروف وإنما المشاعر الداخلية التي تعبر عنها. فالكتابة هي نوع من هندسة الوجدان، بغض النظر عن الوسائل المادية التي تستخدم في صنعها. والخط كما يسمى باللغة العربية يعني الطريق الطويل المستقيم. إنه الأسلوب السامي للروح. وكما يمكن التعرف على الرسام من ألوانه كذلك يمكن التعرف على الأساتذة الحقيقيين من خطوطهم."

"هل حاولت أنت ذلك أيضا؟ أقصد هل حاول والدك تعليمك؟"

تتنهد سميحة. "عندما كنت طفلة صغيرة نعم. ولكني لم أكن صبورة بما يكفي. كان والدي معتادا على القول..." في هذه اللحظة تمتلئ عيناها بالدموع ولا تعود قادرة على مواصلة الكلام. تمسك أنا بيدها وعندما يزداد نشيج سميحة قوة حتى يهز جسدها هزا عنيفا، تجلس أنا إلى جانبها وتلقي بذراعيها حول كتفيها وتبدأ هي الأخرى فجأة بالبكاء دون أنْ تحاول مواساة سميحة بالكلام وإنما تستمر بالربت على ذراعها فقط. وبعد فترة قصيرة ينقطع بكاؤهما فجأة مثلما بدأ.

"معذرة"، تمسح سميحة عينيها ثم تقول وكأنها تشعر بأنها ملزمة بأن تقدم لأنا التي أخرجت منديلها أيضا، توضيحا لسبب بكائها: "عندما تسيل الدموع

ينشرح القلب."

تشعر أنا أيضا وكأن البكاء قد خفف عنها. بعدها تنهض واقفة وتشكر سميحة على الضيافة الكريمة.

تقوم سميحة بحركة نفي من يدها. "أنا التي علي أنْ أشكرك. لقد ساعدتني فعلا. أعتقد انني سأكون الآن قادرة على النوم." تنهض سميحة واقفة لترافق أنا إلى الباب. "لا تنسي أنْ تزوريني مرة أخرى، في اي وقت تشائين."

"هكذا ببساطة؟" تقف أنا الآن في الجهة الأخرى من عتبة الباب.

"هكذا ببساطة. وخلال هذه الأثناء سأحاول أنْ أتسمع أي شيء ممكن. وربما سأكون في المرة القادمة قادرة على أن أقول لك شيئا أكثر مما فعلت."

تدخل أنا مرة أخرى الشبكة وكأنها تعود إلى بيتها بعد غياب طويل. شبح بين الأشباح. في تلك الزمان كانت لا تزال مسترقة للسمع فقط، كفتاة انترنت مبتدئة خجولة. والآن تبحر من مجموعة أخبار إلى مجموعة أخبار أخرى. فبعد أنْ عجزت عن أنْ تجعل من باسيديوس طوع بنانها وأنْ تستدرجه للبوح بأي شيء عن أي واحد من عائلة الآيفيردي ناهيك بالذات عن شخص يدعى حكمت، فإنها تحتاج إلى شيء من الترويح.

تشعر بانقباض في داخلها تدريجيا كما لو أن هذا الاسم قد حجب. إنه لأمر بعيد الاحتمال أنْ يكون هذا الاسم بالذات مستعصيا على الاستدعاء من بين العدد الكبير من الأسماء المسجلة في البرنامج. لا تستطيع أيضا استدعاء اسم حكمت أيفيردي الكبير، والذي لابد أنْ يكون يوسف قد عثر عليه على الأقل. أم أنْ مصدر المعلومات التي لدى يوسف ليس هذا البرنامج الخطير أصلا، وإنما هي مستقاة من الواقع التافه أم هل كان يوسف يعرف أيفيردي المتوفى شخصيا؟ عليها أنْ تكون حذرة، فبحثها يمكن أنْ يترك آثارا، وهو في اللحظة الراهنة ليس في صالح أحد مطلقا .

يكتب الجميع في الشبكة بنفس الطريقة التي يتكلمون بها، وليس ثمة من هو ملزم بأن يكشف عن شخصيته للآخرين بأكثر مما يريد. كل شيء هو كلام فقط. والشيء الذي يفضح نفسه يفضحها من خلاله. ومع أنها لا تستطيع مثلا

أنْ تستنتج لون شعر الطرف الآخر في المحادثة الإلكترونية من طريقة استخدامه للنقطة والفارزة، إلا أن هناك الكثير من الأشياء التي تصبح واضحة. فمن خلال الهراء الممجوج أو الشتائم البذيئة التي يستخدمها بعض مستخدمي السايبر يمكن التكهن من أي أب روحي ينحدر الفاعل اللغوي. وبما أنه ليس هناك أي شخص له في السايبر سبيس حضور جسدي حقيقي فإن مستخدميه يميلون إلى استخدام العنف الكلامي متخلين لفترة ما عن تحفظهم وعن تعقلهم. مع ذلك تسود بينهم روح التضامن، تضامن جيل السايبر مع بعضه.

تشعر أنا بنفسها وقد عادت لأيام المدرسة وحتى إلى عهد الروضة، تنتابها رغبة شديدة في أن تجعل الأنظار تتوجه إليها حتى وإن كانت لا تعرف ما تريده تماما، أنْ تجلس في الخفاء وتراقب فقط كل ما يجري حولها مثلا؟ تضاعفت العروض في سنوات عزوفها عن الانترنيت. أصبحت اللغة الشائعة الجديدة للحاسبات أكثر بساطة. في ذلك الوقت كانت المتعة تتركز على حفظ كل المصطلحات الجديدة عديمة الروح ثم الرد بعدها على تحرشات فرسان هذا العصر غير النبلاء بنفس الطريقة الفضة المقرفة.

لا تزال تعرف الكثير من المصطلحات، والجديد منها سهل الفهم. فبعد الابتكارات الأولى للمستخدمين الأوائل أصبحت اللغة السرية لقراصنة الشبكة منتشرة انتشارا كبيرا. مع ذلك فإنها تقرأ أحيانا جملا لا يستطيع حتى فرانتيشيك اختراعها.

يزداد عدد زبانية السياسة بشكل كبير أيضا. يكاد يصيبها الغثيان في بعض الأحيان عند قراءة الأسلوب المتعنت لبعض البيانات المكتوبة بنجوم صغيرة. الشيء الذي جعلها تمتنع عن كسر الشفرة والذي كانت تعتبره في غير هذه الأوقات نوعا من الرياضة الذهنية. لا تريد أنْ تعرف أي شيء وحشي أعده السايبرثور لنهاية الأسبوع القادم. تبحث من جديد وللتمرين فقط في موسوعة الميتولوجيا القديمة، التي يمكن فتح جزء لا بأس به منها الآن أيضا بكلمات مثل الكتاب المقدس أو "باولي الصغير." كما يستطيع المرء الاستفادة من اثنين أو ثلاثة من المصادر القديمة الأخرى إذا كان يمتلك المهارة والخيال اللازمين، وهو

أمر لا يصعب على أنا. فحتى هواة السايبر لا يفكرون بشكل سريع ليتزودوا من حين لآخر برموز التشفير من المنابع الثقافية التقليدية لأوربا العجوز. وقد بقيت هذه المواد هي نفسها منذ عدة قرون. والمرء لا يحتاج إلا أن يعرف أين يبحث عنها. ربما يستمد يوسف معلوماته من مصدر آخر، من الإسلاميين مثلا؟ فكرة كان يجب أنْ تخطر على بالها قبل ذلك. وهاوجسدورف؟ لو فكر المرء افتراضا أن هاوجسدورف هو الذي تولى الترميز النهائي، أو لو أن أحدا من العاملين معه هو الذي قام بذلك، فأي رمز كان سيستعمله؟ الكاتولوج الأخير لمزايدات الدوروتيوم لمنمنمات القرن الثامن عشر مثلا؟

لم تعد أنا تمتلك التمرين الكافي بهذا الخصوص. ماذا كان مدرسها يقول لها دائما؟ كسر الشفرة التي لم يقم الجهاز بصياغتها يمكن استنتاجها من الأشياء المتواجدة في المحيط الذي يعيش الإنسان فيه أو من البيئة التي ينحدر منها أو من الخلفيات الثقافية له. بالطبع لا ينجح المرء بذلك دائما. وهي أيضا لم تكن تنجح بذلك دائما، إلا أن معدلها العام كان جيدا على العموم.

توجد حاليا أيضا مجموعات أخبار خاصة بالمواطنين الأجانب. نقطة التقاء للعق الجروح القديمة والجديدة لكل أولئك الذين يجلسون في القارب الممتلئ. لذلك فإن اللغة المستخدمة هي لغة البلد المضيف أو اللغة الإنجليزية لكي يكون ممكنا لأكبر عدد من غير الراضين أو المعزولين أنْ يدلوا بدلوهم بين الدلاء. الجديد منهم يحصل على ملاك حارس يعلمه بالسرعة الممكنة السلوك السائد أو ما يسمى بتقاليد الشبكة لكي لا يقوم بعرقلة تدفق تيار المعلومات والمحادثات والمناقشات عن الجريان.

إشارة ساخنة، احتفال العلويين هذا! هل ينبغي لها أنْ تذهب إليه؟ لا تزال أنا مترددة. إلا أنها تريد من ناحية أخرى الذهاب، لكي تظهر لهاوجسدورف فقط بأنه لا يملك السيطرة عليها مثلما يتصور. نعم، لقد اعتمدت في السنتين الأخيرتين عليه في الكثير من الأشياء اعتمادا كبيرا. فبعد أنْ تركت الإبحار غير المجدي في الانترنت ظهر هو في حياتها وملأ الفراغ الذي نشأ فيها. ولكنها بدأت فجأة بالتطلع إلى شيء آخر. تريد الآن أنْ تقرر بنفسها مع من وكيف تقضي

أوقات فراغها. أما هاوجسدورف فيمكنه أنْ يقول ما يشاء عن الاتفاق بينهما. وماذا لو سحبها فعلا من باسيديوس، لكن هاوجسدورف لن يذهب إلى هذا الحد، هو الرجل المثقف المهذب.

إنه يريدها مطيعة بالطبع، ولكن آنا مارغوتي تشعر فجأة أن لها قلباً.

تستطيع آنا أنْ تستخرج من مجموعة الأخبار المعينة بعض الأسماء التركية التي تجدها تحت عنوان ذي وقع غريب. ماذا يعني ذلك؟ ربما يكون من الأفضل لو أنها اشترت قاموسا تركيا صغيرا واستوهبت القرآن أيضا، وهي لا تستطيع أنْ تسأل يوسف. إنه يقف إلى جانبها كما تعتقد، إلا أنه لن يرضى بأن تدخل عنوة في البرنامج الذي قام هو بإغلاقه. وهو في الوقت الحاضر أميل إلى الصمت.

"كل شيء على ما يرام"، كان يقول لها عندما تريد البدء بالحديث عن عائلة الأيفيردي. "ما لا تعرفينه لا يشغل بالك أيضا."

وعندما أبدت آنا في إحدى المرات عدم اكتفائها بهذا الجواب وأصرت على أنْ تعرف شيئا عن حكمت الكبير، حكمت المتوفى، فإنه لم يقل لها أكثر من "مات، انتهى، ذاب، اختفى، مثل حرف كتب على الماء، دون تموجات، دون حلقات متتابعة ودون صوت وعليك أنْ تكوني فرحة بذلك."

لا تزال شبكة الانترنت هي نفسها في الواقع، لكن آنا تقدمت في السن عدة سنوات. بشكل ما يبدو لها الأمر مثل مص الإبهام: يهدئ في بعض الحالات، والمرء يشعر بسببه بالخجل ولكن لا يمكنه الاقلاع عنه. لقد أقسمت تجاه نفسها ألا تعود مرة أخرى إلى شطط أيامها الماضية في الإدمان على السايبر. وما تقوم به الآن هو للاسترخاء فقط. ومن يدري فقد يدلها بالصدفة أحد في الشبكة العالمية التي تنزوي فيها مثل مخبأ من أيام المراهقة، على أثر يساعدها إلى التوصل إلى ما تريد. يقال أنْ ذلك حدث فعلا.

"الشبكة ثقب يضيع فيه الوقت." جملة قرأتها قبل فترة قصيرة في مكان ما، وكم يبدو لها ذلك صحيحا الآن. الوقت الآن بعد منتصف الليل بكثير. تخلع آنا ملابسها وتضبط المنبه.

تصل آنا إلى العمل في صباح هذا اليوم متأخرة قليلا. انفجرت القنبلة

والشظايا تتناثر من مكتب إلى مكتب معرقلة استمرار العمل كما ينبغي له أنْ يكون. فرانتيشيك سيذهب. جبرائيل هذا طلبه إلى فرانكفورت. لم يلاحظ أحد منهم فرانتيشيك وهو يخرج مثل الفرخ من البيضة، بفعل الاعتياد أو بسبب نقص في الاهتمام أو لأن كل منهم شديد الانشغال بنفسه.

ولكن لابد أنْ يكون ثمة من دل جبرائيل على فرانتيشيك. ولابد أنْ شخصا ما لفت نظر جبرائيل إلى فرانتيشيك، جعل من فرانتيشيك، الطفل العبقري، الذي لم يعد طفلا، موضوعا للحديث. ولكن السؤال يبقى من هو هذا الشخص؟

لماذا لم يتقدم جبرائيل هذا إلى آنا مثلما لمحت تيريزا في البداية؟ أو يختر إيفو إذا كان الموضوع يتعلق بالتكاليف فقط؟ في هذه الحالة لم يكن إيفو يملك خيارا آخر إلا القبول، بغض النظر عما كان جبرائيل سيعرضه عليه. ولكن أصبحت فرصته في أنْ يثبت في عمله هنا الآن أكبر مما كانت. فبكل بساطة يمكنه الآن أنْ ينزلق إلى المحل الذي كان فرانتيشيك يشغله. هذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى فسيكون ممكنا له أن يبقى قريبا من الروح الحامية له ويستفيد مما جعلته تيريزا بما تملكه من روح التضحية هدفا لحياتها. فهل كان في نهاية الأمر هو الذي؟ أو ربما كانت تيريزا هي التي...؟

تشعر آنا بالفزع من أفكارها. بالطبع إنْ مرتبها أعلى من مرتب فرانتيشيك، وأعلى أيضا مما سيحصل عليه إيفو لو أنه حل محل فرانتشيك. لذلك فان ما حصل لفرانتيشيك منطقي تماما، على الأقل بالنسبة لجبرائيل هذا، الذي تلقى أمرا بالشراء بأقل الأسعار كما يبدو. ولكنها هي آنا الأفضل في الكفاءة، أفضل بكثير من فرانتيشيك. ألا تزال كذلك فعلا؟ ففي مجال عملها هذا يتغير كل شيء، وذلك يوميا. ولكنها تملك خبرة أكبر، أكبر بكثير من خبرة فرانتيشيك. ولكن ألا تزال لهذه النقطة قيمة ما؟ هل تحتسب الخبرة كنقطة إضافية في هذه المهنة؟ أليس الأمر هو أنْ ينسى الإنسان بأسرع ما يمكن كل ما تعلمه وأن يكون دائما على استعداد لاكتساب كل ما هو جديد. كل حركة تصبح أوتوماتيكية يمكن أنْ تكون عقبة أمام الجديد الذي سيتعلمه المرء فيما بعد. فرانتيشيك يصغرها بحوالي ست سنوات، أي أنه، إذا أخذ المرء الأمر بصرامة، ليس سوى مبتدئ.

ولكنه يتفوق عليها بامتلاكه البساطة في التعامل مع الأحدث من الأشياء.

تسأل آنا للمرة الأولى في حياتها المهنية نفسها بصراحة عما إذا كانت هناك أية فائدة منها. سؤال قد يكون فيه شيء من المغالاة. ولكنها لو أدارت النظر فيما حولها فسيتأكد لها أن الكل يفكر التفكير نفسه. فرانتيشيك وحده يحلق عاليا وهو غارق في نشوته. خبرته الرئيسة في اتخاذ القرار الذي يريده، وكأنها تريد أنْ تمنعه من أنْ يتعلم هنا أشياء أخرى أو أنّ يطلع على أشياء يمكن أنْ يستفيد منها عندما يذهب إلى فرانكفورت.

"آنا"، يقول فرانتيشيك، "لا تظني أبداً أنك تستطيعين التخلص مني بشكل نهائي، فأنا أعرف عنوانك الإلكتروني، وبريدي الإلكتروني سيعوضك عن كل الكتب وبالدرجة الأولى عن كل الجرائد والمجلات."

"وماذا تقول أمك عن الموضوع؟" لم تتعرف آنا على أم فرانتيشيك، إلا أنّ فرانتيشيك لم يبلغ الثامنة عشرة من العمر بعد.

"كانت أمي تريد دائما أنْ تعمل ملقنة في فرانكفورت." يفرغ فرانتيشيك منضدته من كل محتوياتها. "لدي هدية لك يا آنا." يسحب فرانتيشيك من الدرج قلم رصاص طويلاً بشكل غير اعتيادي، قلماً عملاقاً، ألصقت في نهايته ممحاة وردية اللون على شكل فأرة.

"شمي"، الفأرة الوردية اللون لها رائحة الخوخ.

"ما رأيك فيه؟" يقول فرانتيشيك وهو يقدم لها القلم. "من أجل أنْ تتذكريني كلما كتبت شيئا على الورقة، حتى ولو كان ذلك عدد سندويجات السجق." ثم يقترب من أذنها ويهمس لها بصوت خفيض: "هل ستبدأ من الآن فصاعداً بالمرور على إيفو لتأتي به معها؟"

تعلم فرانتيشيك الآن ذلك أيضا، الصعود إلى أعلى. لا، إنها لا تحسده، بل تتمنى له السعادة في فرانكفورت. ولكنها تعرف بأن ما حدث جعلها تفقد شيئا من اعتدادها بنفسها. عندما يظهر يوسف تتجه كل الأنظار إليه. هل يكون في نهاية الأمر هو الضليع بالأمر؟ هل يحتاج الوظيفة التي أصبحت شاغرة لشخص ما يريد أنْ يقدم له المساعدة كما فعل مع إيفو من قبل؟ وذلك بنفس

الطريقة التي لا يمكن النفاذ وراءها، كما هو أسلوبه دائما.

لكن نظارة يوسف تلمع مثل الذهب المصفى. "والآن أيها العفريت"، يقول لفرانتيشيك بشيء من التأثر وهو يضع ذراعه على كتفه. "لقد ضحكت علينا وخلفتنا كلنا وراءك."

الشعور بالفرح يجعل البثور على وجه فرانتيشيك تتفتح. "وقد صدقتك أيها الرجل، كما كنت أصدقك دائما."

يقترح يوسف أنْ يذهبوا جميعا بعد نهاية الدوام "لتوديع أصغر زملائكم في العمل سنا، ولشرب نخبه." ولكن لم يبد أن ثمة من يريد أنْ يخصص وقتا لذلك عداه وعدا آنا، ولا حتى فيردي، فهو كمحصل على الصندوق في أحد نوادي جامعي الطوابع البريدية لا بد أنْ يكون موجودا هناك يوم الخميس.

"لا شيء يمكن أنْ يكون أكثر أهمية من هذا النوع من الثالوث." يبتسم يوسف باسترخاء ابتسامة فيها شيء من التهكم. "يعيش العدد السحري."

لا تستطيع جيجي أنْ تترك عادة الاتصال بآنا في المكتب، لأنها كما تدعي لا تجد آنا في البيت مطلقا. يتعلق الموضوع بيوم الأحد القادم، وهي تريد أنْ تعرف الآن فيما إذا كانا هي وهاوجسدورف سيأتيان للغداء. وعندما لا تعطي آنا جوابا مباشرا تدعي جيجي بأن هذه فكرة أوسكار، مضيفة بأنه سيعمل سلاطة بطاطا رائعة لا ينبغي أن يفوتها المرء. أوسكار بشكل عام،...، تتبع ذلك تراتيل جيجي الاعتيادية التي تسمعها آنا وهي مستمرة في العمل بالكتابة على الكمبيوتر بيد واحدة. وظيفة المدير وحدها لا يبدو أنها تتعجل القدوم.

"علي أولا أنْ أتكلم مع هاوجسدورف، فقد قال لي شيئا عن سفرة يزمع القيام بها." صحيح أنه لمح بشيء من هذا القبيل، ولكن كأساس لذريعة قابلة للتصديق لاستخدامها في وقت لاحق.

"أعطيني خبرا في أقرب وقت، كي أستطيع أنْ أتسوق في الوقت المناسب."

اليوم هو الخميس وآنا لا تطيق هذا النوع من الاتفاقات على ارتباطات في عطلة نهاية الأسبوع. كانت جيجي ويوني قد تركتاها في الفترة الأخيرة وشأنها ولكن أوسكار هو الذي يبدأ الآن بتحريك الموضوع من جديد. المهم ألا يصبح هذا

عادة يعتاد عليها. لذلك عليها أنْ تفكر بشيء لمنع حدوث ذلك. وكما تعرف هي فإن هاوجسدورف ليس متحمسا لهذا النوع من الارتباطات العائلية، حتى وإنْ كان يدعي بأنه يستلطف جيجي وبوني، وهذا كاف لكي يبقى كل شيء على ما كان عليه.

ماذا يعني يبقى؟ لا شيء يجب أنْ يبقى مثلما كان عليه حتى الآن، بما في ذلك كونها عشيقة لهاوجسدورف. ولكن كيف تجعله يتقبل ذلك دون صخب وضجيج؟ يمكنهما أنْ يبقيا صديقين. صديقين؟ تهز آنا رأسها وهي تفكر بالأمر. لا، لن يسمح لها هاوجسدورف أن تنسحب من العلاقة ببساطة. وإذا كانت لا تريده كعشيق فسيكون أهون عليه أنْ يتخلى عن الأغلى من بين تحفه على أنْ يكون صديقا لها فقط. من المؤكد انه سيرى الأمر من هذا المنطلق. لذلك عليها أنْ تتوقع بأنه سيجعل الأمر صعبا عليها قدر الإمكان. إنه يعتبرها اكتشافه الخاص فيما يتعلق بنقطة الإثارة الجنسية، ويريدها أنْ تكون خالصة له تماما. شيء أصبحت تدركه تماما وتشعر بالخوف منه قليلا.

"يطلق الآباء الروحيون سراح من ربوا"، يقول يوسف بنعومة وهم يجلسون معا ويشربون الكامباري بالصودا في أحد المقاهي على قناة الدانوب. "آمل أنك لن تجلب لنا الخزي في بابل الغرب الأوربي هذه."

"لست أنا من يفعل ذلك"، يقول فرانتيشيك نافخا نفسه بحركة متعاظمة. مع ذلك يستطيع المرء أن يلاحظ عليه الشعور بعدم الارتياح. "سأرفض منذ البداية أن يفرض علي ما لا يناسبني. ربما ستكون هذه أفضل وسيلة لكي يستطيع المرء أن يثبت نفسه."

"عليك قبل كل شيء أنْ تحافظ على هدوئك، فرانتيشيك، فأنت لست بحاجة لا إلى الرفس ولا إلى العض لأنه ليس هناك من يبيت لك شرا منذ البداية، إلا إذا دفعته أنت إلى ذلك دفعا." آنا صادقة النية في مشاعرها. فهي ستفتقد فرانتيشيك وأسلوبه البريء في صياغة العالم كله في أقوال وحكم.

يقوم يوسف مرة أخرى بدور الحكيم الكبير القادم من بلاد الشرق "فكر بأن القمر ينعكس في كل ماء." وكأنه يشعر بأن ما قاله لم يكن كافيا لجعل فرانتيشيك

يشعر بالخشوع يضيف قائلا: "الذي يملك عينا يرى بها يستطيع أيضا أنْ يقرأ ما تكتبه النجوم."

ولكن بشكل ما لم يخلق الجو المطلوب. فمن ناحية لا يزال موعد الوداع، أي من الناحية العاطفية، بعيدا. ومن ناحية أخرى يجلس فرانتيشيك هنا وكل أفكاره في فرانكفورت. لذلك لم تكن إلا مسألة وقت حتى تخطر على بال أحدهم الدعوة للقيام بما كانوا يحبون القيام به دائما: الذهاب إلى السينما. لا يزال فيلم "الخنزير الصغير بابه "يعرض في السينما لحسن الحظ، وهو مدبلج خصيصا للنمسا بصوت أرنولد شفارتزنيجر الذي يؤدي دور حصان أصله من غرب مقاطعة شتاير مارك.

"إذن هيا بنا بسرعة." يهتف فرانتيشيك بحماس وقد انسحبت كل أفكاره من فرانكفورت مرة واحدة.

يركض ثلاثتهم إلى محطة قطار الأنفاق. وبينما كانوا يقفزون مثل الأطفال هابطين السلم المتحرك يخيل لآنا انها رأت أورهان واقفا على السلم المتحرك في الجهة المقابلة، دون أنْ يبدو عليه انه رآها، أو ربما رآها ولكنه لم يتعرف على شخصها. آنا متأكدة أنه هو. ولو كانت وحدها لحاسبته حسابا عسيرا، هذا الكذاب.

أم أنه حصل على عمله عند الأيفيردي بعد أنْ ذهبت هي معه إلى استانبول للبحث عن ميسوط؟ مع ذلك لابد له أنْ يجيبها على بعض الأسئلة. يا له من حظ سيء. ولكن ربما ستلتقي به مرة أخرى في وقت ما، حتى وإنْ كان ذلك في المقهى المقابل لبيتها.

عندما يصلون إلى السينما يجدون الفيلم قد بدأ منذ عدة دقائق. ولكن (الخنزير الصغير بابه) يقدم رغم ذلك النقص أكثر مما كان متوقعا منه، وهكذا أصبح لثلاثتهم للمرة الأخيرة الفرصة لأن يلتزموا بالوقت على طريقتهم الخاصة.

محل الالتقاء للذهاب لاحتفال العلويين هي تلك المحطة التي يجب أنْ يبدل المرء فيها قطار الأنفاق بالترام. استطاع يوسف التفرغ للاحتفال – يذهب شي

تشين في هذا الوقت إلى درس غناء خصوصي عند أحد المدرسين الذي يعطيه الدرس يوم السبت دون أجر – ويظهر بعد دقيقتين من وصول أنا. بهذا تكون هي قد جاءت متأخرة عن الموعد بخمس دقائق، ويوسف بسبع دقائق، أمر ليس بالجسامة الشديدة. تراه من بعيد وهو يظهر من سلم محطة قطار الأنفاق بنظارته ذات الزجاج اللماع ورأسه المائل قليلا إلى جانب وشعره المجعد الذي يرفرف في الهواء قليلا وبتلك المشية الغريبة المتعجلة التي تذكر بـ جروتشو ماركس. لا يلاحظها في البداية، تلوح له فيتوجه إليها مباشرة.

"إنهم يزحفون خارجين من كل الجحور، أليس كذلك؟" يقول يوسف ثم يقبلها على وجنتيها. وبالفعل يتدفق الناس قادمين من كل الاتجاهات ويبدو أنهم يقصدون جميعا الهدف نفسه. يشير يوسف إلى الشعارات. فتاة بتسريحة الأسد وبنطلون جينز ضيق وسترة سوداء تحمل حول رقبتها سيفا فضيا بلسانين ينتهي عند مقبضه ورأسه بسلسلة فضية. إنه ذو الفقار، سيف النبي محمد ورثه عنه ابن عمّه وزوج ابنته علي. أشخاص آخرون يشبكون في ملابسهم دبابيس تمثل آلة موسيقية وترية، الساز.

"إنه إشارة"، يقول يوسف وهو يشير بإصبعه إلى واحدة منها، "إلى أنه يوجد بينهم عدد كبير من الموسيقيين. نوع من الشعارين الذين ينشدون قصائدهم برفقة هذه الآلات الموسيقية ذات الرقبة الطويلة الشبيهة بالعود."

ما أنْ يصل إلى المحطة واحد من قطارات الخط ٦٧ حتى يمتلئ بالناس فورا. واضح أن كثيرا من الذين يركبون الترام يعرفون بعضهم. العدد القليل من أهل البلد الذين يسافرون بالترام إلى المناطق الخضراء خارج المدينة يراقبونهم وهم جالسون على مقاعدهم بفضول وبشيء من الريبة وأيضا بشيء من الشعور بالقلق وهم يرون أنفسهم وقد أصبحوا أقلية فجأة. شعور سرعان ما يتحول إلى الإحساس بأنهم مطوقون من كل جانب.

عندما يصلون إلى المصحة يبلغ تدفق القادمين ذروته. مواقف السيارات امتلأت عن آخرها، ولكن غالبية القادمين يأتون مشيا على الأقدام. المفتشون عند المدخل متشددون جدا. يفتش أحد الرجال يوسف ليتأكد من أنه لا يحمل

سلاحا، تتلمس إمرأة آنا، بالرغم من أن يوسف معروف كما يبدو للكثيرين هنا.

في الصالة الأمامية وضعت فوق الطاولات أمام مشاجب تعليق المعاطف كراريس وكاسيتات واسطوانات. يصل صوت مرتفع لمكبر صوت غير مضبوط بشكل حسن من داخل الصالة.

"من المتوقع أنْ يأتي اليوم بضعة آلاف من الناس." يتحدث يوسف مع أحد الرجال المكلفين بالمحافظة على النظام. "سيستمر البرنامج عدة ساعات، وقد استقدموا بالطائرة مغنيا مشهورا من تركيا إلى هنا. وهو وإنْ كان نفسه ليس علويا، إلا أنه من المتعاطفين مع قضيتهم. أما مفاجأة البرنامج الكبرى فهو حضور أحد الوزراء. فكما تعرفين توجد انتخابات قريبا والعلويون، أي أولئك الذين يحملون الجنسية النمسوية منهم، يعدون من الموالين له، لذلك فان هناك اهتماماً بإرضائهم."

"أي وزير؟" تسأل آنا وأنظارها مشدودة إلى العدد الكبير من الأطفال الذين انفصلوا عن أهلهم متكتلين في عديد من الشلل الصغيرة وهم يطلقون أصواتا عالية ولا يكفون عن الحركة الشديدة. تجد آنا وجوههم جميلة بشكل خاص. وبالرغم من أنها لا تهتم في العادة بالأطفال – باستثناء أولاد أختها – إلا أنها لا تستطيع أن تكف الآن عن مراقبة الرؤوس الصغيرة الملتهبة.

ينحني يوسف على أذنها ويهمس: "من سيكون غيره؟ صاحبنا طبعا." إذن هو الرئيس المباشر لهاوجسدورف. تشعر آنا للحظة قصيرة بشيء ساخن يرتفع في داخلها حتى رقبتها. اتصل بها هاوجسدورف أمس وأخبرها أنه لن يكون لديه وقت يوم السبت، أي اليوم، لان عليه أنْ يقدم تقريرا للوزير. ولأنه لم تكن هناك فرصة لذلك طيلة الأسبوع، فلم يكن بد من تقديمه في هذا اليوم. بعدها أضاف قائلا بأن الحياة هي هكذا، وهكذا قبل كل شيء هو العمل، ولكن عليها في كل الأحوال ألا ترتبط بأي موعد يوم الأحد. وإذا كان الجو لطيفا فإنه سيقوم بعد الانتهاء من جولة الفروسية بالذهاب معها إلى مكان ما، خصوصا وأن الجو أصبح ربيعا فعلا. أما هي فقد قالت عندما سألها كيف ستقضي نهارها بأنها تريد ترتيب شقتها وقد تذهب أيضا إلى السينما. لم يكن لديها رغبة في أنْ تدخل معه في نقاش جديد حول الذهاب إلى احتفال العلويين، خاصة وأنها عزمت على

الذهاب إليه في كل الأحوال، وذلك مع يوسف. أما وحدها فلم تشعر بأنها تمتلك العزيمة الكافية لذلك.

في الطريق إلى القاعة الكبيرة يتوقف يوسف مرة بعد أخرى ليصافح عددا كبيرا من الأيدي. وفي كل مرة يذكر اسميهما. ولكنها واثقة بأن أحدا لم يفهمهما في الضجة الكبيرة السائدة في المكان مثلما لم تفهم هي إلا القليل من أسماء الذين قُدموا إليها، ناهيك عن إمكان حفظ هذه الأسماء، وذلك على الرغم من كل التمرينات التي قامت بها عبر باسيديوس.

يقام في هذه الصالة العامة كثير من مباريات الملاكمة. لهذا السبب يوجد فيها مسرح كبير ومقاعد متدرجة الارتفاع كي يستطيع المتفرجون الرؤية من كل الجهات بشكل جيد. يجدان مقاعد شاغرة في طرف من الصفوف المتوسطة الارتفاع من مقاطع الجلوس القريبة من مخارج القاعة. يقول يوسف إنه يخاف من التواجد في الأماكن المغلقة، كما لا يستطيع أنْ يجلس إلا في الأطراف.

إما أن تكون أجهزة تكبير الصوت في حالة سيئة جدا أصلا، أو أنه ليس هناك أحد قادر على ضبطها بالطريقة الصحيحة. مع ذلك لا يبدو أن الأمر يسبب إزعاجا لأي من الحاضرين. فوق المسرح يجلس مجموعة من الشبان الصغار على شكل نصف دائرة وكلهم يعزفون على آلة الساز التي تكلم يوسف عنها. المدهش أن الفتيات هن الأكثر عددا بينهم. شيء يدفع يوسف إلى أن يشرح قائلا: "كان العلويون دائما يمنحون النساء حقوقا أكثر من السنة. ولهذا السبب كانوا يُتهمون دائما بارتكاب أشياء ذميمة وأول ذلك اتهامهم بالعربدة والتهتك، خصوصا وأن شرب الكحول لم يكن ممنوعا عند العلويين في الأناضول أبدا."

في موضع عال من خلفية المسرح وضعت لافتات كتبت شعاراتها باللغة التركية والألمانية. كُتب على واحدة منها: "الشعب الذي لا يعلم نساءه لا يستطيع تطوير نفسه"، وكُتب على لافتة أخرى: "العلم هو نوع من العبادة." يمكن أيضا رؤية صورة الرجل الذي يضع على رأسه قبعة بيضاء عالية ويتأبط تحت أحد ذراعيه غزالا وتحت الآخر أسدا في الزاوية اليمنى من المسرح.

"هل تعرف من هو هذا؟" تتساءل آنا وهي تشير إلى الصورة.

يوسف منشغل في تلك اللحظة بمسح زجاج نظارته بالمنديل، لكنه كما يبدو يعرف من الذي تقصده أنا بسؤالها. "هذا حجي بكتاشي ولي، وهو أحد الأولياء الذين هاجروا في القرن الثالث عشر من خراسان إلى الأناضول. أي أنه هو الآخر مهاجر. أسس هناك نوعا من الطرق الصوفية وأصبح شبيها بقائد روحي للفرع الثوري للمتصوفين الأتراك."

تنظر أنا إلى يوسف من زاوية عينها. "هل تخترع هذا الكلام من أجلي، أم أنك تعرف ذلك فعلا؟ وإذا كنت تعرفه فمن أين؟" يعيد يوسف نظارته إلى موقعها ويحشر المنديل كيفما اتفق في جيب سرواله.

"ما تعلمه المرء يوما يبقى راسخا في ذهنه دوما. وأنا استنفدت سنوات طويلة من عمري حتى أصبحت عارفا بهذه الأشياء كلها. لذلك لا أجلس في المكان الذي ترينني جالسا فيه كل يوم دون سبب يا عزيزتي."

تواصل فرقة الشبان عزف الموسيقى على المسرح وبحماس شديد – ينتمي أعضاء الفرقة إلى جمعية علوية في نيدر أوستر ايش – وهم يقابلون ليس فقط من قبل أصدقائهم وأقربائهم بالهتاف والتصفيق وإنما من جميع أعضاء الرابطة العلوية أيضا.

حركة الذاهبين والآتين من وإلى الصالة التي يجلس فيها الجمهور لا تنقطع. يأتي بعض الحاضرين أيضا بالمأكولات والمشروبات التي تباع خارج الصالة بأطباق وكؤوس من الكارتون. يأتي يوسف بنبيذ أبيض مخلوط بالصودا ولكنه ليس باردا بدرجة كافية للأسف.

بعد عازفي الساز يظهر على المسرح راقصون بملابس فولوكلورية. "الرقص هو واحد من الأشياء المهمة في حياة العلويين"، يقول يوسف معلقا بصوت منخفض، ثم يواصل القول، "كانوا يمارسونه في بعض الطقوس الدينية أيضا. وتوجد فيه كثير من الحركات الثابتة وهم يرقصون أزواجا، وهو أمر غير مألوف في الأماكن التي جاءوا منها."

تبدو كل هذه الأشياء لأنا غريبة بعض الشيء أحيانا وليست كذلك في أحيان أخرى. فلم يكن في الشبان على خشبة المسرح ما هو غريب. أما الأزياء الشعبية

التي يرتدونها فتشبه الأزياء التي كان يظهر بها راقصو الباليه الشعبي السوفيتي في أفلام الستينيّات باعتبارها ملابس قروية أصيلة. ترى أنا أن هذا النوع من الرقص الذي يبدو لها كنوع غريب من رقص المعابد لا يحمل تعبيراً عن شيء معين.

هذا لا يعني من جهة أخرى أنها ليست معجبة به.

" هل هذا الرقص أصلي؟" تتساءل أنا ملتفتة إلى يوسف الذي كان يضع ساقه اليمنى على اليسرى وهو يحركها حركات متجاوبة مع اللحن.

"ماذا تقصدين بأصلي؟"

"أقصد هل كان هذا يجري دائما بهذه الطريقة؟"

يهز يوسف رأسه: "الخطوات المنفردة تقليدية، ولكن ما ترينه هنا هو نشوء ثقافة جديدة لا تزال في كثير من جوانبها غير ثابتة. هنا تولد تقاليد جديدة. فالتقبل لما هو جديد لا يستطيع وحده أنْ يخلق مجموعة متماسكة، وإنما لا بد أنْ يكون هناك إلى جانب ذلك توافق في التفكير، في العقيدة، وفي المظهر الخارجي أيضا. وعندما تصبح هذه الظواهر واضحة للعيان تبدأ تفرعات جديدة لها بالظهور.

تؤرجح أنا أيضا قدمها مع الأنغام.

"أليس هؤلاء العلويون موجودين من عدة قرون؟"

"نعم، وقد احتفظوا بالعقائد الدينية للمهزومين، وهم القبائل التركمانية المهاجرة التي خرجت خاسرة من الانقسامات السياسية الكبيرة التي حدثت في العالم الإسلامي. عاش البعض منهم كقبائل رحل والبعض الآخر في الخفاء، وخصوصا في المناطق الريفية. أما الآن فثمة أمل في أن يصبح المذهب العلوي رابطة مدنية ودينية يمكنها التوافق مع الحياة في الخارج وتكون مستعدة لمواجهة التحديات القادمة من مناطق أخرى من العالم الإسلامي، وهي التحديات التي يشكلها الإسلاميون المتطرفون. هل هذا هو كل ما أردت معرفته؟

"تغلق أنا أذنيها بيدها." هذا يكفي هذه المرة. أنا أقوم الآن بتخزين ما تلقيته منك من معلومات."

"بالمناسبة، هناك شيء صغير آخر. فكما قيل لي يعود الفضل في استمرار وجود العلويين في إقليم الأناضول بشكل كبير إلى آدابهم، إذ لديهم شعراء عظام تدين لهم اللغة التركية بالكثير."

ليس كل الذين يجلسون هنا أو يتحركون جيئة وذهابا هم من العلويين، وإنما غالبيتهم. ليس هناك ما يميزهم في مظهرهم الخارجي عن النمسويين إلا بشيء بسيط.

مثلا في النقطة المتعلقة بالدقة في انتقاء الملابس. أما الطابع الاحتفالي فيبدو وكأنه يتدفق منهم تدفقا. كلهم يرتدون ملابس جيدة، أما الشباب بينهم من الجنسين فيرتدون ملابس تتفق مع الموضة. طابع المرح يبدو على وجوه الجميع، وهم في حالة من الانبساط الشديد بما يتفق مع المناسبة. يقفون وقد تشابكت أذرعهم ببعضها. يضعون أيديهم على أكتاف الآخر عندما يحيون بعضهم، وعندما يتبادلون الحديث فبكثير من الود. عدد قليل من الحاضرات من النساء يضعن غطاء على رأسهن، ومن المحتمل أنْ يكن زوجات لأصدقاء من السنة دعوا لحضور الاحتفال أيضا.

يظهر الآن على خشبة المسرح ديدة، ويبدأ بإلقاء كلمة صغيرة باللغة التركية. بالرغم من الصفة الدينية التي يحملها الديدة فإنه يرتدي ملابس عادية مثل الآخرين.

"لا يؤم العلويون الجوامع أو أياً من دور العبادة الأخرى، وإنما يعقدون مجالسهم في قاعات اجتماعات عادية." يقول يوسف وهو جاد في توسيع معلومات آنا.

"كان المذهب العلوي يعد دائما الثقافة الخفية للأناضول. وكان العلويون من ناحية يخفون عقيدتهم الدينية، في حين يعتبر مذهبهم من ناحية أخرى تعبيرا عن حياة الرعاة والفلاحين التركمان، باستثناء الشيعة الإثني عشرية بينهم. ولكن حتى هذا كان يعد لفترة طويلة واحدا من أسرارهم الدينية. وهم ليسوا شيعة فقط وإنما أيضا حماة إرث الكهانة التي كانت موجودة قبل الإسلام." يتوقف يوسف عن الكلام فترة قصيرة.

"والآن فإن الأمر يتعلق بالشيء الذي ستكون له السيادة في حركات تجمعهم الحالية. ففي البداية حاول القوميون أنْ يصادروا أصول العقيدة العلوية، إلا أنهم رأوا فيما بعد بأن الأمر لا يستحق المحاولة بسبب وجود عدد كبير من الأكراد بينهم. ويختلف الشيعة الإثني عشرية الإيرانيون في عقيدتهم اختلافا جذريا عن العلويين بحيث يصبح التحالف بينهم امرا لا يمكن تصوره مطلقا. أما الكماليون، أي اتباع مصطفى كمال أتاتورك فإنهم يحملون توجهات قومية جدا من ناحية، ومن ناحية أخرى منع أتاتورك نفسه عام ١٩٢٨ جماعة حجي بكتاش ولي أيضا، ضمن منعه لكل الطرق الصوفية الأخرى. لن يتبع أولئك الناس البسطاء الذين يحبون تقاليدهم القروية بالتأكيد التفسير المعاصر للدين، اي تفسيره على اساس علمي. عدا ذلك هناك دائما مسألة الأخلاق. فبقدر ما يبدو قانونهم الذي يستشهد به غالبا بسيطا: "صن لسانك ويديك وصلبك" فإن قانون الأعراف التقليدي لديهم شديد التعقيد."

أنا منهمكة في الربط بين هذا كله مع عائلة الايفيردي، ولكن دون أنْ يحالفها التوفيق كثيرا. فما يقوله يوسف هو شيء عمومي، أما تجربتها هي فشيء خاص وواقعي.

"كما أنّ عقيدة السيد، المنتشرة أيضا في انحاء أخرى من العالم الإسلامي، تقف في مواجهة حدوث تغييرات جذرية. والسادة هم كما يُزعم، أحفاد الحسين الذي هو بدوره حفيد النبي. والديدة يجب أنْ يكون من السادة في كل الأحوال."

"عندما أصغي إليك اشعر انني اصبحت أكثر جهلا مما كنت عليه." تريد أنا أنْ تعود في وقت آخر إلى الحديث عن كل ما سرده يوسف، نقطة فنقطة. أما في اللحظة الحالية فتشعر أن الأمور اختلطت عليها.

"حالك ليس بأفضل من حال بعض العلويين، أي أولئك الذين بدأوا يتذكرون الآن أنهم ينحدرون في الواقع من عائلات علوية. الاضطهاد والعلمانية أضعفا لدى الكثيرين الوعي بأصولهم التي ينحدرون منها . ولكن بما أنّ العلوية بدأت تصبح الآن بديلا حقيقيا، غير غربي – وهذا هو المهم في الأمر – للإسلام

المتعصب، أو ما يسمى بالأصولية فإنها أصبحت أيضا محسوسة لدى الكثيرين. والآن يوجد بين المثقفين اليساريين مؤيدين للعلويين حتى بين أولئك الذين ينحدرون من أصول سنية. في الثمانينيّات أعلن بعض اليساريين المتطرفين في المدن التركية الكبيرة انتماءهم للعلويين، وفي التسعينيّات أصبح المذهب يزداد قبولا بين الأتراك والأكراد غير المتطرفين في أوربا."

"لقد أقنعتي فعلا بأن المؤسسة تمتلك من خلالك خبيرا قديرا يا عزيزي."

كتعبير عن إعجابها تقدم آنا ليوسف قطعة من ملبس السعال وجدتها في حقيبة يدها.

"هل تريدين أنْ أكشف لك عن شيء آخر." صوت يوسف المحمل بلهجة سرية قريب من أذنها إلى حد جعلها تشعر بدغدغة فيها، "لا يوجد شخص آخر غيري، ولا حتى شخص واحد، يعرف هذا المحيط من الداخل بشكل جيد جدا مثلما أعرفه أنا."

تشعر آنا وهي تفكر بباسيبيوس بانتفاضة لا إرادية في داخلها. ما هو الغرض من هذا البرنامج فعلا؟ أيكون لا شيء آخر أكثر من كونه شبكة معلوماتية مبنية بشكل محكم خدمة لأغراض مخابراتية؟ أم أنه يخدم فعلا التعرف بشكل مبكر على صراعات يحتمل أن تنشأ، فيمكن القضاء عليها في مهدها؟ وفي أي جانب يقف يوسف؟

ولكن حتى لو عرفت ذلك، فإن ما يثير قلقها هو عدم قدرتها على التمييز بين الجهات المختلفة.

"إعجابي بك لا حدود له يا يوسف، ولهذا السبب يؤسفني أن تكون تلك الملبسة هي الأخيرة لدي."

"لا تزال موجودة في فمي، وعلى عكس ما توقعت، كان طعمها لا بأس به." للتأكيد على ما يقول يخرج يوسف لسانه فتظهر على طرفه بقية من قطعة الملبس الذائبة. "أريد قبل أنْ تنسى جدية الموقف فيما سيتبقى من الليل، أنْ أفشي لك سرا صغيرا يا عزيزتي: استفسري مني عن كل ما يخطر ببالك ما دمت بجانبك. فأنت لا تدرين فيما يمكن أنْ يفيدك ذلك مستقبلا. كما أنك تفعلين شيئا

حسنا عندما تقدريني كمعلم وأستاذ لك، فالعالم في تغير مستمر، حتى وإنْ كان ليس ثمة من يريد أخذ هذا بنظر الاعتبار. إذن افتحي عينيك وأذنك، فحتى أنا لن أعيش إلى الأبد."

"ماذا تعني بذلك، أنك لن تعيش إلى الأبد؟"

"إذا لاحظوا في وقت ما أنني لم أعد مريحا لهم كما يريدون، سيجري الأمر عندها بسرعة كبيرة. فأنا كخبير أغامر أكثر بكثير من الآخرين، أي منكم أنتم جميعا."

عندما يلتفت يوسف ناحية آنا يحمل وجهه مرة أخرى ذلك التعبير الساخر والحزين في الوقت نفسه لكروتشو ماركس.

"أنا لا أقول ذلك، لأني أتوقع أن لا أكون موجودا في الفترة القريبة القادمة، وإنما فقط لأنه أمر جيد دائما أن يكون ثمة أشخاص يعرفون كل شيء دون أنْ يلاحظ أحد ذلك عليهم."

"إذا كنت تعتبر ذلك مديحا"، تحاول آنا أيضا أنْ ترسم تقطيبة على وجهها ولكنها لا تجيد ذلك مثل يوسف، "فاسمح لي أنْ أقول لك إنك أنت أيضا بحاجة لأن تتعلم أشياء أخرى أيها الأستاذ."

يدفع اثنان من العازفين الجالسين في مقدمة المسرح بعزفهم الساحر على آلة الساز الجمهور المتحرك إلى التصفيق الحاد. فيقوم الرجال من مجموعة حفظ النظام بنفس القدر من اللطافة وطول الأناة بإبعاد الأطفال الذين يلعبون عسكر وحرامية فوق المساحة الفارغة أمام خشبة المسرح وهم يصرخون بصوت عال صرخات تعبر عن ابتهاجهم وسرورهم.

من المحتمل أن يعرف أغلب العلويين هذه الأغاني، فعلى الرغم من أنه لا يبدو عليهم أنهم يصغون إليها فعلا، إلا أنهم يهزون رؤوسهم ويوقعون بأقدامهم مع اللحن. وبشكل عام تسود المكان ضجة عالية جدا. ورغم أنْ مكبرات الصوت لم يتم ضبطها حتى الآن إلا أنها تجعل صوت الموسيقى يطغى على كل ما عداه من أصوات أخرى حتى ليبدو وكأنه خيمة واسعة معلقة فوق سجادة الكلام المفروشة على أرضية الصالة.

يصعد شخص ما على المسرح ويهمس شيئا في أذن أحد الموسيقيين، الذي يستمر في عزفه بينما يبقى الرجل واقفا إلى جانبه. يبدأ الموسيقيون باختتام عزفهم بالتدريج ثم ينهضون واقفين ويعبرون بوجه جامد عن شكرهم لتصفيق الجمهور الحاد الذي يختلط فيه شيء من الصفير، ثم يغادرون خشبة المسرح بسرعة وهم يسيرون الواحد وراء الآخر رغم كل هتافات التشجيع. الرجل الذي ظل واقفا على المسرح يحاول وهو يتنحنح تجربة المايكرفون حتى يهتف التقني في الخلفية بما عليه أن يفعله فيجد الدرجة الصحيحة له أخيرا، أي الدرجة التي تستخدم للكلام.

تتحول فجأة الأنظار من المتكلم إلى مدخل القاعة، ومن هناك إلى المتكلم مرة أخرى. وعندما تصبح الأنظار متوجهة كلها إلى هذه الناحية تنخفض الضجة وكأن هناك منْ أعطى إشارة خفية بذلك. وبينما يبتسم كل من يوسف وأنا لبعضهما ابتسامة متواطئة تتحرك مجموعة من الأشخاص من مدخل القاعة باتجاه المسرح. لا تصدق أنا عينيها وهي تتعرف على هاوجسدورف وسط مجموعة من الرجال الذين يتطلعون بنظرات صارمة فيما حولهم بينما يحرك هو يديه حركات كثيرة أمام وجهه لكي تحميه من أي خطر محتمل. يقوم الرجال من مجموعة حفظ النظام بفتح الطريق له باتجاه المسرح.

ما أن يصل إلى خشبة المسرح حتى يقوم الرجل الواقف عليها بتقديم المايكرفون له على الفور. ولكن ما أنْ يمد هاوجسدورف يده ليأخذ المايكرفون حتى يسحبه المتكلم إليه مرة أخرى، يقول عدة كلمات باللغة التركية يقدم فيها "البك مستشار الوزارة هاوجسدورف" ثم يطلب من الحاضرين الترحيب به. في البداية يرتفع شيء من التصفيق المتردد مما يدل على أن الكثيرين لم يفهموا ما يجري. ولكن بعد أنْ يعلن المتكلم شخصية الحاضر بصوت عال وواضح "البك المستشار في وزارة الداخلية هاوجسدورف" يرتفع هذه المرة تصفيق مسموع، كان من المؤكد أنه سيرتفع إلى درجتين أو ثلاثة أخرى لو كان الحاضر الآن هو الوزير شخصيا.

أنا ويوسف يحاولان أوتوماتيكيا إخفاء نفسيهما بالرجوع بظهريهما إلى

الخلف على قدر الإمكان والانكماش في جلستهما وكأنهما يريدان أنْ تصبح المسافة بينهما وبين هاوجسدورف أكثر اتساعا، بالرغم من أنهما يجلسان بعيدا عن المسرح بما فيه الكفاية بحيث أن هاوجسدورف لا يمكن أنْ يراهما أصلا.

"الضوء"، يقول يوسف الذي يسيطر على نفسه أسرع من أنا، "ينعكس ناحيته إلى درجة لا يستطيع معها أنْ يرى شيئا، ناهيك عن أنْ يرانا نحن بالذات."

يتنحنح هاوجسدورف أيضا عدة مرات قبل أنْ يمسك بالمايكروفون ويذكر أسماء بعض الحاضرين من ضيوف الشرف قبل أنْ يبدأ مخاطبة الحضور بـ"حضرات المواطنين العلويين: كما تعرفون فقد أراد السيد الوزير الحضور إلى هنا شخصيا لكي يعبر لكم بنفسه عن تقديره واحترامه. ولكني واثق من أنكم ستفهمون الموقف عندما أبين لكم السبب في أنكم ترونني أنا الآن وليس هو أمامكم. نجا الوزير قبل ساعة من الآن من محاولة اعتداء عليه . فأثناء ما كان يريد التوجه إليكم وعندما أراد السائق فتح باب سيارته الرسمية له انفجرت قنبلة في السيارة. الحمد لله أنه لم يكن هناك ضحايا. كما أن السائق كان محظوظا. فبالرغم من أنه أدخل للمستشفى نتيجة جراح أصيب بها في صدره ويديه، إلا أن إصابته ليست خطيرة جدا. لذلك فأنا أعتقد بأنكم ستكونون متفهمين لأن الوزير محتاج بعد هذه الصدمة الكبيرة إلى شيء من الراحة."

يبدو أنّ الناس فهموا الآن فقط الذي حدث. إذ يرتفع باتجاه المسرح مرة واحدة جوق مكون من آلاف الأصوات بهتافات عالية تعبر عن الدهشة وعدم التصديق وتتردد فيها كثيرا كلمة الله، مما يجعل هاوجسدورف يسكت لحظة من الوقت ليواصل القول بعد قليل وهو يقترب جدا من المايكرفون: "لذلك كلفني بأنْ أقوم أنا بالتعبير نيابة عنه عن خالص أمنياته لكم بنجاح هذا الاحتفال."

تصفيق حاد. هاوجسدورف شاحب الوجه ويبدو عليه الاضطراب والتوتر، يواصل مع ذلك إلقاء كلمته المرتجلة. ربما لم يكن هناك وقت كاف لكتابة أية كلمة وهاوجسدورف يقول في هذه اللحظة إنه لا توجد بعد أية معلومات عن الدوافع لهذه العملية، إلا أنّ الوحدات الخاصة في جهاز الشرطة ستقوم وبكل دقة

بتقصي كل إشارة ويتتبع كل أثر، "لأن هناك عزما أكيدا على استخدام كل الوسائل لمكافحة هذا الإرهاب وكل ما عداه من أنواع الإرهاب." ثم يضيف بأن على المرء، وهو يعني بذلك الأصدقاء العلويين الحاضرين هنا أيضا، ألا يسمح أن ينجح المتطرفون بتدمير كل ما بذل من جهود لاندماج الأجانب في المجتمع. ثم ينهي هاوجسدورف كلامه بالقول: "فنحن، أي مواطني هذا البلد والآخرين الذين سيصبحون مواطنيه، لا يمكننا القبول مطلقا بهذا العبث الوحشي. وفي هذه النقطة فإنني أعتمد على تعاون كل المهاجرين الذين وجدوا لهم ولأطفالهم هنا وطنا. إذن فلنعمل سوية لمقاومة هذا الجنون حتى نستطيع أنْ نحصد ثمار جهودنا جميعا."

ينحني هاوجسدورف للجمهور، يتمنى مرة أخرى النجاح للاحتفال ثم يضيف قائلا:

"إنكم تعرفون طبعا أنه يمكنكم في الانتخابات القادمة أن تساهموا مساهمة كبيرة في الجهود المبذولة لجعل الجميع يشعرون بالأمان والطمأنينة. أي أنكم يجب أن تكونوا على معرفة بالجهة التي تسعى لتحقيق عملية الاندماج في هذا البلد ومن لا يهتم بذلك." ثم يغادر المسرح بخطوات خفيفة ولم يعد شاحب الوجه كما كان حاله أثناء قدومه إلى هنا.

"ليس هناك ما يمكن أن يحصل أغبى من هذا. أقصد موضوع القنبلة." يبحث يوسف عن منديله مرة أخرى وهو يتابع مع أنا بنظراته هاوجسدورف الذي يبدو عليه أنه يستعجل مغادرة الصالة والمكان كله.

بعد أنْ جلس الجميع كالمشلولين أثناء حديث هاوجسدورف، بدأ الكل الآن بالحديث مرة واحدة. شعور بالقلق يخيم على المكان كله. وبالرغم من أنه لا يوسف ولا آنا يفهمان اللغة التركية فقد كان واضحا عما يتكلم الحاضرون بذلك الإسهاب:

هل لحادث الاعتداء على الوزير علاقة بهم شخصيا وبتجمع هذا اليوم الذي أراد الوزير أنْ يشارك فيه. وإذا كان الأمر كذلك فأية عواقب ستكون لهذا كله. السيدة الذي كان قد ظهر قبل قليل يصعد إلى المسرح مرة أخرى ويتكلم بلهجة

جادة بضع كلمات يبدو أنها تعبر عن الدعوة إلى عدم الاستسلام للخوف. ثم يقول فجأة شيئا باللغة الإنجليزية يجعل أنا تشعر ضمن هذا السياق برغبة في الضحك: "يجب للعرض أن يستمر." وربما قال أيضا شيئا مشابها باللغة التركية. فقد صفق بعض الحاضرين بينما جلس آخرون في مقاعدهم مرة أخرى بعد أن كانوا قد نهضوا وهم يهمون بمغادرة القاعة. أما الذين توجهوا إلى باب القاعة فعلا، فإن بعضهم يبقى واقفا، ينصت، يفكر لحظة من الوقت ثم يتهيأ للرجوع إلى مكانه. خصوصا بعد أنْ يتخلى السيدة عن المايكرفون لمتحدث من المنظمة والذي يهتف عدة مرات باسم أحد الأشخاص من بين الجمهور.

يتعالى التصفيق بين الجالسين ويزداد تصاعدا حتى ليبدو أن أشياء أخرى مثل القنابل أو ما شابه ذلك قد أصبحت أمرا منسيا. كان التصفيق موجها لأحد المغنين المشهورين الذين أستقدم بالطائرة إلى هنا خصيصا. وحين يظهر المغني على خشبة المسرح أخيرا وهو يرفع ذراعيه للتحية ويبدو عليه شيء من الشحوب فإنه يقابل باستقبال حماسي إلى الحد الذي لم يبق امامه إلا أنْ يجعل من موجة الود القوية التي قوبل بها تمهيدا مباشرا لوصلته الغنائية . يقدم له أحد الأشخاص آلة الزاس ويجلس وراءه موسيقيان يحملان قيثارات كهربائية. بعد ضبط الآلات يبدأ عزفا ذا إيقاع سريع وعال. وبعد عدة مقدمات إيقاعية يصل المغني إلى الذروة من طبقات صوته. بعد كل مقطع غنائي يتصاعد هتاف وصفير الجمهور. وعلى المساحة الفارغة أمام خشبة المسرح يتجمع الأطفال من جديد، بعد أن كانوا قبل ظهور هاوجسدورف قد أبعدوا من باب الاحتياط عن خشبة المسرح. هم أيضا يحركون عضلات وجوههم ويهزون خصورهم مع إيقاع الموسيقى. بالرغم من الألحان الشرقية لموسيقاه لا يعد المغني من المغنين التقليديين. وهو يذكر أنا بمغن آخر، إنه فقط يغني بالتركية. صوته مريح للأذن، هذا إذا استطاع الإنسان عدم التفكير بمكبرات الصوت غير المضبوطة. كثير من الحاضرين يعرف نصوصه الغنائية ويغني بعض المقاطع معه، بحيث يبدو وكأن كل الهموم قد ذابت في الألحان التي تشنف الآذان بأنغامها. الكل يتسمع بافتتان كبير. فحتى وإن لم يكن الجميع علويين، إلا أن هذه الأنغام تقوي بينهم

الشعور بالانتماء المشترك إلى مجتمع منسجم مع روح العصر لا يريد أنْ يخضع لا إلى تأثير ولا إلى تخويف المتعصبين ولا إلى تأثير المتطرفين الرجعيين الذين يريدون أنْ يجعلوا من الدين سياسة ومن السياسة قنابل.

لقد جاء هؤلاء الناس إلى هنا ليقيموا احتفالا علنيا ومفتوحا أمام كل من يريد الاحتفال معهم. وفي الوقت نفسه يريدون إبراز هويتهم كمجموعة من الناس ترغب في أن ينظر الآخرون إليها باحترام وتقدير. في الوقت نفسه يريدون أيضا التأكيد على أنهم وإنْ كانوا أنفسهم مجموعة مسالمة، إلا أنهم لا يريدون مع ذلك الخضوع لأي نوع من أنواع التهديدات، أيا كان مصدرها. هذا ما تشعر به آنا على الأقل من الجو السائد في المكان.

"ماذا تعتقد، من الذي وراء هذه العملية؟" تسأل آنا يوسف الجالس إلى جانبها وهو يضع رأسه بين كفيه في جلسة المتأمل المعهودة. "لا أدري. يجب أنْ أكون قريبا أكثر حتى أستطيع أنْ أعرف من أين تأتي رائحة الشواء." يقول يوسف وهو يحك بشدة وراء أذنه. "وبما أن إلقاء القنابل أصبح نوعا من المباريات الرياضية للشعوب المضطهدة أو للعقائديين المتطرفين فإنه من الممكن أنْ يكون لعدة جهات طرف في الأمر، خصوصا عندما يكون الوزير شخصيا هو المستهدف. أما إذا كان العلويون هم المستهدفون فإن العدد يصبح أقل من ذلك بمرتين إلى ثلاث مرات. ولكني لست واثقا جدا من هذا، بل ربما يكون العكس هو الصحيح. فتوقيت الحادث وما كان الوزير ينوي القيام به قبل وقت قصير من وقوعه هو لغة شديدة الوضوح."

"أي بكلمة واحدة أنت لا تعرف أكثر مما نعرفه نحن هنا." بكرم شديد تدخل آنا كل الجالسين حولها في الدائرة نفسها.

"الشيء الذي أريد أنْ أنفيه في كل الأحوال...."، يبدو صوت يوسف وكأنه محمل بشيء من الاستثارة. ولكن عندما تريد آنا أنْ تسأله عن الشيء الذي يريد أنْ ينفيه يفرقع شيء ما تحت مقعدهما بالضبط. فرقعة حادة شبيهة بانفجار شديد يجعل الجالسين حولهما يصغون منصتين. يهب بعضهم واقفا وهو يهتف بشيء ما، ثم تلي ذلك فرقعة عالية ثانية ثم ثالثة.

"تعالي"، ينتزع يوسف آنا من مكانها. يساعدهما جلوسهما في الطرف لحسن الحظ على النهوض والانطلاق السريع. رغم أن آنا تعرف أن رد فعل يوسف يمكن أن يكون سريعا جدا، إلا أنها لم تكن تستطيع أن تتخيل أن يكون يوسف قادرا على سحبها بهذه السرعة وهو يتحدر معها على مدرج القاعة الضيق. كل شيء حولهما يبدأ بالحركة أيضا. وأثناء ما كانا يهرولان على امتداد المدرج بعد أنْ أصبحا في أسفله تلمح آنا أحد رجال حفظة النظام وهو يسحب شابا صغيرا من أذنه محاولا في الوقت نفسه أنْ ينتزع شيئا من يده وهو يوجه له الشتائم العالية.

يحاول الرجال الآخرون من حفظة النظام تهدئة الجموع المتحركة ولكن لم تعد المحاولة تنفع شيئا. يحاول شخص آخر منهم التوجه إلى المسرح دون جدوى وهو يجاهد في شق طريقه عكس تيار المتحركين الذين تزايد عددهم بشكل كبير بعد أن نهض الكثيرون من مقاعدهم ليعرفوا ما حدث. وعندما لا يتلقون جوابا يشرعون هم أيضا بمغادرة المدرجات.

يشعر المغني وفرقته أيضا أن شيئا ما يحدث. ورغم من أنهم يواصلون العزف والغناء إلا أن أنظارهم تصبح مشدودة بشكل متزايد إلى مدخل القاعة الذي لا تكاد تكون رؤيته ممكنة بسبب الحشد الكبير من الناس. يأتي شخص من الخلف قافزا إلى المسرح ويتكلم وهو يحرك ذراعيه حركات عنيفة مع الموسيقيين، ربما محاولا تهدئتهم. ولكن تحريكه لذراعيه بتلك الشدة وهما مفتوحان على سعتهما يجعل جزءا آخر من الجمهور يتصور حدوث أمر خطير فيسرع هو أيضا للحاق بالآخرين.

تجد آنا نفسها فجأة وقد أصبحت وسط الزحام والدفعات تأتيها من كل جانب.

ورغم استمرار المغني بالغناء وهو يحاول ضبط أعصابه إلا أنه يبدو عليه الآن وكأنه يتهيأ هو الآخر للفرار. أعداد كبيرة من الناس تتحرك مدفوعة بنوع من الغريزة، مضمونها الأول والأخير: الخروج من هنا.

لم يعد يوسف موجودا أيضا، يبدو أنه ضاع في المعمعة. لا أحد يستطيع الحركة مثلما يريد، وإنما في أحسن الحالات على قدر ما يستطيع. تشعر آنا أنها

تُدفع باتجاه المخرج دفعا. فقط لا تجعلي الرعب يصيبك، تقول لنفسها بعد أنْ أصبح الوضع عند بوابة القاعة حرجاً جدا. من مكبرات الصوت تنطلق عبارات يطغي بعضها على بعض. لا تفهم أنا كلمة واحدة منها، لا تلك التي باللغة الألمانية ولا التي بالتركية طبعا. تصبح الكلمات خليطا صوتيا يسد المجاري الصوتية فقط ويخلو من أية معلومات.

يضغط شخص إلى جانبها على أضلاعها وقد أصبحت الآن في الصالة الأمامية، حيث يتعالى الصراخ من كل جانب، دون مكبرات الصوت. الجموع المتدفقة تزيح كل ما وضع على الطاولات أمام مشجب المعاطف من كراريس واسطوانات فتسقط إلى الأرض تحت أقدام المتزاحمين للخروج. صراخ نساء، رجال يتلفظون باللعنات وأطفال يُرفعون إلى فوق وآخرون يجلسون على أكتاف آبائهم.

تسمع أنا نفسها وهي تلهث، إنها لا تصرخ، لكنها موشكة على ذلك. تفكر أن هذا هو الواقع، أو أنها السلطة الحقيقية للواقع. يحاول شخص يحمل طفلا على كتفيه أنْ يمر من جانبها. ساقا الطفل الذي يصرخ عاليا يضربانها ولكن لا شيء يتحرك. وبينما كانت تحاول التقاط أنفاسها وهي محاصرة بالأجساد الخائفة من كل جانب، تسيطر عليها فجأة رغبة عاتية في أنْ توجه هي أيضا اللكمات والضربات لكل ما حولها. فلماذا يجب أنْ تكون حياتها أقل قيمة من حياة الآخرين؟

ولكن قبل أنْ تتمكن من رفع ذراعيها إلى أعلى تتلقى ضربة على رأسها تجعلها لا ترى أمامها إلا نجوما تتحرك في الهواء. السقوط إلى الأرض غير ممكن وهي بين هذه الكتلة من الأجساد. وعندما تعود لوعيها مرة أخرى تسيطر على ذهنها فكرة واحدة وهي أن الواقع لا يترك أية فرصة للهرب حتى لو هرب الوعي فترة قصيرة من الوقت، أما الجسد فلا يعود قابلاً للسيطرة عليه. هذه هي الحقيقة التي تهدد بالموت، حقيقة ظالمة ومحضرها الخوف.

ثم تسأل نفسها بم كانت ستشعر لو أن حكمت كان واقفا هنا بالقرب منها وهو محشور جنبها بين هذه الجموع. هل كانت ستشعر بجسده وكأنه يحمل

عداء لها، أم أن واقع وجوده إلى جانبها سينزع عنها كل خوف. أمر لا تستطيع أنْ تعرفه. هل يمكن أنْ يكون هناك جواب على سؤال من هذا النوع؟ فجأة تبدأ الحركة خطوة واحدة إلى الأمام ثم خطوة أخرى. قام شخص ما، حاضر البديهة، بفتح الأبواب الزجاجية.

موجة من الهواء البارد هي أول إشارة إلى كونها أنقذت من الخطر الذي يتهددها، نجت بنفسها وهي تُدفع إلى الظلمة الخفيفة في الخارج.

الأجساد تتفكك ببطء عن بعضها. والهواء يملأ الفراغات المتكونة من جديد. يتحول الصراخ إلى آهات، واللعنات إلى تهديدات، ويبدأ العرق الذي جعل البشرة رخوة بالجفاف.

لا تزال آنا غير قادرة على التحكم بركبتيها وكأن أوتار عضلاتهما ارتخت حتى لم يعد بإمكانها أنْ تسير سيرا عاديا. تشعر بحاجة ماسة إلى الجلوس حتى وإنْ كان ذلك على واحد من المكعبات الخرسانية التي زرعت فيها زهرات الثالوث. تتوجه مترنحة إلى أحدها وهي محاطة بالأجساد من كل جانب إلا أنها لم تعد محاصرة.

تشعر بالعشب تحت قدميها الخدرتين. تستجمع كل ما تبقى لها من قوة لتستدير مبتعدة. لا تزال الجموع تتدفق من قاعة المصحة المضاءة إضاءة ساطعة، ولكن بكثافة أقل. بالقرب من المدخل يستلقي بعض الأشخاص على الأرض في حين ينحني أشخاص آخرون عليهم وهم يمسكون برؤوسهم أو يقلبونهم بحذر على أجنابهم. ومن البعيد يمكن سماع صفير سيارات الإسعاف.

أزهار الهيقل تتفتح، تفكر آنا وهي تتحرك مترنحة. تريد على قدر الإمكان الابتعاد عن المبنى خوفا من أنْ تحاصر مرة أخرى ولكن ركبتيها لا تطاوعانها وتستسلمان للضعف الذي ألم بهما.

شخص ما يلتقطها باحتراس من تحت إبطيها، لابد أنه يوسف. في هذه اللحظة تغادرها قواها تماما، وتشعر بنفسها وهي معلقة بين ذراعي ذلك الإنسان وكأنها لعبة خيال الظل عاجزة عن القيام بأي شيء عدا الاستناد بجسدها إليه. وفجأة تشعر بالارتياح يحل في جسدها. شعور يشبه السعادة الجسدية الغامرة تتدفق من الجسد الآخر الذي يمسك بها حتى تملؤها ثم

تفيض عليها. جسدها كله ينبض ولولا هاتين الذراعين اللتين تمسكان بها لكانت قد سقطت على العشب، أو لكانت قد ارتقت إلى السماء. لم تشعر يوما أن جسدها بهذا الضعف، أنها هي نفسها هذا الجسد وأنْ تحس بنفسها وهي فيه.

تداهمها رغبة في البكاء. يهمس لها الصوت الذي تسمعه قريبا من أذنها مثل الطنين: "ابكي، فالذي لا يبكي لا يرى شيئا."

يريحها البكاء كثيرا. ولكن هل هذا هو يوسف فعلا؟ ضوء كاميرا يعمي بصرها وكأنه عاصفة برق أرضية تنفجر بالقرب منها. شخص ما يريد للخوف الذي عاشته أنْ يبقى مسجلا على قدر الإمكان. تفرك آنا عينيها، تشعر بالجسد خلفها وكأنه معطف ينسدل عليها. لا تزال تشعر بالتردد. لا تريد أنْ ترى أي وجه في الواقع. تريد أنْ تترك نفسها مستندة إلى الجسد الآخر وتنتظر حتى تجف دموعها من تلقاء نفسها.

يبدأ الطنين من جديد. تستدير آنا ببطء وتخرج من الذراعين اللتين تمسكان بها. حركة تجعلها تشعر بقشعريرة تخترق جسدها. نظرتها لا تزال منكسة إلى الأرض ولكن الصوت يقول: "طلعة الله في امرأة هي الأكمل."

أليس هذا عبدال؟

عندما يقرع جرس الباب لا تزال آنا ترتدي الروب الكيمونو، هدية من بوني بمناسبة أعياد الميلاد قبل ثلاث سنوات، مصنوع من الحرير الصيني الخام بألوان طبيعية ومطرز على الظهر باللون الأسود بجمل تعبر عن الأمنيات بالسعادة والعمر الطويل. إشترته بوني أثناء تنزيلات قام بها بيت الشرق الأوسط الذي كان قد افتتح حديثا حينذاك.

عليها أنْ تبقى ساكنة وتترك الجرس يرن حتى يتوقف من نفسه. لا أحد الآن في البيت. أو أن الجميع قد ماتوا. ولكن الجرس يدق مرة أخرى. القطة التي كانت آنا قد قدمت لها ما تبقى من الحليب هربت عندما قُرع الجرس في المرة الأولى.

قفزت إلى البالكون وهي تسير على حافة الشباك إلى أول نافذة مفتوحة تصادفها. لا تريد آنا أنْ تنظر إلى القطة خوفا من أنْ تراها وهي تسقط في إحدى

المرآة. تعرف آنا أنه هاوجسدورف. لم ترفع السماعة عندما رن التلفون قبل فترة. إنها متأكدة بأنه هو ولا أحد غيره . يا لها من بداية لهذا اليوم. في الطريق إلى الباب تلقي نظرة على المرآة. الضربة التي تلقتها وهي واقفة تركت أثرها على وجهها، بقعة بنفسجية مسودة.

لابد أن هاوجسدورف كان قد أسند جسده إلى الباب، فما أنْ فتحته حتى أوشك أنْ يسقط عليها. هاوجسدورف يحمل جريدة في يده. "أهذه أنتِ؟" لم يكن هاوجسدورف قد رآها جيدا بعد، وإنما الصورة في الجريدة فقط. تأخذ آنا الجريدة من يده. صورة لوجهها وقد أضاءه ضوء الكاميرا بشدة مع عينها المتورمة وخلفها رأس رجل غير واضح المعالم، تعرف هي وحدها من هو. إحدى ذراعي الرجل على صدرها والآخر يطوق خصرها.

"هذا ممكن." تعود آنا إلى الطاولة مرة أخرى. "هل تريد شايا؟ لقد تأخرت اليوم في تناول الفطور."

يبدو أن هاوجسدورف لاحظ الآن فقط عينها المزرقة وأثر الضربة على صدغها الأيسر. يأخذ وجهها بين يديه ويديره عند النافذة باتجاه الضوء، "يا إلهي، يا له من منظر! كيف أصبح شكلك؟ هل تشعرين بالألم؟" تهز آنا رأسها نفيا ثم تسحب نفسها منه. تأتي بكوب آخر وتصب فيه الشاي، رغم أن هاوجسدورف لم يقل إنه يريد شايا أصلا.

"ألم أقل لك إن هذا شيء لا يناسبك؟"

"هل قلت هذا فعلا؟" تجلس آنا فيما يشرب هاوجسدورف شايه وهو واقف. "كنت أعتقد أنك ستصدقينني، إذ كان بالإمكان أنْ يصيبك أكثر من هذا أيضا." –انفجار قنابل يثير رعبا في قاعة المصحة – كان العنوان الجانبي لمقال في عمودين ظهر في الصحيفة ذات الحجم الصغير وفوق ذلك بالخط العريض – محاولة اعتداء على وزير الداخلية، فمن سيكون التالي. – "ولكنها كانت أيضا مناسبة لأن أسمعك وأنت تخطب." تبدو ابتسامة آنا وكأنها معلقة بشكل مائل على وجهها المتورم. يحدق هاوجسدورف فيها بارتياب "وكأنك كنت في وقت ما مهتمة بهذا."

"ولكني لم أرد أنْ يفوتني سماع خطابك الذي ألقيته يوم أمس." تخرج آنا قدمها وتدخله في خفها المنزلي.

"اضحكي علي كما تحبين، ولكن احكي لي، كيف أصبت بهذا؟" يطيل هاوجسدورف النظر إلى البقعة البنفسجية على وجهها.

تشعر آنا وكأنها أعتقت من قيد كان يقيدها. لن يكون عليها أن تبدو جميلة يوم الأحد القادم. فبوجهها هذا لن يكون هناك ذهاب إلى أي مطعم، ليس برفقة هاوجسدورف على كل حال. إذ أن نظرة من نادل واحد تحمله المسؤولية عن هذا الوجه المتورم، ستكون كافية لتفقده شهيته. ثم أن الهمز واللمز بين العاملين الآخرين في المطعم: "السيد مستشار الوزارة ضرب صديقته على عينها"، سيشعره بقدر كبير من الضيق والارتباك فلا يكون بمقدورهما حتى الحديث مع بعضهما. التفكير بالأمر وحده يبعث على الابتسام. إذن سوف لن تكون هناك في هذا اليوم مطاعم رفيعة المستوى بكل ما لها من رموز، سواء كانت تلك نجوما عديدة أو قبعة الطباخ العالية أو ملعقة الطبخ. ولكن كما في كل الأمور الأخرى وكما حدث ذلك في الفترة الأخيرة مرارا، فإن آنا تُخطيء هذه المرة أيضا في تقديرها لهاوجسدورف.

"هيا غيري ملابسك، إننا مدعوون لدى أمك على الغداء."

"غير ممكن." تقول آنا وهي تشعر بأنها أخذت على حين غرة. وهاوجسدورف يشعر بالظفر لأنه أخرجها عن تحفظها.

"إتصل أوسكار بي وسألني أنْ كنت أعرف أين أنت. أمك قلقة عليك جدا لأنها لا تجدك في البيت مطلقا بالرغم من أنها أخبرتك في منتصف الأسبوع عن موضوع الدعوة على الغداء لهذا اليوم. وقد قال لي بأنه إذا لم يكن لدي شيء آخر يشغلني عن المجيء فإن الدعوة تبقى قائمة."

"وهل لديك شيء آخر يشغلك؟"

"لا، لا يوجد عندي أي شيء، كذلك أنت. إنهم ينتظرون وصولنا خلال نصف ساعة. إذن هيا بنا، إستعدي للخروج."

تتمنى آنا لو أنها تستطيع أنْ تتوجه بالضرب لكل ما حولها، مثل ذلك الطفل

مساء يوم أمس. تشعر بالغرابة وهي ترى الآن المنظر متجسدا أمامها بوضوح تام. ذلك الطفل ذو الثلاث سنوات يصرخ ويوجه الضربات لكل ما يحيط به، وكيف شعرت بالكراهية الشديدة تجاهه وكأن الأمر أصبح فجأة متعلقا بحياة مقابل حياة أخرى، بحياتها مقابل حياته.

"أولا، لقد تناولت إفطاري قبل قليل وثانيا رأسي يؤلمني"، تقول آنا وهي تتلمس بحذر الندبة على صدغها.

"رأسك يؤلمك؟" إذن سآخذك إلى الطبيب فورا. إذ ربما حدث لك ارتجاج في المخ.

تهز آنا رأسها. "لا، كل شيء على ما يرام."

"كيف أمكن أنْ يحدث لك هذا كله؟ "يقول هاوجسدورف بنبرة غريبة.

تشير آنا إلى العنوان العريض في الصحيفة. "كنت في الداخل والناس تفقد السيطرة على نفسها عندما تتملكها حالة من الرعب."

"لقد عرضت نفسك للخطر دون تبصر بالعواقب. لو أنك سمعت كلامي."

"لم يكن ممكنا التنبؤ بما حصل. ما كان بإمكان أحد أنْ يتنبأ بما حدث، تماما كما كان الحال مع القنبلة التي وضعت لوزيرك وفي سيارته الرسمية بالذات، والتي يقال إنها وضعت تحت المراقبة لمدة أربع وعشرين ساعة في اليوم." قرأت آنا الأخبار عن حادث الاعتداء بسرعة.

"لقد حدث ذلك لأنها لم تكن مراقبة على مدار الساعة، هذا هو السبب." من الواضح أن الموضوع يلح على هاوجسدورف إلحاحا شديدا.

"فمثلا هناك ممر غسيل السيارات والكراج، وهما أول نقطتي ضعف يمكن أنْ تخطرا على البال. ومن المؤكد أن هناك أيضا نقاط ضعف أخرى لم يفكر أحد بها."

يريد هاوجسدورف أنْ يعرف شيئا آخر. "ألا تعرفين بالصدفة من هو ذلك الشخص الذي أحاطك بذراعيه؟"

"كلا، سيدي"، تقول آنا. جواب كانت تفكر به طيلة الوقت.

"شخص ما التقطني عندما كدت أفقد وعيي للمرة الثانية. شخص لا أعرفه

كان مستعداً لإبداء المساعدة فقط. وربما لا أستطيع أنْ أتعرف عليه إذا رأيته مرة أخرى."

"وماذا لو كنت تكذبين؟" يسحب هاوجسدورف الجريدة من يد أنا.

"ولماذا أريد أنْ أكذب؟"

الصورة تكشف عن "وجهها" فقط. أما ما وراء ذلك فيذوب في خليط من البقع المعتمة والمضيئة. اليدان فقط يمكن رؤيتهما بوضوح.

"يخيل إلي انني رأيت هذا الخاتم كثيراً. ولكني لا أستطيع أنْ أتذكر بيد من."

لم تكن أنا قد لاحظت الخاتم من قبل. تراه الآن فقط. يبدو مضفوراً قدر ما يمكن تمييزه. لا تستطيع أن تتذكر هي أيضا أي خاتم. ولكن ما الذي بقي في ذاكرتها أصلا؟ هنا تتذكر شيئا ما.

"يوسف يحمل مثل هذا الخاتم والذي يسمى بخاتم الصداقة، وهو مكون من عدة قطع متداخلة مع بعضها بحيث تجعله يبدو مضفوراً. ويمكن وضعه في الإصبع بهذه الطريقة فقط."

"أهذا يوسف؟" هاوجسدورف يضيق عينه وهو يتأمل الصورة.

"لو كان يوسف لكنت قلت لك ذلك. ولكنه لم يكن يوسف، إذ انني فقدت أثره ثم رأيته بعد ذلك عند سيارة الإسعاف. كان قد أصيب بشيء في ذراعه ونقلوه إلى المستشفى لأخذ أشعة له."

"هذا يعني أنك كنت هناك مع يوسف؟"

"إذا كنت قد نسيت، فدعني أذكرك أننا نعمل سوية في نفس المشروع، وأنا أتعلم منه أشياء كثيرة."

"وهل هذا جزء من الدرس الذي تتعلمينه منه؟" يقول هاوجسدورف وهو يشير إلى عينها.

"سوء حظ لا غير. أمر يمكن أنْ يحدث لأي شخص. هل تريد أنْ تشرب شايا آخر؟"

يدفع هاوجسدورف الفنجان تجاهها، فتصب أنا الشاي فيه ثم تمد له يدها بالراديو:

"إذا كنت تريد أنْ تسمع الأخبار، بينما أذهب أنا لتغيير ملابسي."

لقد كان فعلا عبدال. تعانقه آنا ثم تعود للبكاء من جديد. عبدال يمسح بيده على شعرها ويدندن لها بخفوت وهو يحرك نفسه يمنة ويسرة وكأنه يريد وزنها وهي واقفة. مرة أخرى تشعر آنا بالارتياح يتصاعد في داخلها. في هذه المرة على شكل دغدغة تخترق جسدها وتعيد له الحياة من جديد.

"أنا الجميلة"، يقول عبدال عندما تشعر آنا بنفسها قوية بما فيه الكفاية لكي تقف بدون مساعدة منه. ويوسف؟ أين ذهب يوسف؟ تسحب آنا عبدال معها مقتربة من المبنى الذي لا يزال الناس متجمعين أمامه. أما العدد الأكبر منهم فقد انقضوا.

وعندما كادت أنْ تفقد الأمل في العثور على يوسف تراه فجأة وهو يستعد للصعود إلى سيارة الإسعاف، عضلات وجهه متقلصة، هذه المرة بسبب الألم في ذراعه الذي يبدو وكأنه لا ينتمي إليه. "سأتصل بك غدا صباحا، حاولي أنْ تذهبي إلى البيت قبل أنْ يحدث شيء آخر. هناك أيام يكون من الأفضل للإنسان أن يقضيها وهو نائم في فراشه." بعد ذلك أغلق باب سيارة الإسعاف ثم صعد الطبيب والسائق في القسم الأمامي منها.

لا تزال آنا ممسكة بذراع عبدال وكأنها تخشى أنْ يذوب مختفيا في الهواء.

"هل كنت أيضا في الداخل؟"

يفرقع عبدال بلسانه. "لا، فأنا أفضل أنْ أبقى هنا في الخارج." إنها فعلا ليلة دافئة. الليلة الدافئة الأولى هذا العام.

"متين موجود في الداخل." تلاحظ آنا الآن فقط أن الاحتفال بدأ مرة أخرى. تستطيع سماع موسيقى ورؤية رجال حفظ النظام وهم يتحركون في الصالة الأمامية جيئة وذهابا. هناك كان ممكنا المحافظة على الأطفال بشكل أفضل. أما الجرحى الآخرون عداها وعدا يوسف فإنهم ذهبوا إلى بيوتهم أو نُقلوا بسيارة الإسعاف إلى المستشفى. وكما يبدو فإن المحتفلين هنا لا يريدون بالفعل أنْ يظهروا أنفسهم خائفين، لا من المتعصبين ولا من أية ظروف طارئة أخرى.

ضاعت حقيبة آنا وسط الهرج والمرج. لم يكن فيها شيء كثير، وإنما القليل

من النقود، مشط، قلم أحمر الشفاه، الهوية والمفتاح. ولكن آنا لا تستطيع أنْ تتغلب على خوفها لتدخل إلى الصالة مرة أخرى. ليس في هذا المساء على أية حال.

لديها للحالات الضرورية مفتاح عند بوابة العمارة. بذلك يمكنها أنْ تذهب إلى شقتها الآن ثم تتصل يوم غد بإدارة المصحة لكي تستفسر منها فيما إذا كانت حقيبتها قد وُجدت.

"هل ستأخذني إلى البيت." يسحبها عبدال من المدخل إلى أحد الممرات ثم ينعطف معها إلى الشارع العريض المؤدي إلى المدينة. يفهم عبدال من عبارة "خذني إلى البيت" الذهاب إلى البيت مشيا على الأقدام. وهذا شيء يناسب آنا جدا. فهي غير قادرة على الصعود إلى أي من وسائط النقل، سواء كانت تلك سيارة أو تراما. إنها لا تزال بحاجة إلى استنشاق مزيد من الهواء وإلى الإحساس باتساع المسافات حولها.

الآن يحافظان وهما يسيران على شيء من المسافة بينهما مع أنْ أصابعهما لا تزال متشابكة. شيء مريح، السير على الأرصفة الخاوية وتنفس الهواء المشبع برائحة أوراق الشجر الطرية.

"أنت عبدال، أليس كذلك؟" يستدير عبدال بوجهه ناحية آنا التي يعكس وجهها شيئا من أشعة القمر.

"دائما" يقول وهو يهز رأسه "أنا أستطيع أن أكون عبدال دائما." تود آنا أن تعانقه. لأنه موجود ولأنه يصبح موجودا من أجلها مرة بعد أخرى. تضغط على يده وتترك بصرها ينحدر إلى عمق الشارع. يقتربان صامتين من مركز المدينة. يصدر عن أقدامهما وهما يسيران بخطوات متسقة على الإسفلت صوت منتظم الإيقاع يكون مع عرج عبدال نوعا غريبا من الموسيقى.

الطريق طويل. وكان من المفروض أنْ تكون آنا متعبة تعبا شديدا. ولكنها تشعر وهي تسير الآن يدا بيد مع عبدال أنها قادرة على السير ساعات عديدة أخرى. عضلات وجهها تصبح مشدودة. تتلمس عينها المتورمة، ولكن لم يعد لذلك أية أهمية. عندما يقتربان من الحي الذي تسكن فيه لا تعود آنا قادرة على المقاومة أكثر فتسأل: "أين حكمت؟"

يبدو على عبدال وكأنه فقد توازنه قليلا. ربما لأنها توقفت عن المشي فجأة.

يحرك رأسه حركات قوية عدة مرات. "حكمت، حكمت، حكمت! كل شيء هو حكمت، الدهشة، الحكمة، الإدراك. وإذا تمعن المرء النظر بشكل صحيح فإنه يستطيع أنْ يرى حكمت في كل مكان. أنا أيضا حكمت."

تسحب آنا عبدال إليها وتهمس: "أنا أقصد أخاك حكمت، الذي أخذني إلى أمك. حكمت الذي كان يذهب لأستاذ يعلمه الخط، حكمت الأصغر بين سبعة أخوة."

يخفض عبدال بصره ثم يضرب بقدمه الأرض عدة مرات. "أنا حكمت، ولا يجوز أنْ يوجد حكمت آخر غيري."

"ولكنك عبدال؟"

"عبدال ليس اسما، عبدال يعني مجنون."

تقول آنا بلهجة رجاء: "قل لي أين هو، يجب علي أنْ أجد حكمت، وإلا فإن حنيني إليه سيخنقني." يهز عبدال نفسه بطريقة تبدو وكأنه يشعر بالألم لأنها تريد أنْ تسمع منه جوابا لا يستطيع هو أنْ يعطيه لها.

"عبدال، رجاء."

تتصارع على وجه عبدال مختلف المشاعر. يبتسم فجأة ثم يقول: "سأغني، أصغي جيدا وستجدين ما تبحثين عنه." ثم يبدأ مرة أخرى بالترنم. تعتقد آنا أنها تستطيع أنْ تميز بعض الكلمات. ولكنها كلمات بلغة لا تفهمها. إنها تعرف أنه أمر لا جدوى منه أنْ تلح على عبدال أكثر من ذلك. من المؤكد أنه لم يفهم سؤالها جيدا.

أو حتى لو فهم السؤال جيدا، فربما لا يستطيع أو لا يسمح له أنْ يجيبها الإجابة التي تريدها.

عندما يصلان بيتها أخيرا تعانق آنا عبدال، وهو يهزها لآخر مرة مترنما حتى تشعر بأنها ستغفو وهي واقفة على قدميها. "شكرا عبدال"، تقبله على وجنتيه "سلم لي على فريدة خاتون."

يبدو عبدال مضطربا لحظة من الوقت. بعدها يبتعد متراجعا إلى الوراء وهو

يعرج بشكل واضح في حين تقرع آنا الجرس على البوابة لكي تأخذ منها مفتاح شقتها الاحتياطي.

الاستقلالية التي يتصرف بها هاوجسدورف في بعض المواقف تجبر آنا على الشعور بالاحترام له. شيء جدير بالاعتبار فعلا طريقته في جعل أوسكار لا يتجاوز حدوده دون أنْ يعبر ولو مرة واحدة عن ذلك بالكلمات. كل محاولة يقوم بها أوسكار لكي يخلق بينه وبين هاوجسدورف نوعا من الزمالة ترتفع إلى نقطة معينة ثم تنهار في اللحظة التي يتصور فيها أنه وصل إلى الهدف ويبدأ برفع الكلفة أكثر مما يسمح به هاوجسدورف.

تعرف آنا هاوجسدورف في هذه الأثناء معرفة كافية لاستنتاج الطريقة التي سيتصرف فيها وتشعر بالتقدير لها. ما من شيء يزعج هاوجسدورف أكثر من أنْ يقوم الآخرون بلمسه أثناء الحديث معه، سواء كان ذلك بإمساك يده باليدين معا أو بوضع الذراع حول كتفه. لا يطيق أيضا أن يضرب رجل آخر على فخذه عند الضحك أو يوجه إليه لكمة ليحفزه على مزيد من الضحك. في لحظات مثل هذه يمكن أنْ يكتسب وجهه تعبيرا شديد الجمود. مسموح لها هي وحدها، آنا، أنْ تلمس ذراعه أو أن تنحني عليه من الخلف وهي مستندة على كتفيه، حتى عندما لا يرقدان إلى جانب بعضهما في الفراش.

يبحث أوسكار على العكس منه عن تحالف معه لدى العائلة، ويبدو له هاوجسدورف النقطة المناسبة التي يستطيع إلقاء مرساته فيها. جيجي في قبضته أصلا. أما الابنتان فيحاول أنْ يكسبهما لصالحه عبر التقرب من رجليهما.

لا تستطيع آنا إلا أنْ تتعجب من الأهمية التي يعطيها أوسكار لمفهوم العائلة، حسب ما يتصوره هو. ولا ينتابها أي ظل من الشك في أن فكرة اللقاء على الغداء في هذا اليوم هي من اختراعه هو فعلا. ما كان مفاجأة لها هو أن هاوجسدورف قد قبل الدعوة أيضا. ففيما عدا حضور افتتاح مسرحيات بير، كان حتى الآن يتجنب متعمدا أية لقاءات أخرى مع العائلة. هل يعتقد أنه يستطيع بهذه الوسيلة السيطرة عليها أكثر؟

الانطباع الآخر الذي كونته عن أوسكار هو أنه يتعمد مراقبة هاوجسدورف بشكل جيد. ولكنه ما أنْ يلاحظ انسحاب هاوجسدورف إلى الوراء حتى يعمد فورا إلى الهبوط إلى مستوى أقل من رفع الكلفة معه. هل تعلم هذا أثناء لعبة كرة القدم؟

إنه يتصرف على كل حال مثل لاعب كرة قدم في حين يقوم هاوجسدورف بدور المناور الذي لا يريد الفوز فقط وإنما يريد قبل كل شيء أنْ يحافظ على طريقة التصرف المقبولة لديه.

تصبح عين آنا المزرقة والاعتداء على الوزير موضوعا للحديث على الغداء بالطبع. في البدء أحدثت جيجي ضجة كبيرة بسبب مظهر آنا، ثم هدأت مرة أخرى عندما قام أوسكار، الرجل الأخصائي بالجروح الصغيرة، بتقديم النصيحة باستخدام مرهم له القابلية على إذابة الكدمات بسرعة، قائلا إنها ليست بحاجة لأن تأخذ أي شيء عدا ذلك، إلا إذا كانت تشعر بصداع شديد ". كثيرا ما واجهت في الأيام التي كنت ألعب فيها كرة القدم، حالات من هذا النوع ".ثم يقول وهو يقوم بحركة تهوين:

"يحتاج الأمر إلى بعض الوقت فقط كي يعود إلى ما كان عليه."

تغالي جيجي باختراع أغرب فكرة عن القائم بعملية الاعتداء وتعود بذلك بسرعة إلى الخوض في موضوعها المفضل، المافيا. ربما يعود السبب في ذلك إلى أنها رأت كثيرا من الأفلام عن هذا الموضوع. وعلى كل حال فإنها تدعي أنها تعرف أن هؤلاء، أي أعضاء المافيا، لا يتورعون عن أي شيء، سواء كانوا من الفرع الإيطالي، الأمريكي، البولندي، الروسي، التركي أو الصيني منها. أما أوسكار فيظهر اطلاعا أكبر منها. يرى أن ما حدث هو من تدبير الأكراد أو الأصوليين المسلمين ومن المحتمل الفلسطينيين. "أنا لست عنصريا"، يقول أوسكار وهو يقوم بقطع الشحم من لحم الخنزير المشوي في طبقه، "ولكنني أجده أمرا سيئا أن يقوم كل هؤلاء الناس القادمين من الشرق الأوسط بنقل حروبهم إلى بلادنا. ما أريد أنْ أقوله، لم يكن لدينا حتى مستعمرات. والله يعلم بأن حال العمال الأجانب عندنا هو أفضل بكثير من حال أولئك الذين يعملون في

السعودية." يعترض هاوجسدورف على المرء أنْ يضع في حسابه أيضا أن الفاعلين يمكن أن يكونوا من اليمين المتطرف من أهل البلاد، حتى وإن لم يعثر على أدلة حتى الآن، لم يسمع هو شخصيا بظهور أية أدلة على الأقل، ولكنه سيذهب قريبا للقاء الوزير، وربما عرف عندئذ المزيد. وفي كل الأحوال فقد حدثت سوابق عديدة من هذا النوع وإنْ لم يكن أي منها بهذا الحجم. "والتي بقيت كلها معلقة." تقول آنا التي لم تشترك في الحديث لحد الآن وتشعر بحاجة لأن تعبر عما يعتمل في داخلها. كانت تفضل لو استطاعت أن تسأل هاوجسدورف عن اسم البرنامج الخاص بتهدئة مثيري القلاقل من أهل البلاد واي مؤسسة تعالج البيانات المتعلقة به. ولكن يحتمل أن يعد هذا البرنامج في الوزارة نفسها. فمثل هذا العمل لا يتطلب وجود خبير مثل يوسف الذي يمتلك معرفة جيدة جدا ببيئة الأجانب وإنما يكفي لذلك الأخصائيون العارفون ببيئة المقاهي والبارات المحلية.

يتفحص هاوجسدورف أظافره ثم يقول: "يجب تكثيف الجهود على كل حال." ولكن كلا من جيجي وأوسكار وهاوجسدورف أيضا متفقون أن التعرض لوزير الداخلية بالذات كان جرأة كبيرة، مما يدل على أن القائمين بالعملية يعرفون بأن المختصين بهذه الأمور يجلسون في وزارة الداخلية، أو ربما لا، تفكر آنا في سرها.

يقول أوسكار غاضبا: "إما أنهم يشعرون بالقوة إلى حد يجعلهم يسمحون لأنفسهم بفعل كل شيء، أو أنهم يستهدفون الوزير فعلا. وفي هذه الحالة تجب مواجهتهم من هذا المنطلق وإلقاء القبض عليهم."

يشعل هاوجسدورف غليونه ويهز رأسه. فعندما يصبح الجدل حول الموضوع محددا بهذا الشكل يتحتم عليه أن يصبح متحفظا في كلامه. فهو موظف في الوزارة المذكورة. إذن عليه أنْ يحترس بعدم إبداء أي تصريحات لم يفكر فيها، حتى وإنْ كان ذلك في مجال حياته الخاصة. تعرف آنا أن هذا كان شعاره دائما. "عندما يقف الخبراء وراء الوزير، وعند ذلك فقط." يقول أوسكار وهو يحاول أنْ يجعل نفسه يبدو كواحد منهم.

يبدو أن هاوجسدورف قد ضاق بالأمر ذرعا ولم يعد له مزاج لتوضيح

العلاقات داخل وزارته، وبالذات لشخص مثل أوسكار، فيقوم بمهارة - أنا وحدها تستطيع أنْ تقدر التضحية التي يقوم بها - بصرف النقاش عن القنابل التي تهز الدولة إلى القنابل المنطلقة فوق العشب الأخضر والتي تحبس هي الأخرى أنفاس الأمة، فيتوجه إلى أوسكار بالسؤال عن أيامه كلاعب كرة قدم، فيصرفه فعلا عن الحديث في السياسة الداخلية إلى الحديث عن سقطات وحقارات من نوع آخر تماما.

يصغي هاوجسدورف الذي لا يهتم مطلقا بكرة القدم لأوسكار وشروحاته كما لو كان عليه اكتساب معلومات جديدة تكمل معرفته عن العالم ثم يتبع أوسكار طائعا إلى غرفة النوم، حيث علقت صور للفرق الرياضية المشهورة التي لعب فيها أوسكار.

أما الملف الذي يحوي التقارير الصحفية التي كتبها صحفيون رياضيون ذكروا أوسكار في تقاريرهم باسمه فهو محفوظ في الدرج الأعلى من خزانة الشراشف. فرغم كل الحب الذي تكنه جيجي لأوسكار فإنها لم تسمح أن تتحول الشقة كلها إلى معبد للذكريات الرياضية.

تستغل جيجي الوقت عندما تنفرد بآنا لتقول لها: "ما الذي جعلك تذهبين إلى اجتماع الأتراك هذا؟ فربما كان لشيء كهذا نتائج وخيمة في إحدى المرات. أنا لا أحمل شيئا ضد هؤلاء الناس ما داموا لا يقومون، كما فعل البعض منهم، بذبح الخرفان في فناء العمارة. ولكن ماذا تريدين أنت لديهم بالذات؟ ألا تلاحظين أنك بهذا تسببين له المشاكل؟" تشير باتجاه غرفة النوم التي اختفى فيها أوسكار وهاوجسدورف، "كان عليك فعلا أنْ تراعي منصبه قليلا."

تغلق آنا عينها المحاطة ببقعة بنفسجية وتحدق بجيجي بعينها غير المصابة. "على ذكر ذبح الخرفان في الفناء، وماذا تفعلون أنتم؟ أنت وبوبي وأوسكارك؟ إنكم تحاولون أيضا أنْ تبيعوني بثمن بخس لوظيفة."

تأخذ جيجي نفسا عميقا. "عفوا، لم يكن أي منا هو الذي عرفك بمستشار الوزارة، ناهيك عن محاولة التأثير عليك، فكيف يمكنك أنْ تفتري علينا افتراء كهذا."

تواصل آنا حديثها دون أنْ تلقي بالا لما تقوله أمها. "أنا راشدة، أعمل وأعيل نفسي وأنا غير متزوجة. وما أفعله في أوقات فراغي لا يخصكما ولا يخص هاوجسدورف بشيء."

تعتدل آنا في جلستها بينما ترفع جيجي وجهها إلى فوق وكأنها تدعو سقف الغرفة أن يكون شاهدا على ما تقول. "للأسف لم يعد أحد يستطيع الكلام معك. لا يوجد هنا أي إنسان يريد أنْ يقول لك ما يجب أو لا يجب عليك فعله. إننا قلقون عليك وحسب. بوني على حق، ثمة ما هو على غير ما يرام، وإلا لما كنت تصرين على الهذيان بكلمات لا طائل منها."

"لو كنت في مكانك لذهبت إلى هذا الاحتفال أيضا لكي أعرف ما إذا كانت عائلة الآيفيردي تنتمي إليهم أم لا." تنظر سميحة بتعاطف إلى عين آنا المزرقة ثم تواصل قولها: "عسى أن يستحق الذهاب ما أصابك من ألم."

تحني آنا رأسها وكأنها تريد أنْ تقنع نفسها بذلك. "أجل، أجل، في الواقع نعم."

"أما من ناحيتي أنا فقد وجدت عددا كبيرا ممن يحملون اسم إيفيردي." تقول سميحة وهي قادمة من غرفة أبيها المتوفى حاملة تحت ذراعها مجموعة من الكتب.

"وإنْ كان لا يوجد بينهم منْ يدعى حكمت. إلا أنني وجدت في عدة مواقع اسم أكرم حقي أيفيردي المذكور وزوجته إلهان، وهما اللذان لهما علاقة بمقتنيات أعمال الخط . كما اكتشفت أيضا امرأة تدعى مثلي سميحة، سميحة أيفيردي، كاتبة وشيخة في الطريقة الرفاعية." تضع سميحة الكتب أمام آنا على الطاولة ثم تفتح واحدا منها وتري آنا صورا للوحات خطية مطبوعة طباعة فاخرة.

"أليست هذه جميلة جدا؟"

تنحني آنا فوق الصفحة المفتوحة. وبالرغم من أنه لم يكن بمقدورها حتى أنْ تفرق بين مختلف الحروف، ناهيك أنْ تستطيع قراءتها أو أنْ تميز ما تعبر عنه تلك العلامات الأفقية والعمودية، إلا أنها تشعر في الوقت نفسه بالمتعة عند النظر إلى هذه الكتابة وترغب برؤية المزيد عبر تقليب المزيد من الصفحات.

"ولكن يبدو أن النقود لم تكفه كما هو الحال في تركيا غالبا، – أمر غير

مستغرب مع هذه الطباعة المكلفة – لأنني لم أجد إلا هذا الجزء ثم جزء آخر طبع في عام ١٩٩٢. أما هذا الكتاب هنا فهو رسالة لشخص يدعى عزيز أفندي الذي كان والدي يذكره كثيرا، ويمكن اعتباره معاصرا له. فقد كان عمر والدي ست سنوات عندما توفي عزيز أفندي عام ١٩٢٤. أليس شكله جميلا؟"

تأخذ سميحة الكتاب ثم تفتح إحدى الصفحات التي طبعت فيها صورة لعزيز أفندي بكامل جسمه، وهو يرتدي قفطانا أسودَ يصل إلى الأرض ومن فتحة الرقبة الأمامية الصغيرة يظهر قميص أبيض دون ياقة، ويضع على رأسه غطاء رأس شبيهاً بقبعة ضيقة مصنوعة من اللباد الأسود لف حول طرفها السفلي قماش أبيض اللون، بحيث لا يظهر من اللون الأسود إلا الجزء الدائري الأعلى فقط.

"اسمعي ما كتبته سميحة أيفيردي عن وجه عزيز أفندي." تقلب سميحة عدة صفحات ثم تقرأ: "بعينيه اللوزيتين المائلتين ميلا قليلا وفوقهما حاجبان أسودان يحرسانهما، وبعظام وجنتيه البارزتين، يبدو عزيز أفندي وكأنه واحد من أبطال الأساطير."

تريد أنا رؤية الصورة مرة أخرى. يخيل لها أنها ترى في وجه عزيز أفندي كما يظهر في الصورة أميرا من أمراء التتر، أكثر شبها بالمغول وإنْ كان وجهه أكثر نحافة منهم.

"كما أن هناك شيئا آخر اكتشفته أثناء توغلي في قراءة الكتاب وهو أنه من المحتمل أن حقي أكرم كان صهرا لعزيز أفندي هذا. بالعكس من ذلك فإنه من المحتمل أنْ تكون سميحة أيفيردي التي كانت معروفة ككاتبة تراثية ابنة حقي أكرم، أو ربما أخته أو ابنة أخيه، الأمر الذي يبدو لي أكثر واقعية، لأنها تذكر في كتابها بأنها شاهدت عزيز أفندي كثيرا وهي طفلة. إلا أنها تذكر ذلك بطريقة لا توحي بأنه كان جدها. ومن الممكن أنها أرادت بهذه الطريقة أنْ تعطي لأقوالها مزيدا من الموضوعية. وعلى كل حال فلابد أن تكون كلتا العائلتين، أي الأيفيردي وعزيز أفندي، على معرفة ببعضهما أثناء طفولة سميحة."

تضع سميحة الكتاب مرة أخرى أمام أنا. "لاشك أنك ستتعجبين من السبب

الذي يجعلني مهتمة بهذه التفاصيل العائلية. والجواب هو أني ابنة رجل خطاط، كان متدينا جدا وواحدا من شيوخ الرفاعية أيضا حتى وإنْ لم يكن أستاذا مشهورا مثل عزيز أفندي."

"شيخ؟" تحدق آنا بسميحة وهي ترى فيها أول مرة إبنة لأحد الشيوخ.

"الشيخ هو الأكبر سنا، وفي هذه الحالة الأعلى مرتبة في إحدى الطرق الصوفية. كان عزيز أفندي من مريدي الشيخ حمزة الرفاعي. يقال إنه كان قبل ذلك متعصبا جدا في القضايا الدينية. ولكن بعد حالة من التجلي حدثت له بحضور الشيخ حمزة الرفاعي، عندما كانا في طريقهما إلى مكة لأداء فريضة الحج، أصبح أكثر إنسانية، أو كما يقال عنه أكثر تواضعا. وبعد ذلك أصبح هو نفسه شيخا. ومن ذلك الوقت فصاعدا لم يعد يوقع خطوطه باسم عزيز، أو عزيز الأيوبي، وإنما باسم الشيخ عبد العزيز الرفاعي."

"ماذا يعني هذا كله؟ هؤلاء الشيوخ والطرق الصوفية؟ يبدو كل ذلك مفعما بالغموض والأسرار." تشعر آنا أنها تُدفع إلى هذه الأشياء دفعا دون أنْ يكون لها تصور محدد عنها.

تفكر سميحة قليلا قبل أنْ تجيب: "هذه واحدة من جوانب حياتنا الفكرية. أي أنْ يكون في الحياة شيء مخصص للروح أيضا. كل الرجال تقريبا وعدد قليل من النساء أيضا، مثل سميحة تلك على سبيل المثال، كانت لهم صلة بإحدى الطرق الصوفية، على الأقل كزوار يشاركون في أداء بعض الطقوس الدينية الجماعية. وبغض النظر عن التقنيات التي كانت تفضلها كل طريقة من هذه الطرق الصوفية للوصول إلى حالة النشوة فقد كان الإنشاد، الرقص وعزف الموسيقى عناصر ثابتة في هذه الطقوس. الأسرار معروضة للكل، ولكن لم يكن قادرا على فهمها إلا عدد قليل من المقربين. أما بالنسبة للغالبية فقد كانت هذه المجالس مريحة للنفس وتشعر زائريها بوجود حقائق أخرى تتجاوز واقع الحياة اليومية والتزاماتها."

"هل كان والدك منتميا أيضا إلى إحدى الطرق الصوفية مثل عزيز أفندي؟"

"اعتقد ذلك. نعم، أنا واثقة من ذلك، حتى وإنْ لم يتكلم عنه مطلقا، على الأقل

ليس معي أنا. كان والدي متدينا جدا، ولكن في زمانه أصبحت الفرق الصوفية ممنوعة."

تحمل كلمة متدين بالنسبة لآنا طعما حادا، مقاربا لكلمة متزمت، وهي كلمة لا تتلفظ هي بها مطلقا. تترك سميحة كما يبدو إحساس آنا بغرابة هذا المصطلح عليها وتحاول لذلك أنْ توضحه لها بشكل أدق. "كلمة متدين تعني عندنا شيئا آخر. بالطبع لهذه الكلمة علاقة بأداء الصلاة والالتزام بالتعاليم الدينية. ولكن هذا مفهوم جانبي فقط. أما بالنسبة للخطاط فإن كلمة متدين تعني أن ما يقوم به هو وسيلة للتقرب إلى الله. إنها تعبير عن تواضع ذلك الشخص الذي حباه الله بتلك القابليات. أحيانا كانت الملائكة تُوصف هكذا، كقابليات يملكها الإنسان. الخط هو فن التوازن. وهو فن تجريدي لا يعكس هذا العالم بما فيه من تطاحن وصراعات وإنما هو فن يحاول أنْ يجعل الإنسان يشعر بجمال وانسجام ذلك العالم الآخر. ولهذا السبب فإنه أمر مهم جدا أنْ يملك أساتذة فن الخط قلباً نقياً أيضا." نقاء القلب، يبدو لآنا وكأنه مصطلح من درس الدين في مرحلة المدرسة الابتدائية. كان ذلك يعني لها في ذلك الحين عدم الكذب. مع ذلك تعتقد أنها تشعر الآن بأن سميحة تتحدث عن شيء مهم بالنسبة لها هي أيضا وتحاول أنْ تجد لهذا الشيء آثارا في هذه الصفحات التي تتطلع فيها في هذه اللحظة.

"أنا أعرف بأن وقع ذلك غريب على أذنك، لقد عشت هنا فترة طويلة، حتى بدأ وقع ذلك يصبح غريبا علي أنا أيضا، حتى جاء والدي. وحتى بعد ذلك كنت أفصل تماما بين العالمين، عالم أبي والعالم الذي أصبحت أعيش فيه منذ سنوات طويلة واخترت الاستيطان فيه."

لم يكن لآنا رغبة بأن تخرج بعينها المزرقة للتنزه في المدينة. لذلك اشترت واحدة من مجلات الموضة العالمية لكي تستطيع أنْ تمضي الوقت بها في المساء.

وعندما انتهت منها فكرت أنْ تأخذها إلى سميحة ولترى في الوقت نفسه إلى أي حد كانت سميحة جادة عندما قالت "تفضلي لزيارتنا قريبا."

وفيما يبدو فإن سميحة كانت جادة فعلا في دعوتها، إذ أنها أصرت على أنْ

تجلس أنا في أكثر الكراسي راحة، أي ذلك الذي كان والدها أيضا يترك نفسه يسترخي عليه. إنه كرسي عريض بمسند عال. تستطيع آنا وهي جالسة عليه أن ترفع ساقيها وأنْ تضع الكتاب على مسند الكرسي قريبا منها.

"منذ متى تعيشين هنا؟ أعني في هذه المدينة؟"

تعود سميحة بظهرها إلى الوراء "جئت أول مرة إلى هنا قبل عشر سنوات. درس زوجي الهندسة الميكانيكية هنا. وعندما عاد في إحدى العطل إلى هناك تعرفنا على بعضنا. كان ابنا لأحد أقرباء أمي، ابن عمها من الدرجة الثانية. وعندما تزوجنا كنت قد بدأت تدريبي توا كمعلمة. يتم الزواج في عائلات رجال الدين والخطاطين فيما بينهم عادة، لأن لذلك علاقة بطراز حياتهم وكذلك بتدينهم. ولكن والدتي كانت تنحدر من عائلة مدرسين، وكانت هي نفسها مدرسة أيضا، مما جعل الأمور عندنا تختلف قليلا. وقد بقيت أنا الطفلة الوحيدة لوالدي. لذلك كانا حزينين جدا عندما جئت مع زوجي إلى هنا. وكان زوجي عثمان قد حصل بما يتمتع به من خبرة ومهارة على عمل، والأكثر من ذلك على نوع من الشراكة في مؤسسة للكمبيوتر تعود إلى رجل من أصل تركي. وهذا شيء كان أفضل بكثير من أية فرصة عمل كان من يمكن أنْ يحصل عليها في الوطن."

"ألم تفتقدي وطنك ووالديك كثيرا؟ على الأقل في البداية؟"

"نعم ولا. بالطبع كنت متعلقة بوالدي. ولكن بما أني لم أكن صبيا، لذلك لم يكن علي أنْ أواجه اتخاذ القرار في اختيار أو عدم اختيار الخط كمهنة. كان والداي متعلقين ببعضهما جدا، وكانا يعيشان حياة هادئة أو في الواقع حياة متواضعة. الناس الوحيدون الذين كنت أراهم في بيت والدي باستمرار كانوا التلاميذ. تلاميذ والدي وتلاميذ والدتي. وكان هؤلاء يبجلون والديّ بل كانوا يصلون إلى حد تقديسهما. كثيرا ما جعلني هذا أشعر بتأنيب الضمير وبأني لم أحمل لوالدي الإعجاب الكافي أو أصغي إليهما بشكل كامل، وحتى لا أحبهما إلا قليلا مقارنة بكل أولئك الشباب الذين يدخلون ويخرجون إلينا. بسبب هذا كله شعرت بالارتياح عندما جاءتني الفرصة لأن أعجب بهما وأحبهما على البعد أكثر مما

لو كنت قريبة منهما. وبالمقابل كان حبي لزوجي عميقا منذ البداية، أي كما ينبغي أنْ يكون: بشغف وعن قرب. كنت أحبه إلى درجة كبيرة وأحيانا إلى حد الشعور بالألم. كنا سعيدين جداً مع بعضنا، سعيدين إلى الحد الذي كنا نريد فيه أنْ نبقى وحدنا، نحن الاثنين فقط. كنت انا لا أزال في بداية شبابي وكنا نقول لبعضنا بأنه يمكننا إنجاب الأطفال في وقت لاحق. لو عرف والداي، اللذان كانا يتمنيان دائما الحصول على أطفال آخرين، بأننا كنا نستخدم وسائل منع الحمل، لاعتبرا ذلك مخالفة لتعاليم الدين. كانا في كل مرة نذهب فيها إلى استانبول ينهالان علينا بالأسئلة. وانا واثقة بأنهما كانا يدعوان الله أنْ يمن علينا بنعمة الأطفال، بينما كنا نحن نتقلب على الفراش ليلا دون أنْ نكتفي من بعضنا ومن ارتشاف الحب. في البداية دخلت دورة لتعلم اللغة ثم سجلت في الأكاديمية التربوية لتكملة تعليمي في حين كان زوجي يعمل في مؤسسة الكمبيوتر هذه. كنا أنا وزوجي نخرج كثيرا. وكان يسعده جدا انْ يريني كل شيء وأن يوضح لي ما يعرفه هو بشكل جيد في حين لا أعرفه أنا بعد. كنا نذهب إلى السينما، إلى المسرح وللرقص ايضا. وكان يقول إننا ما دمنا نعيش هنا فإن علينا ايضا ألا نعيش في عزلة. كان لدينا الكثير من الأصدقاء، بينهم أتراك من الذين درسوا ثم بقوا هنا ونمسويون أيضا، بالدرجة الأولى من نفس المجال الذي يعمل فيه زوجي. كنت أنا قد تربيت تربية إسلامية، ولكن والدي لم يكونا من المتعصبين. وهكذا كنت أقول لنفسي دائما إن المهم هو قلب الإنسان، أي ما هو الإنسان في جوهره، خصوصا وأننا لم نفعل ما هو سيء فعلا. القليل من النبيذ الذي كنا نشربه بين حين وآخر لم يكن يشغل فكرنا كثيرا. كذلك لم يشغل فكرنا كثيرا أننا لم نكن نلتزم بالتعليمات الخاصة بالطعام دائما. إلا أنني بقيت محافظة على تأدية الصلاة وكنت أقرأ لزوجي القرآن أحيانا. كنت قد حفظت في صغري بعض السور منه غيبا. ولكنني ساكون كاذبة لو قلت إننا كنا نعيش مثل مسلمين ملتزمين بتعاليم الدن التزاما شديدا. الشيء الوحيد الذي كان يجعلني أشعر أنني مسلمة فعلا كانت علاقتي بزوجي. كنت أتخذه قدوة لي وأقبل كل ما كان يقرره. وكنت راضية أيضا بعدم رغبته في إنجاب الأطفال. وعندما

كان يريد أنْ أتحدث مع أصدقائه بدون خجل، فلم لا؟ وعندما كان يعجبه أنْ أرتدي ملابس على الموضة فلم يكن لي بالتأكيد اعتراض على ذلك. وعندما وجد أن علي أنْ اواصل تعليمي حتى المراحل النهائية، حسنا، أنا أشعر بالغبطة فعلا إذ أواصل الدراسة. وعما إذا كنت سأقوم يوما ما بممارسة التدريس فذلك أمر يعتمد عليه وحده. وكان يرى بأن علي أنْ أتكلم في المجتمع مع المتكلمين. حسنا، هذا شيء كانت تفعله أمي أيضا، وإن كان ذلك على طريقتها الخاصة. لقد كنت أقوم بما يريده هو، وكان هذا النوع من الطاعة يسعده. مع أنْ المؤسسة كانت لا تزال في طور البناء، إلا أنّ ما كان زوجي يكسبه وهو شاب في ذلك العمر لم يكن سيئا مطلقا. وبعد سنة أو سنتين تمكنا من شراء سيارة. كما كنا محظوظين بالحصول على هذه الشقة هنا. كان زوجي يقول دائما إننا لا نزال شابين، لذلك لسنا بحاجة إلى مصعد الآن. وعندما سنكون في وقت ما بحاجة إليه، فسنكون حينذاك في بيت نملكه. كان زوجي مليئا بالتفاؤل ويحب الحياة. نعم، يسعده أنْ يكسب المال. كان ينحدر من عائلة كبيرة لها عدد كبير من الأطفال وكان شديد الطموح. وقد تمكن من الدراسة بمساعدة منحة دراسية حصل عليها من أحد الأوقاف الإسلامية. ورغم أنه لم يكن مطالبا بإعادة المنحة، إلا أنها كانت مرتبطة بنوع من الالتزامات المتعلقة بالسلوك الحياتي لمتلقيها. ولأن زوجي كان يعرف بأنه لا يستطيع الإيفاء بهذه الالتزامات بشكل كامل، فكر أن يعيد المبلغ إلى الوقف في وقت ما. نعم، هذا بالضبط ما كان ينوي القيام به: إعادة المبلغ حتى آخر قرش وحتى مع الفوائد. لذلك كان يدخر شهريا مبلغا معينا في دفتر توفير بأعلى نسبة من الفوائد كانت تمنح حينذاك، بحيث يصبح بإمكانه أنْ يعيد المبلغ إلى الوقف كاملا بعد مرور عشر سنوات. لم يشتر سيارة جديدة وإنما سيارة مستعملة، حيث لم تعد السيارة ترفا وإنما أصبحت ضرورة بعد أن انتقلت المؤسسة إلى أطراف المدينة. في ذلك الحين لم يكن يوجد بعد قطار أنفاق يصل إلى تلك الجهة. وكان حصولي على ملابس جديدة، يا رب! لقد كنت شابة، وكان كل شيء يبدو جميلا علي، وقد كان زوجي سعيدا بي سعادة كاملة. إلا أنه لم يشتر لي حليا، بعض القطع التي كنت املكها حصلت عليها من والدتي وبعضها

الآخر من أمه التي كانت متوفاة في ذلك الحين."

تصغي أنا إلى سميحة وكأنها راوية أساطير تسرد قصصا عن عالم من الأقدار السعيدة ليس لأنا معرفة به، وتحافظ وهي تروي قصصها على أسلوب من السرد وكأن ما تحكيه حقائق حياتية ثابتة. ومع ذلك تمتلئ عينا سميحة ببريق شديد منبعه ما تقوم بسرده، وكلاهما تشعر أن الحكاية شيء حقيقي.

تشعر أنا بحالة نفسية خاصة تسيطر عليها. فمن ناحية هناك المتعة من مشاهدة اللوحات الخطية، ومن ناحية أخرى يجعلها بما تسرده سميحة تشعر في داخلها بنوع من الحنين الطفولي إلى هذا النموذج من السعادة الزوجية. وأنْ كانت تدرك أن شيئا مثل هذا لا يمكن أنْ يوجد بهذا الشكل، وأنه إنْ وُجد حقا ففي أقصى الأحوال كذكريات فقط وليس كشيء معاش فعلا.

"ألم يحدث أنْ غضبتما من بعضكما أو تشاجرتما، أنت وزوجك؟" لا تسأل أنا هذا السؤال لأنها تريد أنْ تشكك بما تسرده سميحة وإنما لأنها تريدها أنْ تواصل سرد حكايتها لكي تسمع المزيد عن هذا النوع من السعادة.

"تشاجرنا؟" تصمت سميحة فزعة للحظة من الوقت وكأن هذا السؤال يطرح عليها أول مرة. "هل تقصدين شجارا حقيقيا؟"

"عندما يعيش الناس مع بعضهم فلابد أنْ تحدث خلافات بينهم؟ حسبما أعرفه أنا على الأقل. ولهذا السبب لا يمكن للغالبية منهم أن يبقوا مع بعضهم إلى الأبد."

"شيء لا أتذكره ".تحرك سميحة إصبعها تحت أنفها عدة مرات." لا، لم يحصل أنْ تشاجرنا شجارا حقيقيا. بالطبع كانت هناك أشياء بسيطة. كان عثمان مثلا يمانع في خلع الحذاء عندما يكون داخل الشقة، بالرغم من أن الأتراك كلهم يفعلون ذلك. وكان مثلا يصر على أنْ نستعمل في البيت أيضا ورق التواليت بدلا من الاغتسال، كما في تركيا، ولكن هذه كلها لم تكن أشياء ذات وزن كبير."

"ولماذا افترقتما عن بعضكما إذن؟" تسأل أنا ذلك أيضا بغرض أن تدفع سميحة لمواصلة سرد الحكاية. في الوقت نفسه تبقى نظرتها مستقرة على لوحات

الخط وهي تشعر بنفس الافتتان السابق تجاهها.

"لأن المكتوب على جبيننا أراد شيئا آخر." تجيب سميحة ببطء وكأنها تغالب نفسها لكي تنطق بهذه الكلمات.

"أي مكتوب؟" تسأل آنا مندهشة. يبدو أن لكل شيء هنا علاقة بالكتابة.

"القدر، إن شئت. لقد توفي زوجي قبل أربع سنوات في حادث."

"يؤسفني ذلك." تندم آنا على الطريقة الهامشية التي ألقت بها سؤالها. ولكن لم يخطر على بالها ما هو أفضل.

"لقد كان حادثا، التباسا مفجعا." تشبك سميحة يديها ثم تفرقع بأصابعها. ربما يساعدها ذلك على عدم الانفجار بالبكاء.

تخطر على بال آنا فجأة قصة والد حكمت. هناك أيضا سمعت الجملة نفسها، "لقد كان حادثا وقع نتيجة التباس مفجع." هل يموت كل الأتراك في هذه المدينة في حوادث، أم هل تعني كلمة حادث عندهم شيئا آخر غير ما تفهمه هي؟

"نعم، لقد كان حادثا." لا يبدو على سميحة أنها تريد أنْ تضيف شيئا آخر وآنا لا تجرؤ على طرح المزيد من الأسئلة، فمن يدري أي شيء سيثيره سؤال جديد منها. ربما ستفعل ذلك في مرة أخرى بعد أنْ تكون قد تعرفت على سميحة بشكل أفضل.

أما أنْ تكون سميحة قد فرحت بزيارتها فهو أمر بين. إذن ستأتي مرة أخرى، ليس فقط لأنها أصبحت تتبع الآن مجموعة من الآثار المؤدية إلى عائلة الآيفيردي، وإنما لأنها تشعر بالود لسميحة. وهي الآن تطرح سؤالا آخر على قدر ما تستطيع من الاحتراس: "ألم يكن ذلك شيئا رهيبا بالنسبة لك، أنْ تصبحي فجأة وحيدة في هذه البلاد، دون زوجك؟"

تهز سميحة رأسها بالإيجاب وتقول إنها لم تشعر في حياتها بأنها وحيدة مثلما شعرت في الوقت الذي تلا ذلك. بالطبع ضغط والداها عليها لكي تعود إلى بلدها ولكنها فضلت البقاء هنا، لأنها كانت تريد بالدرجة الأولى البقاء في الشقة التي كانت سعيدة فيها مع زوجها سعادة كاملة.

"ولو عدت إلى هناك لوجب علي أن أتزوج مرة أخرى. "لماذا يجب؟" تقول آنا

بعد أنْ وضعت الكتاب جانبا. "بسبب والدي، يعني، وأيضا لكي يكون ممكنا بالنسبة لي أنْ أواصل العيش بشكل ما. ولكن في إحدى الفحوصات الروتينية تبين لي أني لا أستطيع إنجاب الأطفال. هل تعرفين، هنا أصبح الأمر أكثر سهولة علي. إذ أصبح بإمكاني أنْ أفعل ما أشاء دون أنْ يكون لي أي التزام تجاه أناس آخرين. وعندما توفيت أمي بعد وقت قصير من ذلك وما تلا ذلك من قدوم والدي إلي، أصبح ذلك سببا لي لأن أشعر بالرضا لأنني أستطيع الآن رعايته بشكل جيد دون أنْ أكون مضطرة لقضاء الوقت كله في البيت."

تبتسم سميحة بشيء من الاضطراب، "لهذا السبب أصبحت أضع هذا الشال الحريري على رأسي عندما أغادر الشقة. لقد كنت أريد عبر هذا أنْ أعبر لوالدي بأنه أمر يهمني أن أحظى برضاه عني، بالرغم من أنه لم يطلب مني ذلك أبدا."

بقيت آنا أكثر بكثير مما انتوت. كانت تريد فعلا القيام بزيارة قصيرة فقط لكي ترى سميحة مرة أخرى. وكانت تتوقع في دخيلتها أن تكون سميحة قد اختفت هي الأخرى وأن تجد اسما آخر معلقا على الباب، و لن يكون هناك من يستطيع أنْ يتذكر سميحة ووالدها. ولكن لبهجة آنا الكبيرة لا تزال سميحة هنا، وقد توفر لها ما يكفي من الوقت لكي تتأكد من ذلك. أما الآن فقد أصبح الوقت متأخرا وعليها أنْ تذهب فعلا.

"ربما ستتمكن أن أريك في المرة القادمة بعضا من أعمال والدي، إذا تمكنت من ترتيبها. فبالرغم من أنه لم يكن عبقريا مثل الشيخ حمد الله، إلا انني لا أستطيع أنْ أرى خطوطه دون أنْ يتملكني الشعور بالتأثر العميق."

تتبع سميحة آنا التي عزمت على الذهاب فعلا، حتى الباب.

"أي شيخ هذا هو الآخر؟"

تبتسم سميحة ابتسامة غامضة. "هذه قصة أخرى ستسمعينها أيضا عندما تأتين في المرة القادمة. ستأتين مرة أخرى، أليس كذلك؟"

تهز آنا رأسها إيجابا، "ولكن لماذا لا تزورينني أنت أيضا؟"

"سأزورك يوما بالتأكيد." تقبل سميحة آنا على وجنتيها "بعد أنْ أريك كل

شيء وأنا لم أعرض عليك كل شيء بعد."

"تعالي أعيريني إصبعك، يا عزيزتي." يرجو يوسف انا أنْ تأتي إلى مكتبه المنفرد. يده مربوطة بالضماد . لم يصب لحسن الحظ بكسر ما وإنما برضوض وكدمات فقط. عندما وقع على الأرض سقط شخص ما فوقه ثم داس شخص آخر كان يريد الهرب على إصبعه.

"ربما كان علي قبل ذلك أنْ أتشاور مع منجمي." يفرد يوسف ذراعه ليجعل كل الظلال اللونية التي تظهر مضيئة من تحت الرباط الطبي واضحة للعيان. تقوم تيريزا بشكل استثنائي بدور الساقية للجرحى وتدخل حاملة فنجاني قهوة وهي تتبختر في مشيتها. في الوقت نفسه تضم شفتيها لتعلق "أنتما الاثنان تلعبان بالألوان نفسها، وهذا ما اسميه أنا مظهر الشركاء." إذن ليس ثمة حاجة إلى شخص يضطلع بالسخرية.

"شكرا عزيزتي." يمكن أنْ يظهر يوسف وأنا كثنائي غنائي، إذ أنهما يردان على تيريزا بصوت واحد. عندما تختفي تيريزا مرة أخرى يرفع يوسف نظرته البراقة. "حقا، كيف وصلت إلى البيت؟ كان واضحا تماما أنك أصبت بصدمة صغيرة."

تنقر انا بفعل العادة على لوح الحروف، ولكن في هذه المرة على لوح الحروف التابع ليوسف.

"سيرا على الأقدام."

يفتح يوسف فمه لحظة من الوقت، "سيرا على الأقدام؟"

"سيرا على الأقدام عبر المدينة كلها."

"ولكن ليس وحدك؟ يعلم الله ماذا كان يمكن أنْ يحدث لفتاة مثلك."

"لا، ليس وحدي وإنما مع عبدال ايفيردي."

يلوح يوسف بيده. "أهو ذلك المجنون الحليق الشعر؟"

"ما الذي يزعجك فيه؟ هل لأنه ليس تركيا جميلا؟"

"ولكن هل تعرفين ماذا يعني عبدال؟"

"المجنون، اعتقد أن ذلك يعني مجنون الله." تدخل آنا على مرأى من يوسف

إلى برنامجه.

"تركي جميل، مجنون الله، أنت تحققين تطورا فعلا. هل هناك من يعطيك دروسا خصوصية؟"

وهنا يظهر فجأة على الشاشة: حكمت آيفيردي، متوفى في ١٩٩٣/٧/٥ بسبب.... ولكن أصابع يوسف غير المصابة هي الأسرع.

"لا تثيريني يا عزيزتي، وإلا استيقظ الأسد الشرير فيَّ."

"لماذا تتركني أموت غبية يا أستاذي؟ شيء لا أستحقه مطلقا." تمط أنا شفتها السفلى، "أنا لا أريد أنْ أعرف من هو القاتل وإنما سبب الموت فقط، هل تفهم؟"

"اسمعي أيتها المريدة، أنا شيخك، وما ستحصلين عليه من علم أقرره أنا فقط، لصالحك، صدقيني. لصالحك أنت."

تدرك أنا أنها كانت بطيئة لأقل من ربع الثانية فقط، وأنها لن تحظى بمثل هذه الفرصة مرة أخرى قريبا. يريد يوسف الحفاظ على ماء وجهه. والآن أصبح يعرف هو أيضا، كيف يمكنها أنْ تكون سريعة في حالة الضرورة.

"سامحني أيها الشيخ الكبير. في وقت ما سأكتشف ما الذي حدث لحكمت آيفيردي الكبير، ولكنك ستضحك مني إذا قلت لك بأن الأمر لا يهمني بهذا القدر. الذي يهمني فقط هو لماذا ذاب حكمت الشاب في الهواء."

"هذه الحالة قيد البحث." يرتشف يوسف قهوته. "الثقة تأتي بثمار طيبة في أوساط الدراويش، فالتزمي بذلك رجاء."

عليهما كليهما أن يكفلا عدم توقف العمل في المؤسسة بسبب عطلة نهاية الأسبوع التي جرت على غير ما يرام.

"العمل أولا، بقليل من التركيز يمكن تعويض ما فقد."

وكأنها تبحث عن عزاء تجلس أنا في شرفة مسكنها. بقي الجو المعتدل محافظا على ثباته وفي الحدائق العامة تظهر براعم أزهار الليلك. لا أحد يستطيع رؤية ساقيها – لقد قامت بتمرير شريط من القماش عبر القضبان الحديدية للشرفة – أما النظرات من النوافذ التي فوقها فلا تلقي لها بالا.

انه فعلا "عشاء" هذا الموضوع على الطبق أمامها. شرائح من الخبز الأسود مع هريسة الكبد وعلى طبق إضافي شرائح من الخيار. مظلة شمسية وشجيرة متوسطة الارتفاع في أصيص هو ما يحتاجه البالكون لكي يصبح بالكونا فعلا. يمكن أنْ يأتي كل شيء مع الوقت. بين حين وآخر تمد آنا أصابعها من بين القضبان وتضع نظارتها الشمسية المائلة الإطار على عينيها. لا تدري ما إذا كان يمكنها من هنا سماع التلفون عندما يرن. أطفال يلعبون في الفناء تحت ومن إحدى النوافذ تحتها يمكن سماع أخبار الساعة السادسة مساء.

كانت آنا تريد في الواقع الذهاب لأكل الآيس وبعدها التسكع هنا وهناك.

ولكن مع الأسف لم يعد فرانتيشيك هنا وإلا لكانت قد اتصلت به. ما كانت لتزعجه بالتأكيد عينها المزرقة والتي بدأ لونها يتغير من السواد إلى الاخضرار . لكن فرانتيشيك تركهم كلهم وراء ظهره وارتفع عاليا، هذه هي الحقيقة. جبرائيل هذا اتخذ قراره وبشكل واضح لصالح فرانتيشيك، في حين لا تزال هي فيما يتعلق بتقدمها الوظيفي معلقة بمزاج رجل مثل هاوجسدورف. لم يتصل هاوجسدورف بها منذ يوم الأحد الماضي. يبدو أنهم يدورون في الوزارة، وهو من ضمنهم، في غمرة من العمل الدائب.

وكما لاحظت أثناء مرورها في أكشاك الصحف لا يزال حادث الاعتداء يحتل العناوين الرئيسة على صفحات الجرائد. ولكن عدا عن التكهنات لم يظهر شيء جديد بعد. وعلى كل حال يبدو أن هاوجسدورف مشغول جدا. فهو يقابل الوزير يوميا ليقدم له تقريره بعد أنْ يكون قد قام قبل ذلك بجمع المعلومات له بعناية شديدة. في الواقع لم يقل لها أبدا ماذا يفعل بالضبط كمستشار في وزارة الداخلية. المهم في الأمر أنه الآن مشغول جدا، الشيء الذي يتيح لها كسب المزيد من الوقت. الفكرة المتقدة لا تزال دون شرارة، ومضمونها: كيف تستطيع أنْ تنفصل عنه دون أنْ يذهب كل شيء هدرا؟ الاتفاق؟ أمر مثير للسخرية، فهما لم يتفقا على شيء مطلقا. أما ما يقوله هاوجسدورف عن وجود اتفاق بينهما فهو ادعاء اخترعه عندما تبين له أنها لا تريد الذهاب معه إلى الفراش بعد الآن. وهي لم تكن حاضرة البديهة بما يكفي لترد عليه بالكلمات المناسبة في الحال. إنها

تؤجل منذ عدة أسابيع اتخاذ قرار أن تبدأ حياة خالية من هاوجسدورف.

كما لو كان في الأمر سحر خبيث. وبقدر ما بدا كل شيء بسيطا عندما كان الفضول يملؤها لكي تعرف ما الذي يثيره أكثر من غيره، أصبح الأمر معقدا منذ أنْ فقدت اهتمامها بذلك. وفي حقيقة الأمر كانت هي تشعر أنها تواجه شخصيا نوعا من التحدي عندما ادركت بأي قدر من النهم يصغي هاوجسدورف إلى قصصها الشاذة. ولكن بالنسبة لها لم يكن ما تقوم به أكثر من تقنية روائية وفي واقع الأمر شيء نظري جدا.

كان المثير في الأمر أن يكون لقصصها ذلك التأثير عليه وليس ما كانت تسرده أو موضوع ما تسرده.

بدا لها شعورها بانها تملك هاوجسدورف، بين مفارش سرير النوم على الأقل، تجربة مفيدة. كانت نفسها تفاجأ أحيانا من الأشياء التي تخطر لها عندما تركز أفكارها فقط. ولكن الأمر أصبح مملا مع الوقت ولم يعد يمتلك نفس القدر من الإثارة.

هاوجسدورف وحده لا يكتفي منه ويحاول باستمرار أنْ يحصل عليه قسرا. والآن عليها أنْ تقول له إنه لم يعد يخطر على بالها شيء جديد وإن هذا ليس ما تتصوره هي عن علاقة دائمة، وإنها أيضا أصبحت لا تحب أنْ تفكر أفكارا غير سوية وإن خيالاتها قد استنفذت، انتهى كل شيء، أصبح ماضيا، وإن عليه أنْ يبحث له عن واحدة أخرى لا تزال خيالاتها طرية.

إنها تريد أنْ تكون حرة. ولو كان بينهما فعلا أي اتفاق، اتفاق صامت، فهو اتفاق محدود زمنيا. هذا ما ستقوله له في المرة القادمة، نعم هذا بالضبط، وإنه يجب أن يكون هناك حل، حل خال من أية خيانة أو ابتزاز، وإنها تريد من الآن فصاعدا أنْ تعيش دون أي نوع من الاتفاقات.

في الأسفل تصطدم الكرة بنافذة ما وتسقط زجاجتها من إطارها شظايا متناثرة.

يحبس كل الموجودين في فناء المبنى أنفاسهم لحظة، وفجأة تسمع أنا جرس بابها يرن. ثم يرتفع السباب والشتائم وكلمات التعنيف المألوفة بينما يختفي

الأطفال أنفسهم خلف براميل القمامة حيث تستطيع آنا أنْ تراهم عندما تنهض واقفة. إنهم أطفال نعيمة خانم وأصدقاؤهم. وبين كلمات الزجر والتعنيف الصادرة من سكان العمارة تختلط أيضا أصوات حادة قادمة من البناية في الجهة الأخرى من الفناء الداخلي والتي لا توجد فيها بوابة تركية الأصل. شتيمة عالية رنانة "يا فراخ الغجر"، وأخرى بصوت واطيء "بياعو الشاورمة السفلة" تتبل تعليقات المتطلعين الدائمين من الشبابيك. كلب ما ينبح بهستيرية من نافذة أيضا، في حين يتهامس الأطفال خلف برميل القمامة فيما بينهم باللغة التركية. عندما ترفع آنا نظارتها الشمسية لكي تجد طريقها في الشقة المعتمة ترى هاوجسدورف يقف في الباب. تلتقط آنا أنفاسها وهي تفكر أنها لا تتذكر أن تكون قد أعطت هاوجسدورف مرة مفتاح شقتها.

"عليك أنْ تعملي فورا قفلا مضبوطا لبابك، فهذا هنا يمكن فتحه بخنصر اليد."

أتكون على خطأ أم أنها ترى فعلا هاوجسدورف يحمر في المنطقة بين الرقبة ومنبت الأذنين؟

"لقد طرقت طويلا على الباب طرقا شديدا، كما أنك أصبحت لا تردين على التلفون أبدا."

رأت آنا في كثير من الأفلام لصوصا أو مفتشين وهم يفتحون بدبابيس المكاتب أو ببطاقات الائتمان أبواب شقق أناس آخرين، ولكن هاوجسدورف؟

"كنت في الشرفة." تقول آنا وهي تشير بالاتجاه الذي جاءت منه توا، يغلق هاوجسدورف الباب وراءه بعناية، ربما لكي يفحص القفل ليتأكد بأنه لم يتضرر.

"كنت قلقا عليك، أنت لا ترفعين سماعة التلفون ولا تفتحين الباب، وذلك منذ يومين، ولهذا اعتقدت أنك ربما تكونين خائفة من شيء أو من شخص ما."

تشعر آنا بداخلها بدهشة كبيرة. ماذا يعني هذا كله؟

"من قال إنني في البيت أصلا."

"طبعا، طبعا، لقد شوهدت وأنت تأتين إلى البيت."

هل كلف هاوجسدورف أحدا بالتجسس عليها. ولكن لماذا؟ هل تقول له إنها كانت في زيارة سميحة؟ لا، أبدا، هذا أمر لا يخصه. وماذا لو أنه كان هنا في شقتها يوم أمس؟ لن تقول له أي شيء، وإذا كانت ستقول شيئا فبعد أنْ يسألها سؤالا صريحا عن ذلك.

"ولكني لم أفكر بأنك يمكن أنْ تكوني في الشرفة." يبدو على هاوجسدورف وكأنه يحاول أنْ يدخل هذه المعلومة في الشبكة الواسعة لتركيبة الاحتمالات التي يحتفظ بها في ذهنه فلا ينساها بعد ذلك أبدا. وكأنه يريد أنْ يقنع نفسه بأن الشيء الذي لم يفكر به موجود فعلا، يتحرك مارا بآنا إلى الشرفة الصغيرة حيث لا يزال طبقها موجودا على المنضدة الصغيرة.لا ينقصه إلا أنْ يشمه أيضا. تتبعه آنا وكأنها تريد أنْ تقول له: أرأيت.

من الأسفل يتصاعد ضجيج الأطفال من جديد، وإنْ كان أقل حدة. بعد انتهاء الأخبار تأتي الموسيقى ومن الشباك الذي انكسرت زجاجته يظهر رأس زوج نعيمة خانم وهو يقدر الأضرار ويهدد بقبضة يده المضمومة الأطفال تحت، حركة تحمل في جوهرها إرضاء لحاجة سكان العمارة إلى معاقبتهم. يبدو على هاوجسدورف وكأنه لا يصدق عينيه وأذنيه.

"هل تحب الجلوس هنا في الخارج؟" يبدو أن الشرفة أقنعت هاوجسدورف بأنها كانت فيها فعلا. فهل يجب عليها أنْ تدعم هذه القناعة بتفاصيل إضافية؟ تبدأ آنا بإدراك الفوائد التي لهذه الشرفة، ففي هذا المخبأ البيتي لا يستطيع أي شخص ويئة وسيلة الوصول إليها. إلا إذا قام أحد بالتسلل إلى الشقة مثلما فعل هاوجسدورف قبل قليل. وقاحة منه أصابتها بدون استعداد.

يطأطيء هاوجسدورف رأسه وكأنه انتبه في تلك اللحظة فقط إلى امكانية أنْ يراه أحد ويعود إلى داخل الشقة ثم يقوم بنفس الدرجة من العناية بغلق هذا الباب أيضا.

"الشمس تعمي البصر." يأخذ وجهها بين يديه، "دعيني أراك. ستحتاجين بضعة أيام أخرى حتى تعودي وكأنك خلقت من جديد." فجأة يشدها إليه ويحيطها بذراعيه.

في حالات نادرة فقط يباغتها بهذا الشكل. تعرف أنا عدم جدوى أنْ تغلق نفسها تجاه عناقه كما لا فائدة في تعمد الكذب عليه. عليها فقط ألا تثير ريبته بشيء.

ولماذا تفترض انه سيكون مرتابا؟ فهي لا تشعر بأنها ارتكبت خطأ، ومع ذلك تشعر بأنه يريد أنْ يخيفها، لماذا ومن أي شيء.

"هل تريد أنْ تقول لي أخيرا ماذا يعني هذا كله؟" يتيح لها السؤال أن تتراجع قليلا إلى الوراء حتى تستطيع أنْ تنظر إلى وجهه عندما تتكلم معه.

يتركها هاوجسدورف، يجلس ويدق بأصابعه على سطح المنضدة. ترى الآن فقط أنه جرح نفسه جرحا بسيطا. ولكن هل فعل ذلك عندما فتح باب شقتها؟ لا يسيل دم من الجرح كما لا يظهر انه جرح كبير.

"هل تريد أنْ ألصق لك بلاسترا على الجرح؟" توقف مؤقت في محله، على كل حال بالنسبة لهاوجسدورف.

"نعم، إذا كان لديك واحدا."

تذهب إلى الحمام وتأتي بالبلاستر. ترى وهي عائدة جهاز تلفون محمول جديد تماما موضوع على المنضدة. يمد هاوجسدورف لها يده لتضع البلاستر عليها ويحمل التلفون باليد الأخرى.

"اسمعي..." يتصرف وكأنه لا يعرف كيف يبدأ الحديث. "هذا لك. أنا أريد أنْ أكون قادرا على الاتصال بك دائما."

"هل تريدني أنْ أجن أم ماذا؟ لماذا يجب فجأة أنْ يكون الاتصال بي ممكنا ليلا ونهارا؟"

يتأمل هاوجسدورف البلاستر على يده. "جيد جدا. والآن اكتبي الرقم، كذلك اكتبي رقم تلفوني أنا، حتى تستطيعي انت أيضا الاتصال بي في كل وقت." أنا مندهشة. رقم تلفونه المحمول الرسمي؟ هل يريد أنْ تحكي له حكاياتها بالتلفون ويقوم بتسجيلها حتى يستطيع سماعها في كل وقت؟ ولكن يبدو أن هاوجسدورف يفكر بشيء آخر تماما.

"هيا، هاتي قلما، أنا جاد في هذا."

"ليس قبل أنْ تقول لي ماذا يعني ذلك كله." تستطيع الآن ويحق أنْ تقوم بدور الغاضبة، فقد كان هو الذي أحاط نفسه بحجاب سميك من الصمت لا يعطيه الحق أنْ يتصور الآن أنها ستقوم بفعل ما يريده.

هنا يسحب هاوجسدورف قلما من جيبه ويكتب رقمي تلفون طويلين على حافة مجلة دعاية كانت موضوعة تحت الباب عندما جاءت آنا إلى البيت.

"احفظي هذه الأرقام عن ظهر قلب، وعندما تثبتينها في مخك جيدا احرقي هذه الورقة، هل فهمت؟"

يقطع الصفحة من المجلة ثم يقلبها على الجهة الأخرى. "ما هي الأرقام؟" تملك آنا ذاكرة مدهشة وتستطيع بالطبع أنْ تردد الرقمين عن ظهر قلب.

"جيد جدا." يقول هاوجسدورف مبديا ارتياحه.

"لماذا؟ قل لي أخيرا، لماذا هذا كله؟" يحدق هاوجسدورف بها وكأنه يختبر ما تضمره.

"لأن هناك شيئا في طريقه للحدوث لا أعرف أنا نفسي إلام سيؤدي. ولكنه في كل الأحوال ليس شيئا جيدا. وإذا كنت تعرفين أو لا تعرفين فأنت نفسك مشتركة فيه بشكل ما. وأنا لا أريد أنْ تتورطي في الموضوع أكثر من ذلك."

"بأي شيء، بحق السماء، قل لي." لم تعد آنا تفهم شيئا. لا يبدو أن للموضوع علاقة بقصصها وإنما بشيء آخر، شيء لا تستطيع أن تدرك ما هو. لو أن أحدا يستطيع أنْ يقول لها ما هو هذا الشيء؟

"فكري بالتفصيل، فأنا نفسي لا أزال أتخبط في الظلام، ولكن القرائن تتراكم."

تهز آنا رأسها. ماذا يعني هاوجسدورف؟ أم أنه متوتر أكثر من اللازم بسبب محاولة الاعتداء؟

"إذا ورد على بالك أي شيء فاخبريني به بأسرع وقت ممكن"، يقول هاوجسدورف وهو يشير إلى التلفون المحمول. تشعر آنا تدريجيا وكأنها تعيش في فيلم فعلا.

"هل تريد أنْ تشرب شيئا؟ شايا، ماء معدنيا؟ أعتقد أن هناك أيضا بقية من

الكمباري في الثلاجة." احتياطي آنا الأخير للزوار غير المتوقعين.

ينهض هاوجسدورف، "أسف يا حبيبتي، يجب علي أنْ أذهب الآن." تشعر آنا بالحيرة فقد هيأت نفسها لأمسية طويلة.

"ما هي الأرقام؟" يسأل هاوجسدورف وهو واقف الآن عند الباب.

تردد آنا الأرقام رغما عنها. هنا يعود هاوجسدورف مرة أخرى إلى الداخل، يأخذ القداحة الموجودة إلى جانب منفضة السجائر المخصصة للزوار ويحرق قطعة الورق التي كتبت عليها أرقام التلفونات.

"وإنن..." يقول بعد أن يتأكد من أن كل شيء أصبح رمادا، "حتى لقاء قريب. أنت تعرفين الآن كيف تستطيعين الاتصال بي. وأنا موجود من أجلك في كل وقت من الأوقات، إلا إذا كنت في مكتب الوزير، وإذا خطر على بالك أي شيء فأنا بحاجة لأية معلومة، هل فهمت؟"

لا تستطيع آنا أنْ تصدق أن هاوجسدورف كسر قفل بابها عنوة. هل يكون في نهاية الأمر هو الذي...؟ كانت قد اتصلت في أول يوم في الأسبوع بإدارة المصح وسألت فيما إذا كانت حقيبة يدها قد وُجدت، فقيل لها، لا يمكن الآن أعطاؤها أي جواب، لأن البوليس أخذ كل الأشياء التي عُثر عليها. بعد ذلك اتصلت بدائرة الشرطة المختصة وأبلغت عن فقدانها لحقيبة يدها التي تحوي أيضا هويتها ومفتاح شقتها. كان الجواب سلبيا مرة أخرى مع التأكيد بأنه سيتم إبلاغها طبعا إذا تم العثور على ما فقدته. منذ ذلك الحين لم تسمع شيئا منهم. هل لهاوجسدورف علاقة بذلك، أم أنها بدأت ترى أشباحا؟"

"يجب علي أن أترك شقتي." تنبش تيريزا بالملعقة في كأس الأيس كريم بطعم الفراولة الموضوع أمامها وهي تطوف ببصرها باتجاه قناة الدانوب.

"لماذا؟" انتهت آنا منذ فترة من أكل ما طلبته من الأيس كريم بالشوكولاتا.

وكانتا قد تمكنتا في آخر لحظة من الحصول على هذه المائدة. ماذا يعني مائدة، إنها ليست سوى منضدة صغيرة في الهواء الطلق. تحول الربيع بين ليلة وضحاها إلى صيف وبشكل مفاجيء لم يكن قلب الإنسان ولا دورته الدموية مستعدين له. المائدة الصغيرة موجودة في أقصى زاوية من سور الحديقة

الصغيرة على جانب من الرصيف والذي يرفع عادة في موسم الشتاء. أنا التي كانت مستندة بظهرها إلى الكرسي تستند الآن بمرفقيها إلى القضبان الخشبية المتشابكة.

"إنها كما تعرفين ليست شقة بإيجار مفتوح الأجل. يقول المؤجر إنه أجر الشقة لي باعتباري سأعيش فيها وحدي، لذلك فهو لا يستطيع أنْ يقبل أن يسكن معي أشخاص آخرون.

تهز أنا رأسها. "ما علاقته هو بالأمر؟ المهم أنك تدفعين الإيجار في الموعد المحدد له. ثم أن إيفو ليس أشخاصا آخرين."

"هذا ما تقولينه أنت." تخلت تيريزا كما يبدو عن محاولة إتمام أكل آيسها.

وهو على كل حال قد ذاب إلى صلصة فاكهة. "لابد أن شخصا من سكان العمارة قد اشتكى منا"، تقول وهي ترفع نظارتها الشمسية وتنظفها بمنديل المائدة الورقي.

"اشتكى؟ لماذا؟" تسحب أنا الآن ذراعيها إليها وتنحني إلى الأمام.

"بسبب أصدقاء إيفو."

"وهل يأتون كلهم إليكما؟"

"إلى أين يمكنهم أنْ يذهبوا إذن؟ إنهم لا يستطيعون أنْ يلتقوا دائما في المحلات العامة، بسبب التكاليف. لذلك يلتقون بالتناوب في شقة واحد منهم، وبالطبع عندنا نحن أيضا. نقاشاتهم تدور حول المستقبل وحول ما يمكنهم عمله لإنقاذ بلادهم. ولأنهم ليسوا متفقين في الآراء فإن أصواتهم تصبح مرتفعة، بالرغم من أنهم يدعون بأنهم لا يتشاجرون أصلا، لكني أنا أيضا كنت أشعر في البداية بالرعب عندما أسمع أصواتهم العالية."

لا تزال أنا غير قادرة على فهم المشكلة. "ألا يستطيعون السيطرة على أنفسهم قليلا، فالأمر ليس بهذه الصعوبة."

"تناقشي أنت بهدوء وبصوت منخفض حول مصير بلدك الذي ينزف دما." تبدو تيريزا غاضبة، بل عدائية إلى حد ما

لا تسمح أنا لكلام تيريزا أنْ يخرجها عن هدوئها. "ولكن لا يطرد المرء من

شقته بسبب النقاش بصوت عال بين حين وآخر."

"ليس لهذا السبب فقط. أحيانا ينسى أصدقاء إيفو اسم عائلتي المكتوب على لوحة الأجراس عند باب العمارة ويدقون الجرس على أناس آخرين ليفتحوا لهم الباب. وعندما يأتون ويذهبون يحدثون ضجة فوق السلالم ويتحدثون مع بعضهم بلغتهم، وهذا ما يثير الناس الذين يسكنون في العمارة." تقلص تيريزا وجهها وتدير عينيها. "إنهم يتضايقون من هذا كله."

"هل حدث شيء آخر عدا ذلك؟" يشي صوت انا بأنها لا تزال غير قادرة على تصديق ما تسمعه وأنها في سرها تعتبر القصة واحدة من مبالغات تيريزا الكثيرة التي تريد بها إلقاء الضوء على مشاركتها في المعاناة.

"لا لم يحدث شيء آخر عدا أن أحد أصدقاء إيفو قال لامرأة من الطابق الثاني كانت تتطلع من شق الباب وهي تصرخ مطالبة بالهدوء، بأنه ليس هناك مكان يسود فيه الهدوء التام مثل المقابر، وأنها إذا كانت تريد ذلك فهو مستعد لأن يذهب بها إلى هناك." تضحك انا رغما عنها. كانت انا قد زارت شقة تيريزا مرة واحدة فقط، أي عندما ساعدتها إثناء انتقالها إليها. عمارة من نهاية القرن الماضي في أفضل المناطق السكنية مع مستأجرين من نفس المستوى. وكانت في حينها قد أبدت لتيريزا ملاحظة بهذا الخصوص، ولكن تيريزا كانت فرحة جدا بأنها وجدت شيئا ما بحيث لم تهتم بما عدا ذلك.

"هل تريدين مغادرة الشقة فعلا؟" لا تستطيع انا تصديق الأمر. "ماذا حل بشقة إيفو القديمة؟"

"هل تعنين الجحر؟ تسمية ذلك المكان شقة هو مبالغة شديدة. ولكن حتى في هذا الجحر يسكن الآن أصدقاء إيفو، عائلة كاملة."

"ربما ستجدين شيئا شبيها بهذه الشقة مرة أخرى. عندها يستطيع إيفو أنْ يدعو أصدقاءه كما يشاء دون أنْ يتصور ساكنو العمارة أن عمارتهم قد تعرضت لغزو أجنبي. كما أنك ستجدين راحتك أيضا."

"أنا لا أريد أنْ ارتاح، أنا أريد أنْ أكون مع إيفو دائما." في نظرة تيريزا ينعكس شيء من الهوس. نقص وزنها في الفترة الأخيرة كثيرا ويبدو عليها بكل وضوح

التوتر الشديد.

تعرف آنا أنه من الأفضل ألا تستثيرها الآن. "أنا لا أريد أنْ أقول لك بأن تنفصلي عن إيفو. الذي أقصده فقط هو أنه شيء جيد عندما يكون لكل منكما مكان ينزوي فيه وحده أحيانا. ومرتب إيفو ليس سيئا إلى الحد الذي لا يستطيع فيه تحمل تكاليف شيء مثل هذا."

"العفو، وكيف؟" يشبه جواب تيريزا صرخة كتمت بسرعة. "ألم تسمعي بعد بشيء اسمه التضامن؟ ماذا يحصل لمرتب إيفو في رأيك؟ هل نسيت أن له والدين وأخوة في بلغراد لا يعرفون من أين يسدون أبسط احتياجاتهم."

"أو زوجة وأطفال." تتعمد آنا تهويل الأمور لأنها أصبحت تزداد حساسية تجاه لهجة تيريزا المتضامنة تضامنا مطلقا مع أيفو. إلا أنها لم تتوقع أن تتجمد تيريزا في جلستها وقد أصبحت شاحبة شحوب الموتى وانفتحت عيناها بلونهما الداكن حتى لتبدوان مثل الثقوب التي تسببها إطلاقات الدوم دوم.

"كذبة نسيان، كذبة نيسان!" تهمس آنا وقد تملكها فزع شديد، "انسي ما قلته لقد قلت هذا الكلام لأني أعرف أي وضع أنت فيه الآن، مع إيفو وبشكل عام."

كانت تستطيع آنا أنْ تستمر في الحديث طويلا هكذا دون أنْ يدخل حتى ولو جزء ضئيل مما تقوله في رأس تيريزا. جمودها يبعث على الخوف فعلا.

تنحني آنا عليها وتهزها. "هيه، عودي لنفسك. ذلك غير صحيح. كنت أحاول فقط أنْ أتصور ماذا لو أن. لا تجعلي ما قلته يقضي عليك. العفو، لقد كانت حقارة مني فعلا."

تعود تيريزا بالتدريج إلى نفسها، عيناها ممتلئتان بالدموع وهي تبحث عن منديل المائدة الورقي الذي مسحت به نظارتها الشمسية قبل قليل لكي تمسح به أنفها الآن.

"اووه آنا، لم يخطر على بالي شيء مثل هذا أبدا."

تشعر آنا أن تيريزا تكذب، وأنها فكرت بهذا الموضوع من قبل، لعلها تفكر

فيه ليلا ونهارا. أم هل أثار إيفو شكها عبر ملاحظة عابرة؟

"وحتى لو كان الأمر كذلك"، تهرس تيريزا المنديل الورقي حتى تجعل منه كتلة سميكة ورطبة تحشرها بعد ذلك في كأس الآيس كريم الذائب، "تصوري ما كان على الزوجة المسكينة أنْ تتحمله، والأطفال أيضا." تشعر أنا بالاضطراب. هذه النظرة! عسى ألا تفكر تيريزا فجأة بأن تفترق عن إيفو مضحية بمشاعرها تجاهه؟ فتمثيل مشهد من هذا النوع لا يمكنها حتى هي القيام به.

"والآن ماذا، هل لديه عائلة أم لا؟" تستطيع أنا أنْ تتحمل كل شيء إلا تلك النظرة التي تعبر عن التخلي، وهي تريد أنْ تكون على وضوح من الأمر بأسرع ما يمكن. تهز تيريزا كتفيها فقط وقد وجهت نظرتها مرة أخرى إلى قناة الدانوب.

"هل تريدين أنْ أحاول معرفة ذلك؟" تندم أنا على الجملة في اللحظة التي تلفظت بها. تدير تيريزا بصرها ناحيتها غاضبة. "عبر التجسس عليه؟ هذا آخر ما يمكن أن أقوم به. لا تنسي في أي وضع هو الآن."

"ماذا تريدين أنْ تفعلي إذن؟ البحث عن شقة أخرى فعلا؟"

"سوف لن يبقى أمامي غير هذا. أريد أنْ أكون معه، على الأقل طالما هو مقيم هنا."

هذه هي النقطة الحساسة إذن. أنا سعيدة بأنها تعرف الآن إلام عليها أنْ تنتبه مستقبلا، لتتجنب بشكل أفضل مواقف محرجة مثل تلك التي جرت قبل قليل.

"لماذا؟ هل قال إنه يريد العودة؟ "

"وماذا كنت تعتقدين إذن؟" يختلط بلهجة تيريزا شيء يشبه الافتخار، "أنه سيبقى هنا متفرجا لا يفعل شيئا وهو يرى كيف يدفعون ببلاده إلى الإفلاس التام؟ سيعود طبعا، وبأسرع ما يمكن. أنا أقصد إذا ضمن أنهم لن يسجنوه بسبب هروبه من العسكرية."

تتنحنح أنا. "هذا أمر يمكن أنْ يستغرق وقتا طويلا. لذلك لن يبق أمامك إلا البحث عن شقة جديدة، وفي هذه الحالة يمكنك أنْ تضمني مساعدتي." في تلك

اللحظة يأتي أول بائع صحف مع جرائد يوم الغد وهو يتمشى على طول الرصيف. تعطيه آنا إشارة وتبحث في الوقت نفسه عن عملة صغيرة. وما أنْ تفتح الجريدة على الصفحة الخاصة بالإعلانات حتى يبدأ إصبعها بالحركة فوقها فورا وكأنه مجس البحث عن الماء حتى يتوقف عند عنوان يبدو لها معروفا بشكل ما. "ما رأيك بذلك، غرفتان، مطبخ، غرفة ملحقة مع كل المرافق الأخرى، في مبنى على الطراز القديم، موعد المشاهدة حسب الاتفاق."

تسجل تيريزا العنوان، ليس بكثير من الحماس ومع ذلك بقدر معين من الاهتمام.

"هل تأكدت الآن أني أقف إلى صفك؟" تقول آنا وهي تفكر بالسبب الذي يجعلها تشعر بأن عنوان الشقة مألوف لها هكذا.

الحال هو نفسه دائما مع الأجهزة الجديدة، يحتاج المرء فترة من الوقت حتى يتعود على وجودها وتصبح واحدة من حاجات الحياة اليومية الأخرى التي يستخدمها بشكل بديهي. تركت آنا التلفون المحمول ملقى في البيت وإنْ كانت تنوي مرة بعد أخرى أنْ تدسه في حقيبة يدها، ولكنها في كل مرة تنسى ذلك وهي في عجلة من أمرها.

هاوجسدورف غاضب إلى حد ما عندما تتصل به أخيرا من شقتها. "كيف أستطيع حمايتك إذا كنت أنت لا تريدين حماية نفسك." إنه غاضب من لعبة التخفي التي تلعبها معه، مثلما يسميها هو.

"ماذا تعني بالحماية؟ أنا لست في خطر، أم أنني كذلك."

"ليس بطريقة مباشرة. مع ذلك كوني حذرة فيما يتعلق ببريدك، إذ من الممكن أنْ يكون هناك أحد يريد أنْ يتعرض لي من خلالك بالسوء." تجد آنا التي كانت تتحرك في الشقة وهي تحمل التلفون المحمول في يدها نفسها مضطرة للجلوس". وما علاقة ذلك ببريدي؟"

يتنحنح هاوجسدورف. "هذا أمر سأوضحه لك فيما بعد. سنلتقي خلال نصف ساعة في مقهى شفارتزر." يصف لها هاوجسدورف كيف تأتي إلى

هناك وكأنها تعيش تحت الطلب، طلبه هو.

"لا تتأخري رجاء. أنا أريد أنْ أتحدث معك."

انتهت المكالمة، انقطع الخط، دون أنْ تجد أنا فرصة لإبداء أي اعتراض.

ما الذي سيحدث لو لم تذهب؟ منذ أنْ فتح هاوجسدورف قبل فترة قصيرة باب شقتها عنوة وهي تدرك بأنه ليس هناك فائدة من عدم الذهاب. فهو لن يتردد إذا كان يريد الكلام معها في المجيء إلى هنا والقيام مرة أخرى بما قام به في المرة السابقة. تقف أنا أمام المرآة في الحمام لكي تقوم بوضع شيء من البودرة. عينها المزرقة تشحب شيئا فشيئا ولكنها لا تزال واضحة للعيان، وإن لم يعد لونها بنفسجيا مسودا وإنما كظل أسود مخضر. لابد أن هاوجسدورف يرى في الأمر أهمية كبيرة بحيث يطلب اللقاء بها في مركز المدينة بهذا الشكل المتعجل.

لم يسقط المطر منذ عدة أيام. الهواء في الخارج ساخن سخونة الصيف. تحمل أنا سترتها على ذراعها وتضع على أنفها نظارتها الشمسية العملاقة التي تخفي بقعتها البنفسجية كلها تقريبا.

لا تستطيع أنْ تجد المقهى فورا وهو مختفياً، بالأحرى مستور في واجهة فندق امبريال. وعندما تدخل المقهى أخيرا تجد هاوجسدورف جالسا في أقصى زاوية فيه وهو محاط بعدد من الطبعات المسائية لمختلف الصحف اليومية، يقلبها بعصبية.

"دعيني أراك." ترفع أنا النظارة الشمسية في يدها. المقهى معتم تقريبا.

النوافذ كلها تطل على الاتجاه الشرقي. يتطلع هاوجسدورف بها بتمعن. "يعني، بالتدريج تعود أنا القديمة إليك." ثم يقبل يدها وليس وجنتها وهو يسحبها إلى جانبه. هاوجسدورف يمتلك علاقة سيئة بالجروح. التشوهات من كل نوع هي بالنسبة له شيء فظيع. لذلك يتركها في الأيام الأخيرة وشأنها، ليس لأنه يخشى إيلامها عبر مداعباته بشكل غير متعمد، وإنما لأن بقعتها البنفسجية تثير اشمئزازه. لذلك يفضل في هذه الحالة منمنماته من القرن التاسع عشر بوجهها الذي لا تشوبه شائبة، كما الزيت على العاج. تستطيع أنا

لأول مرة أنْ تستفيد قليلا من عينها التي أحاطتها الضربة ببقعة ملونة.

"لقد ظهرت رسالة اعترافية." يقلب هاوجسدورف أوتوماتكيا في صفحات الجرائد.

"القنبلة في سيارة الوزير كانت من صنع محلي. وهي وإنْ بدت لا علاقة لها بمجموعة الرسائل المتفجرة الأخيرة إلا أن لها من ناحية الاسلوب بعض الشبه بها." يتكلم هاوجسدورف بصوت خفيض وبتعبير وجه جامد وكأنه يقرأ لها شيئا مكتوبا في الصحف.

تطلب آنا كابوتشينو وعندما يعود النادل إلى البار بعد أنْ تسلم طلبها تسأل هي بنفس تعبير الوجه الجامد، "ومن يختفي وراء ذلك؟ من؟"

هاوجسدورف يتنهد. "نحن نعرف الكثير، أكثر مما أستطيع أنْ أفشيه لك. كثير من التفاصيل، التوجه الفكري، المحيط الاجتماعي، المحيط الأيديولوجي. الشخص الذي يسمى الفاعل هو وحده الذي لا نعرفه بعد."

تستطيع آنا أنْ تتخيل كيف يرهق هذا الفشل هاوجسدورف، بالرغم من أنه ليس فشله الشخصي وإنما فشل الوزراة كلها. هاوجسدورف معتاد بطريقة ما أنْ يحقق نجاحا في كل ما يقوم به. رجل يدرك ما يملك من قدرات ويصر على ممارستها. وهو لا يستطيع أنْ يتحمل إلا بصعوبة أنْ يبقى شيء يراد إيجاد حل له مستعصيا على الحل، كما يسمى ذلك في المصطلحات المألوف تداولها في ديوان الوزارة.

"وما علاقة هذا ببريدي أنا؟" لا تستطيع آنا أنْ تتخلى عن الشك في أن هاوجسدورف لا يستهدف من قصة القنابل بأكملها إلا ربطها به بشكل أقوى وخصوصا في هذا الوقت بالذات حيث تعتزم هي عزما قاطعا أنْ تنفصل عنه بأقل قدر من الضجة.

"بالأمس تلقت ابنة الوزير رسالة ملغومة. إنهم يزدادون وقاحة باستمرار، أيا كانوا في الواقع. لحد الآن لم يتسرب الخبر إلى وسائل الإعلام. ولحسن الحظ لم يحدث شيء في هذه المرة، ولكنهم يزدادون من مرة إلى أخرى اقترابا."

تشعر آنا بقشعريرة خفيفة. يبدو لها كل هذا بعيدا عن الواقع، وكأنه شيء

يجري في السينما وهي تجلس في الصف الأول. ولكنها تشعر من ناحية أخرى بأنه الواقع فعلا. ليس في هذا البلد فقط وإنما في كل البلدان. فما أنْ تفتح جريدة ما حتى تجد فيها أخبارا عن هذا النوع من استخدام العنف. هل أصبح أمرا بالغ السهولة أنْ تقوم جهة ما بتعريض جهة أخرى للخوف والفزع؟

"ولكني لست ابنتك" لم يخطر على بالها شيء أفضل تقوله، وهي لا تريد أنْ تكون قريبة من هاوجسدورف بأية صفة كانت. "وليس هناك من يعرفني، ونحن لا نخرج كثيرا مع بعضنا . لذلك لا أستطيع أنْ أعرف سببا يجعلني أخطر على بال أحد ما."

"هدئي نفسك"، يقول هاوجسدورف محاولا تهدئتها، ولكن لماذا وهي لم تنفعل أصلا. "أنا لا أريد القول بأن الخطر كبير، وإنما رجوتك فقط أنْ تكوني على حذر، فلا أحد منا يعرف ما هي الخطوة التالية لهؤلاء المجانين. كانت الخطوة التالية تأتي حتى الآن بشكل مفاجئ." يطوي هاوجسدورف الجرائد. إنها جرائده التي جاء بها معه. فهل كان يخشى أنْ يكون قد تسرب بشكل مبكر شيء عن سلسلة الرسائل الملغومة إلى الجرائد التي أراد الاطلاع عليها بحيث يستطيع آخرون قراءته في الوقت نفسه؟

"حسنا، سأقوم بفحص رسائلي فحصا دقيقا قبل فتحها، هذا إذا تلقيت أية رسائل، وإذا بدت لي إحداها مشكوك فيها فسأقوم بقرع جرس الإنذار فورا."

"يكفي أنْ تخابريني."

يبتسم هاوجسدورف ابتسامة مائلة، ابتسامة شخص في موقع ما بين الأب ورئيس الشرطة. "ليس من الضروري إثارة ضجة حول كل شيء فورا، خصوصا عندما يعرف الإنسان أحدا من ذوي الاختصاص. وهناك شيء آخر أيضا: انتبهي إلى الأوساط التي تختلطين معها، فعندما يرد اسمك في الصحف كشخص يتردد كثيرا على احتفالات الأجانب فيمكن أنْ تتراكم الأشياء."

هذا ما يريد هاوجسدورف إذن أنْ يقوله لها مرة أخرى وكأنه لم يفعل ذلك من قبل وبطريقته الخاصة، بصوت خفيض ولكنه مسموع بما فيه الكفاية. فرصة جديدة له لكي يتدخل في حياتها الخاصة، وفي حالة الضرورة عنوة أيضا.

"أتشعر بالغيرة؟" يا إلهي إنه غباء منها فعلا، ولكن فات الأوان الآن، فما قيل قد قيل.

يرفع هاوجسدورف حاجبيه. "لا تكوني طفلة، حبيبتي، فممن علي أنْ أغار؟ أم ثمة سبب لذلك؟ في الواقع الوضع أكثر جدية من أن يقوم المرء بتهوينه. يمكنك أنْ تصدقي أو لا تصدقي، ولكني أشعر بنفسي مسؤولا عنك وأن علي واجب تحذيرك. أنت تفهمين ذلك".

"نعم، بالطبع." تشعر أنا بقدر كبير من عدم الارتياح. "ولكن هناك ما لا افهمه رغم كل شيء. ما الذي يريد هؤلاء الناس تحقيقه بقنابلهم؟"

يزفر هاوجسدورف. سؤال القرن. طبعا تخويفنا جميعا. أنْ يظهروا لنا أنه يمكن إخافتنا، بل ومن السهل جدا إخافتنا، نحن الذين نهتم هذا الاهتمام الكبير بالأمن. إذا كنت تريدين إيقاف الهجرة وطرد الذين هاجروا إلى هنا فضعي قنبلة. بهذا تحصلين على اهتمام الكل ولا تحتاجين إلى شيء آخر لكسب المؤيدين. هل تريدين إقامة دولة خاصة بك يطرد منها كل أولئك الذين لم يتركوك تعيشين في دولتك القديمة بسلام، إذن ضعي قنبلة، وسوف يطيل الكل التفكير، لماذا لا يكون لك دولة خاصة بك. هل تنوين أنْ تحققي النصر لقناعاتك الدينية أو السياسية في كل أنحاء العالم، لأنك تحملين القناعة بأن عقيدتك وحدها أو قناعاتك وحدها هي القادرة على إنقاذ بلدك من الانهيار، ضعي إذن قنبلة، فتصبح الجبهات في الحرب التي تريدين أنْ تقوديها أكثر وضوحا. أنا لا أستطيع أنْ أنكر لك كل ما يوجد من أسباب لوضع القنابل. إضافة إلى أن صنعها بسيط جدا، وحتى عندما نقوم بمراقبة كل شيء بشكل جذري لا نستطيع حماية كل إنسان. عدا أن الغالبية لا تريد ذلك، لأنها ترفض أنْ تضع نفسها تحت المراقبة، حتى وإنْ كانت من ناحية أخرى تعتقد أنها تمتلك الحق في حياة يسودها الاطمئنان. هذا النوع من الصراع يصبح مستعصيا على الحل أكثر وأكثر، ورغم ذلك يريد الكل أنْ نجد له حلا. وكلما كان عدد الأشخاص الذين يراد حمايتهم أكبر من الأشخاص المشتبه بهم، كلما تطلب ذلك أنْ تكون الرقابة متقنة بشكل كبير. ولكن التقنية التي تخدمنا تخدمهم هم أيضا. أمر

يجب على الإنسان أن يأخذه بنظر الاعتبار دون اية انفعالات."

"دون انفعالات؟" تفكر آنا بما يريد هاوجسدورف أن يقوله لها بهذه الكلمات.

"يعني بشكل موضوعي، إذا كنت تفضلين هذا المصطلح. فهكذا فقط تستطيعين ملاحقة أثر ما وتستطيعين التعرف على الداورة باعتبارها مداورة لا غير." يبدأ تلفون هاوجسدورف المحمول بالرنين. يخرجه من جيب سرواله. "نعم"، ثم يقول "سأعود بعد عشرين دقيقة من الآن بالضبط."

"ها أنت ترين بنفسك"، يقول متشكيا، "أنا أقضي في هذه الأيام الوقت كله في العمل. لذلك لا أستطيع الالتقاء بك إلا بين أوقات العمل. وأنا لا أعرف الآن فيما إذا كان حتى تلفوني قد أصبح خاضعا للإنصات. فالجهة الأخرى لم تنم أيضا. ولكن ليس هذا هو السبب الذي دعاني لأن أطلب منك أنْ تأتي إلى هنا، وإنما لأنني أردت أنْ أعرف فيما إذا كنت لا زلت تأتين بدافع الحب عندما أدعوك إلي."

يا للبراعة! تنزوي آنا في أعمق أعماق مشاعرها حتى لا يتحول الإعجاب بما قال إلى تأثر به. لقد أخطأت مرة أخرى في تقدير هاوجسدورف على كل المسارات. ولكن عند التمعن بالأمر فإنها في الواقع لوقاحة، الطريقة التي يفهم بها علاقتهما ببعضهما. هو يدعو وهي تأتي ولكن هاوجسدورف يشعر بسرعة أنه بقوله جملا من هذا النوع لا يزيد الأمور إلا اضطرابا، فيتناول يدها ويضغط عليها ضغطا شديدا.

لقد تكلم على كل حال عن الحب، وإنْ بشكل عرضي، ولكن بوضوح. تملك آنا إحساسا شديدا عندما تخرج الأمور عن خط سيرها المعتاد، وهي تعرف الآن أن هاوجسدورف تجرأ في هذه المرة على التقدم إلى الأمام أكثر من أية مرة أخرى.

"وماذا لو أنني لم آت بدافع الحب؟" إنها تريد أنْ تعرف فيما إذا كان هاوجسدورف سيمضي أبعد من ذلك وتلجأ لهذا السبب لإسلوب الاستفزاز. ولكنه يسدل الستار مرة أخرى.

"إذن لكنت قد جئت لزيارتك قريبا." بأية سرعة يمكن أنْ تصبح نظرته باردة؟ ترى آنا نفسها مضطرة لأن تبتسم ابتسامتها الرائعة، من أيام الفترة الأولى، والتي ترتفع فوق كل نوع من أنواع الإبهام في الكلام. هل تتوهم آنا، أم أن النادل يدور حول طاولتهما بشكل مبالغ فيه. فربما يريد هو الآخر أنْ يحصل على فتات

من المعلومات من المصدر الأول، بما أن السيد مستشار الوزارة لا بد وأنْ يكون معروفا له.

يلوح هاوجسدورف بورقة من فئة المائة شلن. "علي مع الأسف أنْ أعود إلى المكتب." ابتسامتها تجعله لطيف المعشر من جديد. في هذه المرة يقبلها على وجنتها وإنْ كان ذلك تحت العين غير المتضررة. ثم يدس أثناء ما كان يمشي ورقة النقود في يد النادل. أنا تكمل شرب قهوتها. في الواقع لم ترد هي شرب أي قهوة.

الساعة الآن هي السابعة مساء. وبسبب التوقيت الجديد لا يزال الوقت وضح النهار. كم مضى عليها من الوقت لم تقم فيه بجولة في المدينة! تبقى واقفة أمام واجهات عدد من المحلات. انظروا، إنني هنا، تتمنى لو أنها تستطيع أنْ تهتف. ليس ضروريا أنْ تضعوا لي شيئا في بريدي وإنما يمكنكم أنْ تحصلوا علي هنا في مركز المدينة.

رصاصة تنطلق من مدخل إحدى البنايات، بكاتم الصوت طبعا. وحتى يدرك الناس ما جرى يكون الفاعل قد تمكن من الهرب. ولن يكون هناك أي شخص يركض وراءه أو يتعرف عليه. ولماذا؟ لأن الكل مشغولين بأفكارهم في مكان آخر. فكما هي تتطلع الآن إلى إصدارات الاسطوانات ستحتاج إلى الكثير من الوقت حتى تستطيع الالتفات إلى الصوت، هذا إذا سمعته أصلا، أو صرخة أوائل المشاة وهم يرونها تسقط على الأرض. وقت طويل لكي يكون ممكنا التعرف على الفاعل الذي يخفي وجهه بيده. هذا يعني أن الإنسان لا يستطيع هنا أيضا أنْ يكون في مأمن من رصاصة توجه إليه وهو وسط الناس، وأن الفاعل أو الفاعلين يملكون فرصة جيدة للهروب دون أنْ يتعرف عليهم أحد.

تنتفض أنا. لقد نجح هاوجسدورف فعلا في أنْ يجعل الخوف يتسرب إلى نفسها بحيث تشعر لحظة من الوقت أنها معرضة للخطر فعلا. ولكن هاوجسدورف مصاب في الواقع بجنون العظمة لا غير، يرى نفسه في سره في موقع الوزير الذي ناب عنه في كثير من المناسبات. ولكن حتى الآن لم يفكر واحد من أصحاب العقول الصانعة للقنابل هؤلاء أن يجعل من أحد كبار الموظفين هدفا له. فمن يهمه أمر أحد الموظفين؟ وهاوجسدورف موظف ليس إلا، حتى وإنْ

كان مستشار وزارة. والموظفون لا يمتلكون في الواقع تلك القدر من الشعبية لكي يكونوا ضحايا جيدين، ناهيك عن عشيقاتهم. فمن الذي يهمه الأمر إذا أرسلت لها، هي آنا مارغوتي، رسالة ملغومة لأنها نامت مع واحد من الموظفين الكبار في وزارة الداخلية؟ أمر غير ممكن أبدا.

إبنة الوزير شيء آخر بالطبع. فالأسباب هنا واضحة منذ البداية. هنا يمكن فقط ضرب الأخماس بالأسداس للتكهن مثلا لماذا أرسلت الرسالة الملغومة لهذه الابنة بالذات وليس إلى الأخرى الأكبر منها سنا؟ هل لأن لهذه الابنة نشاط مساعدة طالبي اللجوء السياسي أو الأجانب الذين لديهم قضايا لدى بوليس الأجانب مثلا؟ وهذا كابنة للوزير؟ ولكن هي آنا؟ فلا شيء من هذا ينطبق عليها. فقد هاوجسدورف توازنه. إنه يعمل كثيرا، سيان إذا كان مضطرا لذلك أم مدفوعا بطموحه الشخصي. لقد فقد الاعتدال في رؤيته للأمور وهي أيضا سمحت أن تصيبها العدوى منه. أما الآن فيجب أنْ ينتهي الأمر عند هذا الحد. تبتعد آنا بغتة عن واجهة المحل المعروضة فيها الاسطوانات دون أنْ تحتفظ بذاكرتها بأية واحدة منها، ثم تتحرك بشيء من العجلة إلى المدخل المؤدي إلى محطة قطار الأنفاق. فجأة تتمهل في مشيتها. ما الذي يدفعها إلى الذهاب إلى البيت حالا ما دامت هي الآن في مركز المدينة؟ يمكنها أنْ تذهب إلى السينما. فإذا أسرعت في مشيها فسيمكنها أنْ تصل في الوقت المناسب إلى الفيلم الرئيس في عرض الساعة السابعة مساء.

لا تدري ما الذي جعلها تتوقف مرة أخرى. ولكن هذا هو المقهى الذي جاءته يومذاك للبحث عن حكمت. هذا المقهى المسمى استانبول. تتساءل مع نفسها فيما إذا كان حكمت قد جاء فعلا إلى هنا في إحدى المرات؟ عندما كان لا يزال موجودا وكان يتجول في المدينة مثلما تفعل هي الآن؟ لا تريد الدخول إلى المقهى ولكنها تتمهل وتبقى تتطلع فترة طويلة من خلال الشباك. المقهى مضاء من الداخل. الشخص الواقف على البار يمكن أنْ يكون أورهان. تجهد نظرها وتنحني إلى الأمام قليلا. هنا يدير الرجل رأسه. يتملكها شيء من الخوف، نعم، إنه أورهان فعلا والذي يتعرف عليها أيضا ويشير لها بيده أن تنتظره. ولكنها تصبح فجأة غير راغبة في الكلام معه. الآن لا تريد الالتقاء بأي أورهان. تبدأ

بالسير ثم بالركض وتنعطف بعد ذلك في أول شارع عرضي يصادفها. هناك تختفي في مدخل إحدى البنايات وتستطيع أنْ ترى أورهان وقد جاء يركض وراءها. تراه وهو يقف، يدير النظر في الزقاق، يرفع رأسه وكأنه يستطلع حالة الجو ثم يواصل الركض. تبقى أنا واقفة لفترة أخرى في مدخل المبنى. قلبها يدق. لماذا في الواقع؟ شيء غبي جدا أنها سمحت لهاوجسدورف أن يدخلها في هذا الجو من الخوف. وأن تكون قد هربت من أورهان بالذات فهو قمة المهزلة، في حين كان يمكنها أنْ تسأله عن عمله الجديد وعن عائلة الأيفيردي، ولعرفت منه شيئا ما. تمالكي نفسك يا آنا. ستخرج من هذا الزقاق وتذهب للحديث مع أورهان. بعزم تضع خطوة أمام الأخرى. لا يمكنه أنْ يكون قد ابتعد كثيرا، حتى راكضا. ولكن لم يكن هناك أي شخص له شبه ولو بعيد بأورهان. هل ينبغي عليها أنْ تلقي نظرة في استانبول مرة أخرى؟ فربما يكون قد عاد إلى هناك؟ أم أن الأفضل أن تذهب إلى السينما؟

لم تعد لها رغبة لا في هذا ولا في ذاك. هل عليها أنْ تتصل بيوسف؟ ولكنه قد يكون مشغولا. أما فرانتيشيك فقد ضاع منها مع الأسف. إذن لم يبق إلا الذهاب إلى البيت. تقرر الذهاب سيرا على الأقدام. ثلاث محطات بقطار الأنفاق، مسافة ليست بعيدة . الهواء لين والوقت لا يزال مضيئا حتى أن نظارتها الشمسية العملاقة لا تثير أي استغراب. ما تريده الآن هو أنْ تمشي وتمشي وتمشي حتى ينصهر الأسفلت تحت قدميها.

"الآن تجري الأمور معي بشكل جيد." سميحة ترتدي ثوبا صيفيا وتبدو شابة جدا.

"أما حينذاك عندما توفي زوجي، فقد كنت أقف في مكاني، وكأني أصبت بصعقة كهربائية، سانجة، جاهلة وغير مهيأة للعيش وحيدة، مع أني كنت أثناء حياته قد أدركت بأن هناك فرصة أمامي." تبتسم سميحة بشيء من المراوغة. تشعر أنا بالدهشة. هل سمعت ما قالته سميحة بشكل صحيح؟ فبشكل ما لا تتفق لهجة صوتها وتعبير وجهها مع الكلام الذي قالته.

"عن أية فرصة تتكلمين؟"

كانتا قد بدأتا بمخاطبة بعضهما بصيغة المفرد دون أنْ تقولا ولو كلمة واحدة حول ذلك. كما أن أنا أصبحت تصعد كثيرا إلى شقة سميحة. توجد أيام لا تكون فيها سميحة موجودة في البيت، خصوصا في أيام الثلاثاء وأحيانا في أيام الجمعة. ولكن هذا شيء عادي جدا. لماذا يفترض أنْ تكون سميحة موجودة كل مساء؟ المهم أنْ يستمر اتفاقهما المتساهل كما هو، دون أنْ تكون انا مضطرة للشعور بعدم الارتياح، فسميحة كانت تؤملها دائما: هناك الكثير من الأشياء التي أريد أنْ أريك إياها. وسيكون أمرا ليس بالسهل أنْ أحمل هذا كله إليك، ولذلك سآتي لزيارتك في وقت آخر." تشرب أنا من عصير الخوخ الذي قدمته سميحة لها وتتطلع بها بترقب شديد.

"الفرصة في أنْ أبدا شيئا في حياتي." لا تزال نظرة سميحة تعكس هذا البريق الذي يوحي بالكثير.

"عندما انتهى الألم بأشد مراحله أصبح واضحا بالنسبة لي أكثر مما مضى أن علي أنْ أتعود على اتخاذ القرارات بنفسي."

لا تستطيع أنا أنْ تتصور الكثير عما يعني ذلك، ولكن الطريقة التي تؤكد فيها سميحة على كلمة "قرارات" تثير فضولها. "وبعد؟"

"كنت في الأصل قد سجلت نفسي للدراسة في الأكاديمية التربوية، ولكني، وكما تبين لي بسرعة، لم أعد أملك الرغبة في التدريس وإنما بدأت بالاهتمام بالإقتصاد والتجارة وحتى بإدارة الأعمال. وهكذا أصبحت أدخل بما يتطابق مع اهتماماتي دورات دراسية واحدة بعد الأخرى. وقمت بعد ذلك حتى بتبديل الكلية أيضا." تشعل سميحة سيجارة وتنفث الدخان باتجاه السقف الوقت يميل للغروب، النوافذ مفتوحة ويظهر من خلالها قمر شاحب يستند بهوادة على غيمة.

"لم يكن أبدا أمرا سهلا علي أنْ أخفي على زوجي التغيير الذي جرى في داخلي. ولكن بشيء من الجهد جرت الأمور على ما يرام. "ألم تقولي شيئا لزوجك؟" لم تعد أنا واثقة فيما إذا كانت قد فهمت ما قالته سميحة بشكل جيد. "ألم تقولي لي قبل ذلك بأنك جعلت حياتك كلها تسير حسبما يريده هو؟ الشيء الذي يعني بأن

اطمئنانك له كان بلا حدود." سميحة تدخن وتضحك. "كان الأمر كذلك فعلا. هذا من ناحية. ولكني اكتشفت من ناحية أخرى في داخلي الرغبة بأن يكون لي شيء خاص بي. فإذا لم يكن طفلا أقضي النهار معه وحدي، فليكن إذن شيئا آخر يمكنه أنْ يملأ الفراغ الذي أحسه في نفسي عندما لم يكن زوجي معي. شيء أستطيع أنْ استخدم بواسطته كل ما أملك من ذكاء وكل ما أملك من طاقات والذي يمكنه أنْ يغيرني مثلما كان من الممكن لطفل أنْ يغيرني، ربما لا يلاحظه عثمان ولكنه شيء ثابت وباق."

تهب الريح. تنهض سميحة واقفة وتغلق النافذة التي ملأ الهواء ستائرها الرقيقة دافعا بها إلى الداخل.

"لا أدري إذا كان يمكنك أنْ تفهمي ذلك يا آنا. فأنتم هنا تربيتم تربية مختلفة، ولكن بالنسبة لي كان أمرا لا يمكن التفكير فيه أنْ أقول لزوجي أنا أريد أنْ أصبح شيئا مثلك، وأريد أنْ أكتسب المعرفة اللازمة لذلك، وأنْ يكون لي واجبا معينا في الحياة، أنْ ارتفع إلى أعلى، أنْ أحقق نجاحا مهنيا، أنْ أغامر بالقيام بشيء ما. لفترة طويلة لم أقر حتى لنفسي بأنني أريد ذلك كله. في البداية كنت أفكر في ذلك فقط. لم أكن يومها أعلم بعد أنني لا أستطيع إنجاب الأطفال. كنت أريد أنْ يكون لي شيء يشغلني حتى يخطط زوجي أن يكون لنا أطفالا. ولكن حتى في ذلك الوقت كان الأمر أكثر من هذا أيضا. وكما أرى الموضوع الآن فإنني كنت بحاجة إلى دافع قوي، إلى نوع من الإثارة. وهكذا خلقت لنفسي سرا، وكنت أخترع بشكل متواصل ستراتيجيات ذكية للمحافظة عليه. كنت واثقة بأنني لنْ ألتقي بعثمان في الكلية، فهو يعمل في المؤسسة، وقتا أطول وأكثر مما كان يريده هو. كذلك انتقلت المؤسسة في هذه الاثناء إلى أطراف المدينة. ولكن ذلك لم يكفني كضمان فبدأت أتنكر. منذ ذلك الحين أصبحت أحمل معي دائما حقيبة واسعة. وكنت حين أقترب من الجامعة أتقنع بأغطية الرأس والمعاطف الطويلة. وعندما بدأت أغلب التركيات بوضع غطاء على رؤوسهن خارج البيت من جديد فعلت مثلهن ودعمت بهذا الشكل استقلاليتي. في المحاضرات كنت أجلس في مكان قصي، طبعا دون غطاء الرأس، حيث أن غطاء الرأس كان سيجذب النظر هنا، وأنا لم

يكن لدي مزاج في الدخول في نقاش حول التيارات الإسلامية. وقد نجحت بأن أتصرف بشكل لا يلفت النظر، حتى أن أغلب الطلبة والطالبات لم يكونوا قادرين على التعرف علي حينما يلتقون بي في الممرات."

تلقي انا نظرة عدم تصديق على سميحة التي تجلس في هذه المرة على مقعد والدها ذي المسند العالي. صحيح ان شكل سميحة ليس لافتا للنظر، ولكنها كما تعرفت انا عليها تملك وجها نابضا بالحيوية ونظرة جذابة ودافئة.

"أما أنا فيمكنني أن أتعرف عليك دائما وفي كل مكان مهما أخفيت نفسك تحت أي نوع من أنواع الحجب." تقول آنا بقناعة وهي تقشر بضعاً من حبات الفستق الأخضر.

تنهض سميحة واقفة. "لقد استنفذت كثيرا من الوقت بهذا، وفي تلك الأيام بوسائل بسيطة. ربما يجب علي أنْ أريك ماذا أعني بذلك. لو صبرت قليلا فسأريك ذلك."

تمد آنا يدها وتتناول واحدا من كتب الخط التي قامت سميحة بوضعها أمامها بعد مجيئها مباشرة، وتبدأ بتصفحه. هذا الكتاب هنا لا تعرفه. وتوجد في داخله صور لأشياء وأيضا لنباتات وحيوانات، والمدهش في الأمر لبشر أيضا، كلها من حروف عربية. تنحني آنا ببصرها على الكتاب بإنبهار. الخطوط السوداء العريضة هي الحروف والتي لها دور الرسم، في حين تحمل الخطوط الدقيقة المعنى الذي يعبر النص عنه. ألم تحلم آنا مرة بشخص يحمل وشما على جسمه كان له شبه كبير بهذا الراس المرسوم من الحروف؟

آنا مستغرقة في الرسوم إلى حد أنها لا تلاحظ عودة سميحة إلى الغرفة. أم أن سميحة تعمدت المشي على أطراف أصابعها لكي لا تزعجها؟عندما تبدأ سميحة الكلام مرة أخرى لكي تواصل وصفها لدراستها ترفع آنا بصرها ثم تنطلق منها صرخة تعجب. المرأة التي تجلس إلى جانبها على الأريكة ليست لها حقيقة أي شبه بسميحة التي تعرفها. "معذرة"، تقول سميحة، صوتها وحده يذكر بسميحة السابقة. ولكن آنا تكتشف أيضا أن سميحة قادرة أيضا على تغيير صوتها كما تشاء. "لم أرد أنْ أفزعك، أردت فقط أنّ أريك ماذا أعني بذلك

عندما أقول إنني كنت أتصرف بشكل لا يثير الانتباه إلى قدر الامكان، ومن ضمن ذلك عدم البقاء على شكل واحد لا يتغير. كان مهما بالنسبة لي ألا يتعرف علي أحد. بهذا ساعدتني طبعا كثافة الحركة في الجامعة. ففي كل مكان كان يتحرك عدد كبير من الطلبة بحيث كان من السهل أنْ يضيع الإنسان في الزحام. كان الأمر حرجا فقط عند التسجيل للامتحانات أو عندما احتاج إلى تصديق بأنني حضرت إحدى المحاضرات."

"وزوجك، ألم يلاحظ من هذا كله شيئا؟" الأمر لا يزال لآنا غير قابل للتصديق. ببضعة حركات ترفع سميحة الباروكة من على رأسها، تضع النظارة جانبا، تفتح الجاكيت ثم تهز نفسها قليلا وهي تمسح وجهها بمنديل لكي تزيل بعض لطخات الماكياج التي غيرت ملامحها لتعود فتصبح مرة أخرى سميحة نفسها التي تعرفها آنا. تعترف آنا مع نفسها بأن سميحة حققت براعة في فن تغيير الملامح. لابد وأنها تدربت كثيرا على هذا، فقد احتاجت الآن بضع دقائق فقط لكي تقوم بهذا العرض.

"بين حين وآخر كان زوجي يسألني عن دراستي، ولكنه في واقع الأمر لم يكن مهتما بذلك كثيرا. ما كان يهمه هو فقط الوقت الذي نقضيه معا، وأنْ يكون كل شيء على ما يرام ومتطابقا مع رغباته. أما ما كنت أقوم به عدا ذلك فكان يعتبره ملئاً للفراغ لا غير. وكان يقول أحيانا بأنه منذ أنْ جاء للعيش هنا أصبح يدرك بأن النساء أيضا يحتجن إلى شيء يشغلهن، إذ أن الأعمال المنزلية لم تعد تكفي مع كل هذه الأجهزة والآلات الموجودة حاليا والتي توفر الكثير من الوقت، وأنه يمكنني ما دمنا بلا أطفال أنْ اشغل نفسي بأي شيء. وهكذا كنت ادرس وأؤدي الامتحانات. وكان هذا أصعب شيء علي، إذ أنني كنت أمر قبل الإمتحانات بحالة من القلق الشديد تجعلني أصاب بنوع من الحساسية. ولهذا السبب كان زوجي يقول بأنه يجب علي أنْ أتوقف عن تطلعي لكي أصبح معلمة، فبالعكس من أمي لا يوافقني التدريس، فحتى جسمي يثور عليه. كان علي دائما أنْ افكر بشيء ما. وفي الوقت نفسه أصبح يهمني كثيرا أنْ أحصل على نقودي بنفسي. كنت أستخلص من ميزانية البيت شيئا ولكني لم أستطع طبعا أنْ أمضي بذلك

إلى حد بعيد. لذلك بدأت بالتدريس في الاختصاصات التي انتهيت منها. ولكن هذا زاد من الصعوبة التي أواجهها في تنظيم مجريات يومي بشكل يكون فيه بإمكاني أنْ أعد أيضا شيئا أضعه على مائدة الطعام عندما يحل المساء. ولكن هذا بالذات ما كان يثيرني. ذلك الشعور الرائع في مساء كل يوم بأن يوما آخر مر على ما يرام دون أنْ يخطر على بال عثمان ولو خاطر ضئيل بما قمت بعمله خلال ذلك النهار، أي نفس ما كان يقوم به هو تقريبا، كما كنت أقول لنفسي. إلا أنه يجب علي أنْ أعترف بأنني ازددت إهمالا فيما يتعلق بأعمال البيت. وأحيانا كان عثمان يندهش عندما يلاحظ كيف تبقى سلة الملابس التي تحتاج للكي ثلاثة أيام في نفس المكان وعلى نفس الامتلاء. إلا أنه كان يسامحني بسرعة عندما أحكي له وأنا فاتحة عيني عن آخرهما عن تمارين مع تلاميذ المدارس أزعم بأني شاركت فيها. عندها كان يقول بأن هذا سينفعني في تربية أولادنا. لقد كنت شابة وكانت طاقاتي تبدو وكأنها غير قابلة للاستنفاذ. وكنت استمتع بأن أشارك رجلا الفراش دون أنْ يعرف عني كل شيء. وعندما أصبح تنظيم حياتي يزداد تعقيدا بدأت أرجو زوجي بأن يشتري لي جهاز كمبيوتر، خصوصا وأن المؤسسة التي يعمل فيها مختصة بتوزيعها. وقد بدأت بذلك تدريجيا لكي لا أجعله يشك في الأمر فكنت أحكي له بأن بعض زميلاتي في الأكاديمية التربوية أصبحن يكتبن إطروحاتهن على الكمبيوتر. وبما أنه لم يكن لدينا آلة طابعة في البيت فقد حاولت إقناعه بأن الكمبيوتر الذي يمكنه أنْ يشتريه لي كموظف في الشركة بخصم كبير لن يكون أغلى من الآلة الطابعة بكثير. ولم يعترض هو على هذا الأمر، إلا أنه أظهر فقط دهشته لأنني كامرأة أريد العمل على الكمبيوتر، في حين أنه من المعروف أن النساء لا يملكن ميلا كبيرا لذلك. وعلى كل حال فقد وعدني بأن يجتهد في الحصول على جهاز من المؤسسة، قائلا بأنه ليس من الضروري أن يكون في البداية من أحدث ما هو موجود. بشكل ما بدا أن اهتمامي بالكمبيوتر أعجبه. ومع ذلك كان ينسى دائما وكنت مضطرة بين حين وآخر إلى تذكيره بشكل غير مباشر وبطريقة وكأن الموضوع يتعلق بلعبة يدفعني مزاجي إليها دفعا. في يوم من الأيام جاء بجهاز إلى البيت، ادعى أنه يستطيع القيام أكثر بكثير مما أنا

قادرة على القيام به. كان يوم جمعة. ولأن الجو كان ممطرا، باردا وكئيبا فقد قال عثمان بأنه سيخصص نهاية الأسبوع لكي يعلمني الخطوات الأولى بما يكفي لأن أكون على الأقل قادرة على طبع أطروحتي عليه. أصبح الوضع حرجا للحظة من الوقت وذلك عندما طلب مني أنْ آتي له بأطروحتي لكي نستطيع أنْ نبدأ بكتابتها على الكمبيوتر. لم أدر ماذا أفعل. تلعثمت دون أن أعرف ماذا أقول. ولكني ادعيت بعد ذلك أنني قمت بكتابة ملاحظات لا غير وأني أريد أنْ أبدأ بكتابة النص كاملا على جهاز الكمبيوتر مباشرة. ابتسم عثمان وكأنه ضبطني وأنا ارتكب مغالطة معه.كنت قد تعلمت في مختلف الدورات الدراسية كيفية استخدام الكمبيوتر وإنْ كان ذلك من ماركة أخرى. ولكن الشيء الحاسم في الأمر والذي لم يكن الكثيرون قادرين عليه هو أنني كنت أمتلك قابلية لقراءة المراجع الخاصة بذلك. وربما سهل علي كوني أجنبية فهم تعليمات الاستخدام المترجمة غالبا ترجمة جافة جدا. لذلك كان علي في عطلة نهاية الأسبوع تلك أنْ أظهر نفسي أغبى مما كنت عليه لكي أترك عثمان على اعتقاده بأنني أجلس أمام جهاز الكمبيوتر لأول مرة. مع ذلك فقد أعتبرني موهوبة، كما اعترف هو بذلك، ولم يبخل علي بالمديح أيضا. كان معتادا على قيلولة طويلة في عطلة نهاية الأسبوع. وعندما كان هو مستلقيا على الأريكة كنت أنا أقوم بسرعة بأعمال البيت لكي لا أضيع إلا أقل ما يمكن من الوقت. ففي الآخر كنت أنا التي أرادت الحصول على الكمبيوتر لكي أستطيع تنظيم وقتي بشكل أفضل. الشيء الوحيد الذي كان يتطلب مني حذرا كبيرا كانت التسجيلات والحسابات التي لها علاقة بحياتي الأخرى. كان علي أنْ أخفيها بشكل جيد في الجهاز حتى لا يكتشفها عثمان بالصدفة عندما يريد أنْ يتأكد من تقدمي في الكتابة. للتمويه كتبت أحد الأعمال المنشورة لأحد المربين الذين كنت أعرفهم ووضعت بشكل متعمد بعض الأخطاء فيها ثم تركتها دون تشفير بحيث لم يكن أمام عثمان إلا أنْ يعثر عليها عندما يفتح الجهاز. وكنت في الكلية أسأل كل مبرمج أعرفه عن الإمكانيات المضمونة لعملية التشفير التي يمكنني بواسطتها الاحتفاظ بسر ما أقوم به على أفضل ما يكون.

في تلك اللحظة يرن التلفون في الغرفة الجانبية. تنهض سميحة بعجلة ثم تغلق باب الغرفة الأخرى وراءها. تنحني آنا مرة أخرى على الخطوط التي لا تذكرها فقط بحلم، وإنما تريد فيما بعد أنْ تستفسر من سميحة باستفاضة عنها. من هي سميحة في الواقع؟ سؤال يدور في رأس آنا بغتة. تغيرت الصورة التي كونتها عنها عدة مرات منذ أنْ عرفتها . فما الذي سيتغير أيضا ولماذا عرضت سميحة عليها هذا الكتاب بالذات؟

عندما تعود سميحة مرة أخرى تكون مستعدة للخروج. "يؤسفني جدا يا آنا. أنا محرجة منك فعلا. ولكن علي أنْ اخرج مرة أخرى. لقد انتظرت النهار كله هذه المكالمة، حتى ظننت في النهاية أنها لن تأتي أبدا." تنهض آنا وتشير للكتاب. "هل تسمحين أنْ آخذه معي حتى الزيارة القادمة؟"

تضحك سميحة مبتهجة. "بالتأكيد. بالمناسبة لقد تحسن وجهك كثيرا، وإنْ كان لا يزال يبدو وكأن أحدا قد كتب عليه شيئا ما. اختفت الندبة تقريبا. بقي ظل قاتم اللون فقط ليحكي قصة ما جرى. هل عرفت" – ترفع سميحة الكتاب من على الطاولة وتقدمه لآنا – "إن أغلب هذه الصور عملها دراويش؟ دراويش البكتاشية. وهؤلاء ينتمون إلى عالم العلويين أيضا، ويمكن القول بأنهم الفرع الروحي لهم."

"والأيفيردي؟" لا تزال آنا تأمل بالحصول على إشارة ما.

"اعطني قليلا من الوقت." تفحص سميحة حقيبة يدها، "إذ ربما سأكون عندها قادرة على أنْ أقول لك شيئا أكثر."

لم يستغرق الأمر أكثر من نصف يوم حتى أصبح نظام العمل الجديد أمرا مفروغا منه. وفيما عدا فيردي الذي لا تزال آراؤه عن العمل تعود إلى عهد آخر فإن أحدا غيره لم يعترض عليه. وقد اتفق على أنْ يجري العمل حسب حجم المهمات المكلف بها وأن يتم تقسيمه من قبل العاملين أنفسهم، وفي حالة الضرورة في نهاية الأسبوع أيضا. شيء لا يصيب آنا بالفزع، بل العكس، فهي ليست موظفة حكومية، لحسن الحظ.

وحتى هاوجسدورف لا يستطيع أنْ يبدي اعتراضا عندما يتعلق الأمر

بظروف العمل التقنية. ليست أوقات العمل فقط هي التي أصبحت انسيابية وإنما تواجدها الشخصي أيضا. فالآن لم يعد ممكنا لجيجي وبوني أن تتدخلا بشكل أوتوماتيكي بعطلات نهاية أسبوعها. تكاد آنا تشعر مع نفسها بالظفر على بوني التي تكلمت آنا معها طويلا بالتلفون، في الواقع بوني هي التي اتصلت بها. كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة مساء حينما استطاعت الاتصال بها في البيت أخيرا، كما أكدت بوني ذلك بلهجة لائمة. ولكن ما كان ينتظر بينهما من كلام عقيم غير اتجاهه عندما أخبرتها آنا أنها ستعمل بين حين وآخر في نهايات الأسبوع أيضا. آنا تبالغ بالطبع، فلم يجر الحديث حتى الآن عن نهايات الأسبوع، إلا أنها تود أنْ تبدأ فورا بالاستفادة من التنظيم الجديد لأوقات الدوام.

أثبتت بوني على كل المستويات أنها تلك الدجاجة النقاقة وبدأت بعد أنْ استعادت هدوءها من وقع المفاجأة بالنقيق بأن مثل هذا القرار لا يمكن اتخاذه بهذا الشكل الديكتاتوري إلا مع مجموعة من العزاب الذين ليس لديهم أية ارتباطات عائلية. وأنه لو كان بينهم فقط أب واحد أو أم واحدة ممن يأخذون واجباتهم العائلية مأخذ الجد لكان قد حصل، كما هي متأكدة من ذلك تمام التأكد، سجالا أثناء التصويت على هذا القرار. ولكن بوني تستطيع أن تثور كما تشاء، فالأمر لا يخصها مطلقا.

"مقابل ذلك سيكون بإمكاني في الأيام المقبلة أنْ أذهب معك قبل الظهر عندما تكونين في المدينة لشرب القهوة في مكان ما."

هذه هي الساعات المقدسة بالنسبة لبوني. الأطفال في الروضة، عدا تونيو الذي يكون في هذا الوقت نائما وهو جالس في عربته برأس متأرجح يتوجب تثبيته بين حين وآخر. في هذه الأوقات تأتي بوني للجلوس إلى إحدى الموائد الموضوعة في الهواء الطلق أمام المقاهي في مركز المدينة في غرابن، تكشف رقبتها لأشعة الشمس وهي تراقب المارة وما يلبسون. تقوم بهذا مرة واحدة في الأسبوع على الأقل، عندما يكون الطقس حسنا بالطبع.

"وما هو رأيك بهذا."

تتنفس بوني بعمق. "الأمر لا يتعلق بي. أمر أعتقد أنك تدركينه جيدا. الأمر

يتعلق بعطلك الأسبوعية أنت. بالمناسبة ما هو رأي هاوجسدورف بهذا؟"

هاوجسدورف لا يعرف بعد شيئا عن النظام الجديد. لم يكن يخطر ببالها قبل الآن بأن عمل موظفي الحكومة يمكن أنْ يكون قاسيا بهذا الشكل. ولكن محاولة الاعتداء على الوزير وكذلك الرسالة الملغومة التي أرسلت لابنته جعلت الجهاز كله كما يبدو يقع تحت ضغط كبير. وربما يتفاوض هاوجسدورف في هذه الأثناء مع مؤسسة أخرى اكثر سرية وأكثر كفاءة ولا يملك معها علاقة شخصية مثل هذه لكي تقوم بمعالجة المعلومات عن المحيط الداخلي بطريقة شديدة الحسم كما يعملان هي ويوسف في باسيبوس. وقد قامت هي بإبداء ملاحظة عابرة بهذا المعنى ليوسف، ولكنه اكتفى بهز رأسه بعدم رضا.

"صدقيني، يا عزيزتي، إننا مرتبطون شبكيا ببعضنا منذ وقت طويل. المهم أن يكون الإنسان قادرا على رؤية ذلك."

"هل قلت ذلك لهاوجسدورف أيضا؟"

يرفع يوسف نظارته المظللة لحظة وكأنه لا يستطيع أنْ يتصور أنْ تخطر مثل هذه الفكرة على بالها هي بالذات.

"أن أقول أنا له؟ أنا مبدئيا لا أتكلم إلا عندما يوجه سؤال إلي."

عسى ألا يريد يوسف التباهي بنفسه فجأة؟

"ومن أين لك مرة واحدة هذا القدر الهائل من التواضع؟" تجد آنا نفسها مدفوعة إلى التعليق بشيء ما على هذا التوجه الجديد.

"لأنني واثق أن المرء سيقوم بتحليل ما أقوله بشكل خاطئ، هل نسيت من أين أنا؟"

تستاء بوني كما هو الحال دائما عندما تقول لها آنا إن هاوجسدورف لا يعرف شيئا عن الموضوع بعد، لأنه مشغول ليلا ونهارا بتبعات عملية الإعتداء. هذا شيء ينبغي لبوني أن تتفهمه ولو قليلا.

"وهل توجد مستمسكات؟ أقصد أن الأمر يجري منذ سنوات بهذه الطريقة ومع ذلك لم يكشف حتى الآن شيئا عن السلسلتين الأوليين من الرسائل الملغومة." تتكلم بوني بلهجة وكأن وزير الداخلية مسؤول عن تقديم الحساب لها

شخصيا.

"مجموعة كاملة من المستمسكات"، تقول أنا وهي تتنهد نفس تنهيدة هاوچسدورف. "أدلة أكثر بكثير مما يمكن للمرء النظر فيه. الفاعل فقط هو الذي لم يعثر عليه بعد."

"شيء غريب"، تقول بوني وهي تتثاءب، "مع أنه يوجد تحت تصرفهم عدد كبير من المختصين، أم أنني مخطئة؟"

"ربما يجب أنْ يتولى شخص مثلك هذا الأمر لكي يحقق النجاح المطلوب." تعرف أنا أن بوني ستضع سماعة التلفون قريبا فتصبح لهجتها أكثر استرخاء.

"اسخري فقط كما يحلو لك." يبدو على بوني الإرهاق فعلا. أمر ليس بالغريب في هذه الساعة من الليل بينما يجب أن يتلقى أصغر الأطفال وجبته التالية بين الخامسة والسادسة صباحا. وفعلا لا يمضي وقت طويل حتى تنسحب مستسلمة وتقول بدون إضافة أية كلمة أخرى "تصبحين على خير."

تغير شيء ما في أوقات العمل فعلا . لم تبلغ الساعة الرابعة بعد وأنا تضع حزام حقيبة يدها على كتفها متوجهة إلى سوق الأطعمة. لحظة من العزيمة النادرة تتملكها وتدفعها لأن تضع نهاية للأمر. ستسأل أحد الأخوين عن حكمت وكأن هذا أكثر الأمور في العالم طبيعية. وستحملهما تحياتها أيضا إلى فريدة خاتون.

ستسأل: "أين هو حكمت الآن؟" ببساطة وبكل ما تقدر عليه من هدوء. "فقد وعدني أنْ نذهب مرة معا إلى السينما." أو شيئا من هذا القبيل. ثم ستقوم بالاستفسار عن كمبيوتر متين وربما ستتطرق بالذكر إلى أليف. وستحصل بالتأكيد على جواب ما. وسترى ملامح حكمت في وجه عبدال، مع شيء بسيط من الاختلاف، ولكن بشبه واضح جدا.

ريح دافئة تهب عبر الشوارع ثم ترتفع إلى السماء وتدفع بالغيوم باتجاه بعضها. في الأفق تظهر بوادر أول عاصفة رعدية هذا العام. ولكن المطر لم يسقط بعد والغبار الذي يرفعه الهواء إلى فوق لا يزال جافاء حتى أنه ينهمر ساقطا مثل دقيق ناعم على كل ما هو موجود على الأرض.

قررت أنا اختيار الحل الأكثر تعقيدا. والآن عليها أنْ تضع نهاية لكل التفسيرات والتصورات الغريبة العجيبة. لماذا لا تحاول أنْ تواجه الواقع كما هو وأنْ تعترف بأن حكمت لم يعد يحمل أي اهتمام بها؟ أخطاء من هذا النوع ممكنة الحدوث، شيء ليس خافيا عليها. والآن تريد أنْ تعرف حقيقة الأمر بالضبط. تتحرك مارة بمدمني المخدرات المتجمعين خلف الجامعة التكنولوجية، تنتظر بلهفة أن تصبح إشارة المرور خضراء وتسرع في خطواتها وهي تمشي بعكس الريح التي تكشف عن ساقيها.

لماذا لم تقم بهذه الخطوة منذ مدة طويلة؟ فجأة تشعر وكأنها هي نفسها مسؤولة عن كل تلك الملابسات وكل تلك الغموض. فحينما يملأ الإنسان رأسه بالضباب يعجز عن رؤية الشمس. ربما لم يقع حكمت في حبها هي وإنما في الصورة التي كونها عنها. وعندما بدأت هذه الصورة تذوب أكثر وأكثر فيها هي كشخص حقيقي حاول بعد أن اكتشف الخطأ الذي وقع فيه أنْ ينأى بنفسه دون أنْ يترك ما يدل عليه. وربما يشعر أيضا بالخجل من وقوعه بمثل هذا الخطأ. كلما تزداد أنا اقترابا من كشك الخضر والفواكه لعائلة الأيفيردي كلما تزداد ثقة بصحة ما تفكر به. بهذا يكون من المفروض عليها الآن أنْ تعود من حيث أتت. ولكن بشيء من تعذيب الذات للوصول إلى الهدف تبقى مصرة على ما هي عازمة عليه. تتخيل بعينها الداخلية ملامح الحرج على وجه كلا الأخوين الأكبر منه وهما يحاولان أيجاد أعذار مسهبة عن السبب الذي يجعل أخاهما الأصغر يبدو وكأن الأرض انشقت وابتلعته. مثلا أنْ يقولا أنه قد سافر في "مهمة" أو أنه اضطر للذهاب مع فريدة خاتون للعلاج في إحدى المصحات. من المؤكد أنهما سيجدان ما يقدمانه كإيضاح. وستكون هي قادرة على أن تقرأ في وجوههما أن حكمت صارحهما بشيء ما. الخطأ هو شيء في الطبيعة البشرية، وهذه حقيقة تستطيع توضيح كل الأمور. يا إلهي من تكون هي؟ المدينة مملوءة بالفتيات مقبولات الشكل. ولعل هاوجسدورف لا يزال راغبا فيها بسبب القصص التي ترويها له. ومن الممكن أيضا لشبابها.

هاوجسدورف قد تجاوز الخمسين من عمره فمن الطبيعي أنْ يعجبه جسد

له أقل من نصف عمره هو. ولكن حكمت؟

حركة الريح تزداد عنفا. فجأة تطير ناحيتها باقة ريحان ارتفعت في الهواء بوعائها البلاستيكي. يهجم الباعة على طاولات البيع، يرفعون من فوقها البضاعة، يمسكونها بقوة وينقلونها إلى مكان آمن. لا أحد يهتم بالنظر إليها. عندما تصل آنا إلى كشك الآيفيردي ترى الكل مشغولين أيضا برفع البضاعة عدا عبدال الذي يتابع عصف الريح بنظرة غائبة وكأنه يتعرف فيها على حدث خاص، يقدم له، وله وحده عرضا صاخبا. الآخرون مشغولون جميعا بعمل ما، ولكن لم يكن بينهم أي متين أو أي عصمت. لم يكن حتى أورهان بينهم. ماذا يعني هذا الآن؟ رجلان لا تعرفهما آنا يجمعان الخس وأنواع الفواكه المختلفة. ولو لم يكن عبدال واقفا هنا وقد نسي نفسه، لكانت قد فكرت بأن الآيفيردي كلهم لم يكن لهم يوما وجود. "حكمت!" ينادي أحد الرجلين اللذين لا تعرفهما، وآنا تكتم أنفاسهما. الآن سيحدث الأمر، الآن سيتضح كل شيء. ولكن لا شيء يحدث عدا أن الرجل يدفع عبدال ثم يقول مرة أخرى "حكمت" وبعدها "عبدال" ثم يقول له شيئا باللغة التركية، ربما أن عليه ألا يقف هنا كالغبي وأنْ يساعده في العمل.

ببطء يخرج عبدال من غيبوبته، وعندما يحاول أنْ ينقذ ما لم يُنقذ بعد تسقط نظرته على آنا. وجهه يبتسم ثم يتقدم ناحيتها وهو يحتضن باقات من الفجل، البروكولي وهليون أخضر من أول الموسم، وكأنه قديس غريب لا يسعى البشر والحيوانات فقط للاقتراب منه وإنما النباتات أيضا.

"كنت أعرف بأن الريح ستأتيني بأحد ما."

الرجل الآخر يمسك به من ذراعه مشيرا إلى المخزن الصغير خلف الكشك. يصبح عبدال مضطربا ويبدو عليه وكأنه سيفقد توازنه دون أنْ يعرف كيف يفعل شيئين في آن واحد، ولكن آنا تشير له أيضا أن عليه أنْ يحمل الخضر إلى الداخل، الشيء الذي يقوم به على الفور وهو سعيد بالحل المقترح.

المطر معلق في الهواء ويوشك على السقوط إلى الأرض في أية لحظة. ولكن بدلا من أنْ تبحث عن مكان تحتمي فيه تبقى آنا واقفة وكأنها مسمرة في مكانها وسط

الناس الذين يتحركون هاربين من المطر. الرجال يضعون حقائبهم على رؤوسهم في حين تفتح النساء مظلاتهن المطرية التي تجمع وتطبق على بعضها أو يبحثن في داخل أكياس مشترياتهن عن غطاء للرأس. عندما تسقط أول قطرات المطر وهي تفرقع على الإسفلت تشعر آنا بشيء من الارتياح. يمكنها أنْ تترك نفسها تبتل، فمرة أخرى لم تجر الأمور كما توقعت، فما هو السبب في ذلك؟

فجأة يقف عبدال إلى جانبها ويأخذها من ذراعها، "تعالي للداخل وإلا فانك ستبتلين تماما." تهز آنا رأسها ولكن عبدال يسحبها معه ثم يدفعها إلى الحجرة الجافة والتي كانت مرة مع حكمت فيها.

"هذان أخواي نصرت وسنان" يقول عبدال. يصافحها كلا الرجلين بود.

"حكمت" يقول أحدهما الذي قُدم لها على أنه سنان، "يعرف فعلا أجمل الناس."

أما الآخر، نصرت، فيقول: "وأنا أسأل نفسي دائما كيف يمكنه ذلك." ثم يوجه لكمة خفيفة لعبدال في خاصرته. في هذه المرة يوجد شاي في السماور، يسرع نصرت بتقديم كأس لها منه. "لكي لا تصابي بالبرد. شعرك مبتل تماما."

تشرب آنا شايها بهدوء، في حين يهطل المطر إلى الأرض في خيوط سميكة سرعان ما تتحول إلى فقاعات كبيرة تختفي ذائبة فورا في المياه المتجمعة في برك صغيرة.

تدرك آنا أن لا فائدة من السؤال عن حكمت، حكمت الذي عرفته هي. وإذا كان قد وجد فعلا فقد ضاع أثره تماما، فلم يعد الأمر يتوقف عليها أن تعثر عليه من جديد.

يصب عبدال لآنا فنجانا آخر من الشاي. يسأل الاخوان عن هذا وذاك من الأشياء، وهي تتكلم عن عملها، طبعا ليس عن باسيليوس، والدردشة تشبه بشكل مدهش الحديث السابق مع متين وعصمت. ثم يتوقف المطر بشكل سريع مثلما انهمر بشكل سريع. "مزنة عابرة." تبتسم آنا بشيء من التهيب، تمد يدها إلى شعرها الذي يلتف على أصابعها كما هو الحال دائما حينما يبتل، وتطلب قبل أنْ تذهب أنْ يوضع لها في كيس بضعة حبات من الكرز والتي لم يرد أي من

الاخوة أنْ يأخذ ثمنها.

"حتى تتذكرينا"، يقول نصرت، الذي يبدو الأكبر فيهم سنا، وهو ينحني لها.

"زورينا مرة أخرى"، يضيف سنان قائلا، "حتى لو لم تمطر."

يتجنب عبدال نظرتها. الشيء الوحيد الذي لا يجعلها تشك شكا كاملا بذكرياتها. وعندما تذهب أخيرا يرافقها لمسافة قصيرة. قربه منها يشعرها، مثل كل مرة، بالارتياح الجسدي، وكأنما يخرج من بشرته نفس منعش. يبقيان واقفين في نهاية السوق. "في قلب كل إنسان يرقد أسد"، يقول عبدال وهو يغير وقفته من ساق لآخر، "وقد سمعت زئير ذلك الذي في قلبك."

تحاول آنا حبس دموعها. "لماذا لا تجعله يصمت؟" يضع عبدال إصبعه على فمه ثم يستدير وهو يخوض في برك الأمطار حتى يبدأ الماء بالتدفق من نعليه.

"هل رأيت مرة من المرات النص الأصلي لقرار بمنع الإقامة في البلاد؟" يستطيع يوسف استعمال كلتا يديه من جديد، بالرغم من أن اليد التي أصيبت لا تزال تحمل آثارا ملونة خفيفة، كما هو الحال مع عين آنا. فوق طاولة يوسف كدس من نسخ لقرارات إدارية، تسحب آنا أول واحد تقع يدها عليه.

منع الإقامة: طبقا للمادة (١٨) الفقرة (١) بالاستناد إلى الفقرة رقم (٢) نقطة رقم (٧) من قانون الأجانب رقم ١٩٩٢/٨٣٨ صدر بحقك طبقا للمادة ٢١، فقرة ١ من قانون الأجانب قرار بمنع الإقامة في البلاد لمدة خمس سنوات.

حيثيات القرار: نظرا لكونك لا تستطيع أنْ تثبت إمتلاكك لمصدر مالي تؤمن منه معيشتك فقد رأت السلطات المختصة في ذلك سببا لإصدار قرار بمنع اقامتك في البلاد وذلك حماية للرفاه الاقتصادي في جمهورية النمسا وكذلك لمنع وقوع أعمال يعاقب عليها القانون. وقد رؤي بأن الصالح العام، كذلك النتائج السلبية لعدم إصدار قرار بمنع الإقامة تملك اهمية اكبر من النتائج المحتملة لتأثير منع الاقامة على وضعك الحياتي. وطبقا للحكم تم إصدار القرار. التعويض عن النفقات هي الزامية في القانون المشار إليه.

تحتاج آنا لقراءة النص عدة مرات لكي تتمكن من فهم ما يراد التعبير عنه بهذه الكلمات الضخمة.

"وهذا هنا." يمد يوسف يده لها بورقة أخرى، "وهو رفض لاستئناف أحد الأفغانيين الذي كان يعمل للشيوعيين ثم صدر أمر بملاحقته بعد أنْ هرب من سجن المجاهدين."

تقرأ أنا بصوت عالٍ لكي توفر على نفسها إعادة القراءة مرة بعد أخرى.

استئنافكم ضد قرار دائرة اللجوء الاتحادية طبقا للمادة ٦٦، الفقرة ٤ من قانون القضايا الإدارية العام رقم ١٩٩١/٥١ الحيثيات: لقد تأكد للسلطة المعنية صحة وجهة نظرها بأنكم بالرغم من الادعاء "بتعرضكم إلى الخطر" بقيتم منذ عام ١٩٩٢ وحتى عام ١٩٩٥ متواجدين في البلد الذي تزعمون أنكم كنتم معرضين فيه للملاحقة دون أنْ تتعرضوا فعلا إلى أي نوع من أنواع الملاحقة يستوجب منحكم حق اللجوء، سواء كانت هذه الملاحقة من قبل الدولة أو من قبل المجاهدين. ولا تبدو المعلومات التي أدليتم بها بأنكم كنتم مختفين طيلة السنوات الأربع هذه مقنعة أبدا ويمكن على أساس الفترة المذكورة الاستنتاج بأنه كان ممكنا لكم أنْ تعيشوا في البلاد بأمان. فلو كنتم معرضين فعلا إلى خطر يجعل حياتكم في افغانستان غير ممكنة لكنتم قد فكرتم في مغادرتها في موعد سابق لهذا.

"أو هذا هنا." يسحب يوسف ورقة أخرى من الكدس. "من قرار رفض دائرة اللجوء الاتحادية امرأة من افغانستان." يقرأ يوسف بنفسه:

بالنسبة للأقوال التي أدليتم بها وادعيتم فيها بأن والدتكم قد توفيت في بداية عام١٩٩٣ بسبب التعذيب من قبل المجاهدين وأن ابنتكم التي كان عمرها آنذاك خمس سنوات قد اختطفت ثم قتلت فإننا نريد أنْ نبدي الملاحظة بأن هذه الأحداث المؤلمة حدثت لوالدتكم أولا ولابنتكم ثانيا. وكونكم أنتم قد تأثرتم بهذه الأحداث وما زلتم متأثرين بها شخصيا فهو شيء تقدره السلطة المختصة تقديرا كبيرا. ولكن هذه الأحداث تعود لبداية عام ١٩٩٣ ويتم تقييمها من قبل السلطة المذكورة طبقا لذلك. وعدا العامل الزمني فانه لا يمكن اعتبار الظروف الموجبة سببا لمنح اللجوء إلا عندما تمس إجراءات إحدى الدول مقدم طلب اللجوء نفسه وليس واحدا من أقربائه.

"من أين لك هذا كله؟" تقلب أنا الرسائل ذات الأسلوب الملغز المتراكمة على

بعضها، "السلطة الحكومية المعنية تستخدم بشكل شديد أسلوب التغريب في اللغة."

يضع يوسف الأوراق مرة أخرى فوق بعضها "كما تعرفين يستخدم مفكرو سلطات اللجوء أحيانا المعلومات المعدة بشكل عملي في باسيديوس وهنا أردت أنْ أرى مرة ماذا تعمل الدوائر المختصة بهذه المعلومات."

"لا تقل أنك اصبحت تخالط هؤلاء الناس." أصبحت آنا تشك بكل شيء.

"حد الله بيني وبينهم." يمسح يوسف أظافره بالمحاة الموجودة في نهاية قلم الرصاص. "لقد كنت أتجنب دائما أي اتصال بهم. ومع أنني أصبحت أحمل الآن جواز سفر نمسوي، إلا انني لازلت أعبر إلى الجهة الأخرى من الشارع، إذا كان هذا ممكنا، عندما أصادف فيه واحدا من شرطة الأجانب أو من دائرة اللجوء."

"من أين حصلت إذن على هذا كله؟"

"لقد قمت بزيارة الأصدقاء في منظمة العفو."

"هكذا ببساطة؟"

"هكذا ببساطة، ولأن علي أنْ أجد شيئا لشي تشين."

"لماذا لشي تشين؟ لقد كنت أعتقد بأنه طالب."

"كان كذلك أيضا، ولكن رخصة إقامته ستنتهي قريبا، وأنا لا أستطيع أنْ أتزوجه وهو ليس لديه أي عمل، عدا أنه يطبخ لي." يحاول يوسف أنْ يبتسم دون أنْ تكون ابتسامته مقنعة.

"ألا يمكنه أنْ يقوم بذلك لأشخاص آخرين أيضا؟ على الأقل لفترة مؤقتة؟ كل الصينيين الذين أعرفهم يعملون في مطعم ما."

"لقد فكرت بهذا الأمر أيضا، ولكن الصينيين غير الموالين للنظام غير محبوبين في الجالية. والجالية تملك علاقات جيدة مع الوطن ولا تريد أنْ تعكرها بسبب هؤلاء. والأخبار تنتشر بسرعة كبيرة بين الصينيين، لذلك ليس هناك من يريد أنْ يسمح لشي تشين بأن يعمل طباخا في مطعمه."

"وإلى أي حد هو غير موال للنظام؟"

"هل ترين، هذا نفسه ما سيسأله أولئك الأشخاص في دائرة اللجوء فوراً. ما قام به هو أنه نشر بعض القصائد. يسجن المرء في وطنه من أجلها بشكل شبه مؤكد. ولكن حاولي أنْ تثبتي ذلك، ما دام المرء لم يسجنه لهذا السبب."

"إذا كان ما تريته هنا هو السائد، فهو لا يملك فعلا أية فرصة."

يحك يوسف بشدة على ظهر يده المزرق. "هذا هو السائد الآن. لذلك يجب علي أنْ أفكر بشي ما. فالآن حيث تعلم شي تشين الغناء قد يشغله أحد ما في المسرح."

"وهل مسموح له بالعمل؟ هل سيحصل إذا قدم طلبا بذلك على رخصة عمل أصلا؟ فقد قرأت قبل فترة قصيرة في مكان ما أن بين ٨٠٠ ألف أجنبي يعيشون في البلاد ٢٠٠ ألف فقط من الذين يعملون بانتظام. الشيء الذي يعني في أغلب الأحيان: المسموح لهم أن يحصلوا على عمل."

يرفع يوسف حاجبيه فوق حافة نظارته التي لا إطار لها.

"هذا هو الوضع يا عزيزتي، وحتى أنت أصبحت تدركين ذلك."

يحمر وجه أنا. هل كانت تعيش في شرنقة، أم أن الأمر لم يكن يعنيها في شيء؟ ولكن من يهتم فعلا بما لا يعنيه بشكل مباشر؟ "وكيف كان الأمر بالنسبة لك؟ ألم تأت أنت كلاجئ أيضا؟" لقد سبق لها بالطبع أنْ تحدثت مع يوسف حول تلك الأيام، وإن لم تفعل باستفاضة أبدا. ولماذا أيضا؟ لقد خلف يوسف كل ذلك وراءه منذ زمن، وهما يعملان سوية.

"لقد كنت لاجئا معترفا به، وذلك في العصر الذهبي للجوء السياسي. فعدا أن المرء كان في ذلك الوقت مستعدا لتقديم المساعدة، فقد كان في هذا البلد إضافة إلى ذلك تصور بإمكانية الاستفادة من القابليات الفكرية للأجانب. ولهذا السبب كان يجري بعد مضي فترة معينة من تواجدهم توطينهم هنا دون تذمر. وقد خلق هذا عند الكثيرين شيئا من الولاء، والذي كان في حالتي أنا شخصيا يدهشني أحيانا. فكما تعرفين ليس ثمة ما يدهشني إلا بالكاد. ولكن الأوضاع تغيرت في هذه الأثناء والظروف أيضا، ليس في هذه البلاد فقط وإنما في كافة أنحاء أوربا. شيء على المرء أنْ يتكيف معه، بأنْ يكون حاذقا، واسع الصدر وكتوما."

"وماذا تفهم أنت من هذا كله؟" لا تسأل أنا هذا السؤال لأنها تنتظر جوابا شاملا، جوابا مفكرا به بشكل عميق، وإنما لأنها تريد أنْ تعرف ما إذا كان ليوسف تصورات خلف أقوال من هذا النوع.

"حلول عبقرية، عزيزتي. سلسلة من الحلول العبقرية. فقدرة المخ البشري على الاختراع ليس لها حدود، خصوصا عندما يتعلق الأمر بأن ينقذ المرء جلده. فلماذا تعتقدين أن بعض الشعوب أو المجموعات استطاع المحافظة على نفسه؟ لأنه لم يستخدم لذلك أصلابه فقط وإنما رأسه أيضا. خذي هؤلاء العلويين من إقليم الأناضول مثلا. تمثل فنهم في المحافظة على أنفسهم في أنهم كانوا يختفون في اللحظة الحاسمة عن أنظار الآخرين. برعوا في الوقت نفسه في تطوير هياكل للتكاتف والترابط مع بعضهم، وهي حسب رأيي فريدة من نوعها. مثلا ذلك الشيء الشبيه برابطة القرابة الاختيارية والذي يمكن لزوجين أن يدخلا فيه مع زوجين آخرين ويكون أكثر قوة من رباط الأخوة الطبيعية في هذه الحالة يقوم رجلان وامرأتان بالقسم على التعهد بأن يقدموا لبعضهم كل مساعدة يمكن أنْ يقدمها إنسان لآخر. (عندما تصبح أربعة قلوب قلبا واحدا يمكن سحب جبل من فوق جبل آخر)، وهو ما يعني أنه مع هذا الرباط لا تعود هناك أية عقبات تواجه الداخلين فيه. في الماضي كان العلويون يتحولون في أوقات الشدة وعندما لا يعود أمامهم ما يخسرونه إلى مقاتلين أشداء. ولكنهم كانوا أيضا في الأوقات التي لا يستطيعون فيها الحصول على حقوقهم الاجتماعية حتى عبر الكفاح، ماهرين في البحث عن السلامة بالانزواء بأنفسهم، ولكن مع بقائهم في الوقت نفسه أوفياء لطقوسهم التي كانت تجلب لهم من الأغلبية السنية الاحتقار والملاحقة. أما الآن فلا يدهشني أن هؤلاء العلويين أصبحوا يظهرون أنفسهم علنا في هذا الوقت بالذات. فهم متهيئون للقرن القادم بشكل أفضل بكثير من أولئك الذين كانوا دائما يسخرون منهم. فهم يمتلكون فضيلة الحركة في التفكير وفي الفعل. وهم يملكون أيضا ذاكرة بعيدة المدى تجعلهم يتصرفون بحذر وينظرون لأنفسهم نظرة انتقائية. فلا هو الله ولا هي الأمة التي تربطهم ببعضهم وإنما هي هذه الذاكرة التي تمتد بعيدا الى الوراء. تضامنهم هو تضامن إنساني

نشأ بفعل العدد الهائل من الهزائم التي منوا بها." يمسح يوسف جبهته بالمنديل وقد أوفى لدوره كأستاذ مرة أخرى حقه.

"وعائلة الآيفيردي؟" تسأل أنا بحضور بديهة فيجيب يوسف بحضور بديهة أيضا.

"سوف لن تستطيعي مباغتتي أبدا. ولكن ما أنْ أعرف ما الذي جرى لحكمتك هذا، أو أيا كان اسم هذا الولد حقيقة، حتى أقول لك ذلك، ولكن ليس قبل ذلك. فالظنون لا تؤدي إلى شيء والتكهنات لا تقود إلا إلى الاتجاه الخطأ، أما الإشاعات فتقود إلى تصرفات غير حكيمة. ومنذ أنْ عرفت بأنك تحاولين العثور عليه وحدك – هذا في حالة كونه موجود فعلا وأنك لم تحلمي به – حتى أصبحت شديد الحذر. فأنا أعرف شيئا اسمه المسؤولية وأعرف أيضا أنه يمكن لنساء شابات وقعن مثلك فجأة في فيض من المشاعر أنْ يخربن لأسباب لها علاقة برغباتهن أي تمويه بني بجهد كبير."

"يوسف، انس الموضوع." أدركت أنا اللوم الخفي في كلامه ولا تدري كيف تدافع عن نفسها.

"هذا هو الحال يا عزيزتي، والآن لا تقولي أية كلمة أخرى." قبل أنْ تنهمر الدموع من عيني أنا يضع يوسف مرة أخرى تقطيبة غروتشو على وجهه ويضرب على ظهرها: "أنت تعرفينني، إذن لا تجعلي من الأمر شيئا مهما."

"لا أزال غير قادرة على فهم ما تقصد. هل أنا في نهاية الأمر ذلك الشيطان الذي يدفع بالآخرين كلهم إلى المصائب؟"

"ربما نعم،" يقطب يوسف تقطيبة حادة مثل تلك التي يراها المرء في الأفلام الصامتة القديمة، "وربما لا. من يستطيع أنْ يعرف هذا بالضبط؟ كانت النساء سببا في كثير من الاضطرابات في العالم، وذلك منذ بداياته الأولى، ألم تسمعي بذلك؟"

تشعر أنا وكأنها تلقت ضربة من شخص ما. هذا أوضح تحذير وجهه يوسف إليها حتى الآن. ولكن السؤال يبقى: لماذا؟ يمكنه أيضا أنْ يتحدث معها بطريقة أخرى بدلا من أنْ يطلب منها دائما أنْ تثق به ثقة شخصية.

"أنت تعتبرني غبية، أليس كذلك." يبدو صوت أنا وكأنه أتٍ من صالة حفظ

الموتى.

"أنا، أيتها الشمس بين ذوي الشعور الحمراء. أنا لا اعتبرك غبية أبدا، بل العكس، الشيء الذي لا يجعل الأمور أفضل أبدا. والسبب هو أنك ما أنْ تبدئي بالتخبط في مداخلات لا تعرفينها بشكل جيد، حتى تخربي أكثر مما تستطيعين اكتشافه. هذا شيء منطقي، أليس كذلك؟ الهدوء هو فضيلة الدراويش، صدقيني، أنا مهتم بأشواقك كثيرا، إذن ابقي يدك بعيدة عني."

"لقد أردت أنْ تطلعني على شيء من حكمتك، ولكنك تبحث فيما يبدو عن أعذار فقط لكي تبعدني عن اكتشاف ما أريد اكتشافه."

"ليس عندما تصغين إلي فعلا. ما عليك أنْ تفكري فيه هو طريقة التعلم، وليس النتائج، فهذه تأتي كما يقال من نفسها، عندما يكون الإنسان قد وجد زاوية النظر الصحيحة. انتهى. والآن دعيني أعمل."

تغادر أنا مكتب يوسف وتمشي بخطوات مثقلة إلى مكتبها. تجد في بريدها الالكتروني رسالة من فرانتيشيك. "أنا أنت الذروة التي لا مثيل لها لأنوثة وسط وشرق أوربا. فرانكفورت مملة جدا، أنا أجرؤ على قول ذلك، على الأقل مملة حتى الآن. أما من ناحية العمل فأنا أعمل كثيرا، وإنْ لم أصل إلى ذروتي بعد. أمي تثير أعصابي إلى حد لا يمكن تحمله. إنها تعمل الآن ملقنة في إحدى المسرحيات الحديثة التي لا تفهمها وتريد دائما أنْ أوضحها لها. أنا الآن في قسم لا يعمل فيه إلا الرجال. أغلبهم إما مدمن على قضم الأظافر أو من الذين ينكشون أسنانهم دون انقطاع. كم مضى من الزمن الذي تجاوزت فيه هذا كله! ولكن إذا استمرت فرانكفورت في بقائها مملة كما هي، فربما عدت أنا أيضا لممارسة هذه الأشياء من جديد. على الأقل فيما يتعلق بقضم الأظافر. بكلمة واحدة أنا افتقدك. أنا أحلم بك ليلا ونهارا، بكما. وحتى الرئيسة حلمت بها في إحدى المرات أيضا، وإنْ كان ذلك حلما ليليا، شيء طبيعي. ربما يكمن السبب في أنني لم أجد حتى الآن الديسكو المناسب. أمي تريد أنْ تذهب معي إلى الديسكو . ليس لديها صديق حاليا، لذلك ترد على بالها أفكار غبية من هذا النوع. سأقول لجبرائيل أن يأتي بكم كلكم إلى هنا. وفي المقدمة أنت ويوسف العجوز. عندها نستطيع أنْ نذهب كلنا إلى السينما. هل شاهدتما (احدب نوتر دام)؟ جودا علي ببضع

كلمات، ولا تدعاني أجف فكريا، أتوسل إليكما، لا تمحواني. المخلص لكما فرانتيشيك."

"المسكين"، تقول آنا لتيريزا وهي تقرأ لها نداء استغاثة فرانتيشيك من مكانه القصي، "كان ينتظر من صعوده شيئا لم يجده في فرانكفورت فيما يبدو."

"قصص مراهقين"، تقول تيريزا منهية الموضوع، "إذ ما أنْ يتعود على العيش هناك، حتى يبدأ بسرد العجائب لنا عن فرانكفورت."

منذ أنْ اتفقوا على أوقات العمل الانسيابية، لم يعد إيفو وتيريزا يعملان في نفس الوقت. أي أن أوقات عملهما تتقاطع بضع ساعات فقط. "نظافة زوجية" تسمي تيريزا ذلك. "حتى لا نكون ملتصقين ببعضنا ليلا ونهارا. شيء مرهق." قبل ثلاثة أسابيع فقط ما كانت تيريزا لتتفوه بمثل هذه الكلمات.

"وماذا عن قصة الشقة؟ تسأل آنا تأدبا فقط. لم تعد تيريزا للكلام في الموضوع منذ عدة أيام. "سأذهب بعد انتهاء الدوام هنا لرؤيتها مرة أخرى. أنت تعرفين ما أعني. الشقة التي وجدتها في الصحيفة. هل ستأتين معي؟"

تريد آنا في الواقع أنْ تذهب مرة أخرى إلى المقهى القريب من بيتها رغم ثقتها بأن ذلك لن يؤدي إلى شيء. إذن، يمكنها في هذه الحال أنْ تذهب مع تيريزا.

"تعالي معي رجاء. أنت تملكين حسا جيدا حينما تكون هناك نواقص ما. أما أنا فلا طاقة لي بذلك."

"وإيفو؟"

"إيفو يقول بأن الأمر سيان بالنسبة له. إنها شقتي، إذن فالقرار يعود لي."

"ومتى؟ أقصد حتى متى ستبقين في العمل؟"

"لنقل ساعة أخرى."

تتوجه آنا لعملها. البيانات التي تعدها حاليا هي عن المهاجرين الصرب وتنظيماتهم. لم يصبح وعيها خلال هذه الأيام أكثر سعة فقط وإنما أكثر رهافة أيضا. شيء مثل الجغرافيا الداخلية نشأ في رأسها. وهي لا تملك ذاكرة جيدة للأرقام فقط وإنما للأماكن أيضا. شيء يشبه ذاكرة جغرافية مصورة. كلما

عملت في الجزء الخاص بمجموعة الصرب فترة أطول، كلما أصبحت التشكيلات بكل ما فيها من خطوط اتصال وزيادة أو نقصان في الكثافة أكثر وضوحا في ذهنها. وقد أصبحت تستطيع القول عندما تقرأ عنوانا لأحد الأشخاص فيما إذا كان هذا العنوان موجودا في واحدة من المناطق التي يتواجد فيها خليط من السكان أم تلك التي تحيط نفسها بشيء من العزلة. شيء يمكن التأكد منه بشكل أكثر عندما يكون الأمر متعلقا بالمحلات العامة، مثلا إذا كانت المجموعة التي تحصرها البيانات تتردد عليها بكثرة أم لا، أو إذا كان من الممكن تصنفيها باعتبارها محلات للاجتماعات أو كونها فقط مكانا للقاءات شخصية عابرة من أجل الحديث وتبادل الأفكار.

أما مقرات الجمعيات فهي مسجلة أصلا باعتبارها كذلك، مثلها مثل المحلات والمطاعم التي يملكها أشخاص من المهاجرين. إيفو أيضا مسجل في البرنامج، أي مسجل بشكل محدد في مجموعة الذين يملكون مؤهلات خاصة، أي المثقفين، الأكاديميين وخبراء الكمبيوتر. فعندما تنقلب الأمور من الممكن أن يصبح هؤلاء في بلدانهم محافظين، وزراء أو رؤساء. ولهذا السبب تتجه الأنظار إليهم بشكل خاص. تشعر أنا برغبة شديدة بعرض ما هو مسجل عنه على تيريزا. ولكن ذلك أمر غير مسموح به، وهي لا تريد المغامرة بذلك. ومن يدري إن كان ذلك سيفيد تيريزا بشيء. تيريزا تعمل مرة أخرى في استخلاص الغرامات. وإيفو نفسه؟ إما أن يكون قد أطلع على البيانات منذ مدة طويلة، والأمر خطير جدا إذا كان قد ترك آثارا تشي به، أو أن الأمر لا يهمه أصلا. ولكن ربما ستعمل تيريزا أيضا قريبا في باسيديوس. إذ ثمة مؤشرات كثيرة إلى أنه سيتم في المستقبل تكثيف شبكة المعلومات حول الفترة الحالية، لذلك يحتاج المرء، قال هاوجسدورف، إلى مزيد من العاملين . لم يتم تعويض فرانتيشيك حتى الآن، لكنها مسألة وقت وحسب. لا يوجد إلى جانب اسم إيفو من تعليق أكثر من الإشارة إلى مكان مولده، متى دخل البلد، مع من يسكن والعنوان. لا توجد إشارة حتى الآن إلى إدمانه على الكحول ولا إلى توجهاته السياسية أكثر من أنه هارب من العسكرية. على الأقل لا يوجد شيء يمكن أنْ تعتبره آنا إشارة إلى هذه التوجهات. ولكنها تستطيع أنْ

تتصور أن إشارات من هذا النوع سيتم تخزينها في القريب القادم في معاملات رخص الإقامة. بالمناسبة لم يعاود إيفو تناول الكحول حتى الآن. ولهذا السبب على الأقل تملك تيريزا حقا بالمطالبة ولو بجزء بسيط من تواجده المادي. فالفضل في ذلك يعود إلى صبرها وثباتها. يبقى السؤال ما إذا كان إيفو سيشكر لها ذلك أبدا؟ على كل حال تستطيع أنا أنْ تفعل شيئا لتيريزا، وهو أنْ تقوم حسب قانون التنسيق في رأسها بتمحيص النظر في الشقة التي تريد تيريزا الاطلاع عليها. فإذا كان يعيش في المنطقة الكثيرون من الصرب ستنصحها بالابتعاد عنها. فتيريزا تملك حقا بأن تتمتع بقدر أكبر من الهدوء.

لا تجلسان هذه المرة في المحل، وإنما تلحسان الآيس كريم من كأس البسكويت مباشرة. تتمشى أنا وتيريزا في الطرف الخارجي سوق الأطعمة. من هنا لا يمكن رؤية كشك الأيفيردي. ثم تمشيان في الجهة اليسرى من شارع فينا، أي في الاتجاه الذي يؤدي إلى خارج المدينة. تنعطفان صاعدتين أحد الشوارع باتجاه ماريا هلف وهما تبحثان في الشوارع الجانبية وأرقام البيوت.

"بارد"، تردد أنا ذلك عدة مرات ثم تقول بعد ذلك "دافئ" ثم "أكثر دفئا."

كانت أنا قد ألقت وهي في المكتب نظرة على خارطة المدينة وطبعت العنوان في ذهنها. "منطقة جيدة"، قالت لتيريزا مشجعة. حتى وإنْ كانت لا تبدو مرحبة كثيرا، ولكن لدى أنا مواصفات أخرى. إنها مهتمة من أجل تيريزا بمكان لا يتواجد فيه الصرب المهاجرون بكثافة عالية. وإذا اعتمدت على رأسها فإن الكثافة الخفيفة يمكن أنْ تنطبق على هذا المكان. وهي تستطيع بشكل دائم تقريبا الاعتماد على رأسها كمخزن جيد للمعلومات.

"دافئ، أكثر دفئا." تواصل أنا ممارسة اللعبة وتغلق عينيها معطية وجهها تعبير وسيط محضر الأرواح الذي يوشك فمه أنْ ينفث الجسد الشفاف للروح المستحضرة. تكادان تصلان المكان. أنا ليست بحاجة إلا أنْ تقول: "ساخن." ولكن ذكرى أخرى تعذبها الوقت كله. أليست العمارة التي زارت فيها فريدة خاتون برفقة حكمت قريبة من هنا؟ عندما جاءت في ذلك الحين مع الأخوة لم تنتبه لا إلى اسم الشارع ولا إلى رقم العمارة، شيء تشعر بسببه بالندم دائما. ولكنها

وهي تسير الآن مع تيريزا على امتداد الشارع بحثا عن عمارة معينة يراودها الشعور بأنه سبق لها وأنْ مرت من هنا من زمن ليس بالبعيد . نعم، نعم. عندما تنعطفان في الشارع المذكور يصبح كل شيء واضحا لها. العمارة التي تسكن فيها عائلة الآيفيردي هي التي على الزاوية من اليسار. أما العمارة التي تريدان رؤية إحدى الشقق فيها فهي الواقعة على الزاوية من اليمين. لا يمكن للعمارتين أنْ تكونا أكثر قربا من بعضهما.

"ساخن جدا."

تتصلب أنا من الداخل بشكل ملحوظ. تقفان أمام بوابة العمارة للتأكد مرة أخرى من الرقم الذي كان مكتوبا في الجريدة. ولكن لا تكفي مفاجأة من هذا النوع، كانت المفاجأة الثانية في طريقها إليهما، متجسدة هذه المرة في هاوجسدورف الذي كان يعبر الشارع في تلك اللحظة.

ستدعي تيريزا فيما بعد أن التحول بين الدهشة والارتياب والتعرف ببساطة على بعضهما في عيني مستشار الوزارة ولكن في عينيها هي وأنا أيضا، جعلها تشعر بمرح لم تشعر بمثله منذ زمن طويل، ولكن فقط حتى اللحظة التي تبين فيها أن أنا لن تصعد معها إلى الشقة كما اتفقتا، وإنما ستذهب مع هاوجسدورف. والأكثر فكاهة في الأمر أن هاوجسدورف تصرف فجأة وكأنه كان يتوقع قدوم أنا هنا ويريد لذلك التكلم معها فورا. لذلك لم يعد أمامها، هي تيريزا، إلا أنْ تذهب وحدها لمشاهدة الشقة. على كل حال، ليس دون جدوى، فقد ظهر أن الشقة كانت ضربة حظ.

"ماذا تفعل هنا؟" أنا وهاوجسدورف يسيران الآن جنبا إلى جنب باتجاه مركز المدينة.

"هذا ما أردت أنْ أسألك عنه أنا توا."

تتدفق أنا فورا بالكلام بأنها جاءت برفقة تيريزا لمشاهدة شقة في هذه المنطقة، الأمر الذي يتطابق مع الحقيقة ولكنه، ولهذا السبب، لا يبدو مقنعا كثيرا. شيء تستطيع أنا نفسها أنْ تسمع صداه يرن في أذنها . لذلك فإن الإصرار على سماع جواب من هاوجسدورف شيء لا بد منه. "وأنت، قل أخيرا."

يمسك هاوجسدورف بذراعها. مرة أخرى يعلن المطر المألوف في أول الصيف عن نفسه. "هيا أسرعي، دعينا نجلس في أي مكان قبل أنْ نبتل تماما." لم تجد آنا وقتا لإبداء أي اعتراض، إذ سرعان ما تسقط أول قطرة كبيرة من المطر منفجرة على جبينها، بالرغم من أن السماء لا تزال مغطاة ببقع زرقاء.

"لنجلس في أول محل يصادفنا." ينزلان فورا السلالم إلى ما يشبه البار مع موسيقى خافتة وديكور يوحي بغموض زائف. لا يوجد حتى الآن غيرهما من الزبائن في المحل. يجلسان إلى واحدة من الموائد الصغيرة في إحدى الزوايا، مائدة صغيرة لا تسمح لأحد بالجلوس إليهما حتى عند امتلاء المحل.

"كأس من البوربون رجاء مع صودا إضافية، وكمباري للسيدة." كامباري هو نوع من المشروبات الكحولية الذي تستطيع حتى آنا شربه، رغم أنها تحتاج إلى وقت طويل لذلك.

"والآن قل أخيرا ماذا كنت تريد في هذه المنطقة؟" تسند آنا رأسها إلى كفيها وتمعن النظر في هاوجسدورف من فوق قصبة المص.

"قمت بزيارة سيدة ما." يقول هاوجسدورف بلهجة متغنجة .

"حقا؟" يقترب صوت آنا من سمة صوت محقق محاكم التفتيش. كيف أصبح ذلك سهلا عليها منذ أن بدأت تشعر أنّها ضبطت هاوجسدورف يقوم بشيء لم يحدثها عنه بالتأكيد.

يأخذ هاوجسدورف جرعة من الشراب. "لقد قمت فعلا بزيارة امرأة. سيدة تركية كبيرة في السن، قتل زوجها بالرصاص قبل بضع سنوات . لم يكن ممكنا استنتاج الأسباب والظروف من ملفاتنا. وحتى لم يظهر لنا بشكل أكيد ما إذا كان الوضع يتعلق بحادث قتل حدث على أثر خلاف أو بجريمة قتل مع سبق الإصرار . لذلك قمت بزيارتها لكي أعرف شيئا عن الخلفيات، إذ أن هناك بعض الأمور المتداخلة مع بعضها."

"هل قمت باستجوابها، أم قمت بممارسة الضغوط عليها وربما بتهديدها بإصدار قرار بسحب إقامتها؟"

يبتسم هاوجسدورف مضطربا. "قولي، هل تعرفين القضية؟"

"أية قضية؟ أنا لا أعرف حتى عند من كنت أنت وما اسم هؤلاء الناس. قل لي إذن، هل قمت بتهديدها أم لا؟"

"أنا لست رجل شرطة. ولست بحاجة لأساليب من هذا النوع. هل تفهمين؟" يصبح هاوجسدورف دفعة واحدة المستشار الوزاري من جديد.

"إذن لماذا تذهب إليهم أصلا؟"

يغير هاوجسدورف تعبير وجهه ويرجع بظهره إلى الوراء. "أحتاج أحيانا خلف كل ما أملكه من معلومات رؤية الوجوه أيضا. أنا أنتمي إلى جيل آخر يا حبيبتي. الكمبيوترات تملؤني أحيانا بشيء من عدم الثقة. إنني لم أصنع لهذا النوع من التجريد المتواصل، وإنما أحتاج من حين لآخر إلى تصور الإنسان أيضا خلف كل ما هو مخزن عنه من معلومات. وفي الحالات التي لا يستطيع الموظفون في القسم الذي أعمل فيه الوصول عبر تحقيقاتهم إلى نتيجة واضحة أقوم أنا بعمل شيء أصبح اليوم يعد من تلك الأشياء التي عفا عليها الزمن، وهو أنْ أقوم بزيارة الناس بنفسي."

لا تستطيع آنا أنْ تصدق الأمر. هل يظهر هاوجسدورف وجهه الإنساني، أم أنها مجرد حيلة يريد أنْ يستدرجها بواسطتها إلى المصيدة؟ لابد أنه لاحظ أنها تعرف شيئا ما. هل يعرف هو أكثر من ذلك؟ تصغي إليه بشيء من التوتر وهو يتكلم بهذه الطريقة عن الجانب الوظيفي من حياته، الجانب الذي يرغب في أوقات غير هذه أن يبقى مفصولا فصلا دقيقا عن حياته الخاصة. ولكن ماذا يعني هذا التغير المفاجئ؟ أم أنها غفلت عن شيء ما فيه؟

"ماذا فعلت إذن لكي تعتصر منها ما تريد معرفته؟ هل تملقتها، أم أسبغت عليها كلاما معسولا، أم مدحت قهوتها؟"

"لا تكوني طفلة بهذا الشكل يا آنا. لقد تحدثنا مع بعضنا حديثا وديا وممتعا. لم أكن أعرف أن السيدات التركيات بهذا العمر يمكن أنْ يكن ظريفات إلى هذا الحد." لم يعد يخامر آنا أي شك في الشخص الذي قام هاوجسدورف بزيارته. لابد أنْ فريدة خاتون عرضت نفسها من أفضل جوانبها.

"إذن، لقد غازلتها، اعترف بذلك." تؤجل آنا طرح سؤالها إلى حين، السؤال الوحيد الذي يهمها فعلا. عليها ألا تتهور. فمع أن هاوجسدورف ليس يوسفا،

إلا أنه من الممكن أنْ يكون رد فعله أكثر تحفظا منه. عليها أنْ تتعلم ليس فقط التعرف على الفرصة عندما تأتي، وإنما أيضا كيف يمكنها الاستفادة منها.

"غازلتها؟ أنا أغازلك أنت وحدك فقط، إذا كنت لم تلاحظي ذلك بعد." يمسك هاوجسدورف بيدها بشكل مفاجئ فلا تجد سببا وجيها لسحبها منه. "بما تمتلكينه من ذكاء"، ما هذا. هل يلمح إلى شيء ما؟ هل يريد أنْ يقول إنه يعرف أنها تعرف عند من كان؟ "وشباب" يسحب يدها إلى شفتيه ويقبلها. "بك كما أنت."

ما الذي جرى لهاوجسدورف؟ هل وضعت له فريدة خاتون شيئا في القهوة؟ الآن ترتجف زوايا فمه أيضا. عليها أنْ تفعل شيئا قبل أنْ يسيطر التأثر عليها هي أيضا. تستطيع أنْ تتخيلهما بوضوح وهما جالسان معا. هاوجسدورف وفريدة خاتون التي دبت فيها روح الشباب من جديد، والتي قد لا تكبره كثيرا. يزداد المحل امتلاء بشكل ملحوظ بأناس مبتلين يبحثون عن الحماية من المطر، يتركون الماء يقطر من الأغطية البلاستيكية ومن مظلاتهم المطرية. بعد فترة قصيرة يصبح المحل شبيها بعتمة مدارية تتصاعد منها رطوبة خانقة مع لغط مرتفع وموسيقى هادئة قادمة من مكان خفي.

"إنه أمر واضح بالنسبة لي"، يقول هاوجسدورف مواصلا حديثه بتلك اللهجة الإنسانية الجديدة عليه، "أنني لا أستطيع أنْ أحتفظ بك إلى الأبد، إلا أنني أتمنى مع ذلك أن تفكري بي في المستقبل أيضا."

لن يساعد الآن على إعادة التوازن القديم بينهما إلا حكاية تحكيها له، هنا وأمام كل هؤلاء الناس في هذه الحانة المتواضعة المزدحمة بالزبائن والضجيج. فربما سيشعر هاوجسدورف بأنه حصل على مكافأة منها. وهو في كل الأحوال شيء جديد لم يمارساه من قبل. الجملة الأولى تجعل هاوجسدورف يتصلب. نظرته تضيق معبرة عن الاحتراس وهو يتراجع إلى الوراء قليلا وكأنه غير متأكد من صحة ما سمع.

"أنا"، تفلت منه العبارة، "ولكن ليس هنا!" ومع ذلك تصبح كل حواسه متهيئة لاستقبال ما سيأتي. لا أحد غيره يستطيع أنْ يسمع ما تقوله أنا له. و ليس هناك

من يهتم أيضا بما تقوله أقل اهتمام. تبدأ آنا من الدرجة السفلى، بشكل خفيف وبشيء من الاستفاضة ولكن دون أنْ تجعل فضول هاوجسدورف يفقد شيئا من قوته. إنه يعرف أن أول كلمة مثيرة ستأتي بشكل غير متوقع تماما، مثل الضربة التي يضربها أستاذ التمارين الذهنية الصينية لكي يجعل الانتباه يتركز عليه. كلمات الإغراء الأولى هذه ستتغلغل إلى جسده كله وتجعله حساسا، حساسا لاستقبال المزيد من الإثارة.

تتكلم آنا بصوت خفيض، ليس إلى حد كبير، وإنما بدرجة من الانخفاض تجعل هاوجسدورف مضطرا للميل بحيث تستطيع هي أنْ تراقب وجهه كله وعن قرب. شيء جديد يخطر على بالها، الشيء الذي لم تتصور أنه يمكن أنْ يحدث. ليس تنويعا جديدا من تلك التنويعات التي لا نهاية لها لموضوع كان ناجحا في وقت من الأوقات، وإنما تشكيلة جديدة تماما من الأفكار تحوي على الكثير من المخاطرة، كما هو الحال مع كل جديد. تريد أنْ تعرف رد فعل هاوجسدورف على الرحلة الاستكشافية هذه؟ أهو الحيرة أم الاهتمام المجرد أم النهم. المهم في الأمر هو جودة كلمات الإثارة، ولكن أيضا التنوع في الإيقاع وهي تتلفظ بها مرة بعد أخرى. المقدمة أقرب أن تكون تقليدية كما هو الحال دائما. إنها للتجميع فقط وإشارة تحمل البشرى بما سيأتي لاحقا، بعد قليل، قريبا جدا. رموش هاوجسدورف ترف بسرعة وآنا تزيد قليلا لكي يبقى تأثيرها محافظا على قوته. تكاد تستطيع أنْ ترى كيف يتسارع نبضه. يبدو أنْ هيكل الحدث في الحكاية الجديدة يثير اهتمامه. إذن يجب مواصلة السرد ودفعه ببطء ولكن بتركيز إلى الذروة، بدون عجلة. عليها أنْ تبقى على نفس المستوى من الإثارة التي تسيطر عليه لكي لا يكون كل شيء مثل النار التي تشب في القش، ترتفع بسرعة ثم تنطفىء بسرعة مختنقة بدخانها نفسه.

تتغلغل جمل آنا في جسم هاوجسدورف وتجبره على الشعور بألم يحوله هو إلى شعور باللذة، لذة متخيلة تجعل جسده يلتهب حرارة. حذاء هاوجسدورف يبحث عن حذاء آنا، ولكنه لا يستطيع حتى الإمساك بيديها اللتين تسند رأسها إليهما. لذلك يبقى معتمدا على خيالاته التي تثيرها هي بالكلمات، وكل ما عدا

ذلك يبقى متوقفا عليه هو فقط.

أنا تحكي وهاوجسدورف يعيش ما تحكيه. تزداد هي الأخرى توترا وهي تتابع تأثير الكلمات التي تختارها بعناية على أحاسيسه. عند نقطة معينة تسيطر على هاوجسدورف – وهذا شيء تعرفه هي بالتجربة – حاجة ملحة للحركة. ولكن لأنه مضطر الآن بالذات وفي هذا المكان إلى كبتها فإنه يرفع من درجة تركيزه على ما يجري في داخله دون أن يكون قادرا على السيطرة عليه.

تشحن أنا جملها وتجعلها تتصاعد بمهارة دون أنْ تزيد الضغط عليه. عيناه تظهران لها إلى أي مدى يمكنها أو يتوجب عليها أنْ تمضي. دائما باتجاه الذروة، الختام، الذي سينتهي بالارتخاء النهائي اللذيذ لذلك التوتر التي جعلته هي نفسها يتصاعد عاليا. عينا هاوجسدورف تبرقان بشكل غير ملحوظ تقريبا، ولكنه بالنسبة لأنا إشارة، إعلان عن الوصول إلى الذروة، ولذلك يصبح انتباهها هي أيضا مشدودا إلى أقصى حد. يصبح الوقت مناسبا لقول الجملة الأخيرة، الأقوى، التي لا يمكن مقاومتها، والتي يجب ألا تأتي ولو بثانية واحدة أبكر من المطلوب. تتكلم ببطء، بوضوح، وتعيد جملة فرعية، مخطط لها أن تكون الزناد. وفجأة يختفي بؤبؤا هاوجسدورف تحت جفنيه. يطلق تنهيدة وهي تلمس حماية له كلا مرفقيه لكي لا تجعل رغبته الملحة إلى عناق نهائي تتغلب عليه في نهاية الأمر. عندما يعي هاوجسدورف وجودها من جديد يراها وهي ترفع كأسيهما بيديها. يبحث لحظة من الوقت عن نظرتها قبل أنْ يستلم كأسه منها. يقرعان كأسيهما ويأخذان رشفة. لا بد لهاوجسدورف من الذهاب إلى الحمام لكي يمنع ظهور بقعة على سرواله أو لتضييق نطاقها على الأقل.

تعود أنا بظهرها إلى الوراء. لم يلاحظ أحد شيئا. أحد النادلين فقط ينظرها بتحد، ولكنها ليست متأكدة أن ذلك بسبب هاوجسدورف. ربما يثيره شعرها وحسب.

يجب أنْ يطرق الحديد ساخنا. تعرف أنا أن الخيط المشدود لم يرتخ بعد. عليها الآن أنْ تجعل تعبير وجهها محايدا وكان اهتمامها بجريمة القتل متأت من كونها جريمة قتل لا غير. فمن هو الذي لا يهتم بجريمة قتل؟ بالعكس سيكون

أمرا مثيرا للانتباه لو أنها لا تعود بعد ذلك للسؤال عن الموضوع مرة أخرى.

"والآن احك لي شيئا عن الحادث هذا." صوت أنا يحمل تعبيرا ساذجا مثل طفل يرجو أنْ تحكى له حكاية قبل النوم. يجلس هاوجسدورف مرة أخرى.

"لا يوجد ما يمكن رؤيته." لا تكاد أنا تفتح فمها وهي تتكلم، يتجاهل هاوجسدورف ملاحظتها. من يديه تفوح بشدة رائحة الصابون المألوف في المرافق الصحية العامة. هاوجسدورف يبتسم "أنت لا تنسين شيئا."

فتلوي أنا فمها.

"حسنا، حسنا" يربت على يدها. "إذن، القصة كلها كانت"، يتوقف مرة أخرى متفكرا، ينظر إلى ساعته، يصطدم حذائها بشكل غير مقصود بحذائه. "الموضوع كله كان تبادلا غريبا لإطلاق الرصاص، لم يكن الأول من نوعه في هذا الوسط ولكنه الأغرب!" يشير هاوجسدورف بكأسه الفارغ إلى النادل "هل تريدين شيئا آخر؟"

أنا تهز رأسها نفيا وهي مستاءة من المقاطعة الجديدة، ثم تقول بعد ذلك.

"نعم، ماء فقط. ما الذي كان غريبا في الأمر؟"

"أن القاتل أصبح ضحية، والضحية قاتلا."

"ماذا يعني ذلك؟" يأتي النادل بكأس من البوربون فيطلب هاوجسدورف لها ماء.

"كلاهما ماتا، القاتل قام بتوجيه مسدسه على الضحية وهنا أخرج الضحية مسدسه أيضا. رميا في الوقت نفسه، كلاهما أصاب وكلاهما مات على الفور."

"ومن يعتبر منهما الآن القاتل؟"

"هذا هو السؤال. القاتل الذي قتلته الضحية أم الضحية التي قتلها القاتل؟"

"هاوجسدورف يلعب بالكلمات متعمدا: ضحية، قاتل وكأنها طعام شهي لمن يقوم بالتحقيق."

"لا تجعل الأمر مثيرا جدا"، لا تجد أنا الموضوع مضحكا، "وإنما احك."

"يمكن للمرء أنْ يقول إنها القصة التركية الاعتيادية، قصة سببها امرأة."

"أية امرأة؟" "هل هي امرأة الرجل الذي كان يُراد قتله أصلا؟" استطاعت أنا

في اللحظة الأخيرة من منع نفسها من أنْ تقول" ولكنها ليست فريدة خاتون."

قلبها لا يزال ينبض بشدة وهي تمتص بالقصبة الجرعة الأخيرة من الكامبيري بصوت عال .

"لا، ليست هي، الأمر له علاقة بالأخرى الشابة والتي كانت تساعد تاجر الخضر والفواكه أحيانا في إجراء الحسابات. وفيما يبدو فإن زوجها لم يكن يعرف شيئا عن الموضوع. لابد أن شخصا دله عليه. وكما هم هؤلاء الناس غيورون فقد بدأ الرجل بالتجسس على زوجته. وعندما راها وهي تدخل في العديد من المرات بالفعل إلى شقة التاجر لم يستطع تحمل فكرة أن زوجته تخونه. عندما ذهبت في المرة التالية إلى الرجل للقيام بأعمال الحسابات اقتحم الشقة وراءها ووجه سلاحه مباشرة إلى "الشخص الذي غرر بزوجته" كما سماه هو. كان كما يبدو يحب زوجته حبا جعله لا يؤذيها، كما هو المألوف عادة في قضايا من هذا النوع. الرجل الأخر الذي اعتبر المقتحم قاتلا محترفا سحب هو الآخر مسدسه، والذي كان قد اشتراه في ذلك اليوم بالذات لأنه كان يتلقى منذ مدة طويلة تهديدات مجهولة، بزعم أنه رفض دفع أتاوة كما حاولت زوجته اليوم أنْ توضحه لي."

"أتاوة؟ عن أي شيء؟" أنا متعطشة إلى مزيد من التفاصيل.

"لقاء حماية محله. هذه النقطة لم تجر متابعتها في حينها، وإنما نُظر للأمر كجريمة قتل بسبب قصة غرامية. كلا المتنافسين لم يعد لهما وجود في هذا العالم. إذن إجراء التحقيقات ضد من؟ لذلك تم غلق القضية بعد أنْ بقيت المرأة الشابة أيضا ثابتة على روايتها من أن زوجها، مثل غالبية الأتراك كان غيورا جدا، وأنها وقد أصبحت بعيدة عن الوطن قد عجزت عن تقدير عواقب هذه الغيرة التقدير الصحيح."

"والأرملة الأخرى؟ تلك التي كنت أنت في زيارتها، ماذا تقول هي عن الموضوع؟"

"بالطبع هي أيضا تقول إنه لم يكن هناك شيء بين زوجها وبين المرأة الشابة، وإنها كانت دائما متواجدة في الغرفة المجاورة وكانت تسمعهما وهما يتحدثان

بمصطلحات المحاسبة تلك التي لم تكن تفهم منها شيئا. أما كون المرأة الشابة لم تقل لزوجها شيئا عن عملها الجانبي فيعود لشخصيتها الرقيقة فقط. إذ كما يحدث كثيرا مع الأزواج الذين يعيشون في الخارج، وقعا هي وزوجها أيضا في مصاعب مالية. هنا بدأت المرأة بمحاولة كسب بعض النقود عبر العمل دون علم زوجها لكي لا تسلبه الوهم بأنه يستطيع وحده الإنفاق على العائلة."

تحدق آنا بهاوجسدورف وكأنه هو نفسه الحل للغز. ولكن هاوجسدورف يبقى ثابتا على موقفه. "وحسب ادعاءاتهم حدث كل شيء بسبب التباس فقط. أو أنه كان في الواقع حادثا، مأساة بالنسبة للطرفين، ولكن هكذا هي الحياة أحيانا."

بشكل ما تشعر آنا بالخيبة. موت الأيفيردي العجوز، والأمر لا يمكن أنْ يكون إلا عن حكمت آيفيردي العجوز، لا يريد أنْ يدخل رأسها. كذلك هاوجسدورف لا يبدو لها مقتنعا كما ينبغي.

"هل تعتقد فعلا بحدوث جريمة قتل سببها الحب؟"

يطيل هاوجسدورف النظر إلى عينيها". هل من الناحية المبدئية، أم في هذه الحالة الغريبة بالذات ".عسى ألا يصبح من جديد عاطفيا بهذه الطريقة الغريبة؟

"في هذه الحالة بالذات؟"

"لا اعتقد، ولكني أيضا لا أمتلك أية أدلة، عدا إحساس داخلي بالتحفظ."

"والأرملة؟ هل تشك بشيء ما؟"

"لم يكن ممكنا استخلاص شيء منها، فقد بقيت على روايتها عن حادث مؤسف ولم ترد الحديث مطلقا عن أية خلفية إجرامية، عدا بالطبع موضوع الامتناع عن دفع الأتاوة. لقد تجانبنا أيضا أطراف الحديث عن هذا وذاك من الأشياء ثم سألت تأدبا عن أولادها، وهي تملك نصف دستة منهم. ولكنهم لا يعملون كلهم في المحل، وإذا حصل ذلك ففي أوقات متفرقة فقط. العمل يجري بشكل جيد، بحيث يكفي الكل، كما قالت ونحن نشرب معا القهوة التركية، ثم قدمت لي أيضا من هذا الشيء الحلو الشبيه بالمطاط الذي يسحب حشوة الأسنان معه."

أنا واثقة بأنها لا تستطيع أنْ تستدرج هاوجسدورف أكثر من ذلك. إذن ليست هناك أيضا فائدة من توجيه مزيد من الأسئلة إليه. كما أن هذا سيثير استغرابه لا غير. وعلى كل حال هي الآن متقدمة على يوسف بمسافة كبيرة. ما عسى أنْ يقوله هو عن ذلك، خصوصا عندما يعلم من أين جاءت هي بكل هذه المعلومات. شيء واحد آخر تريد معرفته: متى جرت حادثتي القتل هاتين؟ يهز هاوجسدورف كتفيه.

"قبل حوالي أربع سنوات."

"ولماذا أنت مهتم بالأمر الآن بالذات؟"

يقرب هاوجسدورف ما بين حاجبيه.

"أنت لا تفترضين أنني ساعطيك معلومات عن هذا يا حبيبتي. فهذا موضوع يخص الوزارة. وهذا شيء لا يمكن التغاضي عنه حتى في لحظة ضعف من جانبي."

لم تتوقع أنا أن الشكوك ستنتابه عبر سؤالها الأخير، ولهذا تبرطم قليلا وتقرر أنْ تظهر نفسها وكأنها مستاءة.

يمد هاوجسدورف يده إلى ذراعها، في حين لا يبوح تعبير وجهه بشيء آخر عدا كونه يقظ جدا. "أتأمل ألا يكون لك اهتمام شخصي بالقضية." تعبر ابتسامته عن مزيج من الهزء والأنفة .

تحاول أنا التظاهر بالتثاؤب ثم تتثاءب فعلا. "كيف يخطر هذا على بالك؟ الشخص الذي يروي الحكايات يكون مهتما بالحكايات أيضا."

ضد هذا لا يمكن قول أي شيء. يتراجع هاوجسدورف قليلا.

"لا يوجد في هذه القضية ما يمكن أنْ يهمك. ليس فيها مادة معينة لها علاقة باهتماماتك."

"هذا ما تعتقده أنت." تعود أنا بظهرها إلى الوراء. "ولكني أنا هي التي تسرد الحكايات، إذن دعه يكون من شأني أنا أن أختار المصدر الذي استمد منه خيالاتي."

شيء لا يعترض عليه. يشير هاوجسدورف مرة أخرى إلى واجبه بالمحافظة على سر المهنة ثم يضيف قائلا وكأنه يريد الاعتذار: "كوني سعيدة بأنك لا تعرفين

كل شيء. بعض هذه الأشياء يمكنه أنْ يسلبك النوم."

يشبه الفزع الذي أصاب آنا وهي تجد باب شقتها مواربا فقط دبيب ساق أصابها الخدر وهو يتحرك منتشرا إلى أجزاء أخرى. أول فكرة تراودها هي الهرب. عدم لمس أي شيء. ترك كل شيء كما هو والاتصال بالشرطة من الشارع. ماذا يعني هنا الشرطة وهي تحمل تلفون هاوجسدورف النقال في حقيبة يدها؟

لأي شيء هو عندها إذن؟ لا، ليس هاوجسدورف مرة أخرى. ألم يكن هو الأول الذي كسر قفل بابها. والله وحده يعلم بأية آلة، إنْ لم يكن بمفتاحها الذي فقدته نفسه؟ وربما يكون القفل قد تعطل دون أنْ تلاحظ ذلك.

ولكنها تسمع فجأة أصواتا، أصواتا قادمة من داخل شقتها. أصواتا مألوفة لها. على الأقل واحد منها، الصوت النسائي، تعرفه بشكل لا يقبل الخطأ.

تفتح آنا الباب وتدخل الشقة وكأنها غريبة عنها.

"أخيرا." بوني تلوح لها. "لقد فكرت أنك خطفت."

إلى جانبها يجلس عبدال مبتسما بوني وعبدال. ما كانت لتخطر على بالها أبدا مثل هذه التشكيلة.

"خطفت ليس أبدا بالتعبير المناسب." ولكي تجعل بوني تصمت تضيف قائلة:

"لقد التقيت صدفة بهاوجسدورف ثم هربنا من المطر إلى أحد المقاهي. ولكن من منكما كسر باب شقتي؟"

"كان مفتوحا." يقول عبدال بتعبير على وجهه وكأن الأمر ليس فيه شيء غير اعتيادي. "لذلك فكرت أنْ أبقى هنا وأحرس الشقة."

تسرع بوني لتهمس لها. "إنسان رائع، انه يقول أشياء شاعرية. يجب أنْ أعرف بير عليه، فهو يستمتع جدا بجمل من هذا النوع."

يبقى فم آنا فاغرا، هل أخطأت في نهاية الأمر في تقدير أختها أيضا. تكاد بوني تبدو مفتونة بعبدال. عن أي شيء تحدثا مع بعضهما؟

"وأنت؟ من أين أنت قادمة في هذا الوقت وقد أصبحت الدنيا ليلا؟ أليس من المفروض عليك أنْ تطعمي فراخك الآن؟"

لا تخفي أنا دهشتها من حضور بوني.

بوني تنهض. "اليوم عندي رخصة للخروج. نحن، أقصد أنا وبير، اتفقنا على أنْ أخرج وحدي مرة واحدة في الأسبوع أو على الأقل مرة كل اسبوعين."

لا تستطيع أنا أنْ تكف عن الدهشة. "منذ متى تخرجين في المساء وحدك؟"

"منذ اليوم. لقد كنت في فارينللي، وهو فيلم كنت أريد رؤيته دائما."

تنظر انا مندهشة إلى بوني التي تتصرف وكأن كل هذا شيء بديهي.

"لا تحملقي هكذا. بير يستطيع أنْ يبقى مرة عند الأطفال، خصوصا وانه لم يعد يتوجب إرضاع أحد منهم. وعلى فكرة، جاء الاقتراح منه هو. ثم فكرت بأن أمر عليك بعد أنْ كاد الاتصال بك يصبح متعذرا في الفترة الأخيرة."

"كان الباب مفتوحا." قال عبدال في غمرة حديث بوني الحماسي عن حريتها. "ولكنها لا تزال دافئة".

"لا تزال دافئة؟" تود أنا لو أنها تعانق عبدال، لكن وجود بوني يجعلها خجلة.

"نعم، دافئة، لابد أن أحدا كان هنا قبل فترة قصيرة."

تشعر أنا بالقشعريرة تخترق جسدها. مرة أخرى قام شخص ما بفتح باب شقتها عنوة، ولكن في هذه المرة لا يمكن أنْ يكون هاوجسدورف.

"هل تعرف من يمكن أنْ يكون الذي عمل هذا؟" يهز عبدال كتفيه ويتجاوزها متوجها بنظرته إلى الباب.

"من الأفضل أنْ تتأكدي فيما إذا كان قد اختفى شيء ما. عليك أنْ تقدمي بلاغا عن ذلك." تنهض بوني وهي تبحث عن الأشياء التي تعرفها، في حين تلاحظ أنا بنظرة واحدة ما كان يهم الشخص الدخيل الحصول عليه.

"هل تركت أية نقود أو حلي مرمية هنا وهناك؟" شيء جميل التكلم عن حلي؟ تعرف بوني أن أنا لا تملك شيئا منها. عدا قلادة اللازورد التي جاء بها هاوجسدورف من نيويورك. ولكنها لا تزال ملقاة في صحن السيراميك على الكومودينو، وأيضا بضعة قطع من الحلي الصناعية الموجودة هي الأخرى في علبة حلويات قديمة.

"أنا أعرف ما هو ناقص. الكمبيوتر المحمول لم يعد هنا." طبعا، هدية

المؤسسة، أي لص صغير حتى ولو كان غشيما سيقوم بالاستيلاء على هذا الشيء الصغير الراقي.

"سأخبر هاوجسدورف. هل تريدان شرب الشاي؟" بوني وعبدال يومئان بالإيجاب فتنسحب أنا إلى المطبخ، تضع ماء على النار ثم تدير رقم تلفون هاوجسدورف. صوته يعبر عن الانشراح، وهو يقول إنه لم يجرؤ على الأمل في أن يسمع صوتها مرة أخرى هذا اليوم.

هذه اللهجة الهامسة مرة أخرى، أم هل يريد أنْ يجعلها تشعر بتأنيب الضمير؟ تحكي له عن عملية السطو على شقتها.

"ألم أقل لك بأن باب شقتك يمكن فتحه بالخنصر؟ يجب عليك الآن تركيب قفل مؤمن بسرعة."

"وماذا عن جهازي؟"

"انسه . لم يعد أحد يشغل نفسه اليوم بهذا النوع من الجرائم الصغيرة."

"لقد كان أحدث موديل ولم ينزل للسوق بعد."

"سيكون صدفة فقط إذا ظهر في مكان ما. آمل أن يكون هذا درسا لك." تبدو نغمة صوته الآن وكأنه أبوها ورئيسها في العمل مرة واحدة.

"هل يجب أنْ أقدم بلاغا بذلك؟"

"يمكنك أنْ تفعلي ذلك إذا أردت، ولكن هذا لن يفيد كثيرا."

"ربما ستكون الصدفة في خدمتي مرة من المرات؟"

"إذن حسنا، سأقوم أنا بنفسي بالتبليغ عنه، أنا أعرف المسؤولين عنك في دائرة بوليس المنطقة."

يبدو هاوجسدورف وكأنه مرتاح لأن جهازها قد سرق، وسبب هذا لا يمكن أنْ يكون قلقه على صحتها فقط.

"هل تعرفين ماذا قال هذا الإنسان الفتان عندما سألته ماذا يفعل هنا؟" بوني تقف وراءها وتتحدث معها بهمس مسموع. "لقد قال إنه جاء لكي يرى في وجهك وجه الإنسان، وأيضا لأنه لم يفرح في هذا اليوم بعد."

أنا تهمس أيضا. "إنه مجنون الله، هكذا يسمون هم ذلك. لقد تعرفت عليه في

سوق الأطعمة."

ترفع بوني تلقائياً إبريق الماء المغلي من على الطباخ وتصب الماء على الشاي. "لابد أنْ أحكي لبير عنه. هل تعرفين أين يسكن؟ يمكننا أنْ ندعوه إلينا مرة؟" إلا هذا. تتجمد أنا داخليا من تصور أنْ يتعرف بير وبوني على عبدال عن قربه خصوصا بهذا الحماس الذي امتلأت به بوني مرة واحدة. فكما تعرفها منذ عدة سنوات ما كانت ستكف عن الحديث عن "عملية السطو" والمطالبة باستعادة الجهاز المسروق، إضافة لذلك كانت ستقوم بتقديم ملخص مسهب لكل وجهات نظرها عن الوضع الحالي للسلطات الأمنية، ولكنها بدلا من ذلك تكيل المديح لعبدال. فهل أصبح من غير الممكن أنْ يبقى أي شيء على عهده السابق؟

وعبدال؟ كيف خطر على باله أنْ يأتي ببساطة لزيارتها. بالتأكيد ليس وجهها فقط هو الذي أراد رؤيته فجأة. فهل قرر أخيرا الحديث معها؟ بطريقة تعبيره الملغزة والصريحة في الوقت نفسه صراحة كبيرة. هل يريد أنْ يقول لها ماذا حدث لحكمت وأين هو الآن؟ أو هل جاء عبدال إليها بقصد أنْ يأخذها إلى حكمت؟

"منذ متى أصبح عندك تلفون محمول؟" تأخذ بوني الجهاز الصغير الموضوع على البوفيه وتتأمله بإعجاب وبرأس مائل وكأنها طير له عينان على جانبي رأسه.

"منذ فترة قصيرة. هدية من هاوجسدورف." تقول أنا بلهجة تعمدت أنْ تجعلها متكلفة قليلا بأمل أنْ يجعل ذكر اسم هاوجسدورف فضول بوني يلزم حدا معينا.

"شيء فخم، شيء فخم!" بوني تقلبه على الجهتين ثم يحدث ما لابد من حدوثه: "هل تسمحين لي أنْ أجربه؟"

تومئ أنا موافقة وهي تضع على الصينية بضع قطع من البسكويت إلى جانب الأكواب وابريق الشاي.

بوني تطلب رقم تلفونها، وعندما ينفتح الخط يأتي صراخ أحد الأطفال حتى اذن آنا. بسرعة ينهار وجه بوني الذي تستعمله للخروج ويسيطر عليها مرة أخرى طابع الدجاجة الحامية لفراخها. "ماذا حدث؟" تستطيع آنا سماعها وهي

تلتقط أنفاسها بقوة ثم بعد فترة وهي تقول: "لماذا يصرخ هكذا؟"

يبدو أنه لم يكن هناك شيء جدي، إذ تتدفق بعد ذلك مباشرة إلى داخل الجهاز الصغير نصائح الوالدة صاحبة السلطة ولكن العاجزة في تلك اللحظة عن التصرف وذلك بصوت يرتفع مرة ثم يتهاود مرة أخرى حتى تضع جهاز التلفون بغتة على طاولة المطبخ.

"يقول بير إذا عدت توا إلى البيت فإن تونيو سيقوم بنفس هذه التمثيلية كل مرة . لذلك يجب علي أنْ أبقى صارمة هذه المرة على الأقل."

"وهو محق بذلك طبعا." تذهب آنا بالصينية إلى الغرفة.

تأتي بوني وراءها وتوزع الفناجين على المنضدة. دفعة واحدة لم تعد بوني ذات الحيوية الفائقة التي جعلها خروجها تبدو أكثر شبابا واستطاعت إبداء حماس لشخص مثل عبدال، بل تجلس إليهما وهي غارقة في ازدواجية مشاعرها وبنظرات متجهة إلى الداخل تجعلها تبدو مضطربة وغائبة.

"عودي إلى نفسك، بوني، كنت تقولين دائما إن بير هو أب للأولاد. إذن سوف لن يكون صعبا عليه اليوم أنْ يأخذ الأولاد إلى فراشهم." تجد انا رد فعل بوني مبالغاً فيه.

"هذا شيء تقولينه انت بكل بساطة. ولكني أنا أتصور المنظر كله أمام عيني. وعندما يصيب تونيو شيء ما فسأبقى ألوم نفسي من أجل ذلك حياتي كلها."

تتنهد آنا وتدير عينيها "انت تستطيعين فعلا أنْ تقضي على رغبة الإنسان في أنْ يكون له أطفالا."

ينحني عبدال الذي كان طيلة الوقت جالسا بهدوء في مكانه فجأة على بوني. "أولادك بخير، ولست بحاجة للقلق عليهم حقا." تبتسم بوني ابتسامة معذبة". هل ينبغي علي إذن أنْ أبقى؟"

"طبعا" تفكر آنا مرة أخرى بقفل الباب. "ماذا علي أنْ أفعل الآن؟" تملأ الأكواب الثلاثة بالشاي، تذهب إلى الباب وتستخدم مفتاحها لإعادة القفل إلى وضعه الأصلي. سيان من يكون قد فعل هذا فإن السارق ضغط فترة قصيرة لكي يفتح الباب ثم خفف الضغط سريعا. لذلك بقي الباب مواربا. بعد أنْ قامت

آنا بفتح وإغلاق القفل عدة مرات أصبح ممكنا غلق الباب دون مشاكل.

"عليك مع ذلك أنْ تضعي قفلا جديدا"، تتمالك بوني نفسها من جديد، "والأفضل غدا، فهم يأتون أحيانا مرة أخرى عندما يعتقدون أن المرء قد أتى بكمبيوتر جديد أو أي شيء آخر."

يحترق فمها بعد ذلك مباشرة بالشاي الذي لا يزال ساخنا. "أنا لا أريد أنْ أثير الخوف في نفسك"، تقول بوني وهي ترشف الهواء بصوت عال إلى داخل فمها، "ولكن إذا كنت تشعرين بالوحشة فيمكنك أنْ تنامي على الأريكة عندنا."

تهز آنا رأسها. فجأة تشعر بيد عبدال على ذراعها. ومرة أخرى يخترقها ذلك الدفء الذي تعرفه وإنْ ليس بتلك القوة التي شعرت بها في تلك المرة عندما كانت قد خرجت لتوها من حالة الرعب التي ألمت بها.

"لا داعي للخوف يا آنا، لن يأتي اليوم أحد." تشعر آنا بالهدوء كما هدأت بوني قبل قليل. من هو عبدال؟ ماذا يستطيع ويئي شيء هو مؤمن. لماذا له هذا التأثير المقنع عليها؟ ولماذا يمتلك هذا التأثير كما هو واضح على بوني أيضا؟

"كيف كان فارنيللي؟" تدفع آنا طبق البسكويت من شخص لآخر ثم تعيده إلى مكانه.

تبدأ بوني الحديث عن المغنين ذوي الأصوات الأنثوية الناعمة، عن الصور المدهشة وعن الممارسات الشائنة في عهد الركوكو والقنوات الصوتية الرائعة. تكاد تكون لهجتها دافئة وحنونة وهي تتحدث، ولكنها تضطر فجأة للتثاؤب. "هذا الخروج أرهقني. مع الأطفال يصبح المرء مجبرا على النهوض المبكر." تضع فنجانها في حوض الغسيل وتتهيا للذهاب بتمشيط شعرها تمشيطا سريعا ووضع أحمر شفاه جديد على شفتيها.

"هل ستذهبين بقطار الأنفاق، أم أنك مستعدة للإنفاق على تاكسي؟" تنهض آنا أيضا. تنظر بوني إلى ساعتها "لا يزال الوقت مبكرا لكي أشعر بالخوف."

"إذن سنوصلك آنا وعبدال إلى المحطة."

يبدو على عبدال السرور. "كنت أتمنى كثيرا لو خرجت للسير معي مرة أخرى خلال المدينة."

عند مغادرة الشقة تغلق آنا الباب بعناية وتتأكد عدة مرات بأنه أغلق فعلا. في الطابق الأرضي تدق الجرس على شقة نعيمة خانم وتطلب من زوجها أنْ يأتي بقفل جديد. شيء من الحيرة يظهر على نعيمة خانم، عندما تلتفت آنا تلاحظ أن نظرتها بسبب عبدال. حل الظلام في هذه الأثناء. توقف المطر عن السقوط، مع ذلك تبدو المدينة كلها وكأنها غارقة في البخار. هواء دافئ ومشبع بالرطوبة يركد بين البنايات دون أنْ تكون هناك ريح تحركه، مما يجعل الروائح تزداد حدة، الروائح الزكية والكريهة. نسمة من رائحة الليلك تملأ الشارع رغم أن المرء لا يرى ليلكا في أي مكان، ومن نفق المحطة تتصاعد رائحة كريهة للهواء المستهلك في المحطات تحت الأرض.

وضع آنا وعبدال بوني بينهما وكأنهما حرس لها. بوني تثرثر دون توقف، أعجبها فيلم فاريناللي كثيرا كما يبدو. "وكونه جعل أخاه ينجب له ابنا، كان أقوى ما في الفيلم."

تنفذ بينهم وهم على السلم المتحرك مجموعة من الشبان حليقي الرؤوس يرتدون سترات جلدية، يزيحونهم بأكتافهم راكضين للحاق بالقطار الذي دخل المحطة لتوه. تؤكد بوني على الظهور بأنها ليست في عجلة من أمرها. "القطار القادم سيأتي بالتأكيد." تضحك ضحكة مائلة. "لا رغبة لي أنْ أتشاجر مع هؤلاء من أجل مقعد للجلوس."

يصل الشبان إلى القطار ويحدثون عنوة شقا في فتحة أحد الأبواب الذي كان يغلق لتوه. لعبة تبعث فيما يبدو المرح في نفوسهم، إذ أن وجوههم اكتسبت تعبيرا مضيئا من الشعور بالظفر. لبضعة لحظات تبقى آنا، بوني وعبدال وحدهم في الأنبوب الخرساني المعلقة على جدرانه الكثير من الملصقات الدعائية قبل أنْ يأتي ركاب آخرون وهم يغادرون السلالم الكهربائية بخطوات يصدر عنها صدى مرتفع.

"ربما يمكننا في المرة القادمة الذهاب سوية إلى السينما." تبدو بوني بالرغم من كل نوبات الأمومة متغيرة قليلا. وهو ما يناسبها. فقط لو أنها لا تمد يدها إلى عبدال. وكأنه يشعر بتحفظ آنا، لا يفعل عبدال شيئا لإثارة مزيد من الفضول لدى بوني. يضحك فقط بتعبير ودي، وعندما يصل القطار التالي يحني رأسه

فقط عندما تودعهم بوني.

"سأقول لبير بأنك في الطريق إلى البيت." تشير أنا إلى التلفون المحمول والذي تعودت في الفترة الأخيرة على حمله معها. يضحك بير بصوت عال عندما تعلن له عن قرب وصول بوني. "إنها لا تزال غير معتادة على التعامل مع حريتها، ولكن هذا سيأتي مع الوقت." يقول بلهجة ودودة، في حين يبدو أن الهدوء يحيطه من كل جانب.

"هل نام الأطفال؟"

"كلهم عدا دونالد."

"إذن يمكنك أنْ تخرج لملاقاة بوني."

أنا وعبدال يصعدان بالمصعد إلى فوق. "أنت لا تحب الأماكن المغلقة، أليس كذلك؟"

رأت أنا عبدال يتردد عند الدخول إلى المصعد.

"ليس بشكل كبير."

"إذن دعنا نتمشى قليلاً."

يمشيان باتجاه قناة الدانوب. القمر يكاد يكتمل وضوؤه يبني جسراً فوق الماء. لا تعرف أنا السبب الذي يجعلها تشعر وهي مع عبدال بهذا القدر من الأمان. هو الذي لا يستطيع بالتأكيد الدفاع عنها ولا عن نفسه إذا هاجمهما أحد فعلاً، يبعث في نفسها شعوراً بالاطمئنان، شعوراً دافئاً وشاملاً. وهما يعبران الشارع إلى ضفة النهر المغطاة بالشجيرات تتعثر أنا بزجاجة بلاستيكية سحقتها السيارات فيمسك عبدال بيدها. يهبطان السلم إلى حافة النهر. بالرغم من أنها ليست المنطقة التي تريد أنا أنْ تتمشى فيها في هذا الوقت وحدها، ولكن سوية مع عبدال لا يهمها ذلك. كلب رعاة عملاق الحجم بلون أصفر وأسود يظهر فجأة إلى جانبهما. يدس صامتاً خطمه في يد عبدال الأخرى، ثم يحاول التسلق على جسده. يهمس له عبدال بشيء ما، يهدأ الكلب عدا همهمة خفيضة ثم يبدأ بلحس يده.

"هل تعرف الكلب؟" أنا تخاف الكلاب، ليس بشكل مرضي، ولكنها لا ترتاح

إليها.

"ربما." يمرر عبدال يده عدة مرات على ظهر الكلب.

"على كل حال هو الذي تعرف علي مرة أخرى."

يسمع صفير موجه إلى الكلب. يرفع الكلب اذنيه بشكل لا إرادي دون أنْ يبدر منه أي رد فعل آخر. الصفير التالي أطول وفيه شيء من التلحين. يربت عبدال على رأس الكلب. "والآن اذهب." ثم يدفعه دفعة خفيفة ويقول له مرة أخرى "اذهب."

يطلق الكلب صوتا هو بين النباح والعواء ثم يعود من حيث أتى. تلمحه آنا وهو يقفز فوق الشجيرات ثم يختفي.

"هل تأتي كل الحيوانات إليك هكذا؟"

كانت آنا تحب فيما مضى الذهاب إلى حديقة الحيوانات، مع ذلك ليست لها علاقة جيدة بشكل خاص مع الحيوانات. لم تسمح لها جيجي مطلقا أنْ تقتني حيوانا منزليا. الشقة صغيرة جدا، كانت تدعي دائما، وكانت بالتأكيد محقة في ذلك.

"ربما كان هو"، يقول عبدال وهو يمسح يده بسرواله، "من يدري."

"من هو؟" تنظر آنا إلى القناة المنخفضة التي تسيل فيها المياه بهدوء. أما الأوساخ التي فيها فلا ترى بسبب الظلام.

"الصديق."

لا تفهم آنا شيئا وتدير وجهها إلى عبدال.

"الروح يمكن أنْ تحل في عدة أجساد. ربما حل هو هذه المرة في جسد كلب."

"ولكن من هو؟ أقصد من هو أيضا، عدا كونه صديقك؟"

"إذا كنت تحبينه فستعرفين ذلك؟" عبدال يمسك من جديد بيد آنا. بالرغم من ضوء القمر لا تستطيع آنا أن ترى جيدا في الظلام.

"كيف أستطيع أنْ أحبه، عندما لا أعرف من أو ماذا هو. حاول أنْ تصفه لي."

يتوقف عبدال لحظة وكأنه يجهد نفسه بالتفكير. "أحيانا يمكن رؤيته ظاهرا في وجه علي."

"في وجه أي علي؟" تريد آنا أنْ يستمر في الإجابة على أسئلتها فربما ستعرف

شيئا يمكن أنْ تستفيد منه كإشارة.

"في البداية جاء علي إلى العالم كحبيب لمحمد وكابن عمّه وزوج ابنته. كان بطلا كبيرا حينذاك وتسلم من محمد السيف المسمى بذي الفقار. وكان من المفروض أن يخلف محمدا بعد وفاته، ولكن أبا بكر، عمر وعثمان اصبحوا خلفاء قبله. وعندما حصل علي على حقه أخيرا، لم يستمر الأمر طويلا حتى قتل. كذلك قتل ولداه الحسن والحسين. والأئمة المنحدرون من الحسين قتلوا كلهم تقريبا."

"لماذا قتلوا؟"

"لأنهم وقفوا إلى جانب الإنسان، إلى جانب الفقراء، هل تفهمين ما أقصد؟ لم يكونوا بحاجة إلى دولة كبيرة يحكمون فيها، وإنما كان ما يريدونه هو أنْ ينوروا البشر، أنْ يقفوا إلى جانبهم وأنْ يعلموهم كيف يعيشون. لذلك كان الفقراء هم الذين يصبحون دائما من حزب علي وعائلته وسلالته كلها، وذلك ليس فقط بين العرب والفرس وإنما بين الأتراك الذين جاؤوا إلى الأناضول أيضا. عندما كان الناس يتعرضون للاضطهاد كانوا يجعلون من علي صديقا لهم. وكان يأتي هو لزيارتهم متجسدا في صورة ضيف. وصورة الله تنعكس فيه باعتباره (الإنسان الكامل)، وهو ينبعث منه نورا. عندما يكون علي صديقك يصبح هو أنت وأنت هو. وعندما تشعرين بقدومه، تشعرين في الوقت نفسه كيف تصبحين أنت هو. وجهه يعكس الله وأنت تعكسين وجهه. أنت لست بحاجة إلى مسجد لكي تكوني قادرة على الكلام معه. عليك فقط أنْ تفتحي له الباب. كما أنك لست بحاجة لأن تذهبي إلى الحج إلى مكة، لأن قلبك هو الكعبة، وعندما لا يكون الأمر كذلك، فإنك لن تجدي الكعبة حتى في مكة نفسها. وأنت لست ملزمة بالصوم لكي تصبحي نقية، وإنما أفكارك هي التي تظهر لك كم أنت نقية فعلا."

منذ أنْ تعرفت عليه لم تسمع آنا عبدال يتكلم بهذا القدر. "وكيف يمكن للإنسان أنْ يأتي إليه؟" سمحت آنا لصوت عبدال أن يمارس إغراءه عليها.

"يجب على الإنسان أنْ يمتلك الشوق إليه." يجيب عبدال. "هذا الشوق يجب أنْ يكون كبيرا بحيث أنْ عليا لا يستطيع مقاومته ويأتي لزيارته. روحه تتجول عبر كثير من الأجساد، ولكن الله هو الذي يظهر دائما عبر وجهه الذي يجد

انعكاسا له في الإنسان الذي يتمتع بالكمال التام."

"هل يوجد فعلا هذا الإنسان الكامل؟"

"انه الإنسان الذي يعرف السر. والانسان الذي يعرف السر هو في علي وعلي فيه."

تزداد انا حيرة. "هل تعرفه أنت؟" لا تستطيع انا الكلام إلا بصوت هامس، "واذا كنت تعرفه فهل ستكشفه لي؟"

مرة أخرى يتوقف عبدال عن المشي ويمسكها بكلتا يديه من كتفيها. "انظري في وجهي، هل تتعرفين عليه."

يختفي القمر وراء غيمة فلا تستطيع انا رؤية أي شيء. يواصلان السير، وعندما يقتربان من اشعة الضوء الساقطة من اضاءة الشارع تستطيع انا أنْ تميز وجه عبدال مرة أخرى ولكنه كان خافضا بصره إلى الأرض. ما هي الأفكار التي تدور في رأسه يا ترى؟

يمران برجل عجوز يرتدي ثيابا رثة وقد وضع أكياسه فوق بعضها مثل سد حول جسده، يرتدي عدة معاطف وقد استلقى على مصطبة واضعا رأسه على راديو ترانسستر يوسوس تحت أذنيه. يتوجه الرجل ببصره اليهما ثم يدير راسه لكي يتابعهما لحظة أخرى بنظراته.

"هل تأتي كثيرا إلى هنا في المساء؟"

يهز عبدال كتفيه. "إلى هنا، او إلى اي مكان آخر، المهم انا بحاجة إلى المشي ليلا. فعندما أسير على قدمي استطيع التفكير بشكل جيد. كما انني لا أعود اشعر بالحدود بهذا الشكل القوي."

"اية حدود؟" تستطيع انا أنْ تسمع اصواتا قادمة من تحت، وتتعرف على مصدرها فورا.

"الحدود القائمة بين الأجساد."

صوت رجل يلهث يرتفع بشكل واضح على الأصوات الأخرى القادمة من القناة، وأقل منه درجة همهمة خفيضة لامرأة والتي يبرز لون جسدها الأبيض مضيئا مقارنة بالجزء الأسفل من المنحدر الترابي. المراة تجلس مقرفصة على

الحشيش وهي تستند على ركبتيها ومرفقيها، في حين يدفع جسد الرجل الأغمق منها قليلا والذي لا يرتدي غير تي شيرت مرفوع إلى أعلى، نفسه فيها بدفعات قوية. بالرغم من أنه لم يكن من الممكن رؤية الرجل والمرأة بشكل واضح، إلا أن وجودهما يخلق واقعا لا يمكن التغاضي عنه ويملأ كل ما يحيطهما بتنهداتهما: الهواء، ضفة النهر والليل، وكأنه لا يوجد في تلك اللحظة شيء آخر عدا هذا المشهد الذي ربما تولد فيه حياة إنسان جديد. ولكن ما أن يغادر الرجل جسد المرأة مرة أخرى حتى يتدفق الجزء الأكبر من سائله المنوي منها إلى الحشيش ثم يغوص في الأرض، مثل المطر. يحملق عبدال بالرجل والمرأة بخوف وافتتان في الوقت نفسه.

"تعال"، تقول آنا وفي هذه المرة تتناول هي يده. "رائحة الهواء تدل على قرب قدوم زوبعة رعدية. يجب علينا أنْ نصل إلى البيت في الوقت المناسب."

يتنهد عبدال وهو يحول بصره من الرجل والمرأة، متحيرا وبشيء من الأسف. يعرج في مشيته بشكل أقوى عندما يبدأن السير في طريق العودة.

"هل تشعر بألم؟" تريد آنا المشي أسرع. "نعم" يقول عبدال مبتسما، "قلبي فارغ ويؤلمني."

عندما يمران به مرة أخرى، لم يعد الرجل العجوز يرقد على المصطبة، وإنما يحاول أن ينصب عليها غطاء بلاستيكيا سميكا مثل خيمة صغيرة بتثبيتها بمشابك الغسيل إلى أكياسه. لم تسقط حتى الآن أية قطرة من المطر، ولكن الريح تثير بعد أنْ تمس ماء القناة زوبعة من الغبار على ضفة النهر. الرجل العجوز يصب اللعنات عندما تفلت نهاية الغطاء من بين أصابعه. تمسك آنا الآن بذراع عبدال. يسيران أسرع ورأساهما يقاومان ضغط الريح،عيونهما شبه مغلقة حماية لها من الغبار وأيديهما ممسكة بأطراف سترتيهما من الأمام. عندما يصعدان السلالم تسقط أول القطرات. يضيء البرق القناة كلها وتلاحظ آنا وهي تستدير أن مجموعة من عشاق الليل قد تجمعت تحت الجسر، طائفة غريبة من الأشخاص يحدقون بأعين مفتوحة بالضوء الساطع. يبدو المشهد كجزء من تناول قربان من نوع غير معتاد. أحد الأشخاص يعطي والآخرون يتلقون منه

وهم ينتظرون بشوق شديد أنْ يأتي دورهم في التناول. هذه الصورة المضيئة اضاءة النهار الساطع تنفذ إلى ذاكرة آنا وكأنها شعلة حارقة وتذكرها بفيلم تقوم فيه مخلوقات من الكواكب الأخرى بزيارة الأرض.

"من هم هؤلاء تحت؟" تسأل آنا عبدال الذي التفت أيضا، ولكنه يسحبها معه مبتعدا بها بسرعة شديدة بحيث أنْ عرجه يكاد يفقده توازنه.

"تعالي." يهتف ضد الريح. "يجب علينا أنْ نستعجل."

"هل تعرفهم؟" تحاول آنا أنْ تتطلع بهم حتى دون الاستعانة بضوء البرق. عبدال يهز رأسه. "ليس شخصيا ولكني أعرف من هم. الصديق الذي يتحدثون عنه يجعل رؤوسهم تتغير."

قطرات كبيرة تصطدم بأرض الشارع وتتحول فورا وقد فقدت بريقها بعد أنْ انعكس فيها ضوء الشارع لفترة قصيرة إلى كريات من الطين.

"لماذا لا نقف نحن أيضا هناك تحت الجسر؟" يتوهج فضول آنا مع توهج البرق من جديد. ولكن عبدال يحثها للصعود إلى فوق ويكاد يدفعها دفعا وهو يضغط على مرفقها ضغطا قويا إلى الأمام.

"لا، لا، نحن لن نذهب إلى تحت بأي حال من الأحوال."

"ولم لا؟" تتعجب آنا من عبدال الذي يمتلك مرة واحدة إصرارا لم تعهده منه مطلقا. هو الأرق بينهم كلهم يكاد يستخدم العنف ضدها.

"لماذا إذن لا؟" روح آنا للمعارضة تصبح حاضرة، "فعلى الأقل لن نتعرض هناك للبلل."

"لأن الصديق الذي يتبعونه متجبر، متسلط جدا وحقود." تدرك آنا بالتدريج عن أي شيء يتحدث عبدال. "ولأنه يستطيع أيضا أنْ يدخل أحدا السجن."

تترك آنا عبدال يسحبها من مخبأ إلى آخر. الجو لم يبرد بعد إلى درجة ملحوظة. يتخليان في وقت ما عن محاولة ايجاد مكان يحتميان به لعدة دقائق لكي يواصلا ركضهما بعد ذلك بعد أن أصبحا في كل الأحوال مبللين تماما. يحاول عبدال أثناء المشي أنْ يعصر الطرف الامامي لقميصه، الشيء نفسه تفعله آنا بشعرها. شيء يشعرهما بالبهجة الشديدة إلى حد انهما يضحكان

بصوت عال. يضحكان كثيرا بحيث يسقط المطر في فميهما المفتوحين مما يضطرهما لابتلاعه. بين حين وآخر يلمع برق في السماء ولكن الزوبعة تتحرك فيما يبدو مبتعدة. ينهمر الماء من على راس عبدال المحلوق دون توقف، في حين يلتف شعر آنا الطويل إلى خصل ملفوفة مثل الحية.

عندما يصلان أخيرا إلى عمارة آنا يبدو كلاهما وكأنه سحب عبر النهر، قذرين من أوساخ الشارع المتطايرة إلى فوق وجسداهما يقطران ماء. أثناء ذلك أصبح الجو أكثر برودة.

"تعال معي إلى فوق." تقول آنا وهي تشير إلى ملابس عبدال. "وجفف نفسك. المطر لن يتوقف فورا."

لا يزال الماء ينهمر بكثافة إلى الأرض. من البعيد يسمع صفير الإنذار لسيارة إطفاء حريق. ربما يجب ضخ المياه التي امتلأت بها أقبية العمارات. عندما تمضي آنا وعبدال إلى اعلى تسيل آثار اقدامهما على السلم عائدة إلى اسفل. لا يزالان يضحكان وإنّ بشكل منخفض أصبح الوقت متأخرا وأنا لا تريد أنْ يفتح أحد ما بسببهما باب شقته في هذا الوقت المتأخر لكي يرى ما الذي يجري. باب الشقة مغلق في هذه المرة كما ينبغي. مع ذلك تشعر آنا بقشعريرة تسري في ظهرها عندما تتخيل أنها ستراه مرة أخرى مواريا فقط. ولهذا السبب تشعر أيضا بالارتياح لوجود عبدال إلى جانبها. أول ما ستفعله هو أنّ تذهب إلى الحمام، لكي تقوم بعد ذلك مباشرة بعمل الشاي. ترمي لعبدال بمنشفة الحمام. "اخلع ملابسك ولف نفسك بهذا مؤقتا."

عندما ينهمر الماء من الدوش على جسدها تشعر آنا بالدم يدور في شرايينها. شعور مريح . تلف منشفة على شعرها الذي غسلته لتوها وترتدي معطف الحمام. وهي تذهب إلى المطبخ ترى عبدال واقفا وسط الغرفة وقد لف جسده بالمنشفة بحيث يبدو وكأنه درويش جوال بالفعل. الملابس المبللة ملقاة ككومة صغيرة على الأرض. ترفعها آنا وتعلقها على حبل الغسيل. يختفي عبدال لفترة من الوقت في الحمام. عندما تسحب آنا رجلي سروال عبدال إلى الخارج يسقط شيء من جيبه الخلفي الذي كان زره مفتوحا. إنها هوية شخصية. حكمت

أيفيردي. تتأمل الصورة، شعر محلوق وحواجب محلوقة، ولكنه حكمت. أو أنه عبدال نفسه أصغر سنا؟ من أين يمكنها أنْ تعرف كيف يبدو حكمت برأس محلوق وحواجب محلوقة؟ تنظر إلى تاريخ الميلاد الذي يقول إن حكمت أيفيردي سيصبح في الثامنة والعشرين من العمر. كانت قد قدرت عمر حكمت بخمس وعشرين سنة، وماذا لو أنه في الواقع أكبر سنا من ذلك؟ وعبدال في بداية الثلاثين. لا تعيد الهوية إلى جيب السروال وإنما تضعها على الطاولة لكي لا تتشبع بالرطوبة أكثر من ذلك. عندما يصبح الشاي جاهزا يأتي عبدال من الحمام. يجلسان إلى الطاولة ويدفئان أصابعهما على الفناجين. يرى عبدال الهوية موضوعة على المنضدة، ولكن نظرته لا توحي بشيء. حاجة مثل أية حاجة أخرى. للحظة من الوقت لا يتكلمان مع بعضهما، يشملهما الهدوء بحيث يمكن سماع ملابس عبدال على الحبل وهي تقطر الماء إلى الارض. تأخذ آنا الهوية، تفتحها وتقرأ اسم حكمت بصوت عال. لا يصدر من عبدال أي رد فعل. إما أنها هويته فعلا، أو أنه لا يدرك ماذا تريد هي أنْ تسمعه منه.

"سأضعها بين كتابين، وإلا فإن الورق سيتجعد." يومئ عبدال برأسه موافقا فتنهض آنا لتأتي ببعض الكتب. وهنا يخطر على بالها الكتاب الذي استعارته من سميحة. وهو موضوع على الكوموديتو سوية مع نسخة الاطفال من كتاب (الف ليلة وليلة) الذي تتصفحه بين حين وآخر. ليس هناك أي جدوى في سؤال عبدال مرة أخرى عن حكمت، فإما انه لا يستطيع، أو أنه غير مسموح له بأن يحكي عن الذي جرى لحكمت حتى وإنْ كان يعرف ذلك. وربما لا يعرف أيضا شيئا. عندما تعود آنا وهي حاملة الكتب تمتلئ عينا عبدال بالحيوية من جديد.

"لمن هذا الكتاب؟" يسألها عندما تريد أنْ تضع الكتاب الذي فيه صور للوحات خطية فوق الهوية. لا تجيب آنا مباشرة. تنظر إلى عبدال وهو يقوم وقد امتلأ اعجابا، بتحريك يده برقة على الصفحات. "خط الصديق"، وفجأة يشير إلى صورة أسد بوجه إنسان، "وهذا هنا يدعى علي وفوقه يمكنك أنْ تري ذا الفقار، السيف ذا اللسانين."

خطوط سود سميكة متداخلة في بعضها تمتد عبر الصورة. الكتابة تشكل

رأسا موضوعا بشكل مستعرض بعينين، أنف وشارب في حين كتب في جسد الأسد شيئا ما بحروف فاتحة اللون.

"هل تستطيع أنْ تقرأ هذا كله يا عبدال؟" تسأل ذلك لأنها تتذكر أن حكمت قال لها أن ذلك ليس مهما. عبدال يحرك أصابعه على خطوط الكتابة. "أنا أعرف ماذا يعني ذلك." يقول عبدال، "ذلك يعني: إنه من أجل الحقيقة عن علي، المختار، شاه النجف، تمتد يد أولئك الذين وقعوا في وادي البؤس."

"ولماذا صور علي هنا على شكل أسد؟"

"اووه، لأنه حيدر، أسد الله."

يتصفحان أوراق الكتاب معا. "وما هو هذا؟" تبدو الصورة وكأنها واحدة من رسوم الأطفال أو المرضى عقليا.

"هذا هو العالم، الكون. الانسان الكامل يقف على سمكتين. في إحدى يديه يحمل أسدا وفي الأخرى تنينا وإلى جانب ذلك يصيح ديك وهو واقف على إحدى الأشجار."

الانسان الكامل مكتوب من فوق إلى تحت." وما هو الشيء المكتوب عليه؟ "تفكر آنا برسالة معينة.

يتصرف عبدال وكأنه يحاول القراءة بجهد. "هنا يرد اسم علي باستمرار. وكذلك اسم الله ومحمد وحفيديه الحسن والحسين."

لا يستطيع قراءة كل شيء كما يبدو، ولكنه على الأقل يعرف ماذا يعني ذلك.

"كتاب جميل." مرة أخرى يتلمس عبدال الورق برقة. "لا يستطيع المرء أنْ يكف عن التطلع فيه."

"إنه يعود لصديقة لي، تسكن في هذه العمارة."

يرفع عبدال بصره إليها. "صديقة؟" يبدو صوته وكأن شيئا ما فاجأه.

"علي أنْ أعيده إليها قريبا."

تشعر آنا مرة واحدة بالتعب الشديد مع أن التعبير على وجه عبدال يجعلها تفكر.

"يمكنك إذا اردت أنْ تنام هنا على الاريكة."

يرفع عبدال ساقيه فورا ثم يستلقي بطوله عليها. تأتي ببطانية وتفرشها عليه ثم تقبله على الحاجب المحلوق.

"ليلة سعيدة".

"عسى أنْ تحلمي احلاما سعيدة." يبتسم عبدال بعينين مغلقتين مثل الطفل.

عندما تستيقظ أنا في الصباح تجد أن عبدال قد اختفى. تستولي الدهشة عليها وهي تتجه لرفع بطانيته. ترى البطانية وقد لفت بطريقة جعلتها تبدو وكأنها وردة متفتحة. لابد أن عبدال قضى وقتا طويلا كي يستطيع أنْ يلف البطانية بهذا الشكل الجميل. تشعر أنا بالدفء يغمر قلبها وهي تدرك بأن عبدال فعل ذلك لكي يبعث الفرح في نفسها.

"إذن هي جريمة قتل مزدوجة!" لا يظهر يوسف ما إذا كان يعرف بذلك من قبل أم لا. "وهذا شيء عرفته من الرئيس الكبير شخصيا؟" يحدق بها من فوق نظارته ما بين مستمتع بكلامها وما بين من يقوم باستجوابها.

"والذي لا يبدو أنه هو الآخر مقتنع جدا بحكاية مأساة الغيرة هذه." تجلس أنا مقابل يوسف غير مستعدة في داخلها للقبول بتعليلها بمزيد من الكلام الغامض.

"هكذا، هكذا. وماذا يمكن أن يختفي وراء القضية فعلا؟" يفرقع يوسف بلسانه منفعلا.

"هذا ما أسألك أنا عنه أيها الأستاذ الكبير. ففي نهاية الأمر استحق منك معلومة ما بعد أنْ تمكنت من سحب قصة القتل هذه من أنف هاوجسدورف. والآن سوف لن أغادر مكتبك قبل أنْ تضع لي أنت أيضا شيئا من الفتات في طاستي."

"نعم..." يرفع يوسف إحدى ساقيه إلى فوق، تمرين للاسترخاء الجسدي يفترض منه أنه يساعده على التفكير.

"قولي لي ماذا تريدين معرفته وأنا سأقوم بالتنقيب في ذاكرتي بحثا عن الجواب."

على العكس من مظهرها الخارجي تغلي أنا في داخلها غضبا. كيف يستطيع

أنْ يتصرف معها بهذه الطريقة وكأنها لم تحك له عن حكمت شيئا؟ ولكن عليها رغم هذا أنْ تجعل دمها هادئا، أنْ تستخدم الصبر ضد المماطلة، المرونة تجاه التعنت ونفاذ البصيرة تجاه التكتم. وهي تعرف أيضا أن عليها أنْ تسأل بأكبر قدر من الدقة لكي تحصل على جواب يمكنه أنْ يفيدها بشكل ما.

"لنفترض أن حكمت ايفيردي الشيخ كان له دور في أي تجمع، حزب، اتحاد، فئة شعبية أو طائفة دينية...." مع ذلك تدخل آنا في الموضوع مباشرة.

"مثلا؟" يوسف يحاول أنْ يشكل من فاتورة حساب قديمة سفينة.

"مع هؤلاء العلويين مثلا."

"حزرت!" يوسف يشكل شراع السفينة.

"فمن يمكن أنْ يكون غريمه في هذه الحالة؟"

"مجال الاختيار كبير نسبيا." يفرغ يوسف المتبقي من القهوة في طبق الفنجان وينزل سفينته إلى البحيرة.

"علينا ألا نسقط أحدا من حسابنا."

"إذا لم تكن مأساة الغيرة الكبيرة هي السبب فإن هناك أيضا عدد كاف من الحاسدين والمنافسين."

"الذين يجازفون بارتكاب جريمة قتل لأن محل الأيفيردي يكسب كثيرا؟ في هذه الحال يجب أنْ يكونوا منظمين بشكل ممتاز لكي يستطيعوا أنْ يخرجوا من القضية مثل الشعرة من العجين. أما أنْ تصبح من جريمة قتل واحدة جريمتان فهو شيء لا يمكن أنْ يُخطط له بهذه البساطة." تبرم آنا بعصبية شديدة إحدى خصلات شعرها عند الصدغ. "صحيح يا حضرة المفتش، أو أنه امتنع فعلا عن دفع الرشوة لإحدى هذه المنظمات." السفينة الصغيرة تدور على نفسها في القهوة. "لقد جرى الحديث في وقت ما عن هذا الجانب من الموضوع"، تقول آنا متذكرة. "لا بد أن الأرملة قالت شيئا من هذا النوع لهاوجسدورفـه وهو أن زوجها اشترى السلاح قبل فترة قصيرة من الحادث، لأنه كان يتلقى تهديدات من مجهولين خفية وأنه لذلك ظن زوج المرأة الشابة الغيور قاتلا محترفا."

"مع ذلك....." يوسف يدفع السفينة الجانحة إلى القهوة مرة أخرى، "فإن

تصور دخول شخص من هؤلاء المبتزين إلى عرين الأسد بمفرده هو أمر غير محتمل. تصوري لو أن بعض أولاد الرجل كانوا في البيت." يوسف يهز رأسه. "لا، هذا لا يبدو لي صحيحا."

"من أو ماذا يبقى في هذه الحالة؟" تحاول أنا أنْ تنفذ بنظرتها إلى داخل يوسف، ولكنه يركز بصره على سفينته التي تغرق.

"المسألة تتعلق بمدى نشاط الأيفيردي الشيخ كعلوي، وأي قدر من الاهتمام كان يستدعيه من قبل البلد المضيف."

تكاد أنا تفقد صبرها. "وهل كان نشيطا فعلا؟ إذ أنك أنت الخبير في هذا المجال."

يتنهد يوسف: "إنه ليس بالأمر الحسن لك أن تعرفي الكثير. يجب عليك أنْ تسلمي باختفاء الأيفيردي الشاب. لابد وأنه يملك أسبابا لذلك. وأنا أستطيع الآن أنْ أذكر لك خمسة منها بدون حاجة إلى التفكير طويلا. دعي الأمور كما هي. أنت بحاجة من أجل عملك لفكر صاف لا يجوز أن تعتم عليه الاهتمامات الشخصية بشيء."

"ألم ترشدني بأنْ أتعلم منك ما دمنا نعمل سوية؟"

"كنت أقصد التعلم فقط، ولكن ليس من أجل إيجاد حلول لقضايا تكونين طرفا فيها."

"وأنت؟ ألم تكن أبدا مشتبكا في قضايا تكون طرفا فيها؟"

يحدق يوسف النظر بوجهها. "أنا مشتبك بشكل شخصي منذ البداية، وأول أسباب ذلك أصلي. هذا هو الثمن لما أتمتع به من اختصاص . لذلك عقدوا هم آمالهم عليك. لأنك غير متورطة بشيء وعشيقة مستشار الوزارة المختص بهذه القضايا زيادة على ذلك. ألم تفهمي بعد؟ عليك أنْ تلاحظي ما أقوم به، بشكل جانبي بالطبع، وبدون أن تقومي بتحريات بمفردك لا لشيء إلا لأن واحدا من المسجلين في ملفات البوليس أطار لبك . لم يكن هذا ضمن الخطة، افهمي أخيرا."

تعرف أنا أنها ستطيل التفكير في هذه الجمل مستقبلا وليس الآن، حيث

الوقت غير مناسب لذلك. إنها لا تريد أنْ تخرج عن الموضوع، بل يجب عليها ألا تخرج عنه. "أريد فقط أنْ أعرف فيما إذا كان الأيفيردي الكبير ناشطا أم لا؟"

يؤمئ يوسف لها بعينه، فهو لم يكن يتوقع منها هذا القدر من العناد. "وأي قدر من النشاط!" يتمطى يوسف "كان هو الذي أسس مقرا لاجتماعات الاتحاد الذي يلتقي فيه العلويون منذ ذلك الحين. كانت له اتصالات مع تركيا ونظم المقيمين هنا. كان محبوبا جدا، وفيما يبدو محبوبا أكثر مما كان في صالحه. وحتى أصبح أتراك لم يكونوا يهتمون بأصلهم العلوي من قبل أقل اهتمام يزدادون وعيا به."

"هل تريد أنْ تقول إنهم نظموا أنفسهم سياسيا أيضا؟"

"إلى حد ما. إذ أنهم كانوا يظهرون أنفسهم على أنهم التقدميون، المتسامحون، غير المتعصبين؟"

"وهكذا ربما قام المتعصبون، غير المتسامحين وغير التقدميين بالعمل على التخلص من أيفيردي الشيخ." تشعر آنا برأسها يدور. قام يوسف لأول مرة على الأقل بإعطاء جواب ما. أما هي فسيكون هناك الكثير لتطيل التفكير فيه.

"ربما..." يحطم يوسف السفينة الصغيرة بشكل كامل وهو يسحقها بالملعقة. "ولكن لا تنسي أنه لم يوجد ولا يوجد أي ظل من أي دليل، بل بالعكس، ففي كل برامجنا الجميلة ومن ضمنها باسيبيوس لا يوجد أي أثر لاغتيال سياسي للأيفيردي، شيء يمكنني أنْ أقسم عليه. لقد راجعت بحثا عن ذلك كل البيانات عدة مرات."

نظرة آنا تضيق. "معذرة، ولكني لا أستطيع التصديق رغم ذلك. فمثلا لماذا قام هاوجسدورف حسب اعتقادك بدق باب الأرملة، وذلك بعد أكثر من أربع سنوات من الحادث؟"

"ومن أين لي أنْ أعرف ذلك؟" يتلمس يوسف وجهه بيده، علامة على شعوره بالاستياء والعصبية.

"لأن شيئا ما لفت انتباهه. أو ربما توجد قضية أخرى لا نعرفها نحن لها ارتباط بالقصة السابقة. أو أنهم قاموا في مجرى التحقيقات حول الاعتداء على

الوزير بإخراج كل القضايا الغامضة من مخبئها. ولكن الثابت في الأمر هو أن هناك شيئا ما لفت انتباه هاوجسدورف وموظفيه. الأمر الذي يعني.....»

«هذا لا يعني أي شيء يا عزيزتي، على الأقل الآن. ومن الممكن أنْ تكوني أنت من أثار ذلك كله عبر ما ادخلته في البرنامج سهوا. ألا تتذكرين؟» حقق يوسف من جديد تقدما كبيرا في المجال الذي يتحرك فيه، بحيث يستطيع الآن أنْ يعود بظهره إلى الوراء.

ما قاله يخترق أنا مثل صدمة كهربائية. «أنا الغبية! هذا شيء لا اغفره لنفسي مطلقا.» يبتسم يوسف ابتسامة مشرقة. «أعدك أنني سأتابع الموضوع حتى أجد ما حل بذلك الوغد الذي سلبك قلبك. ولكن اقسمي لي ألا تقومي بعد الآن بدور المحقق البوليسي وحدك، لأنك بهذا تسببين أضرارا أكثر مما يمكن أنْ تحصلي عليه من معلومات، صدقيني.»

«عدني بذلك.» تمد أنا يدها ناحيته.

«أعدك بأي شيء؟» يبدو على يوسف شيء من الارتباك.

« أن تجد ما الذي حصل لحكمت.»

«الله، الله»، يقول يوسف بسرعة، «أنت لا تتخلين ابدا عما في ذهنك ! هل أنت مصنوعة من الفولاذ، أم ماذا؟»

عندما تعود أنا إلى البيت ترى من مسافة بعيدة ورقة ملصقة على بابها. يدق قلبها بسرعة شديدة. «المفتاح الجديد عند البواب.» نبضها يهدأ من جديد وهي تهبط السلم مرة أخرى لكي تأتي بزوج نعيمة خانم، الذي يلوح لها بالمفاتيح الجديدة بحركات واسعة من يده ثم يفتح الباب ويغلقها عدة مرات.

«انظري فيما إذا كان قد اختفى شيء من الشقة، فمع أنني كنت واقفا طوال الوقت هنا، ولكن من يدري، ربما سرق مرة أخرى شيء ما. اريد أنْ تتأكدي فورا.»

يعد زوج نعيمة خانم في العمارة نموذجا للانضباط ويريد في كل الأحوال أن يحتفظ بسمعته هذه. تنظر أنا بشكل سطحي فيما حولها ثم تمد يدها إلى محفظة نقودها.

"انظري بشكل دقيق." زوج نعيمة خانم يصر على الدقة.

ظاهريا فقط تسحب آنا بضعة أدراج وتتحسس ما هو موجود فيها. ما الذي يريد المرء أن يسرقه بعد أنْ اختفى الكمبيوتر الصغير؟ أكواب الشاي، نفاضة الضيوف أم ملابسها الداخلية؟

"كل شيء هنا." تفكر آنا فيما إذا كان البقشيش كافيا، فعلى كل حال بقي زوج نعيمة خانم واقفا عندما تم تبديل القفل وانتبه بأن يعمل مركب الأقفال بشكل سريع ومضبوط وقام بعد ذلك بكنس المكان أيضا. لكي تسهل عليه أخذ البقشيش تقول آنا شيئا عن "صندوق توفير الأطفال." فيما يتعلق بهذا الأمر يملك زوج نعيمة خانم أيضا سمعة جيدة. بعد أنْ أكد لها بأن البقشيش ليس ضروريا يأخذه مع ذلك وهو يتمتم أيضا بشيء عن "صندوق توفير الأطفال."

بعد ذلك يودع آنا بأن يضع أولا يده على صدره ثم يرفعها بعد ذلك إلى صدغه.

"من المؤسف أنْ كمبيوترك سرق، كان عليك أنْ تخبريني حينها فيما يتعلق بالقفل."

يغلق الباب خلف آنا. تحتاج إلى فترة من الوقت حتى تعرف كيف يجري فتحه من الداخل. نسيت سهوا المفتاح في الباب من الخارج، ثلاثة مفاتيح معلقة مرة واحدة في حلقة من السلك. عندما عرفت كيف يعمل القفل الجديد جربته مرة أخرى لكي تطبع ذلك في ذهنها نهائيا. كان يمكنها أنْ تعطي فورا زوج نعيمة خانم واحدا من هذه المفاتيح من أجل أنْ تكون قادرة على الدخول إلى شقتها دائما حتى عندما تنسى حقيبتها في مكان ما أو أنْ تفقدها كما حدث أثناء ما سيطر الرعب على الناس في قاعة المصحة.

بشكل ما تفتقد كمبيوترها الصغير. تفتقد جلوسها إليها وهي تدور في دوامة من الأفكار، وهي تتحرك من برنامج إلى آخر، تتذوق لقمة هنا، وإذا لم يعجبها يمكنها أنْ تطلب فورا أنْ يقدم لها طبق آخر. الحصول على معلومات من هنا أو إشارة من هناك، دون أنْ يكون مهما أنْ يملك المرء اهتماما حقيقيا، فالشهية لا تأتي إلا عند تناول الطعام.

أنْ تكون عضوة في مجتمع من متشممي المشاكل الذين لا يرضيهم إلا شيء

واحد، أنْ يكون عدد المشاكل القائمة لانهائيا. أنت تحكي لي مشكلتك وأنا أحكي لك مشكلتي. ليس لأننا بهذا نتمكن من حلها، وإنما لأن هذا يشعرنا بأن العالم الواسع الكبير قد أصبح مرة واحدة مأهولا بالبشر وفي الوقت نفسه غائم الملامح إلى حد لا نهائي. لا أحد يعرف ما هي رائحتك، ولا فيما إذا كنت قبل فترة قصيرة من الآن قد حملت برتقالة بيدك أو عضضت على حبة من الفستق. وحتى الألم هو ألم عام، ألم غير منظور. أو قد يكون هناك إنسان يشتكي لآخر عن وحدته الرهيبة، والآخر يعرف فورا عن أي شيء يتكلم هذا لأنه هو نفسه جرب هذه الوحدة. هل يعرف المرء لهذا السبب أكثر عن وحدة الآخرين، أم أن الانسان لا يعرف شيئا إلا عن مشاعره هو فقط؟

وعلى كل حال فإن هذا أفضل أحيانا من لا شيء. يضغط المرء على الأزرار فيبدأ شيء ما بالحركة. وحتى لو كان الانسان مكتئبا إلى حد كبير فإنه لا يستطيع أيضا الكف عن مواصلة الضغط على الأزرار لعله يعثر في مكان ما على جملة قادرة على تغيير كل شيء.

تشعر أنا بشقتها وكأنها أصبحت فارغة منذ أنْ لم يعد الكمبيوتر المحمول موجودا فيها. كما أن المطر لم ينقطع طيلة النهار عن السقوط والجو أصبح شديد البرودة". برد الخراف"، كما يسمى ذلك في شهر حزيران. لأول مرة تشعر بالأسف لأنها لا تملك حتى جهاز تلفزيون، هذا الشيء المواسي للروح، المحتقر من قبل الكل والذي لا يمكن الاستغناء عنه من قبل الغالبية. متعبة وفي مزاج متعكر تعد في المطبخ لنفسها بضعة قطع من الخبز المدهون بالزبدة. هنا يخطر على بالها أنها لم تأكل شيئا منذ الإفطار، فلا غرابة أن تلتهم ما أعدته التهاما. ذهبت في طريقها إلى البيت إلى واحدة من المكتبات العامة الكبيرة وبحثت تحت حرف العين عن مصطلح العلويين . لم يكن في نيتها أنْ ترهق نفسها بأحد المجلدات العلمية الضخمة، ولكن شروح يوسف لم تعد تكفيها. الشيء الوحيد المبسط الذي وجدته واستعارته كان كراسا من حوالي عشرين صفحة لجمعية الشرق الألمانية فرع استانبول مؤلفته امرأة، وهو ما يوحي لها بالثقة. أعاد لها الشاي النشاط. تستلقي أنا على الأريكة وهي ترتدي الكيمونو. تدفع الريح

بضعة من كريات البرد فتصطدم بزجاج النافذة والجو يصبح معتما فتضطر رغم التوقيت الصيفي لإشعال الضوء حتى تستطيع القراءة.

تحت شعار "الآن لن نبقى صامتين" اخترق العلويون عام ١٩٩٠ جدار الصمت الذي أحاط تصوراتهم العقائدية وممارساتهم الدينية عدة قرون من الزمن. وقد حدث ذلك بالرغم من أن أصواتا متشائمة تنبأت في بداية الثمانينيّات بأن المذهب العلوي بما فيه من خصوصيات سيذوب في المجتمع الحديث. إذ أن كثيرا من الأشخاص تحت سن الخمسين من العمر بدأوا في السنوات التي تلت ١٩٥٠ يؤمنون بالتفسير العلماني للعالم، المخالف للتفسيرات القديمة. بهذا لم يعد مع نهاية الثمانينيّات للتركيبة التقليدية للرابطة العلوية قوة تذكر."

يطابق هذا إلى حد كبير حتى الآن ما كان يوسف يقوله بين حين وآخر. هل قرأ هو أيضا هذه الدراسة؟ ولكن بعد ذلك حدث فجأة إحياء فريد من نوعه للمذهب العلوي كعقيدة دينية وكذلك كممارسة حياتية. ومنذ بضع سنوات بدأ العلويون بالحديث لأول مرة بشكل علني عن تصوراتهم الدينية الخاصة وبدأوا بالمطالبة بالاعتراف رسميا بالعلوية كأحد المذاهب الدينية القائمة بذاتها، وبمساواتها من الناحية الاجتماعية والدينية بالمذهب السني للإسلام. هل كان هذا المطلب هو الذي كلف الأيفيردي حياته؟ كذلك ذُكر بأن نسبة العلويين ضمن الأتراك الذين يعيشون في أوربا هي أعلى مقارنة بنسبتهم من مجموع السكان في تركيا نفسها، أي ما بين. ٢٠-٢٥ كذلك يتطابق هذا مع حجم الكتلة العلوية بالمقارنة مع السنة من الأتراك والأكراد. قبل فترة قصيرة تحققت أنا بنفسها من هذه المعلومات حسب ما هو موجود عندها من بيانات. ولكن على قدر قلة اهتمامها بالموضوع يومذاك، على قدر ما أصبح رأسها الآن مليئا بالأفكار عنه، وإنْ كانت الاسئلة تدور كلها حول شيء واحد لا يتغير: ماذا حدث لحكمت؟ هل كان موجودا فعلاً أم كان هو أيضا جزءا من الأحلام التي لا يستفيق المرء منها إلا بصعوبة؟

"الإنسان هو الكعبة." هذا هو إذن ما اراد عبدال أنْ يقوله لها حينما كانا على قناة الدانوب. هنا مكتوب بشكل واضح بأن العلويين يعتبرون الانسان جوهر

التقوى لأنه حسب رأيهم مخلوق الله الأكثر كمالا. الله يُظهر نفسه في كل انسان، بغض النظر عن جنسه أو عرقه أو طبقته الاجتماعية. الانسان مصنوع من الطبيعة الإلهية، ويستحق طبقا لذلك أنْ يحظى بالتقدير اللازم. والعلويون يعتبرون الخدمة التي يقدمها الانسان لأخيه الانسان خدمة لله نفسه. تفكر آنا كيف كانت ستشعر بالمذهب الكاثوليكي حينما تقرأ تفسيرا له من قبل شخص مسلم يحمل تجاهه موقفا وديا. ولكنها لم تكن مطلقا مهتمة اهتماما خاصا بالدين، لا كممارسة ولا كتصور فكري. بالنسبة لها لا يوجد إلا ذلك الشوق الجارف الذي تشعر به أقوى منها ومن طاقاتها. تقرأ آنا وتتصفح وتقرأ مرة أخرى. أحيانا تشعر وكأن عينيها ستنغلقان إجهادا. كل هذه المصطلحات الغريبة عليها مثل الأبواب الأربعة، المحطات الأربعين، القديسين الأربعين، المعلمين، الأجداد، الأساتذة، القادة .... كلها مصطلحات لا تفهم من مضمونها إلا القليل. هل يؤمن حكمت بهذا كله؟ بعد ذلك تجد شيئا عن موضوع القرابة الاختيارية والتي ذكرها يوسف أيضا.

تشكل هذه فيما يبدو شيئا أساسيا فيما يسمى "أخوة الآخرة أو أخوة الطريق."

تسجل الكلمة التركية لهذا المصطلح: (مصاحبلك) والتي تعني أن رجلين لا تربطهما قرابة الدم يدخلان مع زوجتيهما علاقة من المسؤولية المتبادلة تدوم مدى الحياة. وهذه المسؤولية هي أقوى من رابطة الأخوة الطبيعية لأنها تتطلب تضامنا مطلقا، اقتساما للمال والعقار والكفالة تجاه خطيئة يقع فيها أحد طرفي المصاحب. كذلك غير مسموح لأطفال (المصاحب) الزواج من بعضهم حتى الجيل الثاني لانهم يعتبرون أخوة.

تقليد فريد من نوعه. شيء أكثر قوة وربما أكثر إلزاما من (الآخر)، الذي يُطلب من المسيحيين أنْ يحبوه مثل محبتهم لأنفسهم . ولكنه أيضا أكثر صعوبة منه، تصور أنْ يقضي المرء حياته كلها مرتبطا في السراء والضراء مع زوجين آخرين، اي "عندما تصبح أربعة قلوب قلبا واحدا" كما وصف يوسف ذلك. فعندما يقترف واحد من هؤلاء الأربعة خطأ ما، فإن الآخرين ملزمون بتحمل

المسؤولية تجاه ما قام به من عمل خاطئ. وعندما يصاب أحدهم بفاجعة فإن ذلك يصيب الأربعة كلهم، وذلك بتأثير يستمر على الجيلين التاليين أيضا. يا له من تناقض مع قصة آنا الشخصية نفسها، التي لا يعرف فيها الأب عن وجود ابنته شيئا.

هل هناك علويون وحيدون؟ شيء غير ممكن بعد كل هذه الإجراءات الوقائية التي كانت الطائفة تتخذها لكي لا يصبح إنسان ما وحيدا في الحياة. تقاليد صعبة لا يستطيع الشخص الذي يأتي من خارج الطائفة أنْ يجاريهم فيها مطلقا، أي عندما يكون العلوي الواحد في الوقت نفسه أربعة أشخاص. ولكن ماذا يحدث لأولئك الذين لا يريدون الامتثال لهذه القواعد أو القوانين؟ هل يفقدون هويتهم كعلويين؟ألم يقل يوسف مرة بأنه مع كل التسامح تجاه الآخرين فإن القوانين في داخل الطائفة نفسها صارمة جدا؟ وربما لا تزال كذلك؟ فجأة تخطر أليف على بالها وهروبها المتعجل من الديسكو. هل صحيح أن عمرها أقل من أربعة عشر عاما كما ادعى فرانتيشيك؟

كيف يكون رد فعل الطائفة تجاه الذين لا يلتزمون بوصاياها؟ يوجد شيء في الدراسة عن هذا أيضا، حيث يذكر بأن العلويين يعطون بالدرجة الأولى أهمية كبيرة للإجماع. مع ذلك فإن مبدأ العقاب مأخوذ به أيضا، مثل فرض الغرامات المالية أو ممارسة العقاب الجسدي. أما الأسوأ من بين الآثام مثل الخيانة الزوجية، القتل أو إفشاء أسرار الطائفة فيعاقب عليها بالطرد المؤقت أو الدائم من الطائفة.

ألا يزال هذا كله ساري المفعول؟ لم يعد الأمر ينطبق على إفشاء أسرار الرابطة منذ أنْ أصبح العلويون أنفسهم يمارسون طقوسهم وتقاليدهم علانية. أما الأخذ بالثأر فاصبحت قضية من اختصاص الدولة والقضاء. والخيانة الزوجية؟ المسيحيون أيضا يلتزمون رسميا بالزواج من واحدة. ولكن ماذا يعني هذا في الواقع. على كل حال أصبحت تعرف الآن بقدر ما يعرفه يوسف. ولكن هل ينفع هذا في توضيح أمر حكمت؟ حكمت الذي تسلل إلى أحلامها قبل أنْ تلتقي به بفترة طويلة؟

هل تكون في نهاية الأمر هي التي خلقته بقوة أشواقها؟ هل أدى ما تتوق نفسها إليه أنْ يظهر حكمت إلى العيان؟ حكمت الذي لا تستطيع أنْ تكف عن تذكره؟ هل أصبح موجودا فقط في تلك الفترة القصيرة، عندما كانت لهفتها على أقوى ما تكون؟

وإذا كان الأمر يتعلق بها وبقدرة خيالاتها، فكيف لا يمكنها أنْ تستعيد حكمت؟ لكي تتعرف عليه من جديد؟ قبل أنْ يتداعى العالم مرة أخرى إلى مصادفات وضرورات لا تخضع لخالق معين.لماذا لا يمكنها أنْ تجعل حكمت يتكون مرة أخرى؟ حكمت الذي يملك مهارة أكثر من هاوجسدورف بحيث يستطيع أنْ يكسر قفل الباب الجديد لكي يقف فجأة امامها في معطفه الطويل قاتم اللون برقعه الغريبة والذي يجعله ينزلق من على كتفيه إلى الأرض ويبقى راقدا عليها مثل كلب منطو على نفسه. حكمت بحواجب سود كثة، مثل ألف، الحرف الذي تبدأ به كلمة ألوان، كما أوضح لها عبدال كيف تكتب. وبين هذين الألفين تتوهج نظرة حكمت التي كثيرا ما أغمضت عينيها تجاهها. ولكنها في هذه المرة ستبدي ثباتا أمام هذه النظرة حتى لو كان في ذلك دمارها.

شعره لا يزال يتحرك دائريا عندما يدير رأسه فجأة، والظلال التي يلقي بها ذقنه النابت تعني لاماً وياءً، مثل الياء التي تحدث عنها حكمت في ذلك الحين. الآن اصبحت تستطيع قراءتها.

تنهض واقفة من مكانها لكي تستطيع أنْ تجذبه اليها بقوة أكبر. قلبها ينبض مع إيقاع الكلمات. "اقترب." وفعلا يقف حكمت بجسده كله. نظرته تحرق الكيمونو، تذيبه إلى كتلة من نسيج الحَرير الذائب تسيل على ساقيها. حكمت الذي لم يقبلها حقيقة أبدا –هل كانت رغبتها ضعيفة هكذا؟ يلمس بإصبعه السبابة منخفض رقبتها ثم يتحرك به على أطراف كتفيها، يرسم عليهما دائرتين صغيرتين مثل أنشوطة. ماذا يكتب؟ يكتب حروفا على حلمتيها. ينقط عليها ثلاث مرات، تلك النقاط التي تستخدم لتكثيف الحروف، حيث تعمل من حرف ب حرف ب أو من حرف س حرف ش. من أين تعرف هذا فجأة؟ جسدها كله يصبح صفحة مكتوبة، فوق صرتها تتقاطع الفوارز ثم تنحدر إلى خاصرتيها. "سأبقى

أحبك حتى لو كنت اينشتيان شخصيا." لسان حكمت يصبح فجأة أسود وهو يحركه على الحرف الذي كتبه من قبل.

"كنت صفحة بيضاء وأنت الذي كتبت عليها." حكمت هو الآخر عار الآن. نبضه ينتقل إلى دورتها الدموية. بشرته أكثر بياضا من بشرتها وبحاجة إلى الكتابة.

"الأمر سهل جدا. اغمسي لسانك." تشعر وكأن شفتيها تتبعان أثرا موجودا في ذاكرتها، من اليمين إلى اليسار، من أعلى إلى أسفل، من الألف إلى الياء. بدا حكمت على كتفيها، شفتا حكمت على شعرها. "اقرئي القصيدة."

"أية قصيدة؟ القصيدة التي يجدها لسانها؟ قصيدة حكمت؟ القصيدة التي علمها جسده قراءتها بحيث أصبحت تفهمها هي أيضا؟"

"اجعلي لسانك ينطق."

تردد كلمات تتكون في فمها بدون أنْ تعرفها مسبقا. وعندما تنطق بها تفهم معناها أيضا حتى وإنْ كانت لا تعرف لغة هذه الكلمات. المعنى موجود في ذكرى لا تعود لها.

حبي لك يرقد في قلبي عميقا
يوجد طريق يقود إلى مكان أكثر عمقا
الحق والقانون هما درب الباحثين عن الايمان
والحقيقة الإلهية تتوغل أكثر إلى الأعماق
التخلي عن العقيدة هو العيش بدون الله
فأي كفر أكثر عمقا من هذا
لا تقل إنني موجود مع نفسي فأنا لست فيها
وإنما تتوغل في داخلي أنا أخرى إلى الاعماق
كل ما أراه مملوء بك
وأنت ترقد في دمي متدفقا إلى الاعماق
البعض منهم يعد وحبك كافيا
والبعض الآخر مدفوع بالبحث في الأعماق
حبك سلبني نفسي

اكثر مؤاساة من المؤاساة يحرقني فيها ألم
الوفاء والايمان أصبحا منسيين منذ زمن بعيد
فأية عقيدة ستباركني عميقا
في الطريق إلى الصديق يتيه حكمت
وهو واقف أمام الباب الذي يقود إلى أعمق الأعماق

للقصيدة طعم حلو كالبشرة ومالح مثل العرق. ستضعها الآن على لسان حكمت. لفمه رائحة البرتقال والفستق الأخضر. الكتابة على جسده أصبحت سوداء مثل تلك التي على جسدها. يرتفعان فوق الأرض جناح أحدهما هو جناح الآخر. مكتوبان داخل بعضهما. أساتذة الخط يبتكرون ابدع الحلول لكي يربطوا الحروف ببعضها. شيء لا يتحقق دائما، فالبعض منها تبقى منفصلة إلى الأبد. تلك التي تكتب في بعضها تجسد الجمال، وتكون كلمة، معرفة، والتي كانت قبل ذلك مختفية فيها كنكرة. الآن أصبحت ظاهرة، ظاهرة بوضوح تام. مثل حكمت الذي كان دائما مختفيا بين كل البشر حتى رأته هي أول مرة.

"الم أناد عليك؟" والكلمة اصبحت جسدا في لحظة اختفائه.

تخيله يجعل موجة من البهجة لا يمكن مقارنتها بشيء أبدا تحل عليها، وعطرها يملأ المكان. انا غارقة بعرقها. القصيدة ملقاة على وجهها على الأرض. سقطت من الكراس. لابد أن أحدا ما حاول ترجمتها. يونس عمرة مكتوب تحتها، الاناضول، بين القرن الثالث والرابع عشر. التلفون يرن. جهازها القديم الذي لا يزال موجودا طبعا. يدها تبحث عن السماعة. خشخشة عالية. تشعر بوجود شخص ما على الخط. "هلو، تكلم رجاء." عسى الا يكون على الخط واحد من هؤلاء المجانين الذي ينوي توجيه الشتائم لها أو أنْ يسمعها كلمات بذيئة. لا، ليس الآن.

"إذا كنت أنت التي تطوف أمام عيني؟"

"حكمت؟" تقول أنا بصوت متقطع.

"شخص ما سيأتي بك إلي، في يوم من الأيام القادمة فكوني متهيئة لذلك. لا استطيع انْ أقول الآن متى بالضبط."

"حكمت!"

"انتبهي ألا يتبعك أحد."

انتهى. الصوت الذي يلي انقطاع المكالمة. حكمت! عندما تتلفظ بالاسم بصوت خفيض لا يستطيع أحد أنْ يسمعها، إلا إذا كان هناك من يختفي تحت السرير. يجب أنْ تشرب أي شيء. تشعر بلسانها يحترق، وبإرهاق شديد حتى أنها تضطر وهي في المطبخ أنْ تستند بجسدها إلى الثلاجة. لقد نجحت فعلاً. لقد تمكنت بقوة خيالها من استعادة حكمت إلى حياتها. ستراه، قريباً، بغض النظر عما حدث خلال الفترة التي مضت. ستراه، وقد ساعدتها أمنياتها مرة أخرى. تأخذ أنا الكأس معها إلى الفراش. هل سيكون هذا الشخص الذي سيأخذها إلى حكمت معروفاً لديها؟ أحلامها مثل الغيوم المتفرقة التي تمزقها الرياح فوق السماء. كل شيء يدور حول الأربعة: رجل – إمرأة، رجل – إمرأة. مستور، مكشوف، مغطى، تحت الغطاء، مد قدمك على قدر غطائك. ألم يجر الكلام في الكراس عن هذه الأشياء أيضاً.

تستمر لعبة الكلمات في رأسها حتى في الصباح وهي واقفة تحت رشاش الماء في الحمام. لو أنها فقط تعرف ماذا يعني هذا. فجأة يخترقها السؤال اختراقاً: هل يتستر حكمت على شخص ما؟ هراء، إذن لما اختفى هو، وإنما الشخص الذي يتستر عليه.

هل تحرك حلمها في الفراغ فقط بعد ذلك الاجهاد الذي تعرض له ذهنها يوم أمس؟ ترد كلمة تستر على ذهنها ولكنها لا تفيدها بشيء. وكذلك كلمة متطابق. هل هي الكلمة الأنسب؟ ولكن أنسب لأي شيء؟ لو أنها لا تزال تملك جهاز كمبيوترها المحمول لقامت بفتح إحدى الموسوعات المخزنة فيه. تستر، مستور مستتر، اووه. ليست سوى فكرة تثبتت في رأسها، وربما غرقت في شاي الصباح. فجأة تصبح أنا متنبهة جداً. ماذا قصد حكمت حينما قال بأن عليها الانتباه ألا يتبعها أحد؟ هل يعني في نهاية الأمر هاوجسدورف...؟ أمر غير ممكن. مع ذلك يستيقظ طموح في داخلها. شيء يبعث على الضحك. إنها ليست شغوفة بالذهاب إلى السينما دون سبب. هل يستطيع واحد من رجال

هاوجسدورف مجاراة خبرتها في الأفلام البوليسية. إنها للأسف ليست ماهرة في التنكر مثل سميحة، مع ذلك تصمم على مواجهة التحدي.

منذ مكالمة حكمت تغير كل شيء. الآن أصبح لديها هدف، أصبح لها يقين والإرادة لمواجهة كل ما يقف في طريقها.

كان يوسف بانتظارها. تراه آنا واقفا إلى جانب ماكنة القهوة ثم يشير لها أن تأتي إليه في مكتبه. "هل قرأت؟" يسكب يوسف شيئا من القهوة عندما يضع الفنجان إلى جانب الجريدة. يتغلغل السائل في الورق فورا. يفتح الصحيفة، يطبقها على الموضع المبلل، يضغطها بشدة ثم يمد يده بها إلى آنا. صورة رجل شاب ينظر فزعا في الكاميرا. آنا تقرأ شيئا عن حيدر آيفيردي الذي ألقي القبض عليه مجروحا بعد مشاجرة بين الأتراك. وبالرغم من كونه حسب الأوراق التي يحملها مقيم في فيينا منذ سنوات، إلا أنه يكاد يجهل اللغة الألمانية جهلا كاملا، وهو لا يعرف مدينة فيينا، ويملك مع ذلك رخصة عمل. إنه أمر ضعيف الاحتمال أنْ يكون الجرح الذي أصيب به في المشاجرة قد أفقده الذاكرة، لأن هذا الجرح لا هو بالشديد ولا بالخطير.

"ولكن حيدر آيفيردي متوف. مات حرقا في سيفاس."

"الأمر الذي لا يهم أحدا هنا كما يبدو."

لا تستطيع آنا أنْ تصدق الأمر.

"هل تفهمين الموضوع؟" يأخذ يوسف الجريدة مرة أخرى.

آنا تفهم طبعا. ولكن ما الذي عليها أنْ تفهمه بالضبط؟ أن هنا شيئا ليس على ما يرام؟ يركز يوسف بصره عليها بتعبير من يتوقع شيئا، أو كأنه لا يريد أنْ يغفل عن رؤية وجهها عندما تنيره تلك اللمحة بأن الأمور بدأت تتوضح لها. ولكن رأس آنا لا يريد أنْ يستنير بشكل كامل، ليس بعد.

"هل تفهمين أخيرا لماذا كنت أتضرع إليك بألا تتصرفي بمفردك في شيء ليس منسوجا بشكل متين حتى وإنْ كان قد سار بشكل جيد لفترة من الوقت؟ أما الآن فقد انتهى الأمر. سيستخرجون منه ما يريدون معرفته ضربا." يوسف يشير إلى صورة الرجل في الصحيفة.

"ماذا يستخرجون؟" تمنت آنا لو أنها لم تتسرع في قول ما قالت. كيف تستطيع أنْ تقر بأنها لم تفهم تماما بعد؟ وذلك تجاه يوسف. يوسف مندهش فعلا، يقطب جبينه ثانية مثل غروتشو ماركس "ألا تزال آلام القلب هي التي تملأ رأسك، أما العقل فبعيد عنه بعدا شاسعا؟"

تأخذ آنا الجريدة منه. للرجل الشاب شبه ضئيل بأفراد عائلة الآيفيردي، ولكنه كما هو مصور هنا يبدو شبيها بأي واحد من الأتراك. أسود الشعر، بحاجبين كثيفين ولحية صغيرة. "هذه القصة مع جوازات السفر لا أعرف أنا نفسي شيئا كثيرا عنها، عدا أنها موجودة. ولكنهم سيحصلون على هذا منه."

لا تجيب آنا وإنما تستغرق في التمعن بالصورة وكان عليها أنْ تعالج قضية حيدر آيفيردي هذا في رأسها مثلما تقوم بعمل استطلاع وظيفي.

"وكما هم متضايقون رجالنا في فرق مكافحة الإرهاب لأنهم لا يستطيعون تحقيق أي تقدم في قضية القنابل فقد أصبحوا يصوبون الآن نيرانهم بهذا الاتجاه، حيث ابتدأوا حملة مكثفة لفرض النظام وذلك تحت شعار: "كل من لا ينتمي إلى هنا" يجب أنْ يعاد إلى بلده. وهم يريدون أنْ يحققوا نجاحا كبيرا في هذه القضية على الأقل، الشيء المضمون فعلا، لأنهم لا يقومون إلا بمطاردة صغار السمك. أما الناس فسيكونون شاكرين لهم ذلك لأنهم سيرون فيهم الحامين لهم. والآن لن يتم إبعاد هذا أو ذاك من الخراف الشاردة فقط وإنما قطعانا بكاملها."

تحاول آنا كسب الوقت "ولكن الشخص الذي يحمل وثائق صحيحة ورخصة عمل لا يمكن إعادته إلى بلده، هناك قوانين تمنع ذلك."

"من الذي يملك هذه؟" يهز يوسف كتفيه. "أما أولئك الذين يملكونها فعلا فهم ملزمون بإخوانهم، أبناء أعمامهم أو عوائلهم."

"الطرف الآخر في المصاحب." تضيف آنا شاردة الفكر.

يتطلع يوسف إليها "هكذا! يبدو أنك قد تعلمت شيئا. ثم لا تنسي أيضا أن كل هؤلاء يأتون من مجتمعات يختلف فيها التعامل مع القرابة اختلافا كبيرا عن المألوف هنا."

"هل تقصد أنهم يقتسمون فيما بينهم كل شيء؟ حتى أوراقهم الثبوتية؟" يوجه يوسف الضوء الذي تعكسه نظارته إليها. "اقتسام وأيضا توزيع كل شيء، ولكن هذا شيء لم أقله أنا، وإنما قلته أنت؟"

"وماذا علي أنْ أفعل الآن؟" مرة أخرى سؤال غبي لم تكن له ضرورة. إنها تعرف ما عليها عمله: أنْ ترى حكمت أولا وستعرف بعدها ما الذي عليها أنْ تفعله بالضبط.

"لقد قلت لك عدة مرات، كوني ذكية، واسعة الصدر وكتومة."

"سأقوم بما أستطيع القيام به يا سيدي العزيز" أخيرا تتمكن انا من الابتسام. ليست سيئة أبدا، هذه الأمثال العربية.

"أنت لا زلت مدينة لي بجميل." يظهر على تيريزا أنها مبتهجة ومتحررة من الهموم بشكل لم تبد عليه منذ أمد بعيد. "لابد أنْ تري هذه الشقة، إنها كما تبدو لي ضربة حظ لا مثيل لها. ومع أنها ليست كبيرة المساحة، إلا أن غرفها مقسمة بشكل يستطيع فيه إيفو مستقبلا أنْ يستقبل أصدقاءه دون أنْ يؤثر ذلك علي إذا اردت انا الذهاب إلى النوم. فجدران الشقة كلها جدران سميكة بشكل رائع مثلما هو في الأبنية قديمة الطراز."

"وماذا تريدين أكثر من ذلك؟" شيء جميل أنْ يشع وجه تيريزا بهذا الشكل.

"في الواقع أنا التي وجدتها، أظنك لا زلت تتذكرين ذلك."

"ولهذا السبب أريدك أنْ تريها. عدا ذلك أحتاج إلى نصيحتك، فإيفو لا يمكن الاستفادة منه من هذه الناحية."

أظهرت أوقات العمل المرنة انها مفيدة جدا. العصر لا يزال في أوله حين تتوجه تيريزا وانا إلى الشقة الجديدة. تذهبان هذه المرة بالباص، وتقرران أنْ تذهبا بعد ذلك لأكل الأيس.

"محطة الباص قريبة كذلك." تكتشف تيريزا في كل مرة مزيدا من التفاصيل الجيدة في الشقة.

انه يوم اعتيادي، دافئ ولكن ليس بالحار، غائم ولكن ليس ممطرا وخال أيضا من المشاكل غير المريحة. مع ذلك يدق قلب انا دقا شديدا عندما تمر مع

تيريزا من أمام عمارة الأيفيردي. شقة الأيفيردي تقع في الطابق الثالث منها. هل يختبئ حكمت في مكان ما هنا، أو قد يكون في شقة أمه؟ استخدم حكمت تلفونها القديم، ولكنها في أغلب الأوقات ليست في البيت ورقم تلفونها المحمول لا يعرفه أحد عدا هاوجسدورف. وهي لم تعطه حتى لجيجي أو لبوني. إنها لا تستطيع أنْ تحتمل هؤلاء الناس الذين يلاحقهم باستمرار صفير ما، كما أنها لا تعتقد أيضا أن حكمت سيتصل بها بالتلفون مرة أخرى. ربما ستوضع في المرة القادمة قصاصة من الورق تحت بابها، أو سيعطيها شخص ما إشارة عندما تكون في الشارع. تعبر أنا وتيريزا الشارع، تدخلان العمارة الأخرى وتصعدان بالمصعد إلى الطابق الرابع. المصعد من الطراز القديم، مثل قفص من زجاج يستطيع المرء أنْ ينظر من خلاله إلى الخارج. قريبا من بيت الأيفيردي يشعر انا بالاضطراب. ربما كان من الأفضل لو أنها كانت قد زارت فريدة خاتون مرة أخرى بدلا من الذهاب إلى سوق الأطعمة. فقد يكون الأخوة كثر ولكن لا يوجد إلا فريدة خاتون واحدة، شيء هي متأكدة منه.

"ما بك؟" تيريزا تلكمها بخفة في جنبها. "هل هذا هو اليوم الذي تسرحين فيه، أم أن للأمر علاقة بالسيد مستشار الوزارة؟"

أنا تضحك، بشكل ما لهذا كله علاقة بهاوجسدورف أيضا، بالرغم من أنها في هذه اللحظة أبعد ما تكون عن التفكير فيه. هي واثقة من انه سيتصل بها مرة أخرى ما أنْ يصبح لديه الوقت الكافي لذلك، لكي يطالبها بالاتفاق بينهما، ولكن هذا أقل ما يشغل بالها الآن. الأمر المهم هو ألا يسبق حكمت في الوصول إليها، بغض النظر عما حدث لحكمت. تجد انا أيضا أن الشقة ممتازة، وبالدرجة الأولى غرفة النوم الصغيرة المفصولة عبر المطبخ عن بقية الشقة والتي يمكن لتيريزا أنْ تنعزل فيها في أي وقت تشاء، في حين يحاول إيفو وأصدقاؤه إنقاذ بلادهم من الانهيار.

"ما رأيك إذا جئت بالستائر من الشقة القديمة إلى هنا؟" تخرج تيريزا مقياسا من حقيبة يدها وترجو أنا أنْ تساعدها في قياس النوافذ. لا تظهر أنا مهارة كبيرة، ولكنهما تتمكنان معا من إنجاز الأمر، فتكتب تيريزا المقاسات في دفتر

صغير. من النافذة يمكن رؤية شقة الآيفريدي. هل يخفي حكمت نفسه في العلية التي لا يستخدمها أحد، دون أنْ يعرف إلى أي حد هي قريبة منه؟ من الممكن أن تكون شقة الآيفريدي مراقبة. آنا تبحث عن رجل لا شغل له إلا التحرك جيئة وذهابا ثم الوقوف بحيث لا يجعل مدخل العمارة يغيب عن بصره. ولكن لم يكن هناك أحد يمكن أنْ تنطبق عليه هذه المواصفات، أي تنطبق عليه بشكل ملحوظ. ولكن هذا لا يعني أن شيئا كهذا لا يحدث. سلمت الشقة نظيفة، ولكن ذلك لا يعني أن الآثار قد محيت كلها تماما. فقد ترك المستأجرون السابقون أريكة صغيرة، دولابا وبضعة كراس قديمة. المطبخ في حالة جيدة أيضا. الآثار التي تركتها الصور على الجدران توحي بشعور شديد من الوحشة. وعلى الأرض كذلك تشير اختلافات لونية إلى المكان الذي كانت قطع الاثاث موضوعة عليه.

"سيقوم أحد أصدقاء إيفو بصبغ الجدران قبل أنْ نأتي للسكن في الشقة. عندها فقط ستتوقف الأشباح عن الحركة هنا." تتلمس تيريزا الجدران التي يتساقط منها الطلاء. تحاول آنا أنْ تتصور من كان يعيش هنا؟ زوج وزوجة؟ زوج وزوجة مع أطفالهما؟ أم زوجان مع أم عجوز أو مع أب كبير في السن؟

"أين ستضعين مائدة الطعام؟" تنهض تيريزا واقفة أمام الأريكة التي جلست كلاهما عليها لتجربتها، وحينما تتوجه إلى منتصف الغرفة يسقط منها الدفتر الصغير الذي كتبت فيه مقاسات النوافذ. تنحني عليه وهي تضع يدها حول بطنها وكأنها تريد حمايتها. حركة لا أهمية لها بالتأكيد ولكنها تصيب آنا بالدهشة.

"هل أنت حامل؟"

تبدو تيريزا وكأنها أخذت على حين غرة. تضحك قليلا دون أنْ تجيب وكأنها تريد الاعتذار عن شيء ما.

"تيريزا، لقد سألتك عن شيء ما."

تهز تيريزا كتفيها. "يمكنك أنْ تقولي ما تريدين، ولكني أردت ذلك."

"لابد أنك مجنونة!" تستنشق آنا الهواء بصوت عال، ولكن هذا كان كل شيء.

"هيا، وبخيني، أنا أعرف كيف تفكرين أنت حول هذا الموضوع، ولكن الأمر

سيسير بشكل ما. لقد كنت أتمنى دائما أنْ يكون لي طفل. ثم قلت لنفسي من الأفضل أنْ يكون لي طفل من شخص احبه جدا. بالطبع أنت محقة في كل الاشياء التي تخالفينني فيها، ولكني أنا محقة أيضا، والأمور ستسير بشكل ما."

لا تدري آنا ما تقول. ماذا يمكن للمرء أنْ يقوله أصلا؟ ومع أن الأمر يمكن التنبؤ بنتائجه إلا أنه يفتتنها مع ذلك بطريقة غريبة، مهما كانت الظروف التي دفعت تيريزا لاتخاذ هذا القرار.

"هل يعرف إيفو بذلك؟"

تمعن آنا النظر بتيريزا. لحد الآن ليس هناك ما يمكن ملاحظته عليها، ولولا هذه الحركة لما كان شيء قد خطر على بالها أصلا.

تيريزا تضحك. "إيفو يقول بأنه يحب الأطفال، بغض النظر عما يعنيه بذلك."

"لا تخافي"، آنا ترمي من الشباك المطل على الشارع نظرة إلى تحت متسائلة مع نفسها فيما إذا كان ممكنا رؤية واحد من عائلة الأيفيردي صدفة، "سنقوم بهز الطفل معا." كيف يمكنها أنْ تقول شيئا مثل هذا؟ هي التي تعرف بالتجربة ماذا يعني أنْ ينشأ الطفل مع الأم فقط. أن إيفو لا يمكن الاعتماد عليه، فهو أمر هي واثقة منه الآن، مثلما لم يكن ممكنا الاعتماد على أب مثل أبيها بروس.

ولكن ألم تكبر هي وبوني، ألم تعش جيجي حياتها بعد ذلك أيضا؟ فلماذا تتعب رأس تيريزا بالأفكار، الأفضل من ذلك أنْ تأتي لرعاية الطفل من حين لآخر.

"شكرا." تيريزا تضع ذراعها حول كتفها وتقول وكأنها تستطيع مثل عبدال قراءة أفكارها "أنت تستطيعين أنْ تأتي لرعاية الطفل بين حين وآخر."

وعندما تريدان بعد ذلك الهبوط بالمصعد يظهر بأنه لا يعمل فتنزلان على السلالم. يبدو على تيريزا الارتياح كما كان الحال في الماضي عندما كانتا تذهبان لأكل الآيس كريم. "سآخذ كأسا كبيرة من الآيس كريم بطعم المانجو وكثيرا جدا من كريمة الحليب والجوز."

تدير آنا عينيها، "والآن تتوحمين أيضا! شيء فظيع."

تضحك كلاهما بصوت عال. يبدو أنْ شخصا ما يأتي بطلبات معينة لأن بوابة

العمارة مفتوحة على مصراعيها. وفي اللحظة التي تريدان فيها الخروج إلى الشارع تسحب آنا تيريزا بحركة سريعة إلى الظلال المعتمة لمدخل العمارة بعد أنْ ترى بوابة العمارة المقابلة تفتح وتخرج منها إمرأة شقراء وهي تدير ظهرها إليهما. تمسك آنا بذراع تيريزا وتضع إصبعها على فمها. إمرأتان تتحدثان مع بعضهما، ربما باللغة التركية. إحداهما، التي لم يكن ممكنا رؤيتها لأنها لم تتخط العتبة، قد تكون فريدة خاتون، والأخرى؟ تغلق الباب بعد فترة من الوقت وتتحرك المرأة التي كانت طوال الوقت مستديرة بظهرها إليهما بخطوات سريعة مبتعدة. تتعرف آنا عليها من مشيتها، إنها سميحة.

لم تكن هناك لا ورقة ملصقة على باب آنا ولا لوح لها أحد بشيء أثناء ما كانت تسير في طريقها إلى البيت. كانت قد ذهبت قبلها إلى المقهى وشربت كأساً من الكمباري، فلشرب الشاي كان الجو ساخنا. أما القهوة فهي لا تشربها إلا أثناء العمل فقط. التركي الشاب على البار حياها عندما مرت به متحركة إلى الجزء الخلفي من المحل. وكأنه يعاني من تأنيب الضمير يسألها فيما إذا كانت قد سافرت، لأنه لم يرها منذ وقت طويل. تتصرف آنا وكأنها لم تلاحظ لا خشونته السابقة ولا توده الحالي. تهز رأسها فقط وتقول – العقاب لابد منه – لم تكن لديها ببساطة رغبة بالحضور. تتناول مرة أخرى الجريدة التي أراها إياها يوسف في الصباح وتتأمل وجه الرجل. كم يبدو مضطربا وعاجزا وكأنه يعرف تماما ما الذي سيحدث له الآن. ولكن ما الذي حدث لحكمت؟ لو فرضنا أنهم قاموا بإعطاء أوراق حيدر بعد موته إلى آخرين. فما علاقة حكمت بالأمر؟ هذا فيما لو كان لحكمت علاقة بالقضية أصلا. من أي مكان خفي استطاعت خيالاتها بقوة الأمنية وخط الصديق استدراجه للظهور؟ المقهى ممتلئ أكثر من المعتاد، ربما لأنه قد أفتتح فيه شيئاً شبيهاً بحديقة داخلية تمتد إلى فنائه الخلفي، وتحيطها كما هو مألوف في جنوب أوربا شجيرات موضوعة في براميل خشبية تعزل الجزء الخاص بالمقهى عن بقية الفناء. ولكن لا أحد يأتي إليها ويشير لها إشارة خفية بأن تأتي معه أو يمرر لها من تحت الجريدة قصاصة من الورق.

عندما ترتقي آنا السلالم إلى شقتها يرن تلفونها النقال. تمر فترة من الوقت

حتى تخرجه من قاع حقيبة يدها، وعندما تضعه أخيرا على أذنها، تكون قد وصلت إلى باب شقتها.

"لقد فكرت أنك نسيته مرة أخرى في البيت، خصوصا وأنك لم تستخدميه أبدا."

صوت هاوجسدورف يحمل شيئا من الاستياء. لم تتصل به في الأيام الأخيرة فعلا، ولماذا عليها أنْ تفعل ذلك، إذ لم يكن هناك شيء يمكن أنْ تقوله له.

"لم أرد أنْ أزعجك." لو خطر على بالها شيء أفضل تقوله، "هل تحققون تقدما في مساعيكم؟ هل تم الكشف عن العقل المدبر للقنابل؟"

"يوجد تقدم في عدة اتجاهات"، هاوجسدورف يتنحنح، "ولكنها دائما الأشياء نفسها. فعندما تطلقين النار على بطة برية يحدث أنْ يسقط غراب أمام قدميك."

تعبر آنا عن دهشتها. "منذ متى أصبحت تخالط الصياديين؟" جني المعنى الخفي غير طريقة تذكره.

"إذا كان ذلك لخدمة الدولة." يالها من لهجة! يبدو على هاوجسدورف أنه يعتقد فعلا بصحة ما يقوم به. أم يريد فقط أنْ يثير عندها انطباعا جيدا؟

"هل أصبحت تنام في الوزارة؟" تريد آنا أنْ تعرف ما إذا كان عليها أنْ تضع في حسابها بأنها ستلتقي به اليوم أو أن المصارحة النهائية ستتأجل مرة أخرى؟ ماذا يعني هنا المصارحة النهائية؟ فالشيء الذي تستطيع أنْ تقوله له قالته وانتهت. إنه فقط هو الذي يرفض أنْ يأخذ ذلك بنظر الاعتبار. والآن حيث ستلتقي بحكمت، عليها أنْ تكون حذرة جدا.

"تقريبا، ولكن ذلك لا يعني بأننا لا نستطيع أنْ نرى بعضنا." تشعر آنا وكأن كلامه يحمل شيئا من التهديد. قفل الباب الجديد يطمئنها بعض الشيء، ولكن ليس بشكل كامل.

"ربما سآتي اليوم لزيارة قصيرة. إذا لم يحدث شيء غير متوقع." إلا هذا. أنها متوترة جدا لكي تستطيع أنْ تتحمل هاوجسدورف، وماذا لو اتصل حكمت بالتلفون مرة أخرى؟

"اليوم غير ممكن، أنا متواعدة مع تيريزا." ولكن تيريزا لم تكن عذرا مقنعا

جدا، كما تلاحظ آنا فورا.

"تيريزا؟ منذ متى أصبحت تلتقين مع تيريزا في المساء؟"

لا يجبرها هاوجسدورف على الكذب فقط وإنما على الخيانة أيضا. العفو، تيريزا.

"إنها حامل."

"حامل، يا بختها." لا يبدو على هاوجسدورف أن الخبر أدهشه أو أثار لديه شيئا من الاهتمام.

"بختها ليس كبيرا"، الأمر أصبح سيان بالنسبة لها، "لذلك اتفقنا على أنْ نتحدث في الموضوع بشكل جدي."

"سأتصل بك فيما بعد. إذا كنت في البيت فهذا حسن، وإذا لم تكوني فيه فسنلتقي غدا، إذن حتى لقاء قريب، حبيبتي."

ترمي آنا التلفون المحمول على الفراش. سوف لن تفتحه مرة أخرى. ماذا يعتقد هاوجسدورف في الواقع؟ أنه هو وحده الذي يقرر متى يلتقيان؟ هل يعني ذلك أنها لا تستطيع البقاء وحدها حتى في شقتها الخاصة؟ بدون هاوجسدورف؟ يداها ترتجفان. عيناها تبحثان أمام الباب، فربما تكون قصاصة من الورق قد انزلقت تحت ممسحة الأقدام. ولكنها كانت قد رأت وهي تتحدث مع هاوجسدورف عدم وجود أية قصاصة. لو أنها تعرف فقط كيف سيتصل بها ذلك الشخص الذي سيأخذها إلى حكمت وخصوصا متى. تغسل آنا وجهها بالماء البارد وتضع ذراعيها أيضا تحت الماء المتدفق فترة طويلة. يقال أن ذلك وسيلة جيدة لتهدئة الأعصاب، ولكن أعصابها لا تهدأ مع ذلك. لا يمكنها أن تبقى المساء كله جالسة في البيت إذا كانت لا تريد المخاطرة بأن يجدها هاوجسدورف هنا. فهذا سيعني فشل كل إمكانية لرؤية حكمت. نجح هاوجسدورف في ذلك في إحدى المرات، في ذلك المساء الذي جاء فيه من نيويورك وذهبت هي لاستقباله بدلا من الذهاب كما في الأيام التي سبقت إلى مقهاهما، حيث كان حكمت ينتظرها. إنها لا تزال مقتنعة بأن حكمت كان ينتظرها في ذلك المساء في المقهى، كما أنها لا تزال تعتقد أن عدم حضورها ذاك كان السبب

المباشر في اختفاء حكمت. والآن يجب ألا ينجح هاوجسدورف مرة أخرى في صرفها عن رؤية حكمت، لا اليوم ولا في أي يوم آخر.

عندما يبدأ جهاز تلفونها الآخر بالرنين يتوقف قلبها لعدة لحظات عن الدق. وعندما ترفع السماعة ثم تقول "نعم" يبدأ بالخفقان مرة أخرى. جيجي هي التي على الخط وهي تشكو من أنها منذ العشاء مع هاوجسدورف لم تسمع عنها شيئا. "كيف حال عينك؟"

تحاول أنا بشدة أنْ تسيطر على نفسها لكي لا تغلق الخط بوجه جيجي، ليس فقط لأن جيجي تجعلها عصبية، وإنما لأنها تشغل الخط أيضا، في حالة اتصال ذلك الشخص الذي يريد أخذها إلى حكمت في وقت أبكر مما تتوقعه.

"كأنها جديدة"، صوتها يحمل شيئا من التذمر ويبدو بهذا مقنعا.

"ما قلته في المرة السابقة أزعجني كثيرا." يبدو على جيجي أنها تريد أنْ تتصالح وأنا تعترف بأنه كان هناك ما يدعو للاستياء فعلا.

"العفو، أنا لم أقصد شيئا سيئا، ولكني أشعر أحيانا بأنكما تحاولان أنت ويوني فرض وصايتكما علي. أنا أعرف طبعا بأنني الأصغر سنا وأنكما ربما تفعلان ذلك لهذا السبب." يخطر ببالها أن حكمت هو أيضا الأصغر سنا. الأصغر سنا من بين سبعة أخوة. وما هو عمر حيدر هذا، الذي لا يمكن أنْ يكون هو حيدر آيفيردي؟

"يا له من كلام غير معقول، نحن قلقون عليك فقط، وهذا كل شيء."

"جيجي، رجاء، لا تبدئي بالكلام عن هذا الموضوع مرة أخرى." تحاول أنا أنْ تعطي صوتها نغمة ودية قدر الإمكان. فقط لو أن جيجي تكف عن ذلك.

"حسنا، حسنا، وهذا هو أصلا ليس الشيء الذي أردت أنْ أقوله لك."

"ماذا إذن؟" لا تستطيع أنا السيطرة على نفاذ صبرها إلا بالكاد.

"هل عندك زوار؟ لاحظت جيجي ذلك، وستقوم أنا هذه المرة بالتحجج بهاوجسدورف بدلا من تيريزا.

"ليس بعد، ولكن هاوجسدورف سيأتي وعلي أنْ أرتب المكان." تنتفض أنا بجسدها كله وهي تتكلم.

"سلمي لي عليه. والشيء الذي أريد أنْ أقوله لك بسرعة هو أنْ أوسكار بدأ عمله كمدير."

"شيء رائع." أنا لا تريد أنْ تسمع أية كلمة أخرى عن أوسكار بالرغم من كل ما يتمتع به من مواهب.

"ألا تريدين أنْ تعرفي في أي مجال؟"

جيجي كفي رجاء. ولكن الدعوات الحارة لا تستطيع دائما أنْ تحقق ما يتمناه الانسان.

"دعيني أحزر."

جيجي تكركر ضاحكة، ثم تكركر ضاحكة مرة أخرى. "سوف لن يخطر ذلك ببالك أبدا."

"إذن قولي لي أنت." تتعرق يد أنا على التلفون.

"بائع ملابس داخلية."

"ماذا؟" لم تصغ آنا أصلا بشكل جيد.

يبدو على جيجي وكأن ضحكها لا يريد أنْ ينتهي.

"ملابس داخلية نسائية. إذن، عندما تحتاجين أي شيء، يمكنك أنْ تحصلي عليه بواسطة أوسكار بسعر أرخص."

لا تدري آنا ما تقول.

"هذا ما أردت قوله لك بسرعة."

"سوف آخذ ذلك بنظر الاعتبار. ولكن جرس الباب يدق. يجب أنْ اذهب لفتح الباب."

"واتصلي من حين..." تقطع آنا على جيجي كلامها قبل أنْ تبدأ هي نفسها بالصراخ. بوني عندها حق. جيجي هي حالة لا أمل فيها. تتحرك آنا في الشقة من الفراش إلى الحمام ومن الغرفة إلى المطبخ وبالعكس. كتاب الخط لا يزال ملقى وهو مفتوح على الطاولة إلى جانب الدراسة. تتمعن في الأسد ذي الوجه البشري والمكتوب بخط الصديق، كما وصفه عبدال. الف لام، ياء، هو شيء

بسيط جدا في الواقع، العالم المتكون من حروف. حكمت هو الكاتب. وعبدال؟ فيه ينعكس وجه الصديق. "أنظري إلى وجهي، هل تتعرفين عليه؟"

تتصفح آنا الكتاب مرة أخرى وهنا تخطر سميحة على بالها. ستقوم بإعادة الكتاب إلى سميحة. تغير آنا بلوزتها وتمشط شعرها. سميحة هي الحل. لن يبحث هاوجسدورف عنها عند سميحة مطلقا. وحكمت؟

"حسن أنك أتيت، فالآن أستطيع أنْ أريك أخيرا أعمال والدي." لا تزال سميحة شقراء الشعر. تتطلع آنا إليها تطلعا سافرا حتى تلمس سميحة رأسها وتسحب إحدى الخصلات بشكل خفيف.

"نعم، نعم، إنه مقصوص فعلا. لقد كنت أريد دائما أنْ أعرف كيف تشعر المرأة بشعر أشقر."

على آنا أنْ تتعود على ذلك. "يناسبك جدا، مع ذلك تبدين غريبة علي." تضحك سميحة. "أبدو كذلك لنفسي أيضا. ولكن هذا هو الأمر بالذات. الكل يبحث عن هويته وأنا أريد دائما أنْ أكون شخصا آخر."

الطاولة مليئة بالأوراق والصحائف. "بالطبع لم يكن والدي عبقريا مثل عزيز أفندي هذا الذي كان يمتلك تلك النظرة التترية. أنت تعرفين ما أقصد، أو مثل الشيخ حمد الله، الأستاذ الكبير من القرن الخامس عشر، ولكن خطه جيد أيضا. وكان قد علم في تركيا أجيالا عديدة من التلاميذ، الشيء الذي يبدو أمرا عظيما على عكس ما كان حاله في الواقع، لأن سوء حظه جعله يعيش في زمان بدأ الخط فيه يفقد أهميته بشكل متزايد. ربما تعرفين أنت بأن الأتراك بدؤوا باستعمال الأبجدية اللاتينية في نهاية العشرينيّات، مما جعل الخط العربي ينحصر على المجال الفني فقط. ولفترة طويلة لم يظهر فن الخط باللغة اللاتينية، وفي الواقع لا يوجد ذلك اليوم أيضا. ولكن منذ بضع سنوات أصبحت رؤية خطاطين في الأسواق أو مراكز التسوق الكبيرة ممكنة، يستطيع المرء أنْ يطلب منهم مقابل مبلغ بسيط كتابة اسمه بخط لاتيني جميل. تسحب سميحة ورقة بيضاء من الكومة وتريها لآنا التي لا تزال واقفة. "لأنا أيضا قمت في المرة الماضية في استانبول بكتابة اسمي بهذه الطريقة."

كانت آنا تريد طوال الوقت أنْ تسأل سميحة عن شيء معين، ولكن سميحة كانت مركزة أنظارها على عالم والدها وخطه، مما جعل آنا تحجم عن ذلك، من المؤكد أنها ستجد فرصة أخرى لذلك.

"تفضلي اجلسي يا آنا. هل تريدين كأسا من العصير؟" تؤمىء آنا بالايجاب. لا تزال تحمل في يدها كتاب الخط الذي تريد إعادته إلى سميحة. تقدمه الآن لها.

"هل اطلعت عليه جيدا؟" تأخذه سميحة ثم تضعه إلى جانب صحائف والدها على المنضدة. "عندها ربما سيهمك أنْ تعرفي ما الذي اكتشفته. أن والدي. ..ولكن سآتيك أولا بشيء تشربينه." تختفي سميحة لحظة في المطبخ. عندما تعود حاملة الكأس تعود أيضا بشعرها البني الأصلي على رأسها. "اعترفي بذلك صدقت." تومئ آنا برأسها غير مصدقة.

"هذا يعني أنها تستحق ما دفعت فيها من نقود. لقد كانت باروكة غالية جدا بالرغم من أني كلفت بصنعها في استانبول حيث لا يزال العمل اليدوي معقول السعر بعض الشيء."

تضع سميحة الكأس على الطاولة ثم تبدأ مرة أخرى بتقليب الصفحات" أغلبها خطوط جيدة بالمعنى الكلاسيكي، سور وآيات قرآنية، أختام الخلفاء الراشدين الأربعة.

رسم لعلي بشكله الأسطوري، عبارات دينية معروفة وهذا كله بأنواع الخط المألوفة وإنْ كان معتمدا قليلا أسلوب عزيز أفندي. ولكن لابد وأن والدي أدرك في وقت ما بأن الفن لا يمكن أنْ يعيش كتكرار متواصل، وأنه حتى الخط لا يمكن أنْ يتحمل هذا النوع من الجمود وبدأ بعمل عدد لا حصر له من الكارالاما، ما يسمى بصحائف التمرينات، والتي تمكن فيها من أن يترك ليده حرية في العمل. في الأوقات التي كان فيها الخط العربي يستخدم في الحياة اليومية كان يوجد أيضا عدد كاف من الخطوط التي تستخدم لأغراض الحياة الدنيوية والتي يمكن منها أيضا استخلاص مواضيع مجردة لفن الخط. ولكن منذ أنْ أصبحت اللغة العربية أسلوبا فنيا فقط، فقد الخط مرة واحدة خلفيته الحية.

في الماضي كان كل شخص يكتب بهذا الخط يستطيع طبعا قراءة ما يكتبه

أيضا. ولكن هذا تغير في زمن والدي. هو نفسه كان قادرا على قراءة كل شيء ولكن تلامذته الشبان لم يعودوا كذلك. عدا ذلك فإن الخط العربي لا تمكن قراءته بسهولة مثل الخط اللاتيني، وذلك لأن كثيرا من الحركات لا تكتب فيه. الكتابة العربية هي كتابة تجريبية يتعلمها الانسان مع استخدام اللغة، وهي تستند إلى سعة خبرة في الكتابة.

كذلك أبي، الذي كان يعرف اللغة العربية، على الأقل اللغة العربية الكلاسيكية، والتي هي ضرورية لقراءة القرآن، تعلم الخط عبر التقليد للأساتذة الكبار وبقي محافظا على هذا التقليد لفترة طويلة حتى اكتشف، كما يبدو لي، في يوم ما بأنه حتى التقليد المتقن اتقانا شديدا لا يمكن أنْ يعوض عن طراوة الخيار الشخصي. ولابد أن ذلك أوقعه في صراع مع فهمه للعمل، حيث يلعب الخضوع للأساتذة الكبار دورا مهما، ولكن أيضا مع ورعه. وربما لعب الانتقال إلى هنا أيضا دورا كبيرا في جعل قناعاته تهتز، حتى وإنْ كان نادرا ما يخرج من البيت. بدأ مرة واحدة بالتجريب. مثلا هذا هنا، أنظري بنفسك."

تمد سميحة يدها إلى أنا بإحدى الصحائف. "ربما لا تستطيعين تمييز الفرق بسرعة. ولكنك إذا قارنته بدقة مع أعماله القديمة، فسترين أين يبدأ الاختلاف."

لا تميز أنا فعلا شيئا مختلفا، على الأقل ليس بشكل دقيق، ومع ذلك يبدو لها أن هناك نفسية خاصة تعبر عن نفسها في هذه الصحيفة، هذا إذا لم تكن هي واقعة هنا تحت تأثير ما توحيه لها سميحة.

"وقد تغيرت مواضيعه أيضا. فقد بدأ بكتابة كلمة واحدة فقط يضعها على خلفية ملونة ويضع في الزوايا مجموعة من الحروف الصغيرة التي لا تحمل بحد ذاتها معنى معينا."

"ما هذه الكلمة؟" أعطت سميحة لأنا واحدة من هذه الصحائف. خلفيتها وردية اللون مع زخارف بلون التفاح الأخضر وأكاليل مذهبة في الإطار الداخلي المصنوع من ورق خاص.

"لا شيء." سميحة تخرج صحيفة أخرى مكونة من كلمة واحدة.

"كيف لا شيء؟ فالكلمة الواحدة لابد وأنْ تحمل معنى ما."

"لا شيء. إنها كلمة لا شيء." سميحة تبتسم. "ربما سأهدي لك واحدة من هذه الصحائف، إذا كان ذلك يعجبك فعلا. لقد كان والدي يحاول ذلك مرة بعد أخرى، وكأنه كان مهووسا بهذه الكلمة، مهووسا بشكلها. أنا لم أكن على علم بذلك، فهو لم يعرض علي أبدا مجموعته من صحائف كلمة لا شيء. ولكن بعد أنْ تغلبت على نفسي وبدأت بتنظيم مخلفاته، اكتشفت هذه الصحائف. وقد كانت ملفوفة على بعضها وموضوعة تحت سريره."

"هل تعني (لا شيء) شيئا مثل النرفانا؟" حاولت أنا أنْ تميز كل حرف من الحروف، ولكن دون أنْ تنجح في ذلك.

تهز سميحة كتفيها. "لا أعرف، فأنا لم أطل مطلقا التفكير بالدين من الناحية الفلسفية. أعرف فقط أنْ هذه الـ(لا شيء) هي أحد المواضيع التي يتناولها أساتذة الخط الآخرين. أما إذا كان لهذه الكلمة معنى ما أو كان لها معنى معيّنٌ خارج حدود كونها كلمة مكتوبة فهو ما لم أستطع التوصل إلى معرفته." تكدس سميحة المخطوطات على بعضها لكي ترتبها قليلا.

"أصبح الخط في الوقت الحاضر يحظى من جديد بمكانة رفيعة، فقد أصبح الإسلاميون يبنون الآن عددا كبيرا من المساجد المزينة بشرائط من الخطوط الجميلة، بحيث أصبح الأشخاص الذي كانوا تلامذة لوالدي، على العكس منه هو، يعيشون اليوم من الخط كمصدر جيد للرزق. لقد كان أغلب هؤلاء حاضرا في جنازته وكان باديا عليهم أنهم يعيشون في وضع اقتصادي جيد. أنا لا أريد الادعاء بأنهم أصبحوا متعصبين دينيا، ولكنهم أصبحوا فيما يبدو مهتمين بأن تكون لهم علاقة جيدة بأولئك الذين يكلفونهم بالقيام بهذه الأعمال."

تسحب أنا واحدة من الصحائف المتبقية. تمتد أصابعها وكأنها تتحرك من نفسها إلى صورة شبيهة بواحدة رأتها في الكتاب، وهي صفحة مخرمة، مذهبة الحافات ومكتوبة بنص شبيه بذلك الذي كان معلقا على بابها قبل عدة أسابيع.

"هبة الدرويش صحيفة خضراء." تبدو هذه الجملة في فم سميحة وكأنها عبارة متداولة.

"ماذا تقولين؟" تتذكر أنا أن يوسف تلفظ بذلك بشكل بديهي عندما أرته

الصحيفة التي وجدتها، مع الاختلاف في أنها لم تكن مذهبة.

"لا شيء." تنظر سميحة إلى الصحيفة ضاحكة. "هذا شيء يقال فقط. ولكن هذه الصحيفة هي موتيف من فن الدراويش. وأنا أشعر بالدهشة من أن يكون والدي قد قام في النهاية بعمل أشياء من هذا النوع، وكأنه كان يبحث عن منفذ للخروج من المحافظة في الأسلوب، بالرغم من انه لم يكن طيلة حياته مسلما محافظا إلى حد كبير. ولكن بالنسبة له كان ذلك يحمل معنى آخر. فبالنسبة له كان التدين يعني تعبيرا روحيا، شيئا لا يحصل الانسان عليه بالإجبار ولا يحق له انْ يفرضه على الآخرين بالإجبار."

يتجمع الدمع في عين سميحة، ولكن فجأة تقدح فيهما نظرة غضب. "كان بإمكانه انْ يستفيد من التحول السياسي في تركيا، ولكنه لم يرد ذلك. كان يكره كل ما هو مثبت ظاهريا في إطار معين، لأنه كان يعتقد بأنه يعرف ما يختفي وراء ذلك كله. كان يقول بأنهم سيدفعون بالأمور إلى حد أنهم سيغلقون أمامنا كلنا الطريق الذي يقود إلى محبة الله، كما فعلوا ذلك في بلدان أخرى. فبسبب الإجبار لم يعد الناس يقرأون القرآن، وإنما أصبحوا فقط يحملونه معهم أينما ذهبوا. فأي دين هذا عندما يستبيح فيه البشر عدالة الله على الأرض ويعطون لأنفسهم الحق في منح الحياة وفرض الموت على البشر الآخرين. ولهذا السبب بالذات لم يكن صعبا عليه جدا أنْ يغادر استانبول ويأتي عندي هنا. وكان يقول بأنه يعيش هنا في الغربة فعلا، وهو أمر صعب على رجل مسن، إلا أنه أمر أكثر صعوبة عندما يعيش الانسان غريبا في وطنه." تنهمر دموع سميحة على وجنتيها فلا تستطيع أنا للحظة من الزمن أنْ تقاوم الشعور بأن هذه هي سميحة الحقيقية، ولكن في اللحظة التالية تبتسم سميحة مرة أخرى وتذهب لتأتي بعلبة سجائر جديدة من المطبخ. خط، خط، ومرة أخرى خط، أنه مثل خط الأحلام الذي بعثت فيه الحياة.

"لابد ان والدك كان يملك يدا هادئة لكي يستطيع أنْ يكتب هذه العلامات شديدة الصغر."

"ملائكته كانت تخدمه بشكل جيد."

"ملائكته؟" ترفع أنا بصرها عن الصور.

"يقال بأن مهارة اليد وبالدرجة الأولى يد الخطاطين هي ملائكة."

كانت أنا قد سمعت مرة عن ملائكة الكتابة ولكن الملائكة كمهارة؟ ومع ذلك يبدو لها الأمر مقنعا بطريقة غريبة.

"ولكن أولئك الذين يدعون الآن بأنهم يدعمون الخط بالذات هم الذين يجعلون ملائكتهم تهرب منهم." تفتح سميحة قداحة السيجائر وتغلقها عدة مرات

"كيف؟"

"لأنهم لا يكفون عن مطالبتها بأن تعيد عمل ما كان يعد في وقت ما من أعمال التقوى. والآن يراد أن تزين به ملصقات مطامح جديدة في السلطة، أي أن يصبح التراث مركبة تمتطيها السياسة. شيء لا يمكن لأي ملاك أنْ يتحمله، صدقيني. شعر والدي بذلك بشكل واضح. وقد جاهد لحماية نفسه من هذا النوع من أنواع الاستغلال. وقد تعرف تلاميذه هنا على أستاذ آخر غير ذلك الذي عرفه التلاميذ في استانبول. كان أول ما علمه لهم هو احترام ملائكة الكتابة التي لا تريد حبسها في تقاليد مغلقة بإحكام. الملائكة تريد التحليق، وهذا من حقها. وهي تجدد خلق الجمال مرة بعد أخرى مع كل حرف يعمد الخطاطون إلى تغييره ليشتقوا من هيكله إمكانات جديدة للاتصال بحروف غيره من أجل أنْ يكتبوا كلمات لم تكتب بنفس الطريقة من قبل."

لا تستطيع أنا إلا بصعوبة صرف نظرها عن الأشكال الكثيرة الغريبة عليها.

"متى جاء والدك إلى هنا؟"

""قبل حوالي أربع سنوات تقريبا." سميحة تفكر قليلا." نعم قبل أربع سنوات."

"قبل أم بعد وفاة زوجك؟"

"مرت بضعة أشهر فقط بين وفاة أمي وزوجي، لذلك ذهبت مرتين متتاليتين إلى استانبول بسبب وفاة، وفي إحدى هاتين المرتين حملت معي نعشا في الطائرة إلى هناك. وفاة زوجي سهلت على والدي اتخاذ القرار بالقدوم إلى هنا. لقد جاء أيضا لحمايتي، كما كان يقول، وليس فقط من أجل أنْ أقوم أنا برعايته."

تتناول أنا جرعة من العصير ثم تبحث في طرف الطاولة عن مكان تضع الكأس عليه، لكي لا ينسكب شيء منه على الصحائف.

"وكيف كانت العلاقة بين أبيك وزوجك؟"

تأخذ سميحة أنفاسا عميقة من سيجارتها "كانا بعيدين عن بعضهما بعض الشيء، أقصد أنهما كانا مثل الأب والإبن. وكانا في إطار العائلة يحبان بعضهما، ولكن في جوهرهما كانا مختلفين عن بعضهما جداً. ففي الوقت الذي أصبح فيه والدي، الذي كان في أعماقه متدينا جدا، يشكك في أواخر حياته بكل ما له علاقة بإحياء إسلام ذي طابع سياسي، ترك زوجي الأمور تسير بدون أن تخضع لأية قواعد صارمة. فكما قلت لك من قبل، كنا نشرب النبيذ أحيانا ونذهب للرقص ولم نكن نلتزم بتعليمات الأكل، ولم أكن أنا ملزمة بوضع غطاء على رأسي. ولكن في دخيلته لم يشكك زوجي بسلطة الدين الإسلامي أبدا، بل بالعكس كان يعتقد بصحتها المبدئية. وفي طبعه كان إنسانا دمث الأخلاق، سهل المعاشرة، ولطيفا عندما يكون الأمر متعلقا بمشاعره، وغير مبال تجاه كل ما يشعر أنه لا يعنيه بشيء. كان تمكنه من الدراسة هنا ثم مشاركته في المؤسسة تشبه الفوز بالجائزة الكبرى في اليانصيب. ولكنه في الحقيقة لم ينس مطلقا من الذي سحب له هذه الجائزة."

"ألم تقولي في إحدى المرات إنه أراد إعادة تكاليف دراسته إلى هذه المؤسسة الدينية؟"

تبدو ضحكة سميحة وكأنها آتية من مكان عميق ومحملة بالمرارة". لو أن كان الأمر بتلك البساطة فقط. بالطبع فكر هو بالأمر، خصوصا وأنه رتب ذلك، ولكن هذه المؤسسات الدينية تملك أموالا كثيرة. أما الشيء الذي يحتاجونه فهو أناس يملكون قابليات كبيرة، أشخاص أكفاء. وكمهندس اتصالات كان زوجي يملك قيمة أكبر من النقود التي أنفقت على تعليمه. الشيء الذي أرادوه هو أنْ يضع نفسه تحت تصرفهم، أنْ يستفيدوا منه وأنْ يستخدموه كما يريدون."

"ولماذا كنت تتحدثين دائما عن حادث ولم تقولي لي أبدا بأن زوجك أطلق عليه النار من قبل أيفيردي الشيخ أو بالعكس؟"

جمعت أنا كل ما تملك من شجاعة. اما الآن أو أن الفرصة لن تسنح لها مرة أخرى أبدا. لا تطرف لسميحة عين، بل وتبتسم أيضا وإنْ كانت قد فوجئت قليلا". لأنني كنت أعرف بأنك ستكتشفين ذلك بنفسك. أنا أيضا كنت مضطرة حينذاك لأن أكتشف كل شيء بنفسي، تحت رعاية والدي، ومع ذلك وحدي تماما."

"ألم تتكلمي مطلقا مع والدك عن هذا الأمر؟"

"فقط عندما كنت أتوصل إلى نتيجة ما. لقد نفعني أنني كنت قبل موت عثمان قد حققت استقلالي بطريقتي الخاصة، رغم أن هذا بالذات منح الآخرين لسوء الحظ ذريعة لتحريض زوجي وزجه في قصة القتل غير المعقولة تلك. ولكن لو لم يجر الأمر بهذا الشكل لاخترعوا شيئا آخر يوصلهم إلى هدفهم."

لم تكن أنا تتصور أن رد فعل سميحة سيكون متماسكا إلى هذا الحد. هذه المرأة تفاجئها دائما وكما يظهر فإنها تمتلك أيضا قدرا كبيرا من حضور البديهة.

"ألم تشعري بالخوف مطلقا؟"

"أنت لست الأولى التي سألتني هذا السؤال." تلف سميحة خصلة من شعرها حتى يصبح الشد كبيرا ثم تتركها تنفرد من جديد.

"طبعا، كنت أشعر من وقت لآخر بالخوف. ولكنني اكتشفت بأنهم لا يحسبون حساب النساء بشيء، خصوصا عندما يتعلق الأمر باقتسام السلطة والأموال."

"أنت تتحدثين دائما (عنهم.) من هم هؤلاء؟"

تهرب سميحة إلى العموميات. "إذا كنت مهتمة فعلا بمعرفة ذلك فاكتشفيه بنفسك كما تمكنت بنفسك من اكتشاف كل ما أردت معرفته. لماذا كان يجب علي أنْ أثقل ضميري بأن أكشف لك عن أشياء لا تتوجب عليك معرفتها، فأنت لست بحاجة إلى أنْ تشاركي في هذه اللعبة."

"وزوجك، هل شارك فيها؟"

"لقد كان قطعة شطرنج استخدموها، وأنا أخشى بأنه لم يلاحظ هذا حتى النهاية."

"إذن كان الموضوع يتعلق بإزاحة أيفيردي الشيخ الذي كنت تساعدينه في أعمال المحاسبة، إذا كنت قد فهمت الموضوع بشكل صحيح."

الذكريات عن العمل الذي كانت تقوم به تطوف فوق وجه سميحة وتضيئه لحظة من الزمن.

"هل ترين، لقد اكتشفت هذا أيضا. نعم. الأمر كان يدور حول هذا الشيء. ولكي لا يجعلوا أي قدر ضئيل من الشك يقع عليهم، أرادوا للأمر أنْ يظهر كواحد من مآسي الغيرة الاعتيادية. في الوقت نفسه كان يراد عبر هذه القضية توريط زوجي توريطا كاملا. إذ لو أنه لم يصب هو نفسه، لكانوا قد استخدموا كل الوسائل من أجل ألا يقدم للمحاكمة، ولكان من الممكن في حالة الضرورة أنْ يخرجوه خارج البلاد لفترة من الوقت ثم يعيدوه مرة أخرى تحت اسم آخر. وفي تلك الحالة كان سيصبح طيلة عمره ملتزما تجاههم. وحتى حينها كان من الممكن أنْ يبقى غير مدرك بأن الأمر لم يكن أبدا متعلقا بشرفه كرجل وإنما بالتخلص من أحد العلويين. فبموته أصبحت على الأقل مشكلة واحدة محلولة وهي مشكلة حكمت ايفيردي."

"حكمت أيفيردي الشيخ." لابد وأن سميحة تعرف شيئا عن حكمت.

"نعم، حكمت أيفيردي الشيخ. تم إيقاف التحقيقات كما كان متوقعا. كانت الجثث هنا والفاعلون ايضا، إذن لم يكن هناك ضرورة لأن يحبس أحد ما على نفقة الدولة."

"وماذا قالت فريدة خاتون حول الموضوع؟ فأنت لا تزالين كما أعرف على اتصال بها."

"مراقبة جيدة. لقد كنت منذ البداية أشعر بأنك لا تملكين في رأسك ثقوبا فقط، وإنما عينين وأذنين." نظرة سميحة المرحة مستقرة الآن على انا.

" ولكن لماذا تصرفت وكأنك لا تعرفين عائلة الأيفيردي مطلقا. لقد تعمدت الكذب علي."

"مهلا، مهلا حبيبتي. لا تستخدمي كلمات قاسية. إذا كنت قد تعلمت شيئا ما خلال كل سنوات استقلاليتي فهو: إذا كنت تريدين حماية نفسك من الخيانة

سواء كانت متعمدة أو بالصدفة، إذن تجنبي أنْ تقولي لأحد شيئا يمكنه أنْ يكتشفه هو بنفسه. لقد قمت بعمل جيد. وفيما يتعلق بفريدة خاتون فإننا قمنا كلانا، اقصد أنا وهي، بفعل الشيء الذي كان يملك أكثر من غيره فرصة للنجاح، حتى وإن كانت تلك الفرصة ضئيلة، لقد وحدنا جهودنا."

"اي نجاح؟"

"مثلا، أن العلويين، الذين لا يهموني بشيء مطلقا، أصبح لهم الآن مقر لاتحاد خاص بهم يستطيعون أنْ يقيموا فيه احتفالاتهم وتنظيم أنفسهم. هذا شيء لا بأس به. أما فيما يتعلق بي أنا فإن وضعي تحسن أيضا. ففي هذه الأثناء أصبحت المؤسسة ملكا لي."

تحدق انا بسميحة وكأنها تحولت أمام بصرها مرة أخرى.

"وكيف؟ أقصد كيف كان ذلك ممكنا؟"

"لم يكن ذلك ممكنا، عزيزتي، نحن الذين جعلناه ممكنا. لقد قمنا بقلب اتجاه الرمح وذلك عندما حاولنا أنْ نستخدمهم لصالحنا. أنا وفريدة خاتون ورثنا من زوجينا شيئا من النقود. وكانت لفريدة خاتون فكرة عما يمكننا أنْ نفعله به، وكنت أمتلك قدرا كافيا من المعرفة لكي أعرف كيف نقوم بذلك على أفضل وجه. لقد قمنا بلعب لعبتنا."

"وفزتما بها." تحاول أنا أنْ تفهم دون أنْ تتمكن من ذلك على الفور.

"أبدا، عزيزتي. لقد فزنا ببعض الماركات فقط، الأمر الذي لم يكن في مرحلة البداية بالشيء السيء. ولكن اللعبة لم تنته بعد، لقد أخذناهم على حين غرة. ولهذا فإنهم يروننا في اللحظة الراهنة أكبر من حجمنا الحقيقي. ولكن في وقت ما ستفقد هذه الصدمة قوتها، وعندها سنرى ما إذا كان بإمكاننا أن نمسك بأكاليل الفوز بأيدينا."

"وحكمت؟ لماذا لم تريدي حتى أنْ تعترفي بأنك تعرفينه على الأقل كتلميذ لوالدك؟"

"ولماذا يجب علي ذلك؟ كان ذلك سيجلب لي فقط مزيدا من الأسئلة غير المجدية من جانبك. وكيف كان يمكنني أنْ أكون واثقة بأنك لن تفشي شيئا ما؟"

"أنا وإفشاء شيء ضد حكمت؟"

"ليس بشكل متعمد. صحيح أنه أمر جيد أنْ يمتلك المرء علاقات بأناس مهمين، ولكن معذرة، فأنت تملكين علاقات يحيطها الكثير من علامات الاستفهام. مستشار الوزارة هذا مثلاً، الذي يتردد عليك دائما."

"هل تعرفين هاوجسدورف؟"

"نعم، صحيح مستشار الوزارة هاوجسدورف. موظف كبير في وزارة الداخلية، إذا كانت المعلومات التي لدي صحيحة. كنت أريد في البداية أنْ أعرف معلومات جيدة عنك. وبالمناسبة يمكنك الآن أنْ تستعيدي مني كمبيوترك المحمول بكل سرور."

تجلس أنا وقد فتحت عينيها عن آخرهما. "أنا أعتقد بأني أحلم ولا أستطيع الاستيقاظ من هذا الحلم." تعتدل سميحة في جلستها وتستند بظهرها إلى كرسي والدها ذي المسند العالي.

"ماهو الواقع أصلا؟ حلم مكثف على شكل لعبة."

تبحث أنا عن صلة يمكن الركون اليها.

"ولماذا أردت أنْ تكون لديك معلومات دقيقة عني، بالتأكيد ليس بسبب حكمت فقط؟"

تضحك سميحة بطيبة. "شخص اسمه جبرائيل هو الذي لفت انتباهي إليك، قائلا بأنك تملكين رأسا تحسنين التفكير به، وتبدين وكأنك تريدين أنْ تغيري وضعك الوظيفي. لذلك حاولت أنْ أحصل على معلومات عنك لكي أتقدم إليك بعرض ما. وبالمناسبة لا يزال هذا العرض قائما، إذا كنت تريدين أنْ تفكري بالأمر، فمؤسستي يمكن أنْ تستفيد بشكل جيد من أشخاص مثلك."

"كفي عن هذا الكلام سميحة"، أنا تسد أذنيها بيدها، "إذا كنت لا تريدين أنْ أجن فكفي رجاء عن ذلك."

"لقد أصبحت في هذه الأثناء مواطنة في هذا البلد، وأستطيع أنْ أتقدم إليك بهذا العرض على قاعدة متينة."

"أنا لا أقصد هذا. أنا أقصد حكمت. إذن كان كل شيء فكرتك أنت؟"

"طبعا، وما الذي فكرت فيه أنت؟ ولكنه هو دائما الشيء نفسه بين الرجال والنساء، إنهم يقعون على بعضهم البعض في اللحظة غير المناسبة مما يجعل الأمور شديدة التعقيد."

"ارجوك قولي لي أخيرا ما الذي جرى لحكمت."

تتنهد سميحة بصبر. "نعم، نعم، على قدر ما أعرف فإن الأمر يتعلق بقضية عائلية للعلويين. قليل من الوثائق الشخصية لكثير من الأخوة، أبناء العم وأعضاء من الوسط الداخلي. أنا أعتقد بأنّ حكمت أخفي لفترة من الوقت من أجل أنّ يضمن مكانا لبضعة شبان معرضين الآن للخطر، أو أن قصة حيدر المشؤومة هذه جعلت وزارة الداخلية تطمع بالمزيد. وفي هذه الحالة لا أعرف كيف ستتطور الأمور." تشعرّ أنا باضطراب كبير وتتنفس بسرعة شديدة تمنعها من أن تكون قادرة على التفكير بهدوء.

"أريد أنْ أرى حكمت، ألا تستطيعين فهم ذلك؟"

"إذا كان ذلك يهمك فعلا، فسيري في الطريق الذي يوصلك إليه. ولكن كوني منتبهة ألا يؤدي ذلك إلى أنّ توقعيه بنفسك في يد القصاب. ماذا يقول العرب؟ كوني شاطرة، كريمة وكتومة."

جسد أنا ينتفض". قولي فقط أنك تعرفين يوسف أيضا."

تقلص سميحة وجهها كي لا تضحك. "سوف لن أقول شيئا آخر، مثل عربي هو مثل عربي. هذا أمر يعرفه الكل."

هذا كله كثير على أنا جدا. تنهض ببطء من أمام الطاولة الموضوع عليها الكثير من الصحائف المكتوبة بينما تتجه نظرتها إلى داخل ذاتها أكثر وأكثر. تطوقها سميحة من كتفيها "هل تريدين أنّ تأخذي كمبيوترك الصغير معك الآن."

تفكر أنا قليلا. "من الأفضل أنْ آتي لآخذه عندما لا يعود هناك خطر بأن يجده هاوجسدورف. لقد قلت له حينذاك بأنه سرق."

"استعير. لقد أردت فقط أنْ أمنع بأن تقعي وأنت غارقة في الحب في خطأ آخر. ولكن عدا ذلك فلم يعد جبرائيل هذا بالكثير." سميحة تعانق أنا عند الباب.

"كوني حذرة، فالعقل أيضا لا يحمي من الهزيمة."

"علي أنْ أذهب لحكمت، لا يهمني ما يحدث بعد ذلك."

تقبلها سميحة على وجنتيها. "مع ذلك، لا تقومي بشيء يمكنك أن تتركيه إذا لم يتوجب عليك القيام به."

بعد فترة قصيرة من عودتها إلى شقتها تسمع أنا طرقا على الباب. تشعر في اللحظة نفسها باحتباس أنفاسها. لم يوجد إلا شخص واحد كان يطرق على بابها بدلا من استخدام الجرس. ولكن عندما تفتح الباب تقف فتاة صغيرة بشفتين مصبوغتين بكثافة وشعر كث معقوص إلى أعلى.

"أليف؟"

"أخيرا أنت في البيت. لقد جئتك من قبل فما وجدتك."

آخر ما كانت تتوقعه أنا هو أليف، ولكن هذا شيء لا بأس به أيضا.

تقلص أليف وجهها بشكل مبالغ فيه. "إنه لا يستطيع أنْ يحتمل بدونك أكثر من ذلك. المهم هو ألا نجعل أحدا ينتبه إلينا."

"تعالي، ادخلي، سآتي فقط بحقيبتي."

"من الأفضل أنْ أسبقك كي لا يرانا أحد معا. سنأخذ قطار الأنفاق رقم ٢ باتجاه مسرح الشعب ثم نركب إلى ماريا هلفر شتراسه. من هناك نأخذ الترام."

وبسرعة اختفت أليف في السلالم. تذهب أنا إلى الحمام، وهي تنظر إلى نفسها في المرآة ترى وجها شاحبا شحوب الموتى. تمشط شعرها وتصبغ شفتيها. إذن لقد آن الأوان الآن. يحل عليها الهدوء دفعة واحدة. عليها أن تتبع أليف دون أنْ تثير انتباه أحد إليها قدر الإمكان. تهبط السلالم ببطء. عليها أيضا ألا تتعجل بشكل مبالغ فيه. عندما تصل إلى محطة قطار الأنفاق تشتري صحيفة أسبوعية سميكة وكبيرة الحجم، لكي لا تجعل أحدا يراها من مسافة بعيدة وهي واقفة هنا. وتقرأ في الجريدة قليلا فيما بعد أيضا وهي تنتظر قدوم القطار رقم ٢ وكأنها شخص عائد من العمل إلى البيت. لا ترى أليف ثانية إلا في محطة الترام. تركب نفس المركبة بدون أنْ تلتفت إليها. بعد محطتين تذهب أليف إلى الباب في نهاية العربة وتقف أنا عند الباب الأقرب إليها. تعبران الشارع من مناطق عبور

مختلفة ثم تتبع انا اليف باتجاه (نهر فيينا.)

الجو في الخارج دافئ، ادفأ بكثير من نفق المحطة أو في الترام الذي كان يتحرك في داخله بسبب النوافذ المفتوحة تيار قوي من الهواء. من مكان ما تأتي رائحة ياسمين رقيقة. الظلام أكثر عتمة عما هو عليه في مركز المدينة، إلا إذا كان المرء واقفا تحت واحد من أعمدة النور في الشارع. "الآخرون كلهم غير موافقين على لقائكما، فهم يقولون إنه أمر خطير بسبب الرجل الكبير من الوزارة الذي تعرفينه أنت. إذن لا تقولي لأحد بأنني جئت بك إلى صديقك." أليف تمشي متقدمة عليها بخطوة واحدة دائما. تترك وهي تمشي شعرها ينهمر، تضفره إلى ضفيرة ثم تمسح احمر شفتيها بمنديل ورقي. كانت ترتدي بنطلون جينز اعتيادياً وتي شيرت من مجموعة جيلري. بدأت آنا تدرك إلى أين هما ذاهبتان، بالرغم من انهما تأتيان من الاتجاه المعاكس. "هو في البيت المقابل. لقد أردنا فقط ألا نخاطر باستخدام التلفون مرة أخرى. هل كان بإمكانك أنْ تجدي المكان بمفردك؟ أقصد إنك كنت مرة واحدة عندنا وجئت سوية مع الأخوة فمن يدري إذا كنت قد انتبهت إلى العنوان."

آنا لا تجيب. تنعطفان في الشارع الموازي والذي يبدو أن فيه مدخلاً يؤدي إلى العمارة المقابلة. فعلا. تودعها أليف. "ستدخلين هنا، تعبرين الفناء. هناك في المبنى رقم أربعة تصعدين إلى آخر طابق ثم تذهبين إلى اليمين حتى تجدي بابا حديديا. الباب مفتوح في الغالب، وإذا لم يكن كذلك فإنك سيئة الحظ. هذا الباب يؤدي إلى القسم الأمامي من العمارة والذي يمكن أنْ يدخله المرء عادة من الجهة المقابلة لنا. ولكن من الأفضل ألا تجعلي أحدا يراك هناك. الانسان لا يمكن أنْ يعرف. ثم تهبطين مرة أخرى إلى الطابق الرابع وتدقين على الباب رقم ٢٣ وهي شقة فارغة، لم يدخلها المستأجرون الجدد بعد ".تعطيها أليف كيس القماش الذي كانت تحمله طيلة الوقت وقد علقته بإبهامها فوق كتفها". فيه أكل له. اطرقي على الباب أربع مرات متلاحقة."

تبتعد أليف بخطوات سريعة في الاتجاه المقابل. من المحتمل أنها ستسير حول مجموعة العمارات كي تدخل العمارة من جهة المدينة. تريد آنا فتح البوابة

ولكنها مغلقة. موجة من اليأس الكامل تموج في راسها. قريبة من الهدف إلى هذا الحد ثم هذه العقبة. تتطلع فيما حولها بحثا عن أليف لكي تساعدها. ولكن هذه كانت قد اختفت في الظلام. وماذا الآن؟ هل عليها أنْ تضغط على أي جرس وتقول أنها تسكن في العمارة وإنها نسيت مفتاح بوابة العمارة؟

العمارة واحدة من مباني الإيجار الفيناوية قديمة الطراز هائلة الحجم والتي لها أربعة مداخل مختلفة على الأقل، الأمر الذي يعني بأنه يوجد هنا ما يطابق هذا العدد من المستأجرين وبأنه ليس من الضروري أنْ يعرف أحدهم الآخر. وهي مشغولة بالتفكير بما يحسن عمله يأتي شخص من داخل العمارة. بحضور بديهة لم تكن حتى هي نفسها واثقة أنها تملكها تمسك بأكرة الباب وعندما تتطلع بها المرأة القادمة متسائلة تضحك أنا. "لقد ضربت الجرس، ولكنك سبقت صديقتي في فتح الباب."

تبتسم المرأة هي الأخرى. إنه أمر جيد أحيانا أنْ يكون الإنسان امرأة. مظهر أنا ليس مثيرا لأية شكوك، ولم لا يكون ممكنا أنْ تكون هي صديقة تأتي لزيارة واحدة النساء الشابات الكثيرات اللاتي يعشن هنا كما يبدو؟ عندما تقف في الطابق العلوي أمام الباب الحديدي يبدأ قلبها بالخفقان بضراوة. هنا سوف لن يأتي بالتأكيد أحد من الداخل لكي يمسك لها الباب حتى تدخل ويبتسم لها أيضا. تتردد لحظة وكأنها تريد تأجيل مواجهة الخوف ثم تجمع كل شجاعتها تعرف جيدا في أية شقة ستلتقي بحكمت. لم تضغط على أكرة الباب بقوة كافية. ينفتح الباب بعد المحاولة الثالثة، المحاولة المليئة بالفزع والارتباك. عندما تهبط مرة أخرى إلى الطابق الرابع من الجهة الثانية من المبنى ينطفيء ضوء الممر. إلا أنها ليست بحاجة لأن تشعله مرة أخرى لكي تسير الخطوات القليلة إلى باب الشقة وتقوم بعدها بالطرق على الباب أربع طرقات متتابعة. من خلال تغير تيار الهواء تلاحظ أنا أن الباب أمامها فتح دون صوت. يتملكها الخوف لحظة من الزمن، ماذا لو أنها استدرجت إلى كمين؟ وأن رجال هاوجسدورف هم الذين ينتظرون قدومها هنا وليس حكمت؟ يد دافئة فيها شيء من رائحة البرتقال تطبق على فمها، وصوت يهمس في أذنها: "رجاء لا تصرخي. نحن هنا للزيارة فقط."

تسحبها اليد إلى إحدى الغرف ثم ينغلق الباب وراءها بنفس الشكل المكتوم كما فتح لها من قبل. ذراعان يطوقانها وهي تسمع قلبا آخر يدق بنفس السرعة التي ينبض بها قلبها.

"تعالي." شفتان تحييانها بتلمس وجهها. تعرف أنا تماما أين هي الآن. يذهبان إلى الغرفة ذات الأريكة المتروكة والكراسي القديمة. من خلال النوافذ التي ليس لها ستائر يدخل ضوء كاف كي تستطيع أنْ تتعرف على معالم المكان، بشكل يتزايد مع تزايد تعودها عليه.

"طعامك، من أليف." تضع الكيس على أحد الكراسي.

"شكرا." يسحبها حكمت باتجاه الأريكة الملقاة عليها بطانية ملفوفة على بعضها. "عداد الكهرباء مختوم بالرصاص. المستأجرون الجدد لم يطلبوا فتحه بعد، ولكن علينا ألا نشعل الضوء في كل الأحوال."

"حكمت!" إنه أقصر قليلا عما كان في ذاكرتها ويشعر محلوق وحواجب محلوقة. تتلمسه أنا باحثة عن رأسه.

"معذرة"، يمسك حكمت بيدها. "أنا أتقاسم مع عبدال الوثائق. إنه إجراء احترازي فقط في حالة أنْ يجدني المرء بحيث أنْ عبدال يستطيع أنْ يختفي بالسرعة المناسبة، هو المهرب الأخير كما يقال."

"كيف المهرب؟"

"بعض الأشخاص من جماعتنا وقعوا في وضع سيء ووجب أنْ يؤتى بهم إلى هنا مؤقتا حتى تهدأ الأوضاع في تركيا مرة أخرى."

"ولكن لماذا اختفيت أنت؟"

"واجب الصديق. شخص ما أخذ جوازي مؤقتا، الذي فيه صورتي مع الشعر."

أنا تفهم ولا تفهم شيئا في الوقت نفسه.

أصبح حكمت أكثر نحافة، أم أنه الرأس الحليق؟ لا يزالان واقفين في مكانهما، يداه على كتفيها، يداها على وجنتيه.

"لم أجرؤ على تصور أنك ستأتين."

يقبل رقبتها، ذقنها، فمها، تمر فترة من الوقت حتى تستطيع الكلام مرة أخرى.

"وإلا لكنت مت من الشوق اليك."

تشعر بالدفء الذي يتدفق منه.

"كان من الأفضل لك لو أنك لم تأتي."

يفتح أزرار قميصها واحدا بعد الآخر.

"كان من الأفضل لك لو أن سميحة لم تنبهك إلي مطلقا."

يداها تنزلقان إلى ما تحت قميصه، تتحركان على بشرته.

"كان من الأفضل لو أنك أحببت هذا الموظف الكبير في وزارة الداخلية."

يترك قميصها يسقط على الأرض.

"كان من الأفضل لك لو أنك تعيش مع علوية."

تسحب قميصه من على أكتافه. جسداهما العاريان يلامسان بعضهما.

"كان من الافضل لك أنْ يكون لك رجل يستطيع حمايتك وليس رجلا يحاول أنْ يفهم فقط."

يتمكن من فتح سحاب تنورتها.

"كان من الأفضل لك أن يكون لك امرأة تطبخ لك وتغسل ملابسك."

تنجح في سحب الحزام من بنطلونه.

"من الأفضل لك أنْ تستلقي إلى جانبي."

يخرج من بنطلونه، يلتصق بها.

"هذه اريكة زميلة لي في العمل ستسكن هنا قريبا."

يسحب لباسها الداخلي بأسنانه. إنها لا ترتدي جوارب لحسن الحظ.

"أعرف ذلك."

تشعر بدمه وهو ينبض على صدغيها.

"لماذا تعرف أنت دائما كل شيء، وأنا لا؟"

جسمه يتشابك مع جسمها.

"انظري إلى وجهي، هل تتعرفين عليه؟"

عندما تغمض عينها تتصور بأن حكمت هو في الوقت نفسه عبدال، وبعد ذلك هو هي وهي حكمت وعبدال، وهم يرقدون جميعا في قاع البحر.

"إذا كان هذا حلما، فلا تدعني أستيقظ منه."

يفرش البطانية عليهما معا.

"هل تريدين أنْ تنامي أثناء ما أحبك أنا؟"

شعرها ينتشر حول رأسها.

"أريدك أنت، أنت فقط."

جسده يغطي جسدها بشكل كامل فلا يبقى منه قدر إصبع مكشوفا.

"هل تحبينني؟"

تنقلب بجسدها خارجة من تحت جسده.

"هل تريد أنْ أريك بأي قدر أحبك؟"

يستلقي على ظهره. ذراعاه وساقاه مطوقتان من قبل ساقيها وذراعيها.

"هل أنت متأكد أن أحدا لا يسمعنا؟"

يبادلها الحب.

"الآخرون ينامون في الغرفة خلف المطبخ. إذا كتمنا أصواتنا فسوف لن يسمعنا أحد."

بعد منتصف الليل بوقت طويل يفتح حكمت كيس الليف. خبز، جبن وزيتون. أنا تطعمه. الأكل لا يضر بالحب.

لا يزال الضوء مشتعلا في البيت المقابل. في انعكاس الضوء تستطيع أنا أنْ ترى آثار جرحين متقاطعين بشكل هندسي على صدر حكمت وبطنه. وكما يبدو من تلمسهما فإنهما مندملان بشكل جيد.

"شقت بالسكين، إنني فقط لم أفهم الرسالة على التو."

تعانقه أنا بقوة تجعله يقهقه ضاحكا.

بعد أنْ يستلقيا مرة أخرى بهدوء جنب بعضهما تسمع خطوات تتحرك في الشقة التي فوقهما.

"إنها الآن الساعة الرابعة فجرا. يمكن للمرء أنْ يضبط ساعته على ذلك."

بعد فترة قصيرة يمكن سماع السيفون وهو يُسحب في مرحاض بعيد.

"علينا ألا نغفو الآن، فبعد قليل سيطلع النهار."

ينهضان واقفين، يرتجفان من البرد، منفصلين عن بعضهما البعض ثم يتعانقان مرة بعد أخرى وهما يرتديان ملابسهما.

"لا أستطيع أنْ أتركك تذهبين."

"سأكون جاهزة في أي وقت ترسل لي إشارة فيه."

"هذه الليلة هي ليلة الختام."

"أنا أمتلك ذاكرة فوتوغرافية."

"سيف الفراق."

"هذا الألم سيجبرني أنْ أبقى بأفكاري معك."

ومع ذلك تشعر آنا بدفء السعادة يملؤها بحيث أنها تود أنْ تغني وهي تهبط السلالم حاملة حذاءها بيدها كي لا تصدر عنها أية ضجة دون أنْ تسلك الطريق الخلفي عبر الجزء الآخر من العمارة كما جاءت. فمن يستطيع أنْ يراها خارجة في هذا الوقت الذي لا يزال غارقا في النوم؟ قبل أنْ تصل إلى باب العمارة بقليل ترتدي حذاءها، تنهض واقفة وتدير مقبض الباب. من الداخل يمكن فتح الأبواب بسهولة.

لم يكن مطلقا أغنية ما يتردد على شفتي آنا وإنما نغمٌ تستمر بترديده مع نفسها حتى عندما يمر بها رجال يرتدون بدلات رسمية مندفعين إلى داخل العمارة. لم يكونوا رجال شرطة اعتياديين وإنما على الأكثر فرقة خاصة من المدربين على القيام بكبسات تفتيشية. يقول لها واحد منهم بلهجة استهانة بأن عليها أنْ تختفي من هنا بأسرع ما يمكن.آنا تركض، تركض وكأنها في كابوس، تركض إلى الجهة الأخرى من العمارة، إلى الجهة التي دخلت منها بالأمس. فقط بضع خطوات ثم سيكون بإمكانها أنْ تستدير راجعة لتعرف ما الذي يجري وماذا يريد هؤلاء الأشخاص الذين يرتدون بدلات رسمية. لا تزال تركض. ستختفي وراء شجرة أو سيارة لتفكر بالذي يمكن عمله. هل حدثت جريمة قتل في العمارة؟ ولكن في قضية قتل لا تأتي فرقة كاملة مرة واحدة. أو هل يكون حريق

قد شب في أحد الطوابق؟ ولكنها لا تسمع لا من قريب ولا من بعيد صوت قدوم سيارة إطفاء الحريق. كذلك لم تسمع صوتا يدل على وقوع انفجار. إذن ماذا يريد هؤلاء كلهم في العمارة؟ تتباطأ آنا في حركتها بدرجة لا تحول دون اصطدامها صدمة شديدة بالباب المفتوح لسيارة واقفة تجعلها تترنح قليلا.

"آنا! لقد تصورت أنك رأيتني." يخرج هاوجسدورف من جهة السائق، يتحرك حول السيارة من الأمام ثم يمسك بآنا من أكتافها.

"عسى الا تكوني قد جرحت."

تهز آنا نفسها وتهز هاوجسدورف معها. تغلق باب السيارة بقوة وتحدق به بعينين متوهجتين وكأنها لا تستطيع أنْ تستوعب ما تراه أمامها. "أنت..." هي كل ما تستطيع التلفظ به.

"حسنا، أنك هنا أخيرا. لقد فكرت بأنك سوف لن تأتي أبدا." يبدو في صوت هاوجسدورف الاستياء بعض الشيء، ولكن أيضا وكأن كل ما يراد إنجازه هنا قد تم انجازه أيضا.

"لم يريدوا أنْ ينتظروا أكثر."

"هل أنت الذي قمت بتدبير هذا كله ".تشير آنا بيدها إلى الخلف.

يفتح هاوجسدورف باب السيارة مرة أخرى من جهة المقعد جنب السائق. "اصعدي، الشيء الذي يجري هنا هو عملية الانضباط الشديد." تستدير آنا راغبة بأن ترى هاوجسدورف في وجهه. "هل نحن في حالة حرب، أم أنكم فقدتم عقولكم كلكم؟"

"هذا شيء تسألينه أنت بالذات. أنت التي جئت بنا على الأثر."

يحاول هاوجسدورف أنْ يدفع بآنا إلى داخل سيارته ولكنها لا تسمح بذلك وتبدي مقاومة له ونظرات الغضب تزداد في عينيها توهجا. "إنه أمر صحيح إذن، بأنك أنت الذي تختفي وراء ذلك كله."

"لست أنا قائد هذه العملية. كوني سعيدة أنني استطعت أنْ أخرجك أنت من الموضوع على الأقل، والآن تعالي، سأوصلك إلى البيت حتى تستطيعي أنْ تتحممي."

يبدو أن آنا فقدت عقلها فعلا، حتى أن هاوجسدورف يفتح يديه أمام وجهه وكأنه يتوقع تلقي ضربة منها. ولكن لم يكن سوى باب السيارة الذي أغلقته آنا للمرة الثانية وبكل قوة. تركض ثانية. ولكي تتجنب المرور بسيارة الفرقة، التي أوقفت أمام باب عمارة الأيفيردي، تقترب من العمارة من الشارع العرضي الذي يمكن رؤيته من شقة تيريزا. ترى نافذة مفتوحة في كل من الطابق الثالث والرابع وبينهما يتأرجح جسد شخص محلوق الشعر وهو يمسك بشيء ما يتدلى من النافذة فوق، ربما بطانية، بينما يمد شخص يقف في نافذة الطابق الأسفل يده للامساك بقدميه. لم يبق إلا القليل حتى تستطيع القدمان أنْ تجدا مستقرا لهما على حافة النافذة السفلى. الشمس تشرق توا والهدوء لا يزال يخيم على الشوارع. كلب كبير الحجم يأتي متحركا باتجاه آنا، يحاول تسلق جسدها ويلحس وجهها بلسانه. هل أنت صديق عبدال؟ يهمهم الكلب بصوت خفيض. لا تخافه آنا رغم أنه كلب كبير الحجم. فجأة لا يعود هيكل الانسان معلقا بين النافذتين. أنفاس آنا تتسارع بشدة. صوت شيء يقع يهز رصيف الشارع هزا. من النافذة فوق يظهر وجه شخص من مرتدي البدلات الرسمية يمسك مسدسا بيد وبطانية باليد الأخرى. النافذة التي تحت فارغة الآن.

تعرف آنا أن الشخص الذي سقط إلى الأرض لابد ان يكون حكمت. أو قد يكون عبدال؟ عبدال الذي حلق ايضا شعر رأسه وحاجبيه مثلما كان يفعل الدراويش السواحون في العصور الوسطى. تقترب آنا خطوة بعد أخرى، ببطء ودون توقف وقد وضعت إصبعها على أنفها. حكمت، حكمت! لقد سقط على سقف إحدى السيارات حيث تستطيع أنْ ترى يده وهي تتحرك على زجاجتها الأمامية وأصابعه وكأنها ترسم خطوطا فوق الغبار الراقد فوقها. لا بد أن الارتجاج الذي سببه وقوع جسده قد شغل جهاز إنذار السرقة في السيارة. تشعر آنا بصوت الجهاز الشديد وكأنه ينفجر في رأسها.

قيل إن مستشار الوزارة هاوجسدورف هو الذي جاء بآنا شخصيا إلى قسم الطوارئ في المستشفى ثم اتصل بجيجي وأخبرها بأنها واقعة تحت تأثير صدمة شديدة. لا تستطيع آنا تذكر أي شيء. تتذكر فقط اليد المتحركة التي بدت وكأنها

تريد أنْ تكتب شيئا على زجاجة السيارة الأمامية. تتصرف جيجي وكأنها تعرف كل شيء، ولكنها لا تعرف في حقيقة الأمر شيئا عن آنا وحكمت. قال لها هاوجسدورف أن آنا كانت تمر من هناك بالصدفة عندما قفز الشاب من النافذة، ولابد أنْ ذلك هزها كثيرا. الأكثر من ذلك لم ترد جيجي حتى محاولة تصور ما الذي كان سيجري لها لو كانت هي في مكان آنا. ربما كانت قد سقطت ميتة قبل أنْ يسقط جسد هذا الرجل على الأرض. على كل حال ستأخذ آنا معها إلى البيت وتبقيها عندها بضعة أيام. حين تذهب جيجي لإتمام الاجراءات الرسمية تأتي بوني أيضا. تبدي بوني تفهما لوضع آنا ولا توجه لها أي سؤال وإنما تتكلم عن الأطفال وعن تمارين بير مع جماعته على مسرحية جديدة. هذه المرة عن معالجة لحكاية "حرامي بغداد."

"كان جسده ملقى على سقف السيارة ويده ترتجف على زجاجة السيارة الأمامية وكأنه كان يريد كتابة شيء ما. ثم هذا الصوت الذي كان يزعق زعيقا رهيبا." آنا تردد هذه العبارة مرة بعد أخرى. بوني تمس يدها مسا رقيقا. "لقد سمعت ذلك في الأخبار. لقد ألقوا القبض على ثلاثة أكراد واثنين من الأتراك كانوا يحملون وثائق مزيفة. قفز واحد منهم من النافذة."

"لم يقفز." آنا تعرف بأن حكمت لم يقفز وإنما هم الذين جعلوه يسقط.

بوني تعانقها. "لقد قالوا حتى في التلفزيون إنه وهو خائف من أنْ يُلقى القبض عليه قفز من النافذة."

تحتاج بوني إلى شيء من الوقت وهي تبحث عن التلفون المحمول الذي يرن في حقيبة آنا. حين تجده أخيرا تضغط على الزر ثم تضعه قريبا من أذن آنا.

هاوجسدورف يتنحنح. "آمل أن تكوني بحالة أفضل الآن."

آنا تحملق بالسقف. "أي أنني كما تقصد لا أملك وعيي."

"اصغي إلي مع ذلك لحظة واحدة فقط. أنا لم أرد ذلك. ليس ثمة من أراد ذلك. وإنما كان فقط واحد من الموظفين الشبان الذي فهم المهمة حرفيا أكثر مما ينبغي ولاحقه عن قرب كبير."

"من، عمن تتحدث؟"

"عن صديقك الذي قفز، لقد كان حادثا مؤسفا. صدقيني."

تأخذ آنا التلفون من يد بوني وتحوله إلى البريد التلفوني.

"إذا رجوتك أنْ تفعلي لي شيئا بوني، فهل ستفعلينه؟"

"طبعا." تقول بوني وإنْ كانت لا تعرف بماذا تعد.

"بدون أنْ تسألي شيئا."

تشعر بوني بالدهشة. ولكنها تومىء مع ذلك عدة مرات وكأنها تريد أنْ تؤكد ذلك لنفسها هي.

"هل ستقومين وأنت في طريقك إلى البيت بالقاء هذا الشيء الصغير المزعج في الدانوب؟"

تستنشق بوني الهواء بعمق ثم تبتلعه.

"بدون أسئلة." تضع آنا التلفون النقال في حقيبة بوني.

"هل أنت متأكدة، بأنك..؟" بوني لا تكمل الجملة فهي تعرف أختها الصغيرة.

"خسارة، إذا سألتني أنا."

تضحك آنا بهستيرية. تأخذها بوني بين ذراعيها وتمسح على رأسها.

فجأة تبدأ آنا بالبكاء، بصوت خفيض وبدون نحيب. تتدفق الدموع من عينيها وتقطر من ذقنها على منخفض رقبتها.

تأخذ جيجي التي عادت مكان بوني الآن. وعندما تحاول أنْ تجفف دموع آنا بالمنديل ترمي آنا بنفسها عليها معانقة اياها.

"إنه لم يقفز، صدقيني، إنه لم يقفز." تبدأ بالبكاء بقوة بحيث أنْ ظهر جيجي يهتز أيضا وكأنها هي الأخرى تبكي مع آنا.

"لقد افتقدتك يا عزيزتي." يروح يوسف بقائمة الآيس كريم شيئا من الهواء البارد على جسمه. يجلسان في المحل على قناة الدانوب الذي كانت آنا غالبا ما تأتي إليه مع تيريزا. كما سمعت آنا فإن تيريزا أسقطت حملها قبل فترة ومنذ

ذلك الحين لم يعد ثمة من يستطيع الكلام معها. آنا لا تريد أنْ تزورها، ليس في هذه الشقة. ولكنها ستتصل بها تلفونيا وتلتقي بها في المدينة.

"هل علي أنْ أقول بأنك وحشتني أيضا؟" تضع آنا نظارتها الكبيرة على عينيها وشعرها يتوهج عندما ينعكس عليه شعاع من الضوء بين حين وآخر.

"إذا كان ذلك فعلا فلا تجبري نفسك عليه."

"حسنا آنا افتقدك كثيرا. وماذا يوجد من جديد في المؤسسة؟" الوقت أصبح صيفا، والكمباري يصبح ساخنا بسرعة بحيث لا تستطيع آنا شربه."

"منذ أنْ قدمت استقالتك من العمل تم توظيف ثلاثة أشخاص، وضعوا كلهم أنظارهم علي"، يقول يوسف وهو ينظر آنا نظرات جانبية غاضبة، "ولكنهم سيقعون في بعضهم."

"انه ليس بالشيء السهل إيجاد بديل عني وعن فرانتيشيك." تحرك آنا قصبة المص في كأسها وهي تضحك راضية حتى تتجمع الفقاعات الغازية في رغوة فوق سطح المشروب.

"وكيف تتصورين مستقبلك؟" يلمس يوسف ذراعها بأصابعه لمسا خفيفا.

"سأعمل عند سميحة يلماز."

"سميحة التي لا يمكن إقناعها أبدا." يبتسم يوسف ابتسامة غامضة مانعا نفسه من الفرقعة بلسانه لكي يلمح لها بأنه يعرف هذا أيضا.

"اعترف بأنك تعرفها." ترفع آنا نظارتها لكي تنظر في عيني يوسف بعمق.

"أعرفها قول مبالغ فيه." يمسح يوسف فمه بمنديل المائدة ثم يكوره. "ولكن قولي، ألا يمكن للمرء أنْ يخاف منها."

"السؤال من؟"

يمسح يوسف شفتيه بلسانه ويهز رأسه هزا خفيفا. "أتكهن بوجود صلة ما، أشيري برأسك إذا كنت محقا."

تمد آنا ساقيها أمامها ثم تضعهما الواحدة فوق الأخرى. تشعر لحظة من

الزمن وكأنها تعيش مرة أخرى في الأيام الماضية، ولكن الزمن الماضي أصبح ماضيا منذ وقت طويل.

"إذا كنت تقصد قضية الآيفيردي، فأنت محق في تكهناتك ستقوم سميحة يلماز بدفع أجور المحامين."

"في هذه الحال"، يبحث يوسف عن محفظته ويعطي إشارة للنادل، "أتمنى أن يكون المكتوب على جبينكما خيرا."

هذا الكتاب

"كان يا ما كان . . ." هذا حلم لا يستطيع المرء أن يستفيق منه إلا بصعوبة بالغة. تحلم آنا مارغوتي أنها تشق طريقها عبر العديد من المخاطر، عزلاء ووحيدة.

ترى نفسها وهي تسير إلى المحطة على زاوية شارع مجهول، الخط رقم سبعة وقد تملكها حذر شديد. سيان إن كان ضبابا أو غشاوة على البصر، فالاتجاه مرسوم مسبقا. كذلك الركاب مصنوعين من ورق مكتوب من فوق إلى تحت. يحاول أحد الحروف الأبجدية أن يصطادها، يلتقطها بصنارته مخرجا إياها من داخلها ويتركها معلقة بين السماء والأرض، ولكنها لا تزال بحاجة إلى أرض ثابتة تحت قدميها.

